



نحو ثقافة مؤصلة

التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الإلهي عشر والتوراة

تأليف الإمام:

نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي

الحنبلي البغدادي

ت: (716) هـ

دراسة وتحقيق وتعليق:

د. موسى بن محمد آل هجاد الزهراني

عضو هيئة التدريس

بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بجامعة قطر



ندو ثقافة مؤصلة

مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات

info@wa3icenter.com

wa3icenter@

الدوحة - قطر

التعليق على الأناجيل الأربعة
وكتب الأنبياء
الاثنى عشر والتوراة

تأليف الإمام

نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي

الحنبلي البغدادي

ت: (٧١٦) هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

د. موسى بن محمد آل هجاد الزهراني

عضو هيئة التدريس

بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بجامعة قطر

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: التعليق على الأناجيل الأربعة

اسم المؤلف: نجم الدين الطوفي

الناشر: مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث

بلد النشر: دولة قطر

سنة النشر: ٢٠١٦

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠١٥ / ٣٥١

الرقم الدولي (ردمك): ٩٧٨/٩٩٢٧/٠٠/٣٠٧/٣



نحو ثقافة مؤصلة

مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث

wa3lcenter@

الدوحة - قطر

دار عقل للنشر والترجمة

دمشق - سوريا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ.

فإنَّ لدراسة الأديان والمذاهب المخالفة للحق أهمية كبرى، وثمرات جلّی؛ فبسبب ذلك تستبين السبيل، وتقوم الحجة، ويصقّى الحقُّ مما لحق به من شوب الباطل؛ فيبقى الحقُّ نَمِيرًا صافيًا، بعيدًا عن أكدار الضلالات وأوضار الأهواء. وبذلك يُنقذ ضحايا التقليد والتبعية المطلقة، وصرعى الجهل والطاعة العمياء، ممن ألّفوا أسلافهم على أُمَّة؛ فاتَّبِعُوهم، وممن أطاعوا ساداتهم وكبراءهم من غير ما بينه من حقٍّ، أو أثاره من علم. ومن ثمرات الوقوف على الأديان والمذاهب والفرق المخالفة للحق؛ أن يعتزَّ المؤمنُ بالحقِّ الذي يحمله، ويفرح باليقين الذي يدين به؛ وذلك إذا رأى ما عليه غيره من التخبُّط والضياغ، في دياجير الظلمة والضلال. ثم إنَّ ذلك بابٌ عظيم من أبواب الدعوة إلى الله؛ فإنَّ الحقَّ إذا بَيَّنَّ وصُقِيَ مما لحق به من بدع وضلالات وشوائب؛ هَفَّتْ النفوس إليه، وانبعثت إلى الدخول فيه، والتمسك به، فالإسلام يدعو إلى نفسه بنفسه؛ شريطة أن يُعرض عَرْضًا صحيحًا.

ومن هذا المنطلق قام علماء الإسلام، في مختلف الأعصار والأعصار بعمل عظيم، وجهد جبار، هتكوا من خلاله سُجُفَ الباطل، وكشفوا عَوَارَ البدع والضلالات، وأوضحوا للناس دين الله، ودعواهم إلى الإقبال عليه، وكان دأبهم الوصول إلى الحق، وهدفهم دعوة الناس إلى الحق، ووسيلتهم الإخلاص والعدل، والرحمة، والصدق^(١).

ومن هؤلاء الأفاضل العمالقة: الإمام: نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الحنبلي (٧١٦هـ)، فقد أكمل مسيرة العلماء السابقين قبله وفي عصره؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم - رحمة الله عليهم - ممن تصدوا للردود على أهل الأديان المخالفة لدين الإسلام.

ويتبين هذا من خلال كتابه:

الأول: المخطوط (التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة) وهو كتابنا هذا.

والآخر: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية)، فقد أجاد فيهما وأفاد، وأورد على النصارى ما لا يستطيعون الإجابة عليه، وقد صرح بتحديه لهم بقوله: «وقد استقرت الأناجيل الأربعة، وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانياً يقدر على أن يجيب عن شيء منها»^(٢).

وقد وفقني الله تعالى، وبتشجيع من أستاذي الكريم، العالم الجليل، الأستاذ الدكتور: محمد السيد العليند، وفقه الله، لاختيار موضوع: (منهج الطوفي في مقارنة الأديان مع تحقيق كتابه: (التعليق على الأناجيل الأربعة) ليكون أطروحتي لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية من (جامعة القاهرة، كلية دار العلوم)^(٣).

(١) انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب (٤) للشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ

دار ابن خزيمة، الرياض.

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٥٩٦/٢) تحقيق أ. د: سالم بن محمد القرني. الطبعة الأولى

١٤١٩هـ مكتبة العبيكان، الرياض.

(٣) نوقشت، وحصلت عليها بحمد الله تعالى، بتقدير ممتاز في تاريخ (١٧-٩-٢٠٠٨م).

وأقدم بالشكر الجزيل لله تعالى!.. على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى، ثم لكل من ساهم في هذا العمل من قبل ومن بعد، وأخص الشيخ: رشيد بن عبد الله البرود الزهراني بمزيد شكرٍ ودعاءٍ أن يبارك الله له في حياته وآخرته، ولأخي الدكتور: نايف بن نهار الشمري، الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بجامعة قطر.

وأسأل الله تعالى التوفيق لي ولجميع المسلمين، وأن يردنا إليه ردًا جميلًا.. والله تعالى أعلم..

د: موسى بن محمد آل هجاد الزهراني

عضو هيئة التدريس

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

الدوحة - قطر، في ٢٥ / ٠٥ / ٢٠١٥ م

mzahrani@qu.edu.qa

دراسة عن الكاتب والكتاب حياة الإمام: نجم الدين الطوفي^(١)

نسبه، ومولده، ونشأته:

هو: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري البغدادي الحنبلي، وأشهر كنية له هي: أبو الربيع. أشهر ألقابه (نجم الدين)، ثم أضيف إلى المدن التي عاش فيها، أو مرَّ بها: مثل: الطوفي، الصرصري، البغدادي، القوصي، القدس، المقدسي، الحنبلي (مذهباً). فالطُوفي^(٢): نسبة إلى (طوفي) قرية من أعمال صرصر، تبعد عن بغداد فرسخين.

والصرصري^(٣): نسبة إلى صرصر، وهما قريتان من سواد بغداد، عليا وسُفلى على ضفة نهر عيسى في طريق الحاج من بغداد. البغدادي: نسبة إلى بغداد دار السلام!. الحنبلي: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد^(٤). وقد اختلف المؤرخون في تحديد

(١) المصادر التي ترجمت لحياة الإمام الطوفي كثيرة جداً، منها:

معجم المؤلفين (١/ ٧٩١) لعمر رضا كحالة - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
مقدمة تحقيق الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية - لمحمد الفاضل - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - مكتبة العبيكان - الرياض.

مقدمة تحقيق كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية - لحسن قطب - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - الفاروق الحديث - القاهرة.

مقدمة تحقيق كتاب الإكسير في علم التفسير - لعبد القادر حسين - مكتبة الآداب - القاهرة.
مقدمة تحقيق كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية - لسالم القرني - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - مكتبة العبيكان - الرياض.

منهج الطوفي في تقرير العقيدة، رسالة ماجستير (١٦/ ١) إبراهيم بن عبد الله بن صالح المعشم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، بالقصيم ١٤٢٦هـ (مخطوط).

(٢) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٥٤)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦) وسماها ابن العماد (طوفا) (شذرات الذهب (١٨٦/ ٦).

(٣) انظر: معجم البلدان (٣/ ٤٠١)، ومقدمة شرح مختصر الروضة (١/ ٢١)، ومقدمة الصعقة الغضبية (٧٠).

(٤) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦)، وانظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصولاً وفقهاً (١٠٧).

السنة التي ولد فيها الإمام الطوفي؛ ولعل الراجح أنه ولد سنة بضع وسبعين وستمائة^(١). وقد ذكر الذهبي في (ذيل تاريخ الإسلام)^(٢) أنه مات كهلاً^(٣)، بالخليل^(٤)، عام (٧١٦) هـ عن نيف^(٥) وأربعين سنة^(٦). وكانت نشأته الأولى في قريته (طوفي)، وكان أثناء ذلك يتردد على أهل العلم بصرصر القريبة من بغداد. ورغم أنه نشأ في أسرة فقيرة من عامة الشعب، فإنه درج ونشأ في بيت صلاح وعلم، محباً له، وطالباً له منذ الصغر، وقد حباه الله بمواهب قل أن تجتمع في امرئ، مما أهله لأن يكون من كبار علماء عصره^(٧). ولم تذكر المصادر شيئاً عن أسرته سوى إشارة إلى أنها تنقلت معه من طوفي إلى بغداد إلى دمشق ثم إلى مصر، ثم بيت المقدس.. قال ابن حجر: (وكان موته ببلد الخليل.. وعاش أبوه بعده سنوات)^(٨).

مكانته العلمية وأخلاقه:

لم يترك الطوفي رَحْلَةً تعالى عالمًا كان له أثرٌ في المدينة التي يرحل إليها إلا أخذ عنه، فلا يهمل الوعاء الذي نقل فيه الغذاء، ولكن تهمة قيمة ذلك الغذاء، فلم يقتصر في أخذه العلم على علماء الحنابلة فحسب، بل تعداه إلى بقية علماء المذاهب الإسلامية الأخرى، كالشافعية، والحنفية، والمالكية، وغيرهم، وقد كانت لديه رغبة شديدة في الانتقال الفكري، والتحرر من قيود المذهبية، حيث كانت سبباً في اتهامه

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣٦٦/٢)، مقدمة الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (٧١).

(٢) انظر: (١٧٩).

(٣) الكهل عند أهل اللغة: من ناهز الأربعين، وقيل فوق الثلاثين ودون الخمسين. [لسان العرب (١١/٦٠٠)].

(٤) مدينة فلسطينية عريقة تنسب إلى إبراهيم عليه السلام. وبها مسجد الخليل. تبعد عن القدس ٥٠ كم، وقعت بها مذبحة الخليل الشهيرة في رمضان عام ١٤١٥ هـ حررت من الاحتلال اليهودي في ١٩٩٧ م [معجم البلدان. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية (٢١٤)].

(٥) النيف عند أهل اللغة: من الواحد إلى الثلاثة [لسان العرب (٩/٣٤٢)].

(٦) انظر: مقدمة الصعقة الغضبية (٧٢). منهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (٣٠).

(٧) انظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصولاً وفقهياً (١١٣) والانتصارات (١/٥١)، مقدمة شرح مختصر

الروضة (١/٢٢)، منهج الطوفي (١/٣٢)، المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي (٧١).

(٨) انظر: الدرر الكامنة (٢/١٥٥).

بالتشيع، لا بل بالرفض^(١)!. وقد أثنى عليه كثير من كبار علماء عصره^(٢).

طَوَّف الطوفي ببلدان كثيرة، التقى فيها بعلماء أفاضل، قريباً من ثلاثين عالماً؛ تلقى عنهم العلوم في شتى الفنون، وقد ذكرت كتب التراجم أشهر من تتلمذ الطوفي رَحِمَهُ اللهُ عليهم، وأخذ عنهم، أبرزهم ابن تيمية، وقد مدحه الطوفي بقصيدة رصينة^(٣). وقد جاء ذكره في عدة مواضع في كتب الطوفي وصفاً له بأنه شيخه^(٤)، وفي قصيدته:

فاصبر ففي الصبر ما يُغنيك عن حيلٍ	وكلُّ صعبٍ إذا صابرته هانا
ولست تعدُّ من خطبٍ رُميتَ به	إحدى اثنتين، فأيقن ذاك إيقانا
تمحيصُ ذنبٍ؛ لتلقى الله خالصةً	أو امتحاناً به تزداد قربانا
يا سعدُ إنا لنرجو أن تكون لنا	سعداً، ومرعاك للوَرادِ سعدانا
وأن يَضُرَّ بك الرحمنُ طائفةً	وَلَّت، وينفع من بالوَدِّ والانا
يا أهل تيميةَ العالين مرتبةً	ومنصباً فرع الأفلاك تبياناً
جواهر الكون أنتم غير أنكم	في معشرٍ أشربوا في العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلاً ولو عقلوا	لصيروا لكم الأجفان أوطانا
يا من حوى من علوم الخلق ما قُصرت	عنه الأوائل مذ كانوا إلى الآنا
إن تبتلى بلثام الناس يرفعهم	دهرٌ عليك لأهل الفضل قدخانا
إنني لأقسم والإسلامُ معتقدي	وإنني من ذوي الإيمان أيمانا
لم ألق قبلك إنساناً أُسرُّ به	فلا برحت لعين المجد إنساناً ^(٥)

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥، ١٥٤)، شرح مختصر الروضة (١/ ٥٠) ت: د: آل إبراهيم. والإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصولياً وفقهياً (١١٩، ١١٨).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦، ٣٦٧)، والإشارات الإلهية (١/ ١٠٩). الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥). والمصلحة في التشريع الإسلامي (٧٦).

(٣) انظر: مقدمة شرح مختصر الروضة ت/ د/ آل إبراهيم (١/ ٤١).

(٤) انظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي فقهياً وأصولياً (١١٥).

(٥) انظر: الانتصار في ذكر أحوال قاصع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (٢٩٠) بتحقيق أستاذنا أ. د/ محمد السيد الجليند، وشذرات الذهب (٦/ ٣١٩). (العبر في أخبار من غبر) (٤/ ١٣٠).

ثانياً: تلاميذه: تتلمذ على الطوفي عدة، نهلوا من علمه، في تنقلاته الكثيرة^(١).

مذهبه العقدي، وحقيقة نسبته لمذهب الراهضة، والرد على ذلك:

أولاً: عقيدته: اعتقاد الإمام الطوفي رحمة الله عليه بينه مجملاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] بقوله:

١. الإيمان بالله ﷻ هو التصديق بوجوده وصفاته وأفعاله، فمن صفاته أنه قديم باق حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير غني، وبالجمله متصف بصفات الكمال، منعوت بنعوت الجلال، منزه عن لحوق كل نقص، وعن فوات كل كمال، ومن أفعاله العالم ففي الحقيقة لا موجود إلا الله ﷻ وصفاته الذاتية، وأفعاله^(٢).

٢. والإيمان بالملائكة التصديق بوجودهم، وأنهم من حيث المادة نورانيون، ومن حيث المرتبة ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، ومن حيث الوظيفة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ومن حيث الطاعة والعصمة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، إلى غير ذلك من أوصافهم وأحكامهم^(٣).

٣. والإيمان بالكتب كالتوراة والإنجيل وصحف آدم وإبراهيم ونحوها المنزلات والقرآن؛ هو التصديق بأنها حق من حق موافق بعضها لبعض لا تناقض فيها ولا اختلاف، التكليف بها حق، والعمل بها صواب^(٤).

٤. والإيمان بالنبيين هو التصديق بأنهم صادقون فيما بلغوا من الرسالات مؤيدون من الله ﷻ بالحجج والبيانات، سفراء بين الله ﷻ وخلقهم، قائمون في خدمته بواجب

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٣٤٦)، (٣/ ٣٠٩)، (٤/ ١٣٥). والمنظومة النائية في القدر لشيخ الإسلام (١٢٣/١)

(٢) انظر: الإشارات الإلهية للطوفي (١/ ٣١١، ٣١٠).

(٣) انظر: السابق (١/ ٣١١).

(٤) انظر: السابق (١/ ٣١١).

حقه، معصومون فيما بلغوه من الكذب، منزهون عن إتيان الفواحش والريب^(١)
٤. والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بوقوعه، وبما سيقع فيه من الأمور
الواردة في السمع، كالجنة والنار والصراف والميزان ووزن الأعمال، وأخذ الصحف
باليمين والشمال، وغير ذلك مما ذكر في دواوين السنة، وكتاب «البعث والنشور»،
وكتاب «العاقبة»، فهذه جمل أصول الدين وتفصيلها في الكتب^(٢).

٥. ثانياً: حقيقة نسبته لمذهب الرافضة.

لقد تعرض الطوفي رحمة الله عليه لمحنة قاسية جداً قلبت -إن صح التعبير-
موازين مسيرته العلمية؛ فأصبح كل باحث في سيرته وعلمه اليوم مطالباً ببيان حقيقة
تلك المحنة؛ لاسيما والطوفي رحمة الله عليه يصدق عليه القول بأنه «شاغل الدنيا»
كما وُصف المتنبي من قبل!، وقد تصدى لبحث هذه المحنة طائفة ليست بالقليلة
من الباحثين.

لقد «سلك الطوفي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْكِيرِهِ مَسْلَكًا اسْتَقْلَلَ بِهِ وَتَعَمَّقَ فِيهِ، فَكَانَ لَا بَدَّ أَنْ يَجِدَ
الموافق المعجب، والمخالف المحقق، ولقد كان أغلب من ذموه وعادوه ممن لم
يستطيعوا مجاراته في استقلال فكره»^(٣). و الطوفي رَحْمَةُ اللَّهِ عَاشَ حَيَاتِهِ فِي فَسْحَةٍ مِنَ الْعَيْشِ،
بعيداً عن هذه التهمة، ولم يوصم بها «إلا بعد دخوله القاهرة بأكثر من أربع سنوات»^(٤).
وقد توصلت إلى براءته رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ التَّهْمَةِ، ونشرت بحثاً مستقلاً
حولها^(٥).

(١) انظر: السابق (١/٣١١، ٣١٢).

(٢) انظر: السابق (١/٣١٢)، و: التعيين (٧٣-٧٥)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (١/٤٨، ٤٩).

(٣) انظر: الإمام الطوفي الحنبلي، أصولاً وفقهياً (١٣١).

(٤) انظر: الإمام سليمان الطوفي (١٣٦)، والمنظومة النائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها، رسالة لم
تطبع (١/١٠٥)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/٤٩)، حيث دخل الطوفي القاهرة عام (٧٠٥هـ) وألف كتابه
الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية عام (٧٠٨هـ) انظر مقدمة الصعقة الغضبية د/ محمد الفاضل (١٠١).

(٥) بعنوان (حقيقة انتساب الإمام نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي للتشيع) مجلة كلية دار العلوم،
بجامعة القاهرة، عدد (٦٧) تاريخ: ٢٠١٣م.

و خلاصته:

١- أن كتب رجال الشيعة لم يرد فيها ذكر للطوفي ولم يقر محققوهم أنه من رجالهم^(١).

٢- أن كتب الطوفي جميعها - مما بين أيدينا اليوم - لم يرد فيها ما يدل على تشيعه؛ بل على العكس من ذلك من نقده لعقائد الشيعة الرافضة^(٢).

٣- الطوفي حنبلي المذهب، وهذا يدل على عدم التزام الرافض والتشيع مسلماً ومذهباً واعتقاداً؛ لشدة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ عَلَى المبتدعة لاسيما الروافض. وقد مدح الطوفي رَحِمَهُ اللهُ الإمام أحمد بقصيدة عظيمة، وهي مثبتة فقد ذكرها غير واحد.

٤- ليس الطوفي وحده في تعرضه للفتنة، فقد فتن شيخ الإسلام ابن تيمية في القاهرة وألصقت به أمورٌ هو بريء منها، وقبله ضرب الإمام أبو حنيفة وعذَّب، وضرب الإمام مالك وعذَّب، واتهم بمناصرة آل البيت، وضرب أحمد، وضرب الشافعي وعذَّب، فهل يعني هذا أن أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى، وابن تيمية كانوا شيعة؟! على الأقل في نظر ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ، الذي أثار هذه القضية وشنع على الطوفي^(٣).

٥- الطوفي يعد الرافضة من مبتدعة المسلمين؛ لأنهم ينكرون الإجماع ويقرنهم بالجهمية، فلو كان رافضياً هل يخرج الروافض من مجموع الأمة؟!^(٤).

٦- ينتقد الطوفي الرافضة بشدة في تحليلهم نكاح المتعة ويقول: «وليس عليه اليوم إلا شُرذمة قليلة وأكثر من تقول به الرافضة»^(٥)، فلو كان الطوفي شيعياً هل

(١) انظر: مقدمة الصعقة الغضبية (١٠٢).

(٢) ذكر د. الغرايبة أن كتب الشيعة التي ذكرته في تراجمها لم تجزم بأنه شيعي، بل يقولون «ابن الحنبلي» نسبة إلى الحنابلة. انظر الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصولياً وفقهياً (١٥٦).

(٣) انظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصولياً وفقهياً (١٤٦).

(٤) السابق (١٤٧).

(٥) انظر الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٦٥٩).

سيقول بتحريم نكاح المتعة؟! إذا علمنا أن نكاح المتعة من سيما الرافضة إلى اليوم وهاهي فتاواهم في حلّه بدأت تظهر على الملأ دون خجل ولا حياء.

٧- يخالف الطوفي الرافضة في مسألة من أهم المسائل الفقهية المختلف فيها بين أهل السنة والشيعة، وهي مسألة قول الرافضة: بأن فرض الرجل في الوضوء المسح لا الغسل. ويسط الكلام فيها بتوسع ويعتذر بقوله: «وإنما بسطت الكلام في هذه المسألة، لأن فقهاء الرافضة لهم ولع في الكلام على هذه المسألة، فذكرت بعضاً من شبههم هنا وأجبت عنها»^(١). فلو كان رافضياً هل سيقول عن قومه أنهم (الرافضة).. وهم يغضبون من هذه التسمية جدّاً، ويفخرون بتسميتهم (الشيعة)؟! وهل سيخالفهم في أهم المسائل الفقهية لديهم؟!!

٨- إن كان سبب التهمة هو أن الطوفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يورد آراء الشيعة وأنه بذلك (يظن) التشيع ويظهر أنه على مذهب أهل السنة) كما ذكر ذلك الإمام أبو زهرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢)، فينبغي أن يقال عنه: إنه إذن معتزلي؛ لأنه يعرض أقوال المعتزلة.. وظاهريّ لأنه يورد أقوالهم، وقدريّ لأنه يورد أقوال القدريّة، وجبريّ لأنه يورد أقوال القائلين به، وأشعريّ لأنه يورد أقوال الأشاعرة، وهكذا «وهذا مما لا يعقل ولا يستساغ»^(٣). وأما قول أبي زهرة إنه يظن التشيع فيقال عنه: لا يعلم ما في الباطن إلا الله تعالى ولا يصح أن ندخل في سرائر الناس بمحض التوهم؛ إذ لا دليل على ذلك البتة.

٩- مدح الطوفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شيخ الإسلام ابن تيمية بقصيدة طويلة^(٤)، ونحن نعلم أن ابن تيمية عدو الرافضة للددود، فهل كان هذا أيضاً سيكون لو أنه رافضيّ؟، ونعلم أيضاً موقفهم من ابن تيمية وتكفيرهم له.

(١) انظر: الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (٤١٠-٤٢٧).

(٢) انظر: أحمد بن حنبل (٣٢٥).

(٣) انظر: الإمام سليمان الطوفي (١٥٢).

(٤) انظر: الانتصار في ذكر أحوال قاع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (٢٩٠) بتحقيق أستاذنا أ. د/ محمد السيد الجليند. وقد مر ذكر القصيدة مرتين، عند ترجمة شيخ الإسلام، وعند ذكر مؤلفات الطوفي، وأعدتها هنا للضرورة.

- ١٠ - تأليف الطوفي كتابه (التعيين في شرح الأربعين) مخالفٌ لمنهج الشيعة في عدم قبول رواية الصحابة لأن الصحابة عندهم كلهم كفار إلا القليل.
- ١١ - قول الطوفي بالمصلحة المرسلة يخالف منهج الرافضة في استعمال الأدلة، فليس من أدلتهم العمل بالمصلحة المرسلة ولا بقية الأدلة التي ذكرها الطوفي. فالشيعة «قد اتفق فقهاؤهم على منع الفتوى بها»^(١).
- ١٢ - انتصار الطوفي رَحِمَهُ اللهُ لأهل السنة العديد من كتبه.
- ١٣ - تصريحه رحمه الله بانتسابه إلى أهل السنة والجماعة، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ في: (الإشارات الإلهية): «اعلم أن الناس اختلفوا في أن الله تعالى هل يجوز أن يُرى في الدار الآخرة أم لا؟ مع إجماعهم على أنه لا يرى في الدنيا.. وأما أصحابنا وعامة السلف من الصحابة والتابعين وأهل الحديث: فيعتقدون جواز الرؤية مع اعتقادهم أن الله تعالى في جهة السماء على العرش..».
- ١٤ - مدحُ كبار العلماء له وثناؤهم عليه، ولو كان رافضياً لما سكتوا عنه، ولما اكتفوا برِدِّ باردٍ عليه، ولألفوا كتباً تفضح معتقده وتبينه للناس، ولأطبقوا جميعاً على ذلك.
- ١٥ - عناية الطوفي رَحِمَهُ اللهُ بالحديث النبوي دراسة وتعليماً وتصنيفاً.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية «والرافضة لا تعتني بحفظ القرآن.. ولا تعتني أيضاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحه من سقيم، والبحث عن معانيه، ولا تعتني بآثار الصحابة والتابعين»^(٢). ومن مصنفات الطوفي رَحِمَهُ اللهُ في السنة والحديث كتاب: (شرح الأربعين النووية) وكتاب: (شرح حديث أم زرع)، وكتاب: (مختصر الترمذي).

(١) الإمام سليمان الطوفي (١٥٦). والاجتهاد فيما لانص فيه (٢/٥٧) الدكتور / الطيب خضري السيد، ط ١، ١٤٠٣هـ مكتبة الحرمين. الرياض.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. (١٦٣/٥).

١٦- ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي الدرر الكامنة سبب تلك المحنة فقال: «.... وقال الصفدي: كان وقع له بمصر واقعة مع سعد الدين الحارثي^(١)، وذلك أنه كان يحضر دروسه، فيكرمه ويبجله، وقرره في أكثر مدارس الحنابلة، فيتبسط عليه، إلى أن كلمه في الدرس بكلام غليظ، فقام عليه ولده شمس الدين عبد الرحمن، وفوض أمره لبدر الدين ابن الحبال، فشهدوا عليه بالرفض!، وأخرجوا بخطة هجوا في الشيخين^(٢)، فعزر وضرب^(٣)».

١٧- لم يوصم الطوفي بهذه التهمة إلا بعد دخوله القاهرة بأكثر من أربع سنوات؛ مما يعني أن تلفيقها عليه واضحٌ جدًّا، في ذلك الوقت الذي كانت فيه تهمة التشيع تروج سياسيًا لكل من أريد الإضرار به، ولم يتحدث أحدٌ عن تشيع الطوفي قبل ذلك، فأين ذهبت تلك السنوات عن ابن رجب؟ وهل كان فيها الطوفي سنيًّا ثم تشيع بعد دخوله القاهرة بأربع سنوات؟!.

فكيف يكون الطوفي رَحِمَهُ اللهُ من هؤلاء، وكتبه بين أيدينا تشهد ببراءته؟ وهذا ما ندين الله به.

وفاته:

الراجح أن وفاته رحمة الله عليه وأسكنه فسيح الجنات كانت في عام ٧١٦هـ؛ لأدلة، منها: ما ذكره الطوفي رَحِمَهُ اللهُ أنه ابتداء بتأليف كتابه: «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية» في يوم السبت ١٣ ربيع الأول، والفراغ منه يوم الخميس ٢٣،

(١) القاضي سعد الدين، مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي ثم المصري الحنبلي، نسبة إلى الحارثية قرب بغداد. ولد سنة (٦٥٢) هـ وتوفي سنة (٧١١) هـ تولى التدريس بالمنصورة والصالحية بمصر، وتولى القضاء سنة (٧٠٩) هـ. ولاء الظاهر بيبرس. تتلمذ عليه الطوفي بالقاهرة وسمع منه. انظر: (الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٢، ٣٦٤) والدرر الكامنة (٥/ ١١٦) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦/ ٢٨)، والأعلام (٧/ ٢١٦).

(٢) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر الدرر الكامنة (٢/ ١٥٧، ١٥٤)

من ربيع الآخر، كلاهما من سنة ٧١٦ هـ في بيت المقدس^(١)، وفي الصعقة الغضبية: «توفي عن نيّف وأربعين سنة»^(٢)، بمدينة الخليل^(٣)، ولمّا يبلغ خمسين سنة، رحمة الله عليه^(٤).



-
- (١) انظر: الإشارات الإلهية (١٥٣)، ومقدمة الصعقة الغضبية (٧٢).
 (٢) تقدم تعريف: النيّف، (٣٤). وانظر: مقدمة الصعقة الغضبية (٧٢).
 (٣) انظر: ذيل العبر في خبر من غير (٨٨). وذيل تاريخ الإسلام (١٧٩)، وخالف في ذلك الشيخ: محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه (أحمد بن حنبل) (٣٢٦) إذ ذكر أن وفاته كانت بالمدينة، وهذا خطأ.
 (٤) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (٩٥/١).

التعليق على الأناجيل الأربعة

أبرز قضايا كتاب «التعليق على الأناجيل الأربعة»:

تظهر براعة استهلال الطوفي رحمة الله عليه في مقدمة كتابه؛ حيث استهله بذكر أحوال السعداء المتبعين سبيل الرشاد، وأحوال الأشقياء الذين حادوا عن طريق السداد إلى الكفر والإلحاد^(١). ثم في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم نص على تأخره الزمني على الرسل وتقدمه عليهم، فهو الأول والآخر^(٢). ثم ذكر اختلاف الأديان وسبب تأليفه لهذا الكتاب: «وإني رأيت بعض النصارى صنف كتابًا طعن فيه على ملة الإسلام، وقدح به في نبوة محمد عليه السلام»^(٣)

ثم بين رحمه الله منهجه في الكتاب بقوله:

١ - «فهمت أن أرد عليه، وأوجه البراهين المفسدة لقوله إليه، فرأيت أن أقدم على ذلك الكلام على الأناجيل الأربعة»^(٤). فوضح بذلك أن الهدف الأول من تأليفه للكتاب الرد على النصراني المؤلف لكتاب أسماه «السيف المرفف في الرد على المصحف»^(٥). ولم يبين رحمه الله اسم الرجل النصراني، أو تاريخ تأليفه، أو بلده، لكنه أوضح أن دافعه إلى الرد عليه، والتعليق على الأناجيل هو خوفه من أن يؤثر كلام النصراني في ضعاف المسلمين ف«يشكك رقيق الدين، الخالي عن قوة اليقين»^(٦).

٢ - ذكر رحمه الله أنه ألحق «بالتعليق على الأناجيل فوائد من كتاب أشعيا، ودانيال،

(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (١).

(٢) انظر: السابق (٢).

(٣) السابق (٢).

(٤) السابق (٢).

(٥) هذه التسمية جاءت مكتوبة على طرة المجموع في المخطوط كالتالي: (كتاب الرد على كتاب صنفه بعض النصارى سماه السيف المرفف في الرد على المصحف). وفي الجانب بخط صغير (وهو مشتمل على التعليق

على الأناجيل الأربعة و التوراة وعلى غيرها من كتب الأنبياء).

(٦) التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٢).

وأرميا، والأنبياء الاثني عشر^(١). وبين ﷺ أن غرضه الأسمى في كل ذلك، هو ما جاء به الإسلام من الدعوة إلى الدين الصحيح، والصراط المستقيم، والمنهج القويم، فقال: «... وأرجو أن من نظر في هذا الكتاب، وهو ذكي منصف، لا بليد أو متعسف، بل قاصد للحق، مؤثر للصدق، يعدل عن الملة النصرانية إلى الملة الحنفية، ويعلم أن ما هو عليه كفر وضلال، وأنه إلى وقته ذلك مخذول ضال^(٢)»، وهنا تظهر الأخلاق الإسلامية العظيمة التي عليها الطوفي رحمة الله عليه، ولا أدل على ذلك من قوله: «وأنا أدعو إلى الله بإرشاد من وقف عليه، وهو قريب مجيب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب^(٣)».

٣- ابتداء ﷺ كتابه بمقدمات كلية يبنى عليها الكلام قبل تعليقه على الأناجيل:

المقدمة الأولى: «أن هذه الأناجيل الأربعة التي بأيدي النصارى ليس شيء منها هو الإنجيل الذي أوتيهِ عيسى المسيح ابن مريم! وإنما هي سير صنفها التلاميذ^(٤)»، وهذه المقدمة كفيلة بإيضاح هيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب السابقة ضمناً؛ كونها فقدت، وعدمت وتلاشت، أو هي أمثال تتضمنها بعض الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب^(٥)، ومن منهجه في توضيح ذلك إجراؤه مقارنة بين سيرة المسيح التي صنفها تلاميذه، وسيرة نبينا محمد ﷺ التي ألفها علماء الإسلام^(٦). واستخدم المنهج التاريخي النقدي في إثباته «بالاستقراء أن هذه الأناجيل ليست إنجيل المسيح، بل هو تواريخ وضعوها

(١) التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٢).

(٢) السابق (٢).

(٣) السابق (٢).

(٤) السابق (٣).

(٥) انظر: السابق (٣).

(٦) السابق (٣).

وسموها أناجيل»^(١).

المقدمة الثانية: جنون النصارى واختلاطهم الذي يظهر في تدوينهم «في أوائل كتبهم الأناجيل وغيرهم على أن يقولوا باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد»^(٢)، وبيان سبب جنونهم واختلاطهم هو أنهم وجهوا تلك الأقوال الشنيعة بتوجيهات سخيفة «لا يشك عاقل في أن المسيح لو سمعه منهم لدعا عليهم أن يصيروا قردة وخنازير»^(٣)، وبين في هذه المقدمة حاصل تأويلهم لقولهم: الأب والابن وروح القدس، بما رآه «في نسخة صحيحة مضبوطة بإنجيل (متى) قد افتتحها بقوله: باسم الإله الواحد بالذات، المثلث بالصفات»^(٤)، وبين فساد استدلالهم بذلك بأوجه^(٥).

المقدمة الثالثة: الذي حمل النصارى على ما اعتقدوه في المسيح أمور ثلاثة:

أحدها: تكونه من غير ذكر، ثم ظهرت المعجزات على يديه، فقالوا: هذا لا يصدر عن ولد زنا... فتعين أنه ابن الله...»^(٦)، فأبطل قياسهم الغائب على الشاهد واستقراءهم غير التام بأدلة ذكرها.

الأمر الثاني: ظهور الخوارق على يديه، كإحياء الموتى وإبراء المرضى، ونحو ذلك من الخوارق التي لم يظهر مثلها على يد نبي»^(٧)، وهذا الذي أوهم النصارى أو أضلهم فاعتقدوا في عيسى عليه السلام الإلهية؛ فرد عليهم الطوفي رحمه الله بالإنذار وأن جميع الأنبياء أتوا بخوارق، وربما كانت معجزات بعضهم أعظم من معجز عيسى عليه السلام، فيلزم منها أن يكونوا جميعهم آلهة! وهذا باطل.

الأمر الثالث: الألفاظ المشكلة التي وردت في «أناجيلهم من كلام عيسى - على

(١) السابق (٣).

(٢) التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٣).

(٣) السابق (٣).

(٤) السابق (٤).

(٥) السابق (٤).

(٦) السابق (٥).

(٧) السابق (٦).

زعمهم - من قوله: الأب، والابن، وأبي، ويا أبه، وإن أبي وآباءك، ونحو هذا^(١)، فأجابه عنه ﷺ بأوجه، قرر فيها منع كون هذا الكلام من المسيح عليه السلام، «وإنما هذا شيء دلس على النصارى وهم قوم جهال، ينطلي عليهم المحال»^(٢)، وأنه لو فرض أن هذا الكلام الوارد في الأناجيل هو من كلام المسيح فإنه يحمل على مجاز ظاهر شائع. وحمله على المجاز أولى من حمله على المحال. ثم بين الألفاظ المشتركة وتوجيهها^(٣). وقد ناقش في تلك المقدمات أسس عقائد النصارى الكبرى ونقضها من خلال المنهج النقدي المنطقي، القائم على العقل الصحيح، مما يدل على سعة علمه ورسوخه، وسعة اطلاعه على ما في أيدي أهل الكتاب، والقدرة على بيان فسادها، بأدلة لا يملكون معها إلا التسليم والسكوت.

٤ - ومن منهجه في الرد عليهم: إلزامهم بما في كتبهم بعد استقراءها، فيقول: «.. وسأستقره إن شاء الله موضعاً موضعاً، من فصل فصل من الأناجيل الأربعة، مع ذكر كل ما فيها مما يقدح في مذهب النصارى»^(٤).

٥ - ثم شرع في استقراء الأناجيل، وأولها إنجيل (متى)، فنقل من مقدمة إنجيله، نسبه، ومكان تدوينه لإنجيله، وموته^(٥)، ثم أخذ ينقضه فصلاً فصلاً^(٦).

٦ - وسبق أن بين استقراءه للأناجيل ونقضها وتحديه للنصارى «وقد استقرت الأناجيل الأربعة، وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانياً يقدر على أن يجيب عن شيء منها»^(٧).

فعلق على إنجيل (متى) وتناقضه من الفصل الأول^(٨) إلى الفصل السابع

(١) السابق (٦).

(٢) السابق (٦).

(٣) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٧).

(٤) السابق (٨).

(٥) انظر: السابق (٨).

(٦) انظر: السابق (٨).

(٧) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٥٩٦/٢).

(٨) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط) (٨).

والستين^(١).

ثم علق على إنجيل (مرقس)^(٢) إلى الفصل الثامن والأربعين منه^(٣).

ثم إنجيل (لوقا)^(٤) إلى الفصل الثالث والثمانين^(٥).

ثم إنجيل (يوحنا)^(٦) إلى الفصل السابع عشر منه^(٧). وبه ختم تعليقه على الأناجيل الأربعة.

ثم أتبع ذلك «بيان البرهان على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ؛ إذ كل هؤلاء الضلال الجاهل ينكرونها»^(٨).

وبعد ذلك شرع في التعليق على بقية كتب أهل الكتاب، وأولها «مصحف أشعيا النبي عليه السلام»^(٩) إلى الإصحاح الثلاثين منه^(١٠).

ثم التعليق على مصحف «هوشع بن بادى»^(١١)، بعده التعليق على «نبوة يونا وهو يونس بن متى صاحب نينوى»^(١٢)، ثم علق على «نبوة حقوق النبي عليه السلام»^(١٣). وقد أطل في تعليقه عليه لتضمنه البشارات بنينا محمد ﷺ. ثم التعليق من نبوة «أرميا بن حلقيا النبي عليه السلام»^(١٤)، وعلق بعده على كتاب «حزقيال»^(١٥). ثم

(١) انظر: السابق (٣٤).

(٢) انظر: السابق (٣٨).

(٣) انظر: السابق (٤٥).

(٤) انظر: السابق (٤٥).

(٥) انظر: السابق (٥٣).

(٦) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٥٤).

(٧) انظر: السابق (٦٧).

(٨) السابق (٦٧).

(٩) السابق (٦٧).

(١٠) السابق (٧٣).

(١١) السابق (٧٤).

(١٢) السابق (٧٤).

(١٣) السابق (٧٤-٧٩).

(١٤) السابق (٨٠-٨٢).

(١٥) السابق (٨٣).

كتاب «دانيال»^(١). وابتدأ بعد ذلك في التعليق على التوراة وأولها سفر الخليفة^(٢)، وختمها بذكر يوسف عليه السلام^(٣). وبهذا ختم الكتاب، رَحِمَهُ اللهُ.

خلاصة طريقته في رده على أهل الكتاب:

نلاحظ أن طريقته في الكتابين متقاربة إلى حد ما، إلا أنه اتبع المنهج الاستقرائي النقدي في تعليقه كما مر معنا، وتركز رده على أبرز قضايا الأناجيل الأربعة والتوراة وغيرها من كتب الأنبياء.

ويتلخص ذلك، فيما يلي:

- ١- دافعه في الرد على كتبهم خشية أن تورث شكاً في الدين^(٤).
- ٢- وضع الطوفي رحمة الله عليه مقدمات كلية بنى عليها معظم الجواب عن حجج أهل الكتاب^(٥)، ولم يقتصر الطوفي رَحِمَهُ اللهُ على تلك المقدمات^(٦)، بل صرح بعدم اقتصاره عليها وأجاب عن كل شبهة مفصلاً.
- ٣- قدح في مصادر أهل الكتاب التي ينقلون منها؛ لكونها محرفة، فهي لا تصلح للاستدلال، ولا تقوم بها حجة على المسلم. ولذا يسمي كتبهم (التوراة التي احتجوا بها) و(إنجيل النصاري)^(٧). ومن المقدمات التي وضعها القدح في تلك المصادر وتكذيبهم. ومما يقدح فيها عدم تواترها، فالكلام مع أهل الكتاب إذاً عقلي؛ لأن كل واحد من المسلمين وأهل الكتاب يقدح في كتاب الآخر الذي بيده^(٨). ومع هذا فقد نقل الطوفي من كتبهم؛ يثبت تهافتها وتناقضها وعدم حجيتها، وهذا أسلوبه الذي قام

(١) السابق (٨٤).

(٢) انظر: السابق (٨٦).

(٣) انظر: السابق (١١٥).

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢٨٨/١)، التعليق على الأناجيل (٢).

(٥) انظر: الانتصارات (٢٢٩-٢٤٤)، والتعليق على الأناجيل (٢-٨).

(٦) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (١٢٧/١).

(٧) انظر: الانتصارات (٢٣٠/١) و(٣٤٠/١)، والتعليق على الأناجيل (٢، ٣، ٦، ٢٨، ٤٠، ٤١-٤٤).

(٨) انظر: الانتصارات (٧٤٥/٢)، والتعليق (مخطوط) (١١٩).

عليه كتابه (التعليق على الأناجيل الأربعة)^(١).

- ٤- اعتمد الطوفي كثيرًا في الرد عليهم على بيان تناقضهم من خلال أقوالهم الأخرى^(٢).
- ٥- سبق أن بينا التزام الطوفي ﷺ بأدب المناظرة، وإعراضه أحيانًا عن سفاهة الخصم احتقارًا له^(٣) كما وقع له مع النصراني الذي ما التزم الأدب مع النبي ﷺ. ولا يعني هذا سكوته المطلق عن سوئهم؛ بل يشدد عليهم أحيانًا بشدة إذا تطاولوا على الذات الإلهية أو الأنبياء^(٤).

٦- دافع الطوفي رحمة الله عليه كثيرًا عن القرآن الكريم أمام شبهاتهم وقدحهم فيه^(٥).

٧- ركز الطوفي ﷺ في رده عليهم على القضايا العظمى قبل الفرعيات؛ فلا بد من إقرار الخصم بالأصول قبل الخوض في الفروع؛ كونه إذا لم يؤمن -مثلًا- بأصل نبوة نبينا ﷺ فلن يقر بتفاصيل ما جاء به^(٦). كما ركز كذلك على قضاياهم الكبرى في دينهم المحرف، ومنها زعمهم ألوهية المسيح عليه السلام، أو صلبه، أو بنوته لله^(٧). ثم إن الطوفي رحمة الله عليه بارع جدًا في مناظراته التي عقدها مع النصارى، مما يدل على سعة اطلاعه على دينهم المحرف^(٨).

ثانيًا: مقارنة بين منهج الطوفي ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية:

يعد شيخ الإسلام من العمالقة العظام في التاريخ الإسلامي، الذين برعوا في الرد

- (١) انظر: الانتصارات (١/ ٣١٥)، والتعليق (مخطوط) (٢، ٢٥، ٥٧)، ثم إلى آخر الكتاب.
- (٢) انظر: الانتصارات (١/ ٢٥٠) و(٢/ ٥٥١-٦٣١)، والتعليق (مخطوط) (٤٤-٤٦، ٥٨، ٥٩، ١٠٨).
- (٣) انظر: الانتصارات (١/ ٢٤٤).
- (٤) انظر: التعليق على الأناجيل (١١٠-١١٩)، والانتصارات الإسلامية (١/ ٤٨٦، ٤٠٥، ٤٠٤).
- (٥) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٣، ٤٠١-٤٨٦).
- (٦) انظر: السابق (١/ ٤٧٩)، والتعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط). (٥٨).
- (٧) انظر: الانتصارات (١/ ٣٥١، ٣٧١)، والتعليق على الأناجيل (٣-٨، ٢٦-٤٠، ٤٨).
- (٨) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (١/ ١٣٣).

على أهل الكتاب، ومن اطلع على كتابه الموسوعي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح^(١) علم سعة العلم الذي أوتي به ﷺ في الرد على النصارى، وقد بين سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله (وكان من أسباب نصر الدين وظهوره أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم، وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية، والعقلية، فافتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب)^(٢).

وعند المقارنة بين منهجي الطوفي، شيخ الإسلام، في الرد على النصارى نجد شبهة كبيرة بين المنهجين؛ وربما ساهم في ذلك ثلاثة أمور:

١. أن الطوفي رحمه الله من تلاميذ شيخ الإسلام رحمه الله.
٢. وجودهما في عصر واحد؛ في آخر القرن السابع؛ وبداية القرن الثامن الهجري.

٣. وجودهما في بلد واحد وهو (مصر)^(٣).
فكانت الشبه المنتشرة في ذلك العصر متشابهة إلى حد كبير.

أولاً: جوانب الاتفاق:

هناك جوانب اتفاق بين المنهجين على النحو التالي:

١. الدافع لتأليف كتب الرد: أما ابن تيمية رحمه الله فقد ذكرنا سابقاً سبب تأليفه لكتاب الجواب الصحيح، وألف الطوفي رحمه الله كتابيه (الانتصارات الإسلامية في

(١) طبع دار العاصمة بالرياض - ١٤١٤ هـ - بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان (رسالة دكتوراه للثلاثة)، وقد خرج الكتاب في ستة مجلدات.

(٢) الجواب الصحيح (١/٩٨).

(٣) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، د. إبراهيم البريكاني (١/٢٦)، فصل: (عصر ابن تيمية).

كشف شبه النصرانية، والتعليق على الأناجيل الأربعة) ردًا على بعض النصارى الذين صنفوا في الطعن على دين الإسلام ولاسيما الكتاب الثاني (التعليق) حيث رد به على مؤلف نصراني ألف كتابًا يطعن فيه على القرآن الكريم^(١).

على أن موضوع الكتب المؤلفة - أعني كتب شيخ الإسلام والطوفي - تنوعت فيها أساليب الرد على كتب النصرانية وذلك نظرًا للأخذ في الاعتبار بأهميتها وانتشارها من عدم ذلك. فنجد أن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في الجواب الصحيح قد استوعب كافة الشبه المطروحة وأسهب في الرد عليها وزاد على ذلك تقرير العقائد الصحيحة لدى المسلمين، ونسف عقائد النصارى بأوضح الأدلة^(٢). أما الانتصارات الإسلامية فلم يستكمل فيه الطوفي رَحِمَهُ اللهُ ما استكمله شيخ الإسلام في قضايا البحث عند النصارى^(٣). وكذلك فعل في التعليق على الأناجيل الأربعة.

٢. من حيث الأسلوب: من المشهور عن ابن تيمية رحمة الله عليه كثرة استطراداته في الرد على النصارى، ووافقه في ذلك الطوفي رَحِمَهُ اللهُ^(٤).

٣. الاحتجاج بكتب النصارى: احتج شيخ الإسلام على النصارى بكتبهم في إثبات البشارة بنينا محمد ﷺ، وإبطال التثليث، وإبطال بنوة عيسى عليه السلام وألوهيته، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، وكذلك إثبات تحريف كتب النصارى وتناقضها، وكذلك فعل الطوفي في كتابيه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، والتعليق على الأناجيل الأربعة)^(٥).

(١) انظر: الانتصارات (٢/ ٥٩٦)، والتعليق على الأناجيل (١).

(٢) انظر الجواب الصحيح، مقدمة المحققين (١/ ٣٥-٥٠).

(٣) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/ ١٣٩).

(٤) انظر: السابق (١/ ١٤٠).

(٥) قال الدكتور: سعود بن عبدالعزيز الخلف في كتابه: دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية (١٧١): (...). وبمجموع ما ذكر من الأناجيل من ناحية تاريخها ومنتها، يتبين لنا أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون هي الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على عبده ورسوله، وأحسن أحوالها أن تكون متضمنة لبعض ما أنزل الله على عيسى عليه السلام، والله أعلم.. الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ مكتبة أضواء السلف، الرياض.

٤. المصادر: كثيراً ما ينقل شيخ الإسلام والطوفي رحمهما الله من مصادر أهل الكتاب المعاصرين لهما^(١).

٥. الاحتجاج بالعقل: اعتمد شيخ الإسلام على الحجاج العقلي مع أهل الكتاب كما قال: (ولهذا ينهون جمهورهم عن البحث في ذلك لعلمهم أن العقل الصريح متى تصور دينه علم أنه باطل)^(٢)، ووافقه الطوفي في ذلك وبين أن ليس كل ما جاء به الشرع يمكن للعقل إدراكه، بل هناك أمور لا يمكن للعقل تصورها، بل يجب الإيمان بها^(٣).

٦. الموضوعات: توافق شيخ الإسلام رحمه الله والطوفي في كثير من القضايا التي بحثها كل منهما في معرض الرد على النصارى، ومن أمثلتها: نقد الأناجيل، وإثبات تحريفها، وإثبات نبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وإبطال التثليث، وإبطال ألوهية المسيح وبنوته، ورد مزاعم حول القرآن الكريم، وعقائد المسلمين في الجملة، وإبطال قول النصارى في الصلب والفداء، وقولهم في الإتحاد والحلول على اختلاف بين فرقهم في كيفية ذلك^(٤).

٧. التناقض: لقد ركز ابن تيمية رحمه الله على قضية إثبات تناقض النصارى في عقائدهم من خلال كتبهم، خذ مثلاً نقده لقولهم: «نؤمن برب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه، مساوٍ للأب في الجوهر»^(٥)، فناقشهم في ذلك مناقشة قوية مستفيضة مدعومة بالأدلة النقلية، والحجج العقلية^(٦).

(١) الجواب الصحيح (٣/٣٢٨)، وانظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط) ٩٣، ٣٠، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/١٤٠)، وانظر على سبيل المثال في الانتصارات (١/١٨٢، ١٨١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/١٨٩).

(٣) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/٢٣٥-٦٨٩)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/١٢٨-١٤٠).

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/١٨٧)، منهج الطوفي (١/١٤١).

(٥) الجواب الصحيح، المقدمة (١/٤٣).

(٦) انظر: السابق (١/٤٣)، (٢/١١٤)، (٣/٣٠١، ٢٦٠)، (٤/٩٥، ٤٨-٤٨٨)، ومنهج الطوفي في تقرير

وكذلك فعل الطوفي رحمه الله^(١).

ثانياً: جوانب الاختلاف:

من طالع كتاب شيخ الإسلام رحمه الله الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح يجد أنه قد رتب كتابه ترتيباً متناسقاً على هيئة فصول تمثل القضايا التي تصدى لنقاشها مع النصارى^(٢)، في حين لم يعمد الطوفي رحمه الله إلى ترتيب كتابيه (الانتصارات الإسلامية في كسف شبه النصرانية؛ والتعليق على الأناجيل الأربعة) على فصول؛ لكنه وضع مقدمات كلية^(٣) يرجع إليها عند محاجة النصارى، ولا يعني ذلك تركه للتقسيم والتجزئة إلى وجوه وأقسام؛ بل اتبعها في بعض جوانب كتابيه، والحق أن منهج شيخ الإسلام في ترتيبه على فصول، واستعماله كلمة «فصل» للفصل بين الموضوعات، أو الفقرات طريقة مناسبة ومنهجه رحمه الله أفضل؛ لجمع شتات الموضوع، وتجنب التكرار^(٤).

وأما من حيث الشمول؛ فقد أحاط شيخ الإسلام رحمه الله بكثير من مسائل وقضايا النصارى، ومجامعهم، وعباداتهم، وشعائهم. أما الطوفي رحمه الله فلعل التزامه في كتابيه (الانتصارات والتعليق) بالرد على كتابي الطاعنين أفقده ميزة الإحاطة بمسائل النصرانية كما فعل شيخ الإسلام رحمه الله عليه^(٥).

ثانياً: مقارنة بين الطوفي وابن القيم في منهج الرد على النصارى:

نجد عند المقارنة بين منهج الطوفي رحمه الله، ومنهج ابن القيم رحمه الله في الرد على النصارى؛ نجد أن هناك جوانب اتفاق، وجوانب افتراق بين المنهجين.

العقيدة (١/١٤١).

(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط). من المجموع الذي فيه الكتب الأربعة للطوفي، أرقام اللوحات: (٢١٤، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) انظر: (٢/ ٢٤٠، ٢٣٣، ٢١٥)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/ ١٤٢).

(٣) انظر: الانتصارات (١/ ١٩٤)، والتعليق على الأناجيل (٢١٣-٢١٦).

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية في كسف شبه النصرانية (١/ ١٩٥)، ومنهج الطوفي (١/ ١٤٢).

(٥) انظر: منهج الطوفي (١/ ١٤٢).

أولاً: جوائز الاتفاق:

١. من حيث الدافع للرد:

دافع ابن القيم رحمه الله عليه لتأليف كتابه (هداية الحيارى) بيته بقوله (وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، وظن المسلم انه بإجابته القاصة أصاب، فقال: هذا هو الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم: إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب. ففترقا وهذا ضارب وهذا مضروب، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب، فشمّر المجيب عن ساعد العزم، ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض إليه متكل عليه في موافقة مرضاته، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال، وهذا فرار من الزحف، وإخلاد إلى العجز والضعف. (١) فبينَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ تصدى للرد على المسائل التي أوردها الكافر النصراني، وسمى هذا الكتاب (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى). (٢)

وكذلك فعل الطوفي رَحِمَهُ اللهُ، فسبب تأليفه كتابيه (الانتصارات الإسلامية) و(التعليق على الأناجيل الأربعة) كان ردًا على بعض النصارى الطاعنين على دين الإسلام - وقد بينا ذلك سابقاً (٣).

٢. من حيث اتباع المنهج العقلي والنقلي في نقد عقيدة النصارى:

سلك الطوفي رحمة الله عليه هذا المنهج كما أبنا سابقاً في الرد على النصارى في كتابي المشار إليهما آنفاً، وفي كتابه القيم (الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية) (٤).

وهكذا أوضح ابن القيم رحمه الله عليه أن دين النصارى مبني على معاندة

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٦٤).

(٢) انظر: السابق: (٦٥).

(٣) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٥٩٦)؛ والتعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط)

الأربعة (مخطوط) (لوحة ١) من المجموع الذي فيه الكتاب.

(٤) (٢/ ١٣٦)، (٣/ ٩٧). والانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٤٨١، ٤٨٧).

العقول والشرائع وتنقص إله العالمين.^(١)

وتهكم بعقولهم فقال « فلو أن قوما لم يعرفوا لهم إلهًا ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله، فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلمه علمًا يضارع المحسوسات أو يزيد عليها: إن الدين عند الله الإسلام ».^(٢) وهكذا فعل ابن القيم رحمه الله في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)^(٣).

٣. من حيث الموضوعات:

تناول ابن القيم رحمه الله أصول عقائد النصارى بالنقد، مبيّنًا ضلال المعتقدين بها، ومدافعًا عن عقيدة المسلمين، عقيدة التوحيد الخالص.

والأصول النصرانية التي نقدها ابن القيم:

١. عقيدة الإله^(٤).

٢. عقيدة التثليث^(٥).

٣. عقيدة الصلب والفداء^(٦).

٤. تأليه النصارى للمسيح عيسى عليه السلام^(٧).

٥. طبيعة المسيح عند فرق النصارى^(٨).

(١) انظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى (٣١٣) بحث: مجدي بن عبد الله أبو عويمر، ضمن مجلة

(الحكمة) العدد (٢٠)، طبع بريطانيا، ليدز، ١٤٢٠ هـ.

(٢) هداية الحيارى (٤٦٧).

(٣) انظر: (١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧ - ٢٦٣).

(٤) انظر: هداية الحيارى (٣٩٧، ٤٠٢).

(٥) انظر: هداية الحيارى (٤٠٣) وسماهم المثلثة: «فتقول لكم وللآباء معاشرة المثلثة عباد الصليب!، ما الذي دلکم على إلهية المسيح؟».

(٦) انظر: السابق (٤٠٢، ٤٠٣)، وقد ناقشها طويلاً في كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) (٢/ ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٨).

وانظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى (٣٢٥) ضمن مجلة الحكمة عدد (٢٠).

(٧) انظر: هداية الحيارى (٤٠٣-٤٠٩).

(٨) انظر: السابق (٤٤٩-٤٦٥) عند ذكره لمجامع النصارى المضطربة حول طبيعة المسيح.

النصارى، فقد أحاط بتلك القضايا ولاسيما عند سرده لنشأة المجمع النصرانية وما بنيت عليه، وما خرج عنها من قرارات وعقائد^(١). في حين لم يلتزم الطوفي رحمه الله بذلك. بسبب التزامه الرد على كتاب النصراني في (الانتصارات الإسلامية) و (التعليق على الأنجيل).



(١) انظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى (٣٠٧-٣١٧)

منهج الطوفي في الرد على النصارى

منهجه في إثبات عدم صحة الأناجيل وإثبات تناقضها:

تمهيد:

ليس من الصعب نسبة أي كتاب قديم إلى أي مؤلف قديم، لكن إثبات هذا الأمر يتطلب براهين داخلية وأدلة خارجية، ولا سيما الإقرار بأن هذا الكتاب نزل من الله سبحانه وتعالى، ووحى منه يتطلب منا تبيان الأمور التالية، والتأكد منها:

١. هل يمكن الادعاء أن هذا الكتاب نفسه منزل من الله و هل هذا الادعاء مقبول حسب القرائن الظاهرة؟.

٢. من هي الشخصية أو الشخصيات التي كانت وسيلة لهذا الوحي؟، وإلى أي حد يوثق بها؟ وماذا كان منهجها في تدوين الكتاب؟، ومتى دَوّن هذا الكتاب؟.

٣. كيف صارت نصوص هذا الكتاب معترفًا بصحتها؟، ومن الذي أخبرنا أنه كلام الله و وحيه؟.

٤. هل يوجد مخطوط لهذا الكتاب في عصر نزوله؟، أو هل يوجد مخطوط سطره المؤلف نفسه، أو رتبته، أو مخطوط نُسخ في عصر قريب من عصر المؤلف؟.

٥. هل النسخ المتأخرة لهذا الكتاب تطابق النسخة أو النسخ الأصلية القديمة؟.

٦. هل النسخ المتداولة الموجودة لهذا الكتاب خالية من التحريف والتغيير؟،

وهل هذا الكتاب عارٍ من التناقضات والخلافات؟، أو أن تناقضاته تشهد على أن تأليفه تم في العصور المختلفة و على أيدي أناسٍ مختلفين؟.

٧. هل يحتوي متن هذا الكتاب على أشياء رديئة يستحيل للعقل السليم والأخلاق الإنسانية أن تقبلها على أنها منزلة من الله سبحانه وتعالى؟^(١).

هذه التساؤلات يجب أن تعتمل في نفس كل باحث في الأديان والتي يدعي أصحابها أن تلك الكتب المليئة بالتناقضات والغامضات هي وحيٌ منزلٌ من عند الله تعالى ليقف بعدها على عين الحقيقة.

وقد جاء كتاب الطوفي هذا (التعليق على الأناجيل الأربعة)؛ ليجيب على تلك التساؤلات، مجلياً لحقيقة تلك الأناجيل التي بين أيدي النصارى، متحدياً لهم بقوله: «وقد استقرت الأناجيل الأربعة وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانياً يقدر أن يجيب عن شيء منها»^(٢).

وهكذا فعل الطوفي رحمة الله عليه، في نقده لأناجيل النصارى؛ ليثبت تهافتها وعدم صحتها.

ونحن نعلم أن النصارى يستمدون عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين، هما:

أولاً: الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

ثانياً: المجامع النصرانية^(٣).

وقد تحدثنا عنها أثناء الدراسة، ونعلم بداهة أن الله تعالى أنزل على عيسى ابن مريم ﷺ كلامه المقدس، وهو الإنجيل، وقد كان إنجيلاً واحداً، واستمر طيلة بقاء

(١) المسيحية النصرانية (١٧٦-١٧٧) ساجد مير، وانظر: ص ١٤٥ من هذه الدراسة عند (ضياع الإنجيل وانقطاع سنته).

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٥٩٦/٢)

(٣) انظر: دراسات في الأديان (٣٣) د/ سعود الخلف.

عيسى عليه السلام على وجه الأرض إنجيلًا واحدًا، وبعد أن رفع الله تعالى عيسى عليه السلام إلى السماء اختفى ذلك الإنجيل، ثم ظهرت لنا روايات لحياة عيسى عليه السلام، سُميت أناجيل^(١)، وهي عديدةٌ ومنسوبةٌ لأشخاص، وبينها فروق واختلافات كثيرة، فقد ظهرت أناجيل كثيرة^(٢).

وكلُّ هذه الأناجيل تفتقر إلى الاتصال بعيسى عليه السلام، فلا أحد ممن كتبها رأى عيسى عليه السلام أو سمع منه.



(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (٣٤) وقراءة في الكتاب المقدس، (١٦) د/ صابر طعيمة.

(٢) التوراة والقرآن والإنجيل: محمد حمد الصويان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ الرياض. وانظر:

نقد الأناجيل المرفوضة والمُعترف بها د/ محمد ممتاز عبدالقادر، كنوز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، القاهرة. ودراسات في الأديان (١٣٤) د/ الخلف.

التعليق

على الأناجيل الأربعة والتوراة
وكتب الأنبياء الإثني عشر

بين يدي الكتاب

تحقيق المخطوط (التعليق على الأناجيل الأربعة)

وتضمن:

أولاً: إثبات نسبة الكتاب إلى الطوفي، وإثبات صحة اسم الكتاب.

ثانياً: مصادر الطوفي في كتابه هذا.

ثالثاً: عرض صور لبعض أوراق نسخ المخطوط.

رابعاً: وصف نسخ المخطوط.

خامساً: قراءة نص النسختين واختيار الأقدم منهما، التي كتبت في زمن المؤلف، ومقارنة كلٍ منها بالأخرى، وإعادة كتابة المخطوطتين، وضبط نصهما، والتزام قواعد الخط الحالية، وقواعد الإملاء وعلامات الترقيم. ومقابلة المخطوطات، وتصحيح ما وقع فيهما، من سقط أو زيادة أو نقصان. مع ملاحظة الفروق بين النسختين، وإثباتها في الحاشية.

سادساً: ميزت نصوص الكتاب المقدس التي نقلها الطوفي بخط عريض (هكذا).

ووضعت عناوين جانبية في هامش الكتاب الأيسر، تيسيراً للقاريء، وذلك بعد موافقة سعادة المشرف وفقه الله لكل خير.

سابعاً: تسمية النسختين (الأصل ورمزت لها بـ (أ)، والثانية بـ (ب))، وتحديد نهاية كل صفحة منهما، وقد جعلتها في صلب الكتاب على هذا النحو، للمخطوطة (أ) مثلاً: [١ / أ]، وللمخطوطة (ب): [٤٤ / ب]، مع وضع رقم الصفحة، ورمز المخطوط داخل الحاصرتين.

ثامناً: عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة؛ فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما، وإن كانت في غيرهما أقوم بتخريجها من مظانها والحكم عليها وفق قواعد علم الحديث، وأحكام المتخصصين في علوم الحديث عليها.

تاسعاً: توثيق النصوص الواردة في ثانيا الكتاب، مع عزوها إلى موضعها في (الكتاب المقدس) قدر المستطاع، مع بيان ما أصابها من تبديل أو تحريف إن وجد، مع الرجوع لكتاب: (قاموس الكتاب المقدس) لفك بعض الغامضات، أو الأعلام الذين لا يوجد لهم ترجمة وافية إلا فيه، مع تمحيص المعلومة قدر الإمكان.

تنبيه: النص المعزوه هو بمعناه، بسبب مراحل التحريف والتبديل التي أصابت كتب أهل الكتاب عبر التاريخ.

عاشراً: التعريف بالأمكن والبلدان الواردة في المخطوط، إلا المشهور منها كالدول الحالية عند ذكرها في الدراسة، فلم أر حاجة إلى تثقيل الحواشي بالتعريف بها.

الحادي عشر: الترجمة لبعض الأعلام غير المشهورة، وقد أترجم لبعض المشهورين؛ كابن عباس، وطلحة وابن الزبير رضي الله عنهما للحاجة إلى ذلك، وأهملت ما لا يتعلق به كثير فائدة، وما ليس له بموضوعي صلة يعتمد عليها. وعند نقل التراجم من (قاموس الكتاب المقدس) أنقلها بنصها دون حذف، إلا في بعض المواضع التي تخالف عقائدنا مخالفة صريحة؛ كقولهم عن موآب ابن لوط عليه السلام: (بكر ابنة لوط من أبيها) (قاموس الكتاب المقدس ٩٢٩-٩٢٧)، وأبقيت على بعض الألفاظ الواردة فيه للحاجة إليها في الترجمة.

أولاً: إثبات نسبة الكتاب إلى الطوفي، وصحة اسمه.

لاشك في نسبة هذا الكتاب إلى الطوفي رَحِمَهُ اللهُ، فقد ذكره الطوفي كثيراً في كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) تحقيق د: سالم محمد القرني: (١/ ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٨٩، ٣٠٦، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤٦٢، ٤٩٩)، (٢/ ٥٩٦، ٥٩٧)، وفي (١/ ٢٣٢) سماه (التعليق على بعض كتب الأوائل) وفي (١/ ٢٩٤) وسماه (التعليق على الكتابين). ووصف عمله في الكتاب فقال: (وقد استقرت الأناجيل الأربعة، وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانياً يقدر على أن يجيب عن شيء منها).

وذكره جمعٌ من أهل العلم في كتبهم، تحت مسميات عدة منها:

(التعليق على الأناجيل الأربعة والتوراة وكتب الأنبياء الاثني عشر) وهو الاسم الذي اخترته للكتاب. ومنها: (التعليق على الأناجيل الأربعة) ومنها: (الرد على جماعة من النصارى)، ومنها: (الرد على كتاب السيف المرفف في الرد على المصحف)، وكلها مضمونها واحدٌ، ومصبها واحدٌ. والمصادر التي ذكرته كثيرة جداً، على سبيل المثال:

١. الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٠٩)، لابن رجب الحنبلي، تحقيق د: عبدالرحمن العثيمين - مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ. وذكر من كتبه: («تعاليق» على الرد على جماعة من النصارى «تعاليق على الأناجيل وتناقضها»). وقد يُظن أنهما كتابان، والصحيح أنه لا يوجد للطوفي في الرد على (الأناجيل) إلا كتابنا هذا، واختلاف الباحثين إنما هو في التسمية.

٢. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٣/ ١٣٩)، للعلمي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - دار صادر - بيروت.

٣. معجم مصنفات الحنابلة من عام ٢٤١ هـ إلى عام ١٤٢٠ هـ (٣/ ٣٢٥) لعبد الله الطريقي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٤. مقدمة تحقيق كتاب شرح مختصر الروضة - (١/ ١٢٣) الدكتور: إبراهيم آل إبراهيم - الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ مطابع الشرق الأوسط.
٥. وطبعة أخرى بتحقيق: معالي الدكتور: عبد الله التركي - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ - توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض.
٦. مقدمة تحقيق كتاب: الإكسير في علم التفسير، لعبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.
٧. مقدمة تحقيق كتاب: التعيين في شرح الأربعين، لأحمد حاج عثمان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، المكتبة المكية، مكة المكرمة.
٨. أ. د: محمد حمد الغرايبة في كتابه: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي، أصوليًا وفقهيًا. طبع: دار الحامد للنشر والتوزيع - عمان - ١٤٢٥ هـ
٩. الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية - أ. د: محمد بن خالد الفاضل، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ مكتبة العبيكان - الرياض.
١٠. أشار الطوفي إلى الكتاب، دون التصريح باسمه، في كتاب: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (٢/ ٧٨، ٦٨)، (٣/ ٣٤٢، ٥٨). - تحقيق: حسن قطب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ الفاروق الحديث، القاهرة.

ثانيًا: وصف نسخ المخطوط:

• الكتاب المخطوط له نسختان:

النسخة الأولى: وهي موجودة بالمكتبة السليمانية، (مكتبة الشهيد علي باشا سابقًا) بإستانبول، في تركيا، في مجموع رقم (٢٣١٥) وفي (٦١) لوحة.

وحصلت عليها عن طريق أخي الشيخ: خالد بن عبد الله الغليقة، حفظه الله، في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ضمن مجموع (موجود لدي على ميكرو فيلم) يتضمن:

كتاب: (علم الجدل في علم الجدل). للطوفي.

كتاب: (درء القول القبيح في التحسين والتقييح) للطوفي.

كتاب: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) للطوفي.

كتاب: (الرد على كتاب صنفه بعض النصارى، سماه: السيف المرفف في الرد على المصحف) تأليف: الطوفي الحنبلي. وفي الجانب بخط صغير (وهو مشتمل على: التعليق على الأناجيل الأربعة و التوراة وعلى غيرها من كتب الأنبياء). وعلى الغلاف عدة تملكات وأختام، من ضمنها ختم المكتبة السليمانية، وبداخله باللغة الإنجليزية: (shahid ali pasa (هكذا)) والرقم (٢٣١٥).

• وصف هذه النسخة:

مقاس الورق: ٣٠سم × ٤٢سم، في كل صفحة (٢١) سطرًا ينقص قليلًا أو يزيد في بعض الصفحات، ويحتوي كل سطر على (١٣) كلمة وقد تزيد في بعض الصفحات، وتحتوي هذه النسخة على (٦١) لوحة، مرقمة حسب ترقيم المجموع من (٢١٢) (بورقة الغلاف) إلى (٢٧٢). ويبلغ عدد صفحات المخطوطة، (١٢٠) صفحة وكتبت بخط نسخ جيد واضح.

تبدأ الصفحة الأولى بقول المؤلف:

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.. الحمد لله رافع السَّبع الشُّداد، وواضع الأرض المهاد، ومثبتها بشوامخ الأوتاد، الذي سلك بالسعداء من خلقه سبيل الرشاد، وعدل بأشقيائهم عن طُرُق السداد، إلى الكفر والإلحاد، أحمده على ما وفق له من الطريق الأقوم، وأشكره على ما ألهمنا من الحكمة، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وأشهد...).

وتنتهي بقوله: (هذا آخر ما وقع الاختيار عليه من التعليق على التوراة

وغیرها).

(وقول الناسخ): (وافق الفراغ من نسخه، بكرة يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر صفر، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. والحمد لله، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، طيباً مباركاً).

• ناسخها وتاريخ النسخ: أما ناسخها فهو: محمد بن عبد الواحد البغدادي، وتاريخ النسخ يئنه بقوله السابق، أي (٢٢ / ٢ / ٧٢٨ هـ). أي بعد وفاة الطوفي رحمة الله عليه بـ (١٢) عاماً، وهي السنة التي توفي فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه.

وهي النسخة التي اعتمدها، ورمزت لها ب (أ)؛ لوضوح خطها، وقربها من زمن المؤلف؛ إذ هي نسخة عن النسخة التي كتبها الطوفي رحمته الله، وأيضاً فهي نسخة كاملة لا سقط فيها ولا نقص، بخلاف النسخة الآتية.

النسخة الثانية: موجودة في مكتبة (كوبرلي) بتركيا، برقم (٧٩٥) في (٦٤) ورقة. وقد حصلت على صورة منها رديئة جداً، وفي أول عشر صفحات منها سواد من رداءة التصوير عن الأصل الذي بتركيا، ثم قدر الله تعالى ووجدت نسخة واضحة (إلا من سقط في آخرها بمقدار صفحة) وظهر لي أنه من تصرف الناسخ، لا بسبب التصوير، بمركز المخطوطات، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم (٦٦٨٥).

• وصف هذه النسخة:

مقاس الورق: ٣٠ سم × ٤٢ سم، في كل صفحة (٣٠) سطراً ينقص سطرًا في بعض الصفحات، ويحتوي كل سطر على (٩-١١) كلمة تقريباً، وتحتوي هذه النسخة على (٦٤) لوحة، عدد الصفحات (١٣٣) صفحة، من رقم (٨٦) إلى (١٤٩). وكتب على الغلاف: (هذا تعليق على الأناجيل الأربعة، وكتب الاثني عشر، من كلام الشيخ الفقيه الإمام العلامة نجم الدين الطوفي الحنبلي، تغمده الله برحمته، آمين).

الحمد لله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد:

عجبٌ للمسيح بين أناسٍ وإلى غير والدٍ نسبوه
أسلمته إلى اليهود النصارى وأقروا بأنهم صلبوه
يشفق الحازم اللبيب على الطفل إذا ما وليده ضربوه
فإذا كان مايقولون في عيه سى يقيناً فأين كان أبوه
كيف خلاً وليده للأعادي أم يظنوا بأنهم غلبوه
فإذا ما افتركت في شرٍ دينٍ أبطل الامتحان ما رتبوه
لا يدينون لعقولٍ ولكن بأباطيل زُخرفٍ كذبوه
عليهم لعنة الله والملائك، والناس أجمعين). وفي الهامش الأيسر عبارة (أظنون أنهم غلبوه)، كتبها الناسخ استدراكاً للخطأ في البيت الخامس.

وكتبت بخطٍ نسخيٍّ أقل وضوحاً من خط النسخة (أ)، وغير واضح في مواضع قليلة منها.

تبدأ الصفحة الأولى بقول الناسخ:

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسلم.
قال الشيخ الفقيه، الإمام العلامة، نجم الدين الطوفي الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.. الحمد لله الذي سلك بالسعداء من خلقه سبل الرشاد..) وتنتهي بقوله: (وروى الترمذي بإسناده من حديث عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختفلوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً مانسيته، قال: (ما قبض الله نبياً؛ إلا في الموضع الذي يحبُّ أن يُدفنَ فيه، ادفنوه في موضع فراشه) وهو حديث غريب، وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وهو ضعيف، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد).

• ناسخها وتاريخ النسخ: أما ناسخها فهو: بدر الدين، الحسن بن محمد بن صالح النابلسي الحنبلي، وهو ناسخ كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية الذي حققه الأستاذ الدكتور: سالم بن محمد القرني، وقد بينه بقوله:

(وكان الفراغ من تعليق كتابته يوم الثلاثاء باكر النهار الرابع، من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمائة). انظر: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/٥٩)). أي في: ٤/٣/٧٤٩هـ. بعد وفاة الطوفي رحمة الله عليه بـ(٣٣) سنة. وقد رمزت لها بـ(ب).

ثالثاً: مصادر الطوفي في كتابه:

اعتمد الطوفي رحمة الله عليه في هذا الكتاب على عدة مصادر، ورد ذكر بعضها في طيات الكتاب، منها:

- القرآن الكريم.
- تفاسير القرآن الكريم.
- كتب الحديث النبوي، الصحاح والسنن، والمسانيد، وشروحا.
- كتب السيرة النبوية، والطبقات، وشروحا.
- التوراة، وأسفار الأنبياء.
- الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) وهي مدار تصنيفه للكتاب.
- كتاب النصراني الذي رد عليه بهذا الكتاب، وكتاب: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) واسمه: (السيف المرهف في الرد على المصحف).
- أحال على كتابه (الفوائد) وقد ذكرته في الدراسة ضمن كتب الطوفي.
- نقل من كتاب (القصص) لوثيمة بن موسى^(١).
- نقد كتاب (السر المكتوم في استخدام أرواح النجوم) للرازي، مما يعني أنه من مصادره التي اطلع عليها.

(١) انظر التعريف به ص (٦٠).

• ذكر قولاً للإمام أبي حامد الغزالي عند إيراده حديث: (إن الله خلق آدم على صورته).

• نقل من كتاب: الإشارات والتنبيهات، لابن سينا.



رابعاً: صور لبعض نسخ المخطوط، (أ) و(ب):

صورة غلاف النسخة (i)

٢١٢



Süleymaniyat U.	
Kismi	Yahud
Yahud	
İsmi Kayıtlı	2315

صورة الصفحة الأولى للنسخة (أ)

المسيح كاذبا في قوله ما من حيي الاست يظهر واما ان المسيح ليس كاذبا في الاتفاق ما وسكنه ولو
 نازعوني في صدقه اسم او غيركم لما وافقناكم على ذلك لاننا نحن احببناكم منكم الحجة
 العاشرة ان من نظري في ذلك اسلمته لوجوده معظما لجميع الرسل عيسى وموسى وغيرهما بحث
 لمن من بلحاظهم او تنقصة قتل برأى اليهود يعقون المسيح ويعقون اليه الشهاد
 وهم والمصري ينقصون محمدا عليه السلام علم ان المسلمين اهل حق كما يشوبه تحامل ان
 اليهود والنصارى اهل عناد وتحامل بان قاله اليهود اما عصا صام المسيح ومحمد لا هما
 كاذبان قلنا فالذي عد به صدوق موسى وداني المسيح ما هو اعظم منه فمعنى الصدق مشترك
 فاما ان صدقوا الاسل ويكذبونها اما الفرق رهوى وتحامل وان قالوا النصارى ان تنقصنا
 محمدا لانه ليس بصادق فكذلك معاملة اليهود في انهم انما تنقصوا المسيح لانه ليس بصادق
 فان قالوا اليهود كفار عاندوا الله فلما كذلك يقول عن نصرته بالنسبة ان ينقص محمد
 عليه السلام فان قيل اليهود عاندوا بعد قيام الحجة باظهار المعجزات وحق لم ياما محمدا يحجز فقلت
 بل جازك بمخبرات قد سبق بعبرتها ولكن عاندتم او جهلتم وهذا اسمي الله تعالى اليهود مخضوبا
 عليهم والنصارى ضالين بل ان كل ذلك اليهود عناد ويكذبكم بقلبه اجماله ولو انه خبير بالنقل
 حقه لوقف في راسه في هذا الامر ما ليس اراده في هذا الباب وانما اصل اسمه روم
 الرهايا يجعله الى الرحمة وتنقاعه بنيه الحجج الوسايل واعوى الاسان وموسى
 وسائر المؤمنين ما يحبه ويزناه ويوفقنا عما يغضه وعلاؤه فانه لا اله الا هو ولا فاعله
 في الوجود سواه

بسم الله الرحمن الرحيم وصل الله على رسالينا وعلى رسالكم
 الحمد لله الذي افاض السداد وواضح الارض المهاد ومننتها بشوايح الاواناد الذي ملك
 بالصعدا من خلقه سبل الرشاد وعمل بالشفاعة عن طرق السداد الى الكفر والالحاد اجده
 على ما وفق له من الطاعة الاقوم واشكركم عليه الشان الحكيم وعلمنا ما لم نكن نعلم واشهد

—

[illegible]

صورة غلاف النسخة (ب)

هذا تعليق على الاناجيل الاربع

وكتبه الامام عيسى
مكلام السجده الامام العلامة محمد باقر
الطوسي الحلي بعدد الله
محمد باقر

بسم الله

الحمد لله الذي ولدنا مولد

عجيب المسيح من اناس والمغير والديستوه

اسلمه الى اليهود النصارى واقرؤا بانهم يطلبوه

فشقوا الحارثم اللبيب على الطفل اذما ولد

فادان ما يقولون في عيسى يقينا فابن كان ابو

كيف خلا ولده الا عادي ام يظنوا بانهم يطلبوه

فلما امكنه من شرب ابل الامتحان ما رثوه

لا يدينون الحق ولكن باطيل زخرف كبروه

علمهم لعنه الله وللايدين لعنهم

Microfilm Argiv
1890

صورة الصفحة الأولى (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلية وآله
 والجميع وسلم والامام العلامة محمد باقر
 الكليني المحقق رحمه الله تعالى
 ودام مع الابرار المهديين وفضلهما يسوايح الايام
 التي كانت بالهدى سبيل الرشاد وعدل
 ما فيها من طرق التبرؤ الى الكفر والحادثة الجدية
 على طريق الاغواء واستغره على ما الهما والحمد
 وعلم ما لم يكن يعلم واسعد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
 له شهادة تنوز على قائلها ما الظلم ويوجه له من الامور
 واصلى على سيدنا محمد الذي باخر عرش الرسل وعلتهم بعد
 هو الابرار والآخر الموخر المعدم صلى الله عليه وعلى
 محمد بن الكواحه وبعثوا الكثر واصحابه الكثر
 والجميع وسلم سلمها صبرا استقامت فروع الاشجار
 بخلاف الادمان عما حو اخلافة من الامم والادمان
 بحققها لول رب العالمين فانه لم يكن ولو سار
 لحمل الناس معه واحد ولا ترون محمل وسما لوع
 مضى قوله المستبين لاملان خيم من الحجة والبراهين
 فاحلف لولا الادمان لكانت قد وردت في يد من ياتوك
 دونه وفان تحمل بعضه يرد على بعض ويورد على
 ما يمكنه من حال ونفس وانك سمعتم التماذي
 صنف دانا فخر فيه عاملة الاسلام وعدوه في سوه
 في عهد علي السلام واما سئل من الذي الخلق كونه
 القبر واما ان ارد عليه واوجه التواضع المصنعة لقوله
 الله عز وجل ان اقدم خادك الحلام بما اياها احد الاربع
 لعصا وتلك ردا على السامه منه ما في التوسعة
 تعلو عليها هذا العلق بها لافقه لمضي على سبيل
 الحق والحق هو هادهم لربهم يظهر منه كل شيء
 سافض وجامد ومساد واحلال على اقدم الهدى
 حجة وحصل الحاصل الصبر فان الامر كله

والله
 و
 مع
 ر
 لا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة
المؤلفوصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم..^(١)

الحمد لله رافع السَّبع الشُّداد، وواضع الأرض المهاد، ومثبتها بشوامخ الأوتاد،
الذي سلك بالسعداء من خلقه سبيل الرشاد، وعدل بأشقيائهم عن طُرُق السداد،
إلى الكفر والإلحاد^(٢).

أحمدُه على ما وفَّق له من الطريق الأقوم، وأشكُرُه على ما ألهمنا من الحكمة،
وعَلَّمنا ما لم نكن نعلم، وأشهد [١/أ] أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة
تنور على قائلها ما أظلم^(٣)، وتوضَّح له من الأمر ما استبهم.

وأصلي على سيدنا محمد؛ الذي تأخَّر عن الرُّسل، وعليهم تقدم، فهو الأول
الآخر، والمؤخر المقدم، صلى الله عليه وعلى آله، معدن الكرامة، ونبوع الكرم،
وأصحابه الكرام السجايا والشمس، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد: فإنَّ نوع الإنسان مختلفٌ في الأديان، على نحو اختلافه في الأمزجة
والأبدان؛ تحقيقًا لقول رب العالمين، في كتابه المبين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ
النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] وسببًا لوقوع مقتضى قوله
المستبين: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، واختلف

سبب
تأليف
كتاب
التعليق
على
الإنجيل

(١) في نسخة (ب): اللهم صل على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسلم. قال الشيخ الفقيه، الإمام العلامة، نجم
الدين الطوفي الحنبلي رحمه الله تعالى.

(٢) في هذه المقدمة براعة استهلال من الطوفي رحمه الله عليه؛ إذ كتابه هذا ردٌّ على النصراني الذي طعن في ملة
الإسلام، بتأليفه كتاب (السيف المرفف في الرد على المصحف)، وناسب أن يبدأ الطوفي مقدمته بالتمريض
بالأشقياء الحائدين عن طرق السداد إلى الكفر والإلحاد، بعد أن ذكر أن طريق السعداء من الخلق هو السبيل
الأوحد، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَحَّاحُكُمْ يَوْمَ تُلْقَى كُلُّكُمْ أَفْئِدَةً﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(٣) في (أ): لطم، وما أثبتته من: (ب).

لذلك الأديان، وذلك^(١) عند كل ذي دينٍ ما سوى دينه وهان، وجعل^(٢) بعضهم يردُّ على بعض، ويُوردُّ على دينه ما أمكنه من مُحالٍ ونقضٍ. وإني رأيتُ بعضَ النصارى^(٣) صنَّفَ كتابًا، طعن فيه على ملة الإسلام، وقدح به في بُوة محمد ﷺ، وهو مما يشكُّكُ رقيقَ الدِّين، الخالي عن قوة اليقين؛ فهِمَمْتُ^(٤) أن أردَّ عليه، وأوجه البراهين المفسدة لقوله إليه، فرأيتُ أن أقدمَّ على ذلك الكلام على الأناجيل الأربعة؛ ليحصل بذلك في رأيهم^(٥) النكاية، وفي مادتي^(٦) التوسعة، فعلقت عليها هذا التعليق، سالكا فيه بمقتضى علمي سبيل الحق والتحقيق، وهو هادِمٌ لدينهم بلا ريب^(٧)، مظهرٌ منه كلُّ شينٍ وعيبٍ، من تناقضٍ ومُحالٍ، وفسادٍ واختلالٍ، على أنَّ هدمَ المهذومِ تعبٌ، وتحصيلٌ للحاصل يورث النصب؛ فإنَّ الأمر على ما قال [١/ب] القائل السابق:

(١) في (ب): ورذل، وما أثبتته من (أ).

(٢) في (ب): فجعل، وما أثبتته من (أ).

(٣) النصارى: النصارى أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﷺ، وهو المبعوث حقاً بعد موسى ﷺ المبشر به في التوراة، ودينهم (النصرانية)، والاسم المشتهر لها اليوم (المسيحية) وهي أبعد ما تكون عن تعاليم المسيح ﷺ، وقد استخدمت هذا الاسم كثيراً في القسم الأول من الدراسة؛ لشهرته، لا لقناعتي به بدلاً عن الاسم القديم. [انظر: الملل والنحل، الإمام: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٢١٩/١)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤ هـ دار المعرفة - بيروت]. قال الأستاذ الدكتور: سالم بن محمد القرني، حفظه الله، في تحقيقه لكتاب (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للطوفي) (٣٠٦/١): (والذي فهمته من كلامه هذا أن كتاب «تعاليق على الأناجيل» ردُّ أيضاً على النصراني الذي ردَّ عليه الطوفي في هذا الكتاب). قلت: ولم أعر على اسم النصراني هذا، ولا مكان تأليفه لكتابه (السيف المرفف في الرد على المصحف) فضلاً عن الكتاب نفسه، لكن ذكر الدكتور: سالم: أن الظاهر - والله أعلم - «أن النصراني من بلاد المغرب الأقصى، أو من بلاد الأندلس؛ لأنه نقل كثيراً من تفسير ابن عطية الأندلسي رحمه الله، كما نقل عن كتب موسى بن عبيد الله، الفيلسوف، المرتد عن الإسلام، وهو ممن عاش في الأندلس، ثم انتقل في آخر حياته إلى مصر» انظر: [الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/١٦٥)].

(٤) في (ب): فرأيت، وما أثبتته من (أ).

(٥) في (ب): ردنا عليه، وما أثبتته من (أ).

(٦) ليست واضحة في: (أ)، ولعل الأقرب ما أثبتته من (ب).

(٧) (ريب): ليست في (ب).

..... وأي طلاق للنساء الطوالق^(١)!

لكن لا بُدَّ من كشف الشُّبه والملبسات^(٢) على كل حالٍ من الحالات.
وألحقت بالتعليق على الأناجيل فوائِد من كتاب: (أشعيا)^(٣)، و(دانيال)^(٤)،
و(أرمياء)^(٥)، و(الأنبياء)^(٦) الاثني عشر^(٧)، وأرجو أن [من نظر في هذا الكتاب، وهو
ذكيّ منصف، لا بليد^(٨) أو متعسف^(٩)، بل قاصِدٌ للحق، مؤثِرٌ للصدق، يعدل]^(١٠) عن
الملة النصرانية إلى الملة الحنيفية^(١١)، ويعلم أن ما هو عليه كفرٌ وضلال، وأنه إلى

(١) البيت ذكره الثعالبي، ونسب لأبي العبر:

وحلّف منهم بالطلاق أكابرًا وأي طلاق للنساء الطوالق.
[(التمثيل والمحاضرة) (٢١٩) أبو منصور، عبد الملك بن محمد (٢٢٩) هـ: عبد الفتاح الحلو، الدار
العربية، ط ٢، ١٩٨٣ م]

(٢) كَبَسَ عليه الأمر: خلط، وبابه: ضرب، ومن قوله تعالى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَتْلُونَ﴾ [الأنعام: ٩]. وفي الأمر:
تُبَسًّا بالضم، أي: شبهة، يعني: ليس بواضح والتبس عليه الأمر: اختلط واشتبه، و(التلبس) كالتدليس،
والتخليط، شُدُّد للمبالغة. [مختار الصحاح (٣٤٣) مادة: (ل ب س) .].

(٣) سيأتي التعريف به عند التعليق على مصحفه.

(٤) سيأتي التعريف به عند التعليق على مصحفه.

(٥) سيأتي التعريف به عند التعليق على مصحفه.

(٦) في (ب): وبقية.

(٧) جاء في (قاموس الكتاب المقدس (٧٦٤)): (....) والمتأخرون، وينقسمون إلى: الأنبياء الكبار: وهم، أشعيا،
وأرمياء، وحزقيال. والأنبياء الصغار: وهم: هوشع، ويوثيل، وعاموس، وعوبيا، ويونان، وميخا، وناحوم
وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي. [وانظر: اليهودية (٢٣٨) د: أحمد شلبي. دراسات في اليهودية
والنمسيحية وأديان الهند (١٦٨-١٨٠) د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي]. وقد اعترض أستاذنا الكريم
الأستاذ الدكتور: بكر زكي عوض على هذا الإطلاق، لاسيما وأن الطوفي قد سرد أسماء أنبياء لا دليل على
نبوتهم من نقل صحيح، فثبت النبوة تحتاج إلى دليل قوي لا يخالطه ريب.

(٨) (البلادة: تدور تعاريف أهل اللغة على أنها: ضد الذكاء، والبليد: من حرم الذكاء والمضاء في الأمور... [المعجم
الوسيط. (١/١٤٣) إبراهيم مصطفى وآخرون. تحقيق: مجمع اللغة العربية. (مختار الصحاح (٤٩) .]

(٩) (العسف: الأخذ والميل عن الطريق، تعسف: خبطه على غير هداية. [مختار الصحاح (٢٥٨)، والقاموس
المحيط (٧٥٤) .]

(١٠) في (ب) (وأرجوا (هكذا) أن يكون.. عليه من أهل الكتاب.. فيعدل) والعبارة مفككة، والمثبت من (أ).

(١١) الحنيفية: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، وكلٌ من حجّ، أو كان على دين إبراهيم عليه السلام،
وتحنّف: عمل عمل الحنيفة، أو اختن، أو اعتزل عبادة الأصنام [القاموس المحيط (٧٢٢) مادة
(ح ن ف)]

وقته ذلك مخذولٌ ضال، وأنا أدعو إلى الله بإرشاد من وقف عليه، وهو قريبٌ مجيبٌ،
لا إله إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب.



مقدمات
بين يدي
الكتاب

[مقدمات ثلاث ^(١)]

ولتقدم على هذا التعليق مقدمات يُتَنَفَّعُ بها:

[المقدمة ^(٢) الأولى:

أن هذه الأناجيل الأربعة ^(٣) التي بأيدي النصارى ليس شيء منها هو [٢/أ] الإنجيل ^(٤) الذي أوتيهِ عيسى المسيح ابن مريم، وإنما هي في الحقيقة سِيرٌ صَنَّفَهَا التلاميذ ^(٥)، تتضمن كيفية مولد المسيح، ودعائه النَّاسَ إلى الإيمان، وكيفية ارتفاعه إلى السماء بعد صلبه - على زعمهم -، فنظيرُها من كتب المسلمين مغازي رسول

(١) هذا العنوان من وضعي بموافقة فضيلة المشرف على الرسالة أ د: محمد السيد الجليند، رعاه الله؛ لترتيب الكتاب.

(٢) وما بين الحاصرتين أيضًا.

(٣) (الأربعة)، ليست موجودة في: (ب) والأربعة هي: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. وهي المعتمدة اليوم عند النصارى.

(٤) الإنجيل: كتاب عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يؤنث ويدكر فَمَنْ أُنْثِ أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب، وفي صفة الصحابة رضي الله عنهم: معه قومٌ صُدُّوهُمُ أَنَا جِلَّهُم. هو: جمع إنجيل، وهو اسم كتاب الله المنزل على عيسى ﷺ وهو اسمٌ عبرانيٌّ أو سُريانيٌّ وقيل: هو عربي، يريد: أنهم يقرؤون كتاب الله عن ظهر قلوبهم، ويجمعونه في صدورهم حفظًا. وكان أهل الكتاب إنما يقرؤون كتبهم في الصحف، ولا يكاد أحدهم يجمعها حفظًا إلا القليل، وفي رواية: وأناجيلهم في صدورهم أي أن كتبهم محفوظة فيه. والإنجيل مثل: الإنكليل والإخريط، وقيل اشتقاقه من النَّجْل الذي هو الأصل يقال هو كريم النَّجْل أي الأصل والطَّيْع وهو من الفعل إفْعِل. [لسان العرب (١١/٦٤٦)].

(٥) تلميذ: تشير هذه الكلمة في (الكتاب المقدس) - عندهم - إلى كل من اتبع معلمًا مثل أشعياء النبي، ويوحنا المعمدان، وتستعمل لكل المؤمنين الذين قبلوا تعاليم المسيح [قاموس الكتاب المقدس (٢٢٢)، مادة: تلميذ].

الله ﷺ، وسيرته، كسيرة: (ابن إسحاق)^(١)، و(موسى بن عقبة)^(٢)، و(الواقدي)^(٣)، و(البكري)^(٤)، و(ابن هشام)^(٥)؛ والتي هي مختصر سيرة ابن إسحاق، ونحو ذلك.

والإنجيل الذي أنزل على عيسى، الذي هو نظير القرآن الكريم؛ إِمَّا أَنَّهُ عُدِمَ وضاع وتلاشى^(٦)؛ كسائر الصحف التي نزلت على الأنبياء، حيث دثرت فلم يبق لها شهرة، أو أَنَّهُ هو الأمثال والحكم؛ التي تتضمنها هذه الأناجيل من كلام

مصير
الإنجيل
الذي
أنزل على
عيسى
ﷺ

(١) لعل الطوفي لا يقصد التشبيه المطلق بينها وبين كتب السير عندنا نحن المسلمين؛ لأن الفرق واضح جداً وهذا الذي يظهر وإنما قصد التقريب والله أعلم. وابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار، القرشي، صاحب السيرة النبوية، وكان جده يسار من سبي عين التمر، في دولة خليفة رسول الله ﷺ، ولد ابن إسحاق سنة (٨٠) هـ ورأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب. حدث عن جمع غفير من أهل العلم، وحدث عنه مثلهم، مات سنة (١٥٠) هـ. [سير أعلام النبلاء، للذهبي (٧/ ٣٣-٥٥)].

(٢) موسى بن عقبة: ابن أبي عياش، الإمام الثقة الكبير، مولى أبي الزبير، ويقال: بل مولى الصحابية أم خالد بنت خالد الأموية، زوجة الزبير، وكان بصيراً بالمغازي النبوية، ألَّفها في مجلد، فكان أول من صَنَّف في ذلك، عداده في صغار التابعين [سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦/ ١١٤-١١٨)].

(٣) محمد بن عمر بن واقد الواقدي، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه. ولد بعد العشرين ومائة وقيل (١٣٠) هـ. وطلب العلم عام بضعة وأربعين، وسمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز والشام. قال عنه الذهبي (وجمع، فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة وأخبارهم) توفي سنة (٢٠٧) هـ. [السير (٩/ ٤٥٤) و]: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (١٨) د: سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ].

(٤) البكري: أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو الحسن البكري، قال عنه ابن حجر: (ذاك الكذاب الدجال، واضع القصص التي لم تكن قط، ما أجعله وأقلّ حياته، وما روى حرقاً من العلم بسند، ويكرى له في سوق الكتبيين: كتاب انتقال الأنوار، ورأس الغول.. ومن مشاهير كتبه: الذروة في السيرة النبوية، ما ساق غزوة منها على وجهها، بل كل ما يذكره لا يخلو من بطلان، إما أصلاً، وإما زيادة). [لسان الميزان (١/ ٣٠٢) لابن حجر العسقلاني، ٧٧٣ هـ- ٨٥٢ هـ: غنيم بن عباس غنيم، مطبعة دار الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ].

(٥) ابن هشام: عبد الملك بن هشام ابن أيوب العلامة النحوي، الأخباري، أبو محمد الذهلي، السدوسي، نزيل مصر، هذب السيرة النبوية، وسمعاها من زياد البكائي، صاحب ابن إسحاق، مات سنة (٢١٨) هـ على الصحيح. [سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/ ٤٢٨-٤٢٩]. السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (١٣)].

(٦) هذا الإنجيل لم يعد له وجود بين أناجيل النصارى التي يعتمدونها اليوم. انظر: [محاضرات في النصرانية (٥٢-٥٣) أبو زهرة، دراسات في الأديان (١٣٦) د/ سعود الخلف، والإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، (٦٧/ ٢) نجم الدين، سليمان بن عبد الكريم بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ هـ - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة.].

المسيح، ضموا إليها شرح سيرته، وسموا الجميع إنجيلًا.

والدليل على ذلك من وجهين:

الدليل
على
ضياحه

أحدهما: أَنَّ في هذه الأنجيل كثيرًا - بل أكثرها - ليس من كلام المسيح؛ بل من حكايات المصنفين لها، كقولهم: أجابَ (يسوع)^(١)، وفعلَ (يسوع)، وقالَ (يسوع)، يعنون: (المسيح)، وكأنَّ العربَ عرَّبَت هذا الاسمَ بأنَّ عكسَته من آخره الأنجيل إلى أوله، وقلبتْ واوه ياءً، وياءه ألفًا فصارَ (عيسى)^(٢).

الوجه الثاني: أَنَّ كُتِبَ الأُمَم السالفة والرسَل^(٣) التي يؤتم بها، ويعتمد عليها، إنَّما نزلت عليهم من عند الله سبحانه، كصحف (شيث)^(٤) و(إبراهيم)، وتوراة (موسى)، وزبور (داود)، ومصحف (أشعيا)، وغيرها. والكلام الذي في [٢/ب] الأنجيل هو من كلام التلاميذ والأتباع، وفيه يسيرٌ من كلام المسيح.

التي
بأيدي
النصارى
توارىخ
وليست
إنجيل
المسيح
عيسى

(١) الصيغة العربية للاسم العربي: (يشوع) (عيسى عليه السلام): وقد تسمى يسوع حسب قول الملاك ليوسف، ويسوع هو اسمه الشخصي. أما المسيح فهو لقبه. وقد وردت عبارة «الرب يسوع المسيح» نحو ٥٠ مرة في العهد الجديد. ويسوع المسيح أو المسيح يسوع، نحو مئة مرة. بينما وردت كلمة المسيح أيضًا بالمخلص، ووردت لفظة يسوع وحدها على الأكثر في الأنجيل، ويسوع المسيح، والرب يسوع المسيح في سفر الأعمال والرسائل. [قاموس الكتاب المقدس (١٠٦٦)].

(٢) قال الطوفي: (فإن العربية تصرفت في الألفاظ الأعجمية، فعربتُها، كما سمت العرب المسيح: عيسى، واسمه في الإنجيل: يسوع، فعكسوه من آخره، وقلبوا الواو ياء) [الانتصارات الإسلامية (١/٣٠٤)]. والصواب أن يقال: إن الله تعالى هو الذي سماه لا العرب؛ بدليل قوله تعالى - على سبيل المثال - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَيْتِكَ لَحَكِيمٌ ذُنُوبُهُ أَسَمُهُ الْأَمْحُ يُعِى أَبْنِ مَرِّمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران ٤٥].

(٣) الرسل، ليست موجودة في: (ب).

(٤) اسم سامي معناه (مُعِين) أو (بديل) ابن آدم وحواء. وقد ولد بعد أن قتل هابيل فكان بديلاً له وعوضاً عنه، وولد لآدم عندما كان عمره ١٣٠ سنة، فعاش ٩١٢ سنة، ومعنى شيث: هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل. قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة» (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٢ ص ٧٧ حديث (٣٦١) الأمير: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩ هـ قال المحقق الشيخ شعيب الأرووط: (إسناده ضعيف جدًا) (الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ مؤسسة الرسالة. بيروت). [سفر التكوين ٥: ٣، وقاموس الكتاب المقدس (٥٣١)، وقصص الأنبياء (٥٤) ابن كثير، ت: علي أبو الخير، محمد وهبي، معروف زريق، ط ١٤١٧ هـ دار الخير، دمشق].

نعم هم يزعمون أنَّ المسيح هو الله، أو ابنُ الله، فلا حاجة له عندهم إلى أن يُنزل عليه شيء^(١)؛ لأنَّه هو المُنزَّل على غيره من الأنبياء، أو ابنه، وهو مطلعٌ على سرِّ أبيه، لكنَّا سنقررُّ فسادَ هذا المعتقد إن شاء الله سبحانه؛ فيصح^(٢) لنا حينئذٍ بالاستقراء^(٣) أنَّ هذه الأناجيل ليست أناجيل المسيح، بل هي^(٤) تواريخ وضعوها وسموها أناجيل، ولكلِّ أحدٍ أن يسمي في^(٥) اصطلاحه ما شاء ما شاء^(٦).



(١) شيء: ليست في: (ب).

(٢) في: (ب): ليصح، وما أثبتَّه من: (أ).

(٣) الاستقراء هو: تتبع جزئيات الشيء للوصول منها إلى حكم كلي يجمعها. [انظر: كتاب الكليات (١٤٦-١٤٧) تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م].

(٤) هي، ليست في: (ب).

(٥) زيادة من: (ب).

(٦) هذه الأناجيل ليس شيء منها هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، قال الدكتور: سعود بن عبد العزيز الخلف: (... وبمجموع ما ذكر من الأناجيل من ناحية تاريخها ومتنها، يتبين لنا أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون هي الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على عبده ورسوله، وأحسن أحوالها أن تكون متضمنة لبعض ما أنزل الله على عيسى ﷺ، والله أعلم). [دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية (١٧١) ط ١. ١٤١٨ هـ مكتبة أضواء السلف، الرياض].

[المقدمة]^(١) الثانية:

برءة
المسيح
من ابتداء
النصارى

أنهم اتفقوا في أوائل كتبهم: الأنجيل، وغيرها^(٢)، على أن يقولوا:
(باسم الأب، والابن، وروح القدس، إله واحد)^(٣)، ووجهوا ذلك بتوجيه
إذا حَقَّقَ الأمر معهم فيه ظهر أنه اختلاطٌ وجنونٌ، لا يشك عاقلٌ في أنَّ المسيح لو
سَمِعَهُ منهم لدعا عليهم أن يصيروا قردةً وخنازيرًا، وبالجمله كان لا يرضى به منهم،
ثم إنِّي [٣ / أ] رأيت في مقدمة نسخة صحيحة مضبوطة^(٤)، بإنجيل (متى)، قد افتتحها
بقوله:

(١) ما بين المعقوفتين من وضعي؛ حتى لا يختلط المعنى على القاريء، وقد سبق التنويه عنه.

(٢) في: (أ): وغيرهم، وما أثبتته من: (ب).

(٣) (الأب: لفظ يطلقه المسيحيون على الله (تعالى الله عن ذلك) لأنه الأب السماوي.) يعتقد النصارى أن الإله
وإن كان واحدًا؛ إلا أنه مؤلفٌ من ثلاثة أقانيم، أي: ثلاثة أشخاص؛ الأب، والابن، والروح القدس، وهذه
الثلاثة أقانيم هي ظواهر لحقيقة واحدة، أي: واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد:
• فالله هو الأب، وهو الخالق.

• والمسيح هو الابن وهو المخلص، وهو القادي، وجمع بين اللاهوت والناموس.

• والروح القدس هو الرب المحيي، لاهوتٌ محضٌ، وهو المظهر المنبثق من الأب في رأي فريق منهم، أو
منبثق من الأب والابن في رأي فريق آخر. [قاموس الكتاب المقدس (١). الميزان في مقارنة الأديان حقائق
ووثائق (١٤٣)، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ دار القلم، دمشق. الدار
الشامية، بيروت]

(٤) لعله يعني بهذا: أنها صحيحة مضبوطة لديهم، ولا يجوز أن يقال غير هذا.

وترجع أقدم النسخ التي لدينا للأنجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي
١٢٠٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضًا لتحريف
مقصود يُراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي يتسمي إليها الناسخ أو أغراضها. والكتّاب الذين عاشوا قبل
نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون شيئًا قط عن العهد الجديد، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم،
ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م إلا في كتابات بيباس Papas (بيباس: أسقف هيرابوليس
في أوائل القرن الثاني الميلادي)، الذي كُتب في عام ١٣٥م؛ إذ يقول: إن «يوحنا الأكبر» - وهو شخصية لم
يُستطع الاستدلال على صاحبها - قال: إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس. [قراءة في الكتاب
المقدس، تأملات في كتب الأنجيل (١٠٥)، د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ مكتبة دار الزمان
للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.] و[قاموس الكتاب المقدس (١١١٠)].

(باسم الإله الواحد بالذات، المثلث بالصفات)، وهذا هو حاصل تأويلهم فلسفة
لقولهم: (الأب والابن وروح القدس إله واحد)، فإنهم يقولون: (إن الله سبحانه
ذو ثلاثة أقانيم،^(١) الأب، والابن، وروح القدس، كما أن الإنسان ذو ثلاثة أقانيم،
النفس، والنطق، والعقل، وكما أن الإنسان بأقانيمه واحد ف كذلك الله سبحانه
بأقانيمه واحد)، وهذا فاسد لوجوه:

أحدها: أن هذا القول منهم إما أن يكون قياساً، أو تنظيراً؛ للتقريب إلى الأفهام.
فإن كان قياساً، فهو فاسد لوجهين:

أحدهما: أن القياس: إلحاق فرع بأصل، وهؤلاء عكسوا القضية؛ فالحقوا
الأصل بالفرع؛ لأن الله سبحانه هو مبدأ الكل، وعلة العلل^(٢)، وموجد الموجودات،
ومكوّن الكائنات.

الثاني: أن شرط القياس العقلي: تساوي المقيس، والمقيس عليه، بل كون
المقيس عليه أظهر؛ لتحصل فائدة التعريف، ونفس الإنسان وعقله لا يساوي الله
سبحانه في الظهور، والشهرة والجلال^(٣)؛ لأن الذين اتفقوا على وجود حقيقة الله

(١) الأقانيم: الأصول.. مفردتها: أقنوم، وهي عند النصارى: الأب، الابن، روح القدس، والرابطة التي تربط بين
هذه الأصول وأقانيمها تسمى (لوغوس). انظر: [إظهار الحق] (٣/ ٧٢١) للشيخ: رحمت الله بن خليل
الرحمن العثماني الهندي و (دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند) (٤٧٨) د: محمد الأعظمي.]
(٢) في: (ب): وعلة العلل، غير واضحة، ومقابلها في الهامش كتب: ويذكر. قلت: كنت أودّ لو وقف الطوفي رحمة
الله عليه عند أصول أهل السنة والجماعة، في اعتقادهم في أسماء الله وصفاته، وأن يعيد عن مثل هذا اللفظ
الذي يكثر دورانه على ألسنة الفلاسفة وأهل الكلام والشيعة. انظر: [معجم المناهي اللفظية] (٤٤٤-٤٤٥)
العلامة الدكتور: بكر بن عبد الله أبو زيد، رحمة الله عليه (توفي في شهر محرم هذا أثناء كتابة هذا التحقيق،
١٤٢٩هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ دار العاصمة. الرياض.]

(٣) لا يجوز استعمال شيء من الأقيسة، التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المقيس والمقيس
عليه في الشؤون الإلهية.. فقياس التمثيل مبني على وجود مماثلة بين الفرع والأصل، والله ﷻ
لا يجوز أن يمثل بشيء من خلقه.. وإنما يستعمل في حقه قياس الأولي، ومضمونه: أن كل كمال ثبت للمخلوق؛
وأمكن أن يتصف به الخالق؛ فالخالق أحق بالتزوه عنه. انظر: [شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية
(٧٣-٧٤) شرح الشيخ: محمد خليل هراس، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ (السعودية) ومنهج شيخ الإسلام
ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (١/ ٣٤٦، ٣٤٧) د: إبراهيم البريكاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.]

سبحانه وكماله، اختلفوا في حقيقة النفس، والعقل، خلافاً كبيراً جداً، فكيف يصحُّ هذا [٣/ب] القياس؟!.

الوجه الثاني: أنَّ الأقانيم التي تقوّمت بها ذات الله عندهم، هي: جواهر قائمة بأنفسها؛ بدليل ما سنورده عند مجيء روح القدس في جسد حمامة^(١)، وأقانيم الإنسان التي تقوّمت بها ذاته ليست كلها جواهر؛ بل النطق والعقل صفتان، أمّا النطق فظاهرٌ، وأمّا العقل فلأنَّ الدليل دَلٌّ على أنَّه علومٌ ضروريةٌ، يعلم بها الإنسان جوازَ الجائز، واستحالة المستحيل، والعلم من قبيل الصفات.

ولو سلّمنا أنَّ العقل جوهرٌ كما قال بعضهم؛ لكان في كون النطق صفةً وليس بجوهر^(٢) كفايةٌ في فساد القياس.

الوجه الثالث: أنَّ قولهم: (واحدٌ بالذات، مُثَلَّثٌ بالصفات) يقتضي أنَّه سبحانه ذاتٌ قامت بها ثلاثٌ صفاتٍ، وهو فاسد لوجهين:

أحدهما: أنَّ ذلك ينافي قولهم (الابنُ، وروح القدس)؛ لأنَّ هذه جواهرٌ لا صفات،

(١) ونصه: (لَمَّا اعْتَمَدَ الْمَسِيحُ مِنْ يوحنا المعمدان أي: اصطبغ في المعمودية، فلما اعتمد يسوع وصعد من الماء فانفتحت له السموات، ورأى روح الله نازلاً كمثل حمامة، وفي لفظ إنجيل [لوقا]: أشبه جسد حمامة جاء إليه، وإذا صوتٌ من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) ورد في: [إنجيل متى: ٣: ١٦-١٧. مرقس: ١: ١٠-١١. لوقا: ٣: ٢١-٢٢. يوحنا: ١: ٣٢-٣٣-٣٤].

(٢) قال الجرجاني في تعريف الجوهر: (ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة: هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل؛ لأنه إمّا أن يكون مجرداً أو غير مجرد، فالأول - أي المجرد - إما أن يتعلق باليدن تعلق التدبير والتصرف، أو لا يتعلق، والأول - أي ما يتعلق - العقل، والثاني - أي ما لا يتعلق - النفس. والثاني: هو أن يكون غير مجرد، إما أن يكون مركباً، أو لا.

والأول - أي المركب - الجسم. والثاني - أي غير المركب - إما حال، أو محل، فالأول - أي الحال - الصورة، والثاني - أي الحل - الهيولى. وتسمى هذه الحقيقة الجوهرية في اصطلاح أهل الله: بالنفس الرحمانية والهيولى الكلية، وما يتعين منها وصار موجوداً من الموجودات: بالكلمات الإلهية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ لِكَلِمَةٍ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وأعلم أن الجوهر ينقسم إلى: بسيط روحاني، كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج، كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل، وإلى مركب منهما، كالمولدات الثلاث. [كتاب التعريفات (١٠٨-١٠٩) للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دون تاريخ الطبع].

فإن كانوا اصطلاحوا فيما بينهم على تسمية الجواهر صفاتٍ، أو الصفاتِ جواهرَ؛ فذلك إيهامٌ، وتلبسٌ لا حاجة بهم إليه، وهو على خلاف مصطلح الفلاسفة^(١)، والمتكلمين من الملتين، وغيرهم.

الثاني: أن صفات الله سبحانه أكثر من ثلاث، كالعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والكلام [٤/أ] وغيرها، من الصفات الذاتية والفعلية، فلم حصروها في ثلاثة؟. وجميع ما يذكرونه في تقدير انحصارها في ثلاثة أمور شُبّه إقناعيةً، واستثنائيةً، وشبهيةً، ليس فيها برهانٌ عقليٌّ، وكلُّ ما يوردونه من النظائر الثلاثية كذلك، فهو معارضٌ بالنظائر الرباعية، كالعناصر الأربعة^(٢) التي هي مبدأ العالم الكوني وما تفرع منها، ككيفيات الأبدان وأخلاطها، ونحو ذلك، وهو كثير أو بالنظائر الخماسية وما زاد عليها.



(١) في: (أ): الفلاسفة، وما أثبتّه من: (ب). وانظر: [رسائل في الأديان والمذاهب (١٠) د: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ دار ابن خزيمة، الرياض].

(٢) يعني بها: الهواء، والماء، والتراب، والنار. قال الجرجاني في تعريف العنصر: (العنصر: هو الأصل الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطباع، وهو أربعة: الأرض، والماء، والنار، والهواء. والعنصر الثقيل: ما كانت حركته إلى الأسفل، فإن كان جميع حركته إلى السفّل فتثقل مطلق، وهو الأرض، وإلا فبالإضافة، وهو الماء. والعنصر الخفيف: ما كان أكثر حركاته إلى جهة الفوق، فإن كان جميع حركته إلى الفوق، فخفيف مطلق، وهو النار، وإلا فبالإضافة، وهو الهواء. [التعريفات للجرجاني (٢٠٤)].

[المقدمة] الثالثة:

شبهة
النصارى
في
اعتقادهم
الباطل في
المسيح

إنَّما حمل النصارى على ما اعتقدوه في المسيح أمور ثلاثة:
أحدها: تَكُونُهُ من غير ذَكَرٍ، ثم ظهرت المعجزات على يديه، فقالوا: هذا لا
يصدر عن ولد زنا، وكانوا في هذا أعقل من اليهود^(١)، ولا نعلم له أبًا ناكحًا من
البشر؛ فتعين أَنَّهُ ابن الله؛ إذ هو ابنٌ، ولا ابنٌ إِلَّا له أبٌ.

فكان هذا من قبيل قياس الغائب على الشاهد، والاستقراء غير التام، وهو
فاسدٌ؛ إذ تأثير الله سبحانه في [٤/ب] إيجاد المسيح تأثير عُلِّيَّة، وقدرة أولية، لا تأثير
مباشرة وسببية، كتأثير الآباء المشاهدين في إيجاد أبنائهم، وقد نبههم الله سبحانه
على طريق الحق ولكن أنامهم الخذلان؛ حيث جعل إيجاد نوع البشر على أقسام
القسمة العقلية، فأوجد آدم إيجادًا صناعيًا، لا من أبٍ، ولا أمٍّ، وقد صرَّح القرآن
الكريم بقياس عيسى على آدم؛ حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ
آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وأوجد غالب ذريته
من أبوين.

هذان طرفان، والواسطتان:

إحدهما: حواء: اشتقت من جسد آدم ولا أم لها.

والثانية: المسيح، صلوات الله عليه، أوجده من مريم؛ بإحبال روح القدس

(١) هذا من إنصاف الطوفي رحمة الله عليه وتجرده، ومقصوده نفي تم اليهود عن المسيح ﷺ؛ إذ وصفوه بالقبايح،
قال الدكتور: أحمد شلبي: (يقول التلمود عن المسيح: إن يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين القار
والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري، «باندرا» عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام
القاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد
مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم اليهودي القيام به، وإنه من الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات
رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل). [اليهودية (٢٧٥) د: أحمد
شلبي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢ م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. وانظر: دراسات في الأديان، اليهودية
والنصرانية (١٠٠) د: سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ أضواء السلف، الرياض.].

لها، بنفخة نفخها في جيب درعها^(١)، فحملت بالقدره الأزلية، لا بالطريق البشرية العادية.

وروح القدس: هو جبريل ملك من ملائكة الله، وخلق من خلقه، لا صفة قائمة بذات الله، ولا ثالث مفهوم ذات الله؛ كما ظنَّه النصارى الضلال الجُهال. ولئن جاز أن يدعى في المسيح الإلهية؛ لوجوده من غير بشرٍ ذكرٍ؛ جاز بطريق أولى أن يدعى^(٢) ذلك في آدم وحواء؛ لأنَّهما أبوا المسيح من قبل أمه، وآدم خلقه الله بيده من غير ذكرٍ ولا أنثى، ونفخ فيه من روحه، بقدرته بغير واسطة روح القدس ولا غيره.

الأمر الثاني: ظهور الخوارق على يديه، كإحياء الموتى وإبراء المرضى، ونحو ذلك من الخوارق التي لم يظهر [٥/ أ] مثلها على يد نبيٍّ؛ لكن هذا لا يدل على أنَّه إله؛ وإلَّا كان جميع الأنبياء آلهة، أو يستحقون من الإلهية بقدر ما أتوا به من الخوارق، بل أعظم معجز المسيح إحياء الموتى، وقد أحيا (حزقيل)^(٣) ثمانين ألفاً، وهم: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٣]، وعيسى إنَّما أحيا أحاداً يسيرة. ومعجز موسى أعظم؛ لأنَّ إيجاد الحياة في جمادٍ لا أصل له في الحياة؛ أعظم من إيجادها فيمن له أصل في الحياة؛ لأنَّ الأول اختراعٌ، والباقي إعادة، وقد قال الله سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ الْأَرْضُ﴾ [الروم: من

(١) أخطأ الطوفي تَمَثُّلَه في مخالفته الأولى؛ ونص القرآن أولى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا فَتْحٌ مَبِينٌ﴾ [التحریم: ١٢].

(٢) في: (ب): كتبت: أيدي. والصواب من (أ).

(٣) نقل ابن كثير عن ابن جرير قوله: ثم من بعده كان القائم يأمر بني إسرائيل حزقيل بن بوذي وهو الذي دعا الله فأحيا الذين أخرجوا من ديارهم وهم أُلُوف حذر الموت. ومعنى اسمه: اسم عبري معناه «الله يقوي». وهو أحد أبناء الأنبياء الكبار، ابن بوزي، ومن عشيرة كهنوتية ولد وكبر ونشأ في فلسطين، [البداية والنهاية (١/ ٤٧٢)]. قاموس الكتاب المقدس (٣٠١-٣٠٥). قلت: قوله: (وقد أحيا (حزقيل) ثمانين ألفاً) وهذه غير مقبول عقلاً، وهذا العدد مضطرب كما سيأتي بعد قليل.

الآية ٢٧]، وأيضا عيسى كان يُحيي ميتاً ثم يموت، أو يصحبه حتى يموت، وموسى قَلِبَتْ له العصا حيةً مراراً كثيرة، وهذا لا شكَّ أعظم؛ فإذا موسى أولى بأن يتأله.

الأمر الثالث: ما ورد في أناجيلهم من كلام عيسى [ص ٥٠] (١) على زعمهم من قوله: «الأب، والابن، وأبي، ويا أبه، وإنَّ [ب/٥] أبي وآباءك»، ونحو هذا.

دور
اليهود في
تحريف
النصرانية

والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: منعُ كونِ هذا كله من كلام المسيح؛ وإنما هذا شيءٌ دُلَّس على النصرارى، وهم قومٌ جُهَّالٌ ينطلي عليهم المحال، والسبب في (٢) ذلك ما ذكره بعض علمائنا في كتاب (الفرق) له:

«أنَّ اليهود لما (٣) فعلوا بالمسيح ما فعلوا ألزمهم الله الذُّلَّ والصَّغارَ، وأظهر عليهم الرومَ في نصرته دين المسيح، فكانت اليهود ثبتت لمحاربتهم في أول الأمر، حتى أوهنهم النصرارى، وأيست اليهود من النصره عليهم؛ فقالوا: نحن مع هؤلاء مقهورون، وغرضنا أذاهم، وقد تعذر علينا ظاهراً، فلنجهدنا فيه باطناً بالتفريق بينهم، ثم دسوا لهم رجلاً منهم داهيةً (٤)، كان من أشدهم [نكاية] (٥) في النصرارى مشهوراً بذلك، فجاء إليهم بهيئة الذُّلِّ والصَّغار، والاستغفار والاعتذار، فقال: قد علمتم مكاني من عدوكم، وأنا الآن منكم أشدُّ ما كنتُ من عدوكم، وسببُ ذلك؛ أنَّي رأيتُ المسيحَ وهو يزجرني، ويلومني على تخلفي عن دينه. فقبلوه على نوع

ظهرت
خوارق
كثيرة
على
أيدي
الأنبياء
وبعضها
أعظم من
معجزات
المسيح.

(١) ليست في: (أ).

(٢) في: (ب). على.

(٣) ليست واضحة في: (ب).

(٤) هو (شاؤول) أو (بولس)، وقد مرت معنا ترجمته في الدراسة، وهو الذي بدل دين النصرانية وحرفه. وانظر: [سفر أعمال الرسل ٢٣: ٦. المسيحية بين التوحيد والتثليث (١٢٠)، والمسيحية (٨٢ و ٩٨) د: أحمد شلبي وحاشية إظهار الحق (١ / ٢٢٤-٢٢٥).] للشيخ: رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبع الرابعة، ١٤٢٤ هـ وقاموس الكتاب المقدس (١٩٦). [.

(٥) في (أ): مكانة، وفي (ب): تميل إلى ما أثبتناه؛ مما يدل عليه السياق، من كونه جاء ذليلاً معتذراً... الخ. والله أعلم.

تهمية، ثم أخذ في التعبد على دين المسيح حتى فاق عبّاد الملة، فصار مقدماً فيها، مسموع القول، فلما علم تمكنه في قلوبهم كتب بالإنجيل ثلاث^(١) نسخ مختلفة متباينة، ثم قال لهم: المسيح سيأتي في ليلة كذا في وقت كذا، وإني سأقرب نفسي له، وستجدوني في المذبح مذبوخاً، والإنجيل على صدري فاحفظوا به، ففيه هداكم. فقالوا: نعم. ثم إنهم وجدوه في ذلك الوقت مذبوخاً، والإنجيل على صدره مختلف [٦/ أ] النسخ، فأخذوها وتوازعوها، فكل فرقة قالت: إنجيلنا هو الحق، ففرقوا واختلفت [أهواؤهم]^(٢)، وتمت حيلة اليهود عليهم، وصاروا يخبطون في الضلال إلى الآن، وحتى الساعة^(٣).

وقال (وهب^(٤) بن منبه): (إن عيسى لمّا رفع تحيّر بنو إسرائيل، ثم أجمع رأيهم على أن يجتمع أشرافهم في مجلس واحد؛ ثم ينظرون فيجمعون على أمر يكونون^(٥) عليه، لا يختلفون فيه، فاجتمعوا فقال إبليس لاثنين من جنده: «اليوم أدرك بغيتي من بني إسرائيل؛ إن أدركتها يوماً ما»، ثم جاء بهما، فأجلسهما في ناحيتي الجمع، وجلس [٦/ ب] هو في ناحية، فلما اجتمعوا أخذوا في البكاء؛ لفقد المسيح؛ وخشية الفرقة والاختلاف، فقام أحد الشياطين^(٦)، فقال: «أيها الناس، حافظوا على

(١) في كلا النسختين (أ) و (ب): (ثلاثة) والصواب ما أثبتّه.

(٢) في النسختين (أهوائهم) والصواب ما أثبتّه.

(٣) انظر: [تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، (٧٣-٨٨)، بسمه أحمد جستنيّه، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ. دار القلم دمشق].

(٤) وهب بن منبه بن كامل الصنعاني وكان مولده في زمن عثمان سنة (٣٤)، من الطبقة الثالثة من التابعين، وثقه ابن حجر، وقال عنه الذهبي صدوق، وكان يتكلم في القدر إلا أنه ندم على ذلك، روى له البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه في التفسير، وقال مثني بن الصباح: لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً. ومن درر كلامه. توفي وهب سنة أربع عشرة ومائة. [سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٤٤) ميزان الاعتدال (٧ / ١٤٨) لسان الميزان (٧ / ٤٣٢)].

(٥) في (أ): يكونوا، وما أثبتّه من: (ب).

(٦) متى كان الشيطان واعظاً؟! وهذه القصة لا زمام لها ولا خطام، وهي من رواية وهب بلا سند مقبول.

أنفسكم، واحمدوا الله ربكم؛ إذ تولى أمركم بنفسه فنزل [نبيًا بينكم] ^(١) مدة، ثم عرج إلى سماواته ^(٢)

ثم قام الآخر، فقال: «لقد أحسنت أيها المتكلم، غير أنك زعمت أن المسيح هو الله، وأن الله لا ينزل من مكانه، ولكن المسيح ابنه، بعثه حتى دبر أمر الأرض مدة، ثم رفعه إليه». تحريف
النصارى
كلام الله
أوقعهم في
الضلال

ثم قام إبليس، فقال: «لقد أحستما أيها المتكلمان، غير أن الله لا ينزل، ولا له ولد، ولكن الله إله أهل السماء، والمسيح إله من في الأرض». ثم انفصّ الجمع على خلافٍ وفرقة، وفشا ذلك، وتفرّعت عليه تفاريع، وذُيِّل عليه تذييل، وكان ذلك بعد أن رفع عيسى بشمانين سنة فيما نقل ^(٣). نعم حُكي عن (الحسن البصري) ^(٤) أنه قال:

« تعلموا العربية فإنَّ النصارى ضلَّت بترك تشديدة واحدة، رأوا في الإنجيل: (يا عيسى أنت نبي وأنا ولدك)؛ أي أخرجتك مولودًا، فحَقَّقُوا اللَّامَ، ونسبوا الولادة

(١) عبارة مشكلة في الأصل، ولعل الميثب هو الأصح.

(٢) في تاريخ دمشق وردت العبارة هكذا: (فقال إن الله قد أكرمكم واختاركم على خلقه بأن نزل من السماء فكان بين أظهركم ما شاء أن يكون ثم عاد إلى سماواته فاشكروه بما صنع إليكم).

(٣) جاءت بلفظ قريب من هذا في: [تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديتها وأهلها (٤٧/٣٥٧-٣٥٨) للإمام العالم الحافظ: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩هـ - ٥٧١هـ، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م].

(٤) الحسن بن يسار البصري، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدّلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجاوز ويقول: حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حُدِّثُوا وخطبوا بالبصرة، ولد لستين بقتا من خلافة عمر. وأمة خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع فتشاغله أم سلمة بتدبيرها فيدران عليه فيرضع منهما، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله ﷺ، ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب قال: اللهم فقهِه في الدين وحبِّبه إلى الناس، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين. [سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣)]. تقريب التهذيب رقم الترجمة: ١٢٢٧ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ دار الرشيد. حلب. سوريا].

إلى الله»^(١). وهذا يدلُّ من كلام الحسن على أنه لم يكن فيما جاء به عيسى مما يذكر فيه التوليد إلا هذه اللفظة، وما سواها مختلق.

الثاني: بتقدير أن ما في هذه الأناجيل من كلام المسيح؛ إلا أنه محمولٌ على مجازٍ ظاهرٍ شائع^(٢)، وحمله على المجاز، أولى من حمله على المحال، وتقرير ذلك أن قوله: (الأب، والابن) بمعنى قولنا: الرَّبُّ والعبد، وسيأتي تصريحه في الإنجيل بأن الله سبحانه إلهه.

ووجهة التجوز أن بين الرب والأب قدرًا مشتركًا، وهو رحمة الرب عبده، ولفظ الأب ولده، وبين الابن والعبد قدرًا مشتركًا؛ وهو إعظام العبد سيده، [والابن]^(٣) والده، خصوصًا والمسيح صلوات الله عليه لم يكن له أبٌّ من البشر، فتولى الله من تربيته والقيام بأمره ما يتولى الأبُّ من ولده، فتأكد وجود [أ/٧] العلاقة المجوزة. ومن حكم المجاز: اقترانُ قرينةٍ به تدل عليه، وتمنع حمله على الحقيقة.

قال بعض فضلائنا: وليس في الإنجيل ذكر الأبوة والبُنة، بين الله سبحانه وعيسى إلا ومعه قرينة تدلُّ على أن المراد المجاز. وسأستقره إن شاء الله [٧/ب]

(١) في (سفر المزامير): (إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك). قال ابن منظور: (حكى أبو عمرو عن نعلب قال: ومما حرفته النصارى أن في الإنجيل يقول الله تعالى مخاطبًا لعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنت نبيي وأنا وَلَدْتُكَ أي: ربيُّكَ، فقال النَّصَارَى: أَنْتَ نَبِيُّي وأنا وَلَدْتُكَ وَخَفَّفُوهُ وجعلوا له ولدًا - سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا -). وقال القرطبي: (.. كما هو مكتوب أيضًا في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك الخ) [سفر المزامير (٢: ٧)]. لسان العرب (٣-٤٧٠) والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٤٥٥-٤٥٦) طبع دار العاصمة بالرياض ١٤١٤ هـ بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان (رسالة دكتوراه للثلاثة). الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام (٤٧١-٤٧٢) الإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله. تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. ١٣٩٨ هـ دار التراث العربي - القاهرة.

(٢) في (ب): سائع.

(٣) في (أ): (ابن لا والده) والصواب من (ب).

سبحانه موضعاً موضعاً، من فصلٍ فصلٍ، من الأنجيل الأربعة، مع ذكرى كل ما فيها مما يقدح في مذهب النصارى.

وأما بيان استحالة نسبة البنوة لعيسى إلى الله؛ فلأنا نقول:

لا يخلو أن يريدوا بالأبوة، والبنوة ما سبق، من تركيب الذات من ثلاثة أقانيم، الأب، والابن، وروح القدس، كما أن ذات الإنسان متقومةً بالنفس، والعقل، والنطق، أو أنه متوحد الذات، متعدد الصفات، أو الأبوة والبنوة الحقيقية المتعارفة بيننا، أو أن الله سبحانه خلق عيسى بقدرته، وسموهما^(١) أباً وبناً، والأول قد سبق الكلام عليه في المقدمة الثانية، والثاني مجمع على بطلانه عندنا وعندهم، والثالث هو ما ندعيه من المجاز، والله أعلم.



(١) كتبت في (ب): وسموها.

استقراء الأناجيل الأربعة^(١)

أولاً: إنجيل متى

وهذا حين الشروع^(٢) في استقراء ما أوردنا استقراءه من الأناجيل، فمنها إنجيل (متى)^(٣) الذي كان يسمى: لاوي، وهو من سبط إيشاخز، من مدينة الناصرة^(٤)، واسم أبيه: دوقو، واسم أمه: كاروثياس، وكتب بداية^(٥) هذا الإنجيل بـ (فلسطين)^(٦)، وكمله في الهند عبرانياً في السنة الأولى من ملك (أقلوديوس)، وهي التاسعة من صعود المسيح صلوات الله

(١) هذا العنوان من وضعي لترتيب الكتاب وهي أصلاً مستفادة من كلام الطوفي رحمه الله.

(٢) في (أ): (الشرع): (شَرَعْتُ) في الأمر (أَشْرَعُ)، (شُرُوعًا) أخذت فيه. [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (١/ ٣١٠) الإمام: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت].

(٣) متى: من الاسم العبري: (مَتَّى) الذي معناه (عطية يهوه) - بزعمهم - وهو أحد الاثني عشر رسولاً، وكاتب الإنجيل المنسوب إليه، وسمي أيضاً لاوي ابن حلفى، وكان في الأصل جايلاً في كفر ناحوم، ودعي من موضع وظيفته. وكانت وظيفة الجباية محتقرة بين اليهود لأنّها أفادت متى خبرة بمعرفة الاشغال. ولم يذكر شيء من أتعابه في العهد الجديد لأنّه كان من جملة الذين اجتمعوا في العلية بعد صعود المسيح، وزعم يوسيبوس أنه بشر اليهود. [قاموس الكتاب المقدس (٨٣٢)]. هناك عدة أدلة تدل على عدم صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري منها: أن النصارى لم ينقلوه بالسند. وأن كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيراً على إنجيل مرقس كما قرر ذلك الكتاب والباحثون من النصارى وغيرهم، ومرقص في كلام النصارى تلميذ لبطرس، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريين على تلميذ من تلاميذهم في الأمور التي هم شاهدوها وعانوها وعاشوا أحداثها؟ [انظر: دراسات في الأديان (١٥٣) قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأناجيل (١٣)].

(٤) الناصرة: اسم عبري ربما كان معناه: (القضب) أو (الحارسة) أو (المحروسة) أو (المحبوسة). وهي مدينة في الجليل، أي في الجزء الشمالي من فلسطين. وهي تقوم على جبل مرتفع ويرى منها جبل الشيخ والكرمل وطابور ومرج ابن عامر، وفيها نشأ المسيح وترعرع وصرف القسم الأكبر من الثلاثين السنة الأولى من حياته، ولذلك لقب (يسوع الناصري)، نسبة إليها وذلك أيضاً لقب تلاميذه (الناصريين). وتشتهر الناصرة بأنها أكبر مدن منطقة الجليل، وفيها عدد كبير من الأديرة والكنائس. سقطت تحت الاحتلال الصهيوني عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، سكانها حوالي ١١٠ آلاف نسمة تقريباً. [قاموس الكتاب المقدس (٩٤٦). موسوعة (١٠٠٠) مدينة إسلامية (٤٩٢) عبد الحكيم العفيفي. ط ١، ١٤٢١هـ أوراق شرقية، بيروت]. قال ابن كثير: ﴿قَالَ الْخَوَارِثِيُّونَ نَحْنُ أَصْحَابُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٥٢] وكان ذلك في قرية يقال لها: الناصرة فسموا بذلك: النصارى. [البداية والنهاية (٢/ ٨٥)].

(٥) في (أ): بذاته، والصواب من (ب).

(٦) وتسمى في القديم أرض كتعان، وسيأتي.

عليه، ومات (متى) شهيداً رجماً بمدينة (بصرى)^(١) ودفن في (أرطاجنة قيسارية)^(٢). نقلت هذا من مقدمة إنجيله من نسخة صحيحة^(٣).

فمن ذلك: ما ذكر فيه من مولد المسيح: (أَنْ يَوْسُفَ بْنَ دَاوُدَ الصَّدِيقِ، هَمَّ بِخِطْبَةِ مَرْيَمَ، فَوَجَدَهَا حَامِلًا)^(٤) من روح القدس؛ فهَمَّ بِتَرْكِ خِطْبَتِهَا، فَظَهَرَ لَهُ مَلَكُ الرَّبِّ وَقَالَ: يَا يَوْسُفَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ خَطِيئَتَكَ؛ فَإِنَّ الَّذِي تَلَدَهُ هُوَ مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ، وَسَتَلِدُ ابْنًا وَيَدْعِي اسْمَهُ يَسُوعَ، وَهُوَ مُخَلَّصٌ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا الْعِذْرَاءُ تَلِدُ ابْنًا يَدْعِي اسْمَهُ: عِمَّاנוئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا)^(٥).

قلتُ: ضَلَّتْ النِّصَارَى مِنْ هَذَا الْكَلَامِ بِمَوْضِعَيْنِ، أَحَدَهُمَا:

قوله: (وهو مُخَلَّصٌ شَعْبِهِ [٨/ب] مِنْ خَطَايَاهُمْ)^(٦).

وقوله: فِي آخِرِ الْفَصْلِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ: (لَمْ يَأْتِ ابْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا لِيَطْلُبَ

(١) بصرى: موضع بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، ولما سار خالد بن الوليد من العراق؛ لمدد أهل الشام قدم على المسلمين، وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم، على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة، وافتتح المسلمون جميع أرض حوران، وغلبوا عليها وقتلوا ذلك في سنة ٣١ هـ [معجم البلدان (١/٤٤١)].

(٢) قيسارية بالفتح: بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل وأما الآن فليست كذلك وهي بالقرى أشبه منها بالمدن. [معجم البلدان (٤/٤٢١)]، ياقوت بن عبد الله الحموي. دار الفكر - بيروت. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية (٣٧٧)].

(٣) قلت: تاريخ تدوين الأنجيل غير مضبوط، وإنما هو تقريبي، وإنجيل متى مشكوك في تاريخ تدوينه وفي شخصية كاتبه، مشكوك في لغة تدوينه، مشكوك في مترجمه والنسخة الأصلية مفقودة ولادليل على وجودها، وقول الطوفي: (نقلت هذا من مقدمة إنجيله من نسخة صحيحة) أي: صحيحة في نظرهم هم. والله تعالى أعلم.

(٤) يقال امرأة حامل وحاملة. فمن قال حامل قال: هذانت لا يكون إلا للإناث. ومن قال: حاملة، بناء على حَمَلَتْ، فهي حاملة. قال: تَمَخَّضَتِ الْمَوْنُ لَهُ يَوْمٌ *** أَنَّى وَلَكُلْ حَامِلَةٌ تِمَامٌ. [معجم مقاييس اللغة (٢/٢٠٦)] أبو

الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م].

(٥) إنجيل متى: ١: ١٨-٢٢.

(٦) إنجيل متى: ١: ١٨-٢٢.

ويخلص من كان ضالا^(١).

وقوله: آخر الفصل الثالث والأربعين: (ابن الإنسان لم يأت ليُخَدَم بل ليُخْدَم، ويبدل نفسه عن كثير)^(٢).

فاعتقدوا [٨/أ] لسخافة عقولهم أن الباري سبحانه لما أراد أن يتدارك آدم عقيدة التجسد وذريته من أيدي الشياطين؛ بعدما أهلكوهم بالإغراء بمعصيته، الموجبة لعقوبته، عند النصارى وأصل ابتداعها تولي ذلك بنفسه، فجسّد كلمته في بطن مريم، ثم ظهر ناسوتاً في لاهوت، فافتدى عصاة بني آدم من النار؛ بأن جاد بنفسه حتى صُلب، ثم عاد فدخل النار، فأخرج منها عصاة بني آدم.

واعلم أن هذه خرافات^(٣) عظيمة القبح؛ تجلّ^(٤) عقول العقلاء عن قطع طعن مصنفي النصارى في الإسلام ونبوة النبي ﷺ يوجب الرد عليهم الأوقات في حكايتها، والإجابة عنها، وإنما فعلنا ذلك على جهة التروّح بها؛ ليسخرَ منهم من لا يعرف مقالتهم!. وأيضاً فإن الأمر أفضى بهم إلى أن صَنَّفُوا كتباً، يطعنون بها في دين الإسلام، ويقدحون بها في نبوة محمد ﷺ، يُخشى منها على ضعفى^(٥) المسلمين، فأردنا أن نُبيِّن فساد رأيهم ليجتنبه من يُدعى إليه، وفساد عقولهم؛ لئلا يغترّ بها من يسمع قدحهم في الدين، ولا يعول عليه، ولعمري إنهم في طعنهم في دين الإسلام لكما قيل في المثل: «لقد تحككت العقربُ بالأفعى، واستنتت الفصائل حتى القرعى»^(٦). وفي هذا الكلام نقدٌ، واعتراضٌ، وتناقضٌ:

أمّا النقدُ، فيقال له: ما تعنون بقوله: وهو مخلص شعبه؟، إن أردتم عالمَ عصره،

(١) إنجيل متى: ١٨: ١١-١٢.

(٢) إنجيل متى: ٢٠: ٢٨.

(٣) الخرافة: الحديث المُستَنكح من الكذب. [لسان العرب (٩/٦٢)].

(٤) في: (أ): يجل، والمثبت من (ب).

(٥) في كلا النسختين: (أ) و(ب) (ضعيفي)، ولعل الصواب: ضعفاء أو ضَعْفَى، والله تعالى أعلم.

قال في القاموس المحيط: (ضِعَافٌ وَضَعَفَاءُ وَضَعَفَةٌ وَضَعْفَى وَضَعَائَى) [القاموس المحيط (١/١٠٧٢)].

(٦) قالوا: تحككت العقرب بالأفعى يضرب لمن ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شراً. يقال: تحكك به، إذا تعرض

لشره. [حياة الحيوان الكبرى (٢/٧)، الشيخ كمال الدين الدميري، دار الفكر، بيروت].

فهو تخصيصٌ ينافي قولكم: إنه نزل ليُخلص ذرية آدم من مكر الشياطين.

وإن أردتم بشعبه جنسه من ذوي الناسوت، وهم بنو آدم فهو قريب؛ لكن عليه الاعتراض المذكور.

وتقريره: أنا وإياكم متفقون على أن الباري سبحانه قادرٌ كاملُ القدرة، وبقدرته احتججتم على جواز كونه ذاتاً لها ثلاثة أقانيم؛ كالزُّبرة^(١) المحمّاة ذات الحديد والنار والشرر، والشمس ذات الجرم، والنور الفاض والشعاع، ونحو ذلك من أمثلتكم القبيحة اللعينة.

وإذا كان قادراً مختاراً فأبى حاجة به إلى أن يتجسّد، ثم وجود بنفسه ويسلمها للصلب؛ ليفتدي بني آدم من النار، هذا شأنُ العاجزين [٩/ب] لا القادرين، وإن كان فعل هذا مع قدرته فهو طعنٌ في حكمته؛ إذ ذلك عبثٌ مع إمكان الاستغناء عنه، وما هذا إلا بمثابة المثل السخيف السائر (آخر وطمه، حتى يصير لك عملين)^(٢)، وسخافة رأيكم توجب لخصمكم مقابلته بسخافةٍ من جنسه.

وأما التناقض؛ فإن أصحاب الأنجيل كلهم ذكروا أن المسيح لما أحسّ بالقتل حزنَ واكتئب، وجعل يصلي، ويقول: (يا أبي، إن كان يستطاع فليغير عني هذا الكأس [٩/أ] وليس كإرادتي ولكن كإرادتك)^(٣)، فكيف وجود بنفسه ثم يبخل بها عند الحاجة؟، وهذا التناقض واردٌ سواء قلتم إن المسيح هو الله، أو ابنُ الله.

وإذا نظر الناظر بعقلٍ صحيحٍ لم يحتج إلى هذه الخرافات، بل هذا الرُّجُل كان آيةً من آيات الله، وعبدًا من عباده، ورسولاً كريماً إلى خلقه، دعا الناس إلى طاعة ربّه، فخلص منهم من الضلالة من سبقت له السعادة، وكذلك كلُّ واحدٍ من الرسل كان

(١) الزُّبرة بالضم القطعة من الحديد والجمع زُبُر قال الله تعالى: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ (الكهف: من الآية ٩٦).

[مختار الصحاح (٢٨٠) مادة: (ز ب ر)].

(٢) مشكّل عليّ هذا اللفظ والمعنى، وهكذا هو في النسختين، ولم أجده في كتب الأدب واللغة والأمثال التي اطلعت عليها، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) إنجيل متى ٢٦: ٣٩، وانظر إنجيل لوقا ٢٢: ٤٢.

سبباً لخلاص من أطاعه، فهذا كلامٌ لا غبرة عليه عند أحدٍ من العقلاء، ولا يرد عليه ما ورد على خرافات هؤلاء الجهال الضلال، من التناقض والمحال.

الموضع الثاني: قوله: الله معنا. فإنهم حملوه على حقيقته، وعدلوا عن المجاز المزيل للإشكال، مع أنهم إذا أُورِدَ عليهم شيءٌ من حقائق التوراة والإنجيل، المفسد لرأيهم لجأوا إلى دعوى المجاز، وهذا تكلفٌ، احمَلوا هذا على مجازه الواضح، واستريحوا من دعوى المجاز البعيد في غيره.

ووجه المجاز: أن المسيح، صلوات الله عليه، لمَّا كان آيةً من آيات الله، اعتقاد
السلف
في المعية
ورسولاً من رسله، أظهر معجزاته، وبلغ رسالاته، وأمر بأمر الله، ونهى بنهيه، صحَّ
أن يقال: إن الله معكم؛ بمعنى رسوله، وحكمه، وأمره ونهيه معكم؛ لأنَّ إطلاق
المجاز يكفي فيه أدنى علاقة واضحة، فكيف بهذه العلاقات الكثيرة الهائلة؟!؛
ولكن هؤلاء لجهلهم، وكثرة العلائق، اشتبه عليهم المجاز بالحقائق؛ فله درُّ
العرب، ما كان أصفى أذهانهم، وأكمل عقولهم.

انظر إلى أبي بكر الصديق^(١)، لمَّا قال له رسول الله ﷺ [١٠/ب]:
﴿لَا تَخْزَنَ ابْنُ اللَّهِ مَعَنَا﴾ [التوبة: من الآية ٤٠] كيف حملها على مجازها مبادراً،
وعلم أن المراد كونه سبحانه لهم معيناً وناصرًا.

وكذلك الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: من الآية ٤] أي
بعلمه، أو بذاته على وجه لا يلزم منه مُحال. والنبِيُّ القائلُ المشارُّ إليه في هذا الفصل
أظنُّه (أشعيا)؛ لأنه الذي كان قبل المسيح وبشَّره، وقد صرَّح به في مواضع من
الإنجيل، والله أعلم.

ومن ذلك في الفصل الثاني: (أن ملك الرب تراءى ليوسف في المنام قائلاً: اهرب

(١) في هذا دلالة على ثبوت الطوفي من تهمة التشيع؛ إذ الشيعة الرافضة لا ينعنون أبا بكر ﷺ بالصديق؛ بل يكفرونه
ويتهمونه بالظلم لفاطمة رضي الله عنها، وهذا مشهور عنهم، ولو كان الطوفي منهم لانتهج منهجهم.

بالصبي وأمه إلى مصر؛ لئلا يهلكه هيرودس^(١)؛ فهرب به لكي يتم ما قيل من قبل الرب للنبي القائل: من مصر دعوت ابني^(٢).

قلت: وهذا عليه إشكالان:

أحدهما: أن المسيح إما أن يقال هو الله، أو ابن الله، أو أنهما واحد كما زعموا فيهما، وفي روح القدس، فإن كان هو الله، أو هما واحد؛ فأرى إله النصراني بعد أن كان مطلق العنان، في أمان [١٠ / أ] من الحرمان،^(٣) حبس نفسه في ناسوت، يحتاج معه إلى الفرار من الأشرار، ولم يُعهد مثل هذا الفعال؛ إلا من المجانين والجُهال! لا من الإله المتعال، بالعظمة والجلال، سبحانه عن هذا المقال.

وإن كان هو ابن الله فععله ذلك كفعله إياه بنفسه، لا فرق بينهما، وقد بينا أن لا غرض في ذلك صحيح، ولا فائدة مرغوب فيها، غير السّفه والعبث، والعقول المنبئة عن الخُبث والخَبث^(٤)؛ إذ كل ما حصل من الفوائد بإيجاده بالإنسان وصلبه، وغير

(١) هيرودس: اسم عدد من حكام وملوك فلسطين، أو بعض أجزائها أو بعض المناطق القريبة منها. وفي العهد الجديد ذكر أربعة بهذا الاسم وكان ذلك أثناء الحكم الروماني على فلسطين. منهم: هيرودس الكبير. وهو الابن الثاني لانتياس، الادومي الأصل. وكانت أمه ادومية أيضًا لذلك لم يكن يهوديًا من ناحية الجنس مع أن الادوميين كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودي بالقوة منذ سنة ١٢٥ ق. م. وكان قيصر قد عين انتياتر حاكمًا على اليهودية سنة ٤٧ ق. م. ولد يسوع (عيسى عليه السلام) في أواخر أيامه، بعد أن كانت نقمة الشعب عليه، وخوفه من منافسة أعدائه، قد بلغت أشدها. ولذلك أسرع الأمر بقتل جميع الأطفال في بيت لحم، حتى لا ينجو ابن داود، ولا يملك على اليهود ويترع على عرشه، ولكن الوقت لم يمهله كثيرًا. إذ مرض مرضًا خطيرًا، وسافر إلى شرقي الأردن للاستشفاء بحمامتها، ثم عاد إلى أريحا أسوأ مما كان عليه قبلاً. وهناك مات، وهو في السبعين من عمره، بعد ملك أربعمائة وثلاثين سنة، وكأنه لم يشأ أن يودع الحياة على عكس ما كان في حياته. فأمر بقتل وجهاء القدس ساعة موته، حتى يعم الحزن المدينة ولا يجد أحد السكان فراغًا ليتجهج بموت ملكه المكروه. [قاموس الكتاب المقدس (١٠٠٨-١٠١١)].

(٢) إنجيل متى: ٢: ١٣-١٤-١٥.

(٣) لعلها: الحد، وتبقى الكلمة محتملة، في كلا النسختين.

(٤) الخَبْثُ: ضد الطَّبِيبِ من الرُّزْقِ والولَدِ والنَّاسِ، والخَبْثُ: النجس. [راجع: لسان العرب (١٤١) مادة: (خ ب ث) مختار الصحاح (١٩٦)].

ذلك من العظام كان قادراً أن يخلصه^(١) بدونه.

الإشكال الثاني: قوله: «من مصر دعوت ابني»، وهو أنه قد كان يمكنه أن يجعل مولده بمصر، أو يجعل ذهابه إليها على غير هذا الوجه، ثم يدعوه منها، وعلى هذا الإشكال إشكال. وأمّا القرينة الدالة على أن المراد هنا بالابن: العبد، فقد سبق تقريرها، وهو أنه ليس مولوداً لله الولادة العرفية البشرية، ولا هو جزءاً من ذات الله الآن؛ بانفصاله عنها في العيان، ولا صفة لذاته؛ لأنه جوهر منفصل، فتعين أن المراد [١١/ب] العبودية بلفظ البتوة بالدليل السابق.

ومن ذلك في الإصحاح الثالث: (لَمَّا اعْتَمَدَ الْمَسِيحُ مِنْ يوحنا المعمدان)^(٢) أي: اصطبغ في المعمودية^(٣)، فلما اعتمد يسوع وصعد من الماء فانفتحت له السموات،
(١) في: ب: يحصله، وما أثبتته من (أ).

(٢) يوحنا المعمدان: وهو (يحيى عليه السلام) مهية طريق المسيح، وابن زكريا الشيخ (زكريا عليه السلام) وزوجته (البصبات) وكلاهما من نسل هارون. ويستدل من لوقا أن ولادته كانت قبل ولادة المسيح بستة أشهر. وكان أبواه يسكنان اليهودية. ولد يوحنا سنة ٥ ق. م. وحسب يوحنا أن المسيح شهد فيه أعظم شهادة إذ قال: «لم يبق بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان». قتل بامر هيرودس، قال تعالى: ﴿وَكُنْهَا زُكْرًا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْجُرَابُ وَبَعْدَ عِنْدَهَا رَوْحًا قَالَ يَرْمِمُ أَنَّ لِلَّهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ رَزَقُنِي مِنْ يَشَاءُ يَتَغَيَّرُ حِسَابُ ﴿٣٨﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ فَدَادَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَعِيْنٌ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمَكْلُوبِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَخِيَ بِالْقَمِيصِ وَالْإِبْرَةِ ﴿٤٢﴾ [آل عمران ٣٧-٤١] قال أبو عبيدة القاسم بن سلام: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: قدم بختنصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فأخبروه فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وأن قصة بختنصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري فانه أعلم وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية: كأنما قتل الساعة. وذكر في بناء مسجد دمشق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة فانه أعلم.. [قاموس الكتاب المقدس ١١٠٦-١١٠٨] قصص الأنبياء لابن كثير (٤٧٧-٤٨٩).

(٣) طقس الغسل بالماء (بزعم النصارى) رمزٌ للنفَاوة والانتخاظ في سلك طائفة ما. وقد عرف اليهود هذه العادة =

ورأى روح الله نازلاً كمثّل حمامة، وفي لفظ إنجيل [لوقا]^(١): أشبه^(٢) جسد حمامة جاء إليه، وإذا صوتٌ من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت^(٣).

قلت: هذه القصة مما تستأصل مذهب النصارى؛ لأنهم إن قالوا: أن المسيح هو الله، فهذه مكابرةٌ للعيان؛ إذ المسيح هاهنا منفردٌ بذاته عن الله سبحانه، وعن روح القدس في هذه الحال، أعني حال هبوط روح القدس من السماء، فيكون الله سبحانه هو المسيح، وليس هو المسيح هذا خُلف^(٤).

هدم
اعتقاد
النصارى
من واقع
كتبهم

وإن قالوا: مجموع الثلاثة هي ذات الله، فهي الآن مفترقةٌ قطعاً، ولا يدرك بينها^(٥) رابطة تجمعها^(٦) جسّاً ولا عقلاً، فلا يخلو من أن يكون افتراقها بعد أن كانت ذاتاً واحدة، أو أنها بعد هذا الافتراق اجتمعت وتضامّت؛ حتى صارت ذاتاً واحدة. والتقدير أن مُحالً على الباري سبحانه؛ لاستحالة الاجتماع والافتراق عليه، بالأدلة الكلامية، والبراهين الفلسفية.

= واستعملوها، وهي تشبه الختان في العهد القديم، ويزعمون أن المعمودية تختتم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان والبنوة وغفران خطاياهم بموت المسيح وقيامته. [انظر: قاموس الكتاب المقدس (٦٣٧). النصرانية، نشأتها التاريخية، وأصول عقائدها (١٢٥) د: عرفان عبد الحميد فتاح، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن].

(١) في: (ب) دون (أ).

(٢) في: (ب): (شبه).

(٣) إنجيل متى: ٣: ١٦-١٧. مرقس: ١: ١٠-١١. لوقا: ٣: ٢١-٢٢. يوحنا: ١: ٣٢-٣٣-٣٤.

(٤) الخلف: اسم للشئ الرديء والمحال ولذلك سمي القياس به وهذا التفسير أشبه مما يقال إنه سمي به لأنه يأتي المطلوب من خلفه أي من ورائه الذي هو نقيضه. والخلف لا يتوجه إلى إثبات المطلوب أولاً بل إلى إبطال نقيضه، ويشتمل على ما يناقض المطلوب ولا يشترط فيه التسليم بل تكون المقدمات بحيث لو سلمت أنتجت، ويكون المطلوب فيها موضوعاً أولاً، ومنه ينتقل إلى نقيضه. ويجوز أن يسمى هذا قياس الخلف، لأنك ترجع من النتيجة إلى الخلف، فتأخذ مطلوبك من المقدمة التي خلفتها كأنها مسلمة ويجوز أن يسمى قياس الخلف لأن الخلف هو الكذب المناقض للصدق، وقد أدرجت في المقدمات كاذبة في معرض الصدق، ولا مشاحة في التسمية بعد فهم المعنى. [معيار العلم لأبي حامد الغزالي (٢٩). الإشارات والنبهات لابن سينا. مع شرح نصير الدين الطوسي (١/ ٤٥٧-٤٥٣) بتحقيق ذ: سليمان دنيا، الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة].

(٥) في (ب): بينهما.

(٦) في (ب): تجمعهما.

وأيضاً: دَلَّ الدليل على أَنَّ القديم لا يتطرق عليه التغيُّر الذاتي عما كان عليه في القدم. وإن قالوا: المسيح [١١/أ] ابن الله، فقد سبق تقريرُ البُتوة، وأنها لا تُمكنُ إلاً على وجه المجاز، وأنَّ المراد: عبيدي، وعبد الله.

ومن ذلك، في بقية هذا الإصحاح: (لَمَّا قَالَ إِبْلِيسُ لِلْمَسِيحِ: إِنْ كُنْتَ مِنْ اللَّهِ، فَانْطَرِحْ مِنْ هَذَا الْهَيْكَلِ إِلَى أَسْفَلِ، فَقَالَ لَهُ: مَكْتُوبٌ لَا يُجْرِبُ الرَّبَّ إِلَهَكَ.. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ أَيْضًا: إِنْ خَرَرْتَ لِي سَاجِدًا أُعْطِيْتُكَ مَمَالِكَ الْعَالَمِ؛ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ وَرَائِي يَا شَيْطَانُ، مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهَكَ اسْجُدْ، لَهُ وَحْدَهُ اعْبُدْ، حَيْثُذِ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ)^(١) وهذا تصريحٌ من المسيح أَنَّ اللهَ إِلَهَهُ وَأَنَّهُ مَالُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، عَبْدٌ لِرَبِّهِ.

وبهذا ونحوه يظهر لكل عاقل أَنَّ المراد بالبُتوة حيث [١٢/ب] أُطلقت؛ العبوديةُ المنصوصُ عليها هاهنا^(٢)؛ لأنَّ المسيحَ لو كان هو الله، لاستحال أن يكون هو إله نفسه، وأنَّ يَعْبُدَ نفسه، ولو كان ابنه كان يقول: لا تجرب أباك والربَّ أباك، اسجد له.

فَلَمَّا صرَّحَ بلفظ الإلهية دَلَّ على ما ذكرناه.

فإن قيل: إنَّ المسيحَ له جهةٌ لاهوتٍ، وجهةٌ ناسوتٍ؛ فبجهة اللاهوت يقول: (أبي، والأب، والابن)، ونحوه، وبجهة الناسوت يقول: (إلهي وإلهك) ونحوه؛ فاختلافُ العبارتين لاختلافِ الجهتين، فلا استحالة، فالجواب من وجهين: أحدهما: إنما^(٣) يمتنع أن في المسيح لاهوتاً أصلاً، بل هو ناسوتٌ محضٌ، والسرُّ الذي قام به إنما هو أثرٌ من آثار قدرة الإله^(٤) سبحانه. فإن جعلتم هذا القدر^(٥) لاهوتاً

(١) إنجيل متى: ٤: ١-١١. لوقا: ٤: ٢-١٤.

(٢) في (ب): (هنا).

(٣) في (أ): (إمّا).

(٤) في (ب): (الله).

(٥) في (ب): (هذه القدرة).

يستحق أن يسمى به الله، أو: ابن الله؛ لزمكم مثله في جميع الأنبياء، الذين أودعوا أسرار الله، وأظهروا الآيات والمعجزات.

والدليل على أنه لا لاهوت في المسيح هو أن يقال: المسيح، إمّا أنه هو الله، أو ابن الله، والأول: باطلٌ من هذا الكلام؛ لأنه لو كان هو الله لما أضاف الإله إلى نفسه؛ لأنّ ذلك [مستلزمٌ للتغاير، المنافي للاتحاد]^(١).

وإن كان هو ابن الله؛ فاللاهوت الذي فيه إمّا أن يكون قائمًا به مع اتصاله بالله، أو مع انفصاله عنه، والثاني: باطلٌ؛ وإلا لزم انقسام اللاهوت وهو لا يقبل الانقسام، والأول: باطلٌ؛ لأنّ اللاهوت إمّا جوهرٌ أو عرضٌ، ولو^(٢) كان [الأول]^(٣) أدرك بالبصر^(٤)؛ إن كان كثيفًا كالجبل، أو بالسمع أو غيره إن كان لطيفًا كالهواء.

ولا يقال: يجوز أن يكون مجردًا عن المادة فلا يدرك إلا عقلاً؛ لأنّا نقول: هذا لا يصح على قولكم؛ لأنّ اللاهوت من الإله^(٥) سبحانه، والتوراة [١٢ / أ] والإنجيل^(٦) كلّها دالة على جسمية الرّبّ سبحانه^(٧)، والجسم^(٨) ليس مجردًا، فلا يصحّ أن يدعى في اللاهوت ذلك، وهو فرعٌ على الإله؛ لثلاّ يثبت للفرع ما ليس لأصله، ولا يجوز أن يكون عرضًا^(٩)؛ لأنّ العرض لا يبقى، ولاهوت عيسى لم يفارقه عندهم.

(١) في (ب): (يستلزم... الاتحاد) فسقط منها: (للتغاير المنافي).

(٢) في (ب): وإن.

(٣) في (ب): (الأول.... إن كان كثيفًا)، وبها سقط. و(الأول) زيادة من (ب).

(٤) ليست في: (ب).

(٥) في (ب): (من الله).

(٦) في (ب): (الإنجيل).

(٧) في (ب): (فأنتم مجسمة علماؤكم) وهي عبارة غير مفهومة.

(٨) انظر: [الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (٢١-٤٠) د: محمد علي البار. دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٩٠-٩٣) الذات الإلهية في الذات المحركة، د: سعود الخلف].

(٩) العرض الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به والأعراض على نوعين: ١- قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد. ٢- غير قار الذات وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون.

الوجه الثاني: أن النزاع إنما وقع في عيسى من جهة لاهوته لا من جهة ناسوته؛ إذ هو من جهة ناسوته كسائر الناس، وهو في هذا المقام في مناظرة إبليس وجداله، وكان اللائق بحكمته حيث قال: (اسجد لي) أن يناقضه ويقول [١٣/ ب]: أنا إله، أو ابنُ الإله، كيف اسجد لك وأنت عبد سوء؟! فلما أجابه بالاعتراف بالوهمية الله، والتعبد له دلَّ على أن جهته [واحدة]^(١) وهي: العبودية، وأن لا جهتين له كما ذكرتم.

ومن ذلك: قوله في الفصل الخامس: (افرحوا وتهللوا، فإنَّ أجركم عظيمٌ في السموات؛ لأنَّ هكذا طرد^(٢) الأنبياء الذين قبلكم)^(٣) [وقال بعد هذا: (لا تظنُّوا أني جئت لأجل التاموس، أو الأنبياء، إنما جئت لأكمل^(٤))، وصرَّح بذكر الأنبياء في غير موضع]^(٥). فهذا اعترافٌ منه بنبوة من كان قبله.

وفي الفصل العاشر، من إنجيل يوحنا، في سياقٍ مثل ضربه لهم في الراعي والخراف، قال يسوع: (الحقّ، الحقّ أقول لكم، أنا هو باب الخراف، وجميع الذين قبلي كانوا للصوفِ وسراقاً^(٦)، لكن الضأن لم تسمع لهم)^(٨).

وهذا إنكارٌ لنُبوءِ من كان قبله، وهذا تخليطٌ من هؤلاء الإنجيليين، أو ممن نقلها بعدهم من العجمية إلى العربية، وبالجملَة؛ هذا كذبٌ على المسيح، فإنه كان رسول الله مصداقًا لمن قبله وبعده من الرُّسل.

[التعريفات للجرجاني (١٩٢)].

(۱) زیادة من: (ب).

(۲) فی: (ب): طردوا.

(۳) انجیل متی: ۵: ۱۲.

(٤) انجيل متى: ٥: ١٧.

(٥) ليست في (أ)، وهي زيادة من (ب).

(٦) في (أ): سراق. والمثبت من (ب).

(۷) وردت فی (أ) مرتین۔

(٨) إنجيل، يوحنا: ١٠: ٧-٨.

وفي هذا الفصل من إنجيل متى: (هكذا^(١) ليضيء نوركم قدام الناس، فيرون أعمالكم الحسنة، فيُمجّدون أباكم الذي في السموات)^(٢)، فهذا يدلُّ على أن المراد بالبُنية في حقِّه العبودية؛ ولا لزم أن يكونوا كلُّهم أبناء الله، بموجب هذه الإضافة، فلمَّا كانوا معها عبيدًا، أوجب أن يكون المسيح معها^(٣) عبدًا، وإنما اختص عليهم بما اختص به الأنبياء على أممهم، وهذا وأمثاله من القرائن المستقلة الدالة على أن المراد بالبُنية والأبوة، العبودية والإلهية، كما صرَّح به في مناظرته إبليس في الإصحاح الثالث.

ومن ذلك قوله في هذا الفصل الخامس: (سمعتُم ما قيل للأولين^(٤))، لا تحنث^(٥) في يمينك وأوف الرب قسمك وأنا أقول لكم لا تحلفوا البتة، لا بالسمااء [فإنها كرسى الله، ولا بالأرض؛ لأنها موطئ قدميه، ولا (بيروشلیم^(٦))]^(٧)، فإنها مدينة الملك العظيم، ولا برأسك تحلف؛ لأنك لا تقدر تصنع^(٨) شعرة بيضاء سوداء، ولتكن كلمتكم نعم نعم؛ ولا لا؛ ولأنها وما زاد على هذا فيه فهو من الشرير^(٩).

قلت: إذا [١٣/أ] نظر العاقل المنصف في هذا الكلام وجده متخبطاً^(١٠)، متناقضاً، [متهافتاً]^(١١)، لا يشبه كلام الأنبياء؛ بل السوقة في أسواقهم لا يرتضون بمثله. وبيان الخبط فيه أن كلَّ عاقل يعلم ببديهة عقله، أن الوفاء بالقسم، وتحريم الحنث [١٤/ب] إنما كان

المراد
بالبنوة
العبودية

(١) وردت في (أ): (هكذا)، والصواب ما أثبتته من (ب).

(٢) إنجيل متى: ١٦: ٥.

(٣) ليست واضحة في: (ب).

(٤) في (أ) (الأولين) وتصحيحها وردت تحت هذه الكلمة وورد أيضاً في (ب).

(٥): الحنث الإثم والذنب وبلغ الغلام الحنث أي بلغ المعصية والطاعة، حنث في يمينه حنثاً وحنثاً: لم يبر فيها.

[لسان العرب (١٥) مادة (ح ن ث). مختار الصحاح (ج ١ ص ٦٦) مادة (ح ن ث)].

(٦) أورشليم: وكانت عاصمة يهوذا وفلسطين السياسية لزمان طويل. كما أنها مدينة مقدسة عند اليهود والمسيحيين

والمسلمين. [قاموس الكتاب المقدس (١٢٩-١٣٤) معجم البلدان (١/٢٧٩)].

(٧) بين الحاصرتين كتب في هامش (ب) الأيسر، إلحاقاً من الناسخ.

(٨) وردت في (ب) تصيغ.

(٩) إنجيل متى: ٣٣-٣٧.

(١٠) في: (أ): كأنها (متخبطاً)، والمثبت من (ب).

(١١) زيادة من (ب).

يفعلون مثل ذلك؟^(١).

قلت: قوله (لكيما تكونوا بني أبيكم)، قد تقدم الاستدلال بإضافة البُنة إليهم، على أنَّ المرادَ بها في حقِّهم وحقِّ المسيح العبوديةُ.

والاستدلال بقوله: (الذي في السموات)، وهنا وحيث وقع؛ فإنه قادحٌ في دين النصارى؛ لأنَّهم قالوا: [إنَّ]^(٢) المسيح هو الله؛ فالمسيحُ قد أخبر أنه في السموات الآن، هذا مقتضى لفظه، والمسيحُ في الأرض، ولا واسطة، ولا رابطة بينها توجب اتحادهما، وإنما أخبر بأبٍ واحدٍ، فاستحال أن يكون في السموات والأرض بذاته في زمنٍ واحدٍ.

وإن قالوا: هو ابنُ الله، وأقنومٌ من أقانيم ذاته، لم يكن الأب بجمله ذاته في السموات، وقد أخبر أنه في السموات، فوجب أن يكون تقديره: (لكي تكونوا عبيد ربكم الذي في السموات) [١٥/ب]، وقد ثبت [١٤/أ] بما سبق أنَّ المسيح: عبدٌ مألوهٌ، فصار كواحدٍ من تلاميذه في ذلك، ويؤكدُ هذا قوله، في سياق هذا الكلام: (كونوا كاملين مثل أبيكم السماوي)^(٣)، فهو كاملٌ، أخبر بكماله في السموات^(٤)، فدلَّ على أنَّ المسيح ليس هو نفسه، ولا أقنومًا منه، ولا صفةً له.

= من الرومان الأثرياء الذين يتعهدون بجمع الضرائب أو تسديدها من جيوبهم في حال عجزهم عن جمعها. وكانوا يعينون الموظفين بالربا، إن عجز هؤلاء عن دفع ما يجب عليهم للدولة. ولذلك وصفوا بالقسوة والظلم. حتى أن الشعب احتقرهم ومنعهم من دخول هيكله أو مجامعهم ومن الاشتراك في الصلاة والحفلات، وكان زكا أحد العشارين (مع أنه كان يهوديًا وليس رومانيًا) في منطقة اريحا. وكان متى لاوي وكيلًا لعشار منطقة كفرناحوم، وقد بلغ من نقمة الشعب على العشارين أن يسوع نفسه اتهم بالأكُل مع الخطاة والعشارين وأنه كان صديقهم، وقد قصد يسوع أن يحررهم من النقمة اللاحقة بهم فاختار أحدهم واحدًا بين رسله، مع أنه لم وافق على سيئات أصحاب السيئات والمظالم منهم، وقد تبعه من بين العشارين عدد كبير. [قاموس الكتاب المقدس (٦٢٩)].

(١) إنجيل متى: ٥: ٤٤-٤٦. قلت: لو آمن النصارى بهذا الكلام، لكفينا كثيرًا من شرورهم، وحروبهم على الإسلام والمسلمين.

(٢) ليست موجودة في (ب).

(٣) من: (ب). وفي: (أ): (للسماوي).

(٤) إنجيل متى: ٥: ٤٨.

الاشتراك في
لفظ البُنة
هو:
من باب
المجاز

فَأَمَّا قَوْلُهُ بَعْدَ هَذَا، فِي سِيَاقِ الْأَمْرِ بِالزَّهْدِ، وَصَدَقَ التَّوَكُّلُ: (أَيُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خَبْرًا فَيُعْطِيهِ حَجَرًا، أَوْ يَسْأَلُهُ سَمَكَةً فَيُعْطِيهِ حَيَّةً، فَإِذَا كُنْتُمْ [أَنْتُمْ] ^(١) الْأَشْرَارَ تَمْنَحُونَ الْعَطَايَا الصَّالِحَةَ لِأَبْنَائِكُمْ؛ فَأَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ أُخْرَى) ^(٢)؛ فَإِنَّهُ شَبَّهَ بَنُوهُمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى اللَّهِ؛ بَيْنُوَّةَ بَنِيهِمْ؛ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ مَجَازٌ؛ لِلْإِجْمَاعِ ^(٣) عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ لَا يُقَالُ لَهُ أَبْنَاءُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنَ الْمَسِيحِ عَامَّةٌ لِمَنْ حَضَرَهُ وَغَابَ عَنْهُ مِنَ الْعَالَمِ، وَبِهَذَا تَبْطُلُ دَعْوَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنََّّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ^(٤)؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: هَذِهِ الْوَصِيَّةُ لَكُمْ وَلِغَيْرِكُمْ؛ فَمَنْ امْتَثَلَهَا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ ابْنَ اللَّهِ؛ فَاخْتِصَاصُكُمْ بِهَا لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَعَارَضَ دَعْوَى الْيَهُودِ بِدَعْوَى النَّصَارَى، وَدَعْوَى النَّصَارَى بِدَعْوَى الْيَهُودِ، ثُمَّ يُقَالُ: فَلَمْ يَخَافُوا عَذَابَ اللَّهِ؟ وَهَلْ يَعْذِبُ الْأَبُ ابْنَهُ؟!، وَبِهَذَا أَجَابَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَوَجَّهَ الشَّبَهَ بَيْنَ الْبُتُونَتَيْنِ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عِلَّةٌ لِإِجَادِهِمْ، كَمَا أَنََّّهُمْ عِلَّةٌ لِإِجَادِ ابْنَائِهِمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَ التَّأْثِيرَانِ فِي الْإِجَادِ.

وفي أواخر هذا الفصل: (احذروا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بلباس الحملان^(٥) وداخلهم ذئاب خفية ومن ثمارهم تعرفونهم)^(٦).

(۱) (أنتم) في: (ب)، دون (أ).

(۲) انجیل متی: ۷: ۹-۱۱.

(٣) في (أ): للاجتماع، والمثبت من (ب).

(٤) الطوفي هنا يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ﴾. قال ابن كثير: (أي نحن متسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم: أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل أنت ابني بكري فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم يعني ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البينة ما ادعوا في عيسى ﷺ، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه، وحظوتهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله تعالى وإذا عليهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباؤه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم). [تفسير ابن كثير (٢/٣٥)].

(٥) الحَمَلُ: الخُرُوف، وقيل: هو من ولد الضأن الجَذَعُ فما دونه، والجمع حُمْلَان وأحمال، وبه سُمِّيَت الأحمال.

[لسان العرب (١١/١٧٤). (مادة: ح م ل) ومختار الصحاح: مادة (ح م ل). ج ١: ص ٦٥].

(٦) انجيل متى: ٧: ١٥.

قلتُ: صَدَّرَ بعضُ علماء النصارى بهذا الكلام كتابًا، صنَّفه بالقدح في دين الإسلام، والطعن على نبوة محمد عليه السلام، وأرجو من الله سبحانه التَّجْلِي لمناقضته والردُّ عليه.

طعن
النصارى
في
الإسلام
قديم!

وهذا الكلام لا يدلُّ على ما أراده لوجهين:

أحدهما: أنَّ يوحنا [قد^(١)] ذكر في بشارته، أنَّ المسيح قال: (كُلُّ الَّذِينَ قَبْلِي كَانُوا لِمُوصَى لَا أَنْبِيَاءَ)^(٢)، وهذا كَذِبٌ عَلَى الْمَسِيحِ قَطْعًا، كما سبق بيانه^(٣)، فلا يُؤْمَنُ أَنَّ هَذَا مِثْلَهُ، وَأَنَّ بَعْضَ النَّصَارَى وَضَعَهُ شِبْهَةً؛ لِلْقَدْحِ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

الثاني: بتقدير تسليم أنَّه من كلام المسيح، وأنَّه لم يُعَيَّن أَحَدًا [١٦/ب] بعينه، وإنما حَذَّرَ مَنْ يَأْتِي بِالصِّفَاتِ التَّفَاقِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ، وَالثَّمَارِ السَّيِّئَةِ.

فَإِنْ ادَّعَوْا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ^(٤) مُتَّصِفٌ بِهَا؛ فَهُوَ مَحَلُّ النِّزَاعِ، وَعَلَيْنَا إِقَامَةُ الْبِرْهَانِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَلَا يَحْصُلُ مَقْصُودُهُمْ^(٥).

وفيه: (ليس كل من قال: يارب يارب، يدخل ملكوت السماء؛ لكن الذي يعمل إرادة أبي الذي في السموات، يقولون لي في ذلك اليوم: يارب

(١) لم ترد في (ب).

(٢) إنجيل يوحنا: ١٠: ٨.

(٣) انظر (٣٩) من هذا الكتاب، وقول الطوفي هناك (وهذا إنكارٌ لنبوة من كان قبله، وهذا تخليطٌ من هؤلاء الإنجيليين، أو ممن نقلها بعدهم من العجمية إلى العربية، وبالعجالة؛ هذا كذبٌ على المسيح، فإنه كان رسول الله مصداقًا لمن قبله وبعده من الرُّسُل).

(٤) وسلم: لم ترد في (ب).

(٥) رد الطوفي هذا الزعم بدقة وعلمية في (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) ومن ذلك قوله: (وذلك صعب المرام عليه؛ لوجهين: أحدهما: أنا ما رأينا ولا سمعنا منذ أهبط آدم إلى الآن أن نبيًا كذابًا استوسق له ناموسه كم استوسق دين الإسلام نحو ألف سنة، وهو كلما جاء في زيادة وتمكن، بل كان المتنبئ لا يلبث إلا يسيرًا أن حتى يفضحه الله ويهتك ستره؛ لأن عادة الله في خلقه أن يُحقِّق الحقَّ وبطل الباطل، ويجعل العقوبة للمتقين. الوجه الثاني: أن تأييد الكذاب بالمعجز، وإظهار أمره وانقياد الناس له قبيح؛ لأن فيه التباس النبي بالمتنبئ، والقبيح لا يجوز على الله فعله، خصوصًا على رأي هذا الخصم في إنكار القدر). [الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية: (١/ ٢٥٠ - ٢٥١)].

يارب) ^(١)، وكان الناس يخاطبونه ^(٢) يارب كثيرًا فيقرهم، قلتُ: فلعل هذا مما يغرُّ النصرارى [١٥ / أ] في ^(٣) اعتقادهم المسيح إلهاً، والجواب عنه من جوه:

أحدها: أَنَّا قد بينَّا أَنَّ في الإنجيل دخلاً وتناقضاً، كما سبق، فلعلَّ هذا منه.

الثاني: إِنَّ صَحَّ، فليس خطابُهم للمسيح بالربوبية يقتضي الإلهية، كما يقال في العرف: (رَبُّ الدار، ورَبُّ العبد، والدابة ^(٤))، ونحوه.

الثالث: أَنَّ وجهَ المجَاز فيها ظاهرٌ، وهو أَنَّ المسيحَ رسولَ الرَّبِّ، يأمرهم بأمره، وينهاهم بنهيه، فظهرتُ علاقةُ التَّجَوُّز، أو يكون على حذف المضاف، أي: يا رسول ربَّنَا، أو يا روح ربَّنَا، ونحوه. والمسيحُ أطلقَ هذا الكلامَ هنا اتكالاً على ما بيَّنه في مواضع من القرائن النَّافية للإلهية ^(٥) عنه، والله أعلم.

وأما ^(٦) إقراره للناس على قولهم: (يارب)؛ فلعلمه بأنهم علموا أَنَّهُ ليس يالهِ، فهم إِنَّمَا يريدون: يا رسول ربَّنَا، أو يا سيدَنَا. وقد روي وثيمة ^(٧) في: (قصص الأنبياء):

(١) إنجيل متى: ٧: ٢١.

(٢) وردت في (أ): يخاطبونا، والصواب ما أثبتته من: (ب).

(٣) في (أ): كلمة (صح)، ولعل الصواب ما جاء في (ب) حيث لم ترد هذه الكلمة، ولا أرى معنى لإثباتها في المتن، والله تعالى أعلم.

(٤) الرَّبُّ: هو الله ﷻ، هو رَبُّ كُلِّ شيءٍ أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رَبُّ الأرباب، ومالكُ الملوك والأملاك. ولا يقال الربُّ في غير الله، إلا بالإضافة، وربُّ كُلِّ شيءٍ: مالكه ومُستَحِقُّه؛ وكُلُّ مَنْ مَلَكَ شيئاً، فهو رَبُّه. يقال: هو رَبُّ الدابة، ورَبُّ الدار، وفلان رَبُّ البيت، وهُنَّ رَبَّاتُ الحِجَالِ، ويقال: رَبٌّ، مُشَدَّد؛ ورَبٌّ، مخفَّف، وأنشد المفضل:

قد عَلِمَ الأَقْصَوَالُ أَنَّ لَيْسَ فَوْقَهُ رَبٌّ، غَيْرُ مَنْ يُعْطِي الحُظُوظَ، وَيَرْزُقُ.

وفي حديث أشراط الساعة: (وَأَنَّ تِلْكَ الأُمَّةَ رَبَّهَا، أو رَبَّتْهَا) [لسان العرب (١/ ٣٩٩)، مادة (رب ب)].

(٥) في (أ): (الإلهية) والصواب من (ب).

(٦) في (ب): (وإنما)، والصواب أثبتته من (أ).

(٧) وثيمة ابن موسى أصله فارسي سكن مصر: صاحب أغاليط. قال الذهبي: (وثيمة بن موسى قال ابن أبي حاتم: حدث عن سلمة بن الفضل بأحاديث موضوعة. له كتب، قال مسلمة بن القاسم الأندلسي كان راوية لأخبار الدهور وهو لا بأس به وله كتاب في الردة أجاده فيه وأكثر الرواية لكن فيه مناكير كثيرة ووقفت له على تصنيف =

عن جرير^(١)، عن قابوس^(٢)، عن أبيه^(٣)، عن ابن عباس^(٤): (أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ إِذَا رَأَوْا رَجُلًا ذَا هَيْئَةٍ: يَا رَبَّانِي، أَيُّ يَاسِيدٍ)^(٥).

وحمل عليه قول زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٦): أَيُّ يَاسِيدٍ^(٧)؛ لِأَنَّ خُطَابَهُمْ إِنَّمَا كَانَ لَجَبْرِيلَ.

ومن ذلك في الفصل الحادي عشر: (أَنَّ الْمَسِيحَ زَجَرَ الْبَحْرَ، وَقَدْ هَاجَ بِالرَّيْحِ، فَسَكَنَ)^(٨)، وهذا يدلُّ على الصَّلاحية^(٩) والوجاهة عند الله لا على الإلهية، ولا الْبُنُوَّةَ

= كبير في المبتدأ وقصص الأنبياء وفي كتابه أحاديث كثيرة موضوعة وشر منها عنه الأشباه والنظائر ويظهر لي أنه من أصلح ما صنف في ذلك الفن. [ميزان الاعتدال (١٢٠ / ٧) لسان الميزان ٦-٢١٧. وفيات الأعيان ٦-١٢. وضعفاء العقيلي (٤ / ٣٣٢) رقم الترجمة: (١٩٤٠)].

(١) جرير بن عبد الحميد بن قرط، الضبي، الكوفي، نزيل الري، وقاضيه (ثقة صحيح الكتاب) قيل: كان في آخر عمره يهيم من حفظه، مات سنة ثمان وثمانين، وله (٧١) سنة. [تقريب التهذيب (١٣٩) ترجمة (٩١٦)].

(٢) قابوس بن أبي ظبيان الكوفي: (فيه لين من السادسة)، كان ابن معين شديد الحط عليه، على أنه قد وثقه، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال ابن حبان: رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، فربما رفع المرسل، وأسند الموقوف. [ميزان الاعتدال (٥ / ٤٤٥) وتقريب التهذيب (٤٤٩) الكاشف للذهبي (٢ / ١٢٦)].

(٣) حصين بن جندب أبو ظبيان الجنبلي، الكوفي، روى عن حذيفة وعلي، وعنه ابنه قابوس والأعمش مات سنة (٩٠) هـ قال ابن حجر: ثقة من الثانية. [تقريب التهذيب (١٦٩) ترجمة: (١٣٦٦)].

(٤) أبو العباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد سنة ١٣ قبل الهجرة، سكن الطائف ومات بها سنة ٦٨ هـ وعمره ٧١ سنة. [الإصابة في تمييز الصحابة (٢ / ٣٣٠)].

(٥) قال القرطبي: والربانتي الذي يُرَبِّي الناس بصغار العلم قبل كباره؛ وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور؛ روي معناه عن ابن عباس. [(تفسير القرطبي ٤ / ١٢١)].

(٦) الآية في سورة (آل عمران: من الآية: ٤٠). و (مریم: من الآية: ٨)، وتمامها: ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمَرْتُ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

(٧) في (ب): (يا سيد).

(٨) إنجيل متى: ٨: ٢٦.

(٩) في (أ) (لِلصَّلاحَةِ) والتصحيح من (ب).

الحقيقة، وكذلك إخراج الشياطين من المجانين إلى الخنازير^(١)، و[إبراهمه]^(٢) المخلع^(٣)، وغيره من الآيات، إنما يدل على ما ذكرنا.

ومن ذلك قوله في الفصل التاسع عشر، لتلاميذه الذين أرسلهم دعاة في البلاد: (ستحضر بين يدي الملوك والقواد، وستعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، ولستم المتكلمين [١٧/ب]؛ لكن روح أبيكم تتكلم فيكم)^(٤).

وهذا^(٥) كناية عن ما يلهمهم الله إياه من الكلام، ويسرّه من المقال، بلا واسطة، و^(٦) بواسطة^(٧) الملك، بدليل قوله في إنجيل (لوقا)، في هذا بعينه: (فإن روح القدس يعلمكم في تلك الساعة)^(٨). وروح القدس هو: الملك، فإضافته^(٩) إلى أبيهم إضافة ملك، لا إضافة ذات؛ وإلا فبالاتفاق أن روح الله لم تحل في هؤلاء، ولا في غير المسيح عندهم، ومثل هذا قول محمد ﷺ: (إن روح القدس نفث في روعي أنها لن

(١) في إنجيل متى: ٨: ٣٢: (فقال لهم امضوا فخرجوا و امضوا إلى قطع الخنازير وإذا قطع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه). وفي إنجيل لوقا: ٨: ٣٣: (فخرجت الشياطين من الإنسان، ودخلت في الخنازير، فاندفع القطيع من على الجرف، إلى البحيرة واختنق...). وفي إنجيل مرقس: ٥: ١٣: (فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة، ودخلت في الخنازير، فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر وكان نحو ألفين فاختنق في البحر).

(٢) وردت في (أ) و (ب): إبراهيم، وما أثبتته هو الصحيح.

(٣) في إنجيل متى: ٤: ٢٤ و ٩: ٦-٧: (فدخل السفينة، واجتاز وجاء إلى مدينته، وإذا مفلوج يقدمونه إليه، مطروحاً على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: ثقب يا بني مغفورة لك خطاياك، وإذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسهم: هذا يجدف، فعلم يسوع أفكارهم فقال: لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟، أيما أيسر أن يقال: مغفورة لك خطاياك، أو أن يقال: قم وامش، ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض، أن يغفر الخطايا، حيثنذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك، و اذهب إلى بيتك قمام ومضى إلى بيته). وإنجيل مرقس: ٢: ٤-٥: (فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بني: مغفورة لك خطاياك).

والمخلع: الذي كان به هبة أو مساً. [لسان العرب] (٦٧/٨): مادة (خلع).

(٤) إنجيل متى: ١٠: ١٨-٢٠ إنجيل لوقا: ٢١: ١٢. إنجيل مرقس: ١٣: ٩.

(٥) في (ب): (فهذا) وما أثبتته من (أ).

(٦) في (ب): أو، والمثبت من (أ).

(٧) في (أ) (أو بواسطة) وما أثبتته من (ب).

(٨) إنجيل لوقا: ١٢: ١٢، ولفظه: (لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه).

(٩) في (أ): بإضافته، والمثبت من (ب).

تموت نفس حتى تستكمل رزقها^(١).

وفي هذا الفصل: أن المسيح قال: (من اعترف بي قدام الناس؛ اعترفت به قدام أبي، ومن أنكرني أنكرته قدام أبي)^(٢). والمراد قدام إلهي وربي؛ بدليل ما سبق في غير موضع، وبدليل إضافة الأب إلى تلاميذه، على أنه قد صرح بالمقصود في إنجيل لوقا، فقال:

(من يعترف بي قدام الناس، فابن الإنسان يعترف به قدام [١٦ / أ] ملائكة الله، ومن أنكرني أنكره قدام ملائكة الله)^(٣)، فهذا يبين أن معنى قوله: قدام أبي، أي: ملائكة أبي، ومعنى أبي^(٤) ربي؛ فيكون تحقيق الكلام: أعرّف به قدام ملائكة ربي. ومن ذلك قوله في الفصل العشرين: (أعترف لك يا أبتاه، رب السموات والأرض؛ لأنك أخفيت هذه عن الحكماء، والفهماء، وأظهرته للأطفال، نعم يا أبتاه، إن هذه المسرة التي كانت قدامك، كل قد دفع إلي من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا الأب إلا الابن، ومن يريد الابن يكشف له)^(٥).

(١) (صحيح) لفظه «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُؤُوسِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبُهُ بِمَنْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» عن أبي أمامة رضي الله عنه. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته). حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨٦٥): رواه أبو بكر الحداد في «المنتخب من فوائد ابن علويه القطان» (١/ ١٦٨) وابن مردويه في «ثلاثة مجالس» (١٨٨ / ١ - ٢) من طرق عن يعلى بن عبيد: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن: (عبد الملك بن عمير) وزيد الأياشي عن: عبد الله بن مسعود، مرفوعاً، والزائدة لابن مردويه. وصححه في (صحيح الجامع) (١/ ٤١٩) برقم (٢٠٨٥). [جامع المسانيد والمراسيل للسيوطي (٢/ ٣٥٧). دار الفكر، ١٩٩٤م. وفي مصنف عبد الرزاق (١١/ ١١١) كتاب الجامع، حديث رقم (٢١١٦٤). السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٦٥) صحيح الجامع الصغير (١/ ٤١٩) برقم (٢٨٥)].

(٢) إنجيل متى: ١٠: ٣٢. إنجيل لوقا: ١٢: ٨.

(٣) إنجيل لوقا: ١٢: ٨-٩.

(٤) في (أ): (أن)، والصواب من (ب).

(٥) إنجيل متى: ١١: ٢٥. وانظر إنجيل لوقا: ١٠: ٢١.

وفي سياق هذا الكلام، وقبله، وبعده، ما أبان به أن المراد به: الربوبية، والعبودية، لا الأبوة والبنوة، مع ما يدل على عدم إرادتها من الدليل العقلي السابق تقريره. نقد دعواهم نبوة المسيح لله أما ما في سياق الكلام؛ فقلوه: (يا أبتاه رب السموات والأرض)؛ فإن قرانه بين^(١) لفظ الأبوة، والربوبية، تبيين لمقصود أحد اللفظين بالآخر.

وأيضاً فإنه أخبر أن أباه رب السموات والأرض، فيقال: لا يخلو من أن يكون مع كونه ربهما رب من فيهما أو لا، أو رب بعضه دون بعض، والثاني: باطل بإجماع، والثالث: تحكّم، وترجيح بلا مرجح.

وقد بينا [١٨/ب] غير موضع أن ما ظهر من المسيح من الآيات والعجائب، لا يستحق أن يكون به إلهاً، ولا ابناً للإله على ما يعنونه؛ فتعين الأول وهو: أنه سبحانه رب السموات والأرض وما بينهما وفيهما، والمسيح من ذلك؛ فيكون مربوباً. وأما ما قبله وبعده، في الفصل وغيره فقلوه: (ابن الإنسان، وابن البشر)، يعني نفسه؛ كقلوه:

(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب؛ فقالوا: هذا الإنسان أكل شراب الخمر)؛^(٢) فإن في إضافته لنفسه بالبنوة إلى الإنسان والبشر تنبيهاً على أنه ليس إلهاً، وعلى انقطاع نسبه عن غير الإنسان، ثم أكد ذلك بقوله: يأكل ويشرب؛ فإن الأكل والشرب يلزمهما^(٣) البول والتغوط، وتلك من سمات الحدوث، والقديم وما قام به منزلة عن ذلك، وإليه الإشارة في القرآن المقدس، حيث قال سبحانه:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا أَلطَّامَ يَاسْكَلَانِ﴾^(٤)، فإنه نبه بهذا على عدم استحقاقهما، أو

(١) وردت في (ب): من.

(٢) إنجيل متى: ١٩: ١١.

(٣) في (ب): يلزمها.

(٤) (المائدة: من آية ٧٥)، وتامها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا أَلطَّامَ يَاسْكَلَانِ أَنْظَرُ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ﴾ قال ابن جرير: =

أحدهما، الإلهية والقِدَم.

وقال بعد هذا في آخر الفصل: (وَرَبُّ السَّبْتِ، هو ابنُ الإنسان)^(١)، والاستدلال به كالذي قبله، وأيضاً فإنَّ من له نَسَبان، أعلى وأدنى، لا يترك الأعلى ويذكر الأدنى. ومن ذلك في الفصل الحادي والعشرين: ذكر أن في مصحف أشعياء النبي: (هو ذا فتاي الذي هويتُ، وحبيبي الذي سُرَّت نفسي به، أضعُ رُوحِي عليه)^(٢) [١٧/أ]، ولفظُ الحبيب لا يدلُّ على إلهية ولا بُنُوَّة، وأمَّا لفظُ الفتى فهو ظاهرٌ في العبد، يقال: فتاي وفتاتي؛ أي: عبدي وأمتي، وهو مبينٌ للمُراد مما سبق من قوله عند خروجه من المعمودية: (هذا ابني الحبيب الذي سررت به)^(٣)، وأكثر ما يقال أن لفظَ الفتى مجملٌ؛ لتردده بين الابن والعبد؛ لكننا نقول: قد بينّا وتبيّن أنّه لا يصحُّ حملُهُ على الابن إلا بمعنى العبد؛ فيكون هذا اللَّفْظُ مُثَبِّتاً لذلك، وكلام الله سبحانه وتعالى يُبَيِّنُ بَعْضُهُ بَعْضاً في جميع الكتب^(٤).

معجزات
نبينا ﷺ

= (وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره احتجاجاً لنبيه محمد ﷺ على فرق النصارى في قولهم في المسيح. يقول مكذِّباً لليعقوبية في قيلهم: هو الله، والآخرين في قيلهم: هو ابن الله: ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولده ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك من صفة البشر لا من صفة خالق البشر، وإنما هو الله رسول كسائر الرسل الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجري عليها من الآيات والعبر حجة له على صدقه وعلى أنه الله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه، كما أجرى على أيدي من قبله من الرسل من الآيات والعبر حجة لهم على حقيقة صدقهم في أنهم لله رسل. وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ يقول تعالى ذكره: وأُمُّ الْمَسِيحِ صِدِّيقَةٌ، والصَّدِيقَةُ: الْفَعْلَةُ مِنَ الصَّدَقِ، وكذلك قولهم فلان صديق: فَعِيلٌ مِنَ الصَّدَقِ، ومنه قوله تعالى ذكره: وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ. وقد قيل: إنَّ أبا بكر الصديق ﷺ إنما قيل له الصديق لصدقه، وقد قيل: إنما سمي صديقاً لتصديقه النبي ﷺ في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها. وقوله: كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه أنها كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم. فإنَّ من كان كذلك، فغير كائن إليها لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلأى مريباً لا ربّاً. [تفسير الطبري (٦/٢٠٣)].

(١) إنجيل متى: ١٢: ٨.

(٢) في إنجيل متى: ١٢: ١٨ ولم أجله في سفر أشعياء بهذا اللفظ في الترجمات الحديثة.

(٣) إنجيل متى: ٣: ١٦-١٧. مرقس: ١: ١٠-١١. لوقا: ٣: ٢١-٢٢. يوحنا: ١: ٣٢-٣٣-٣٤.

(٤) هذا على افتراض صحة ما جاء في تلك الكتب السابقة ونسبته إلى الله تعالى، أما القرآن فلا شك فيه.

ومن ذلك قوله في الفصل الثالث والعشرين: (حتى قيل له أمك وأخوتك يطلبونك، فأشار إلى تلاميذه وقال هؤلاء أُمِّي وأخوتي، ومن صنع [١٩/ب] مشيئة أبي الذي في السموات؛ هو أخي، وأختي، وأُمِّي!)،^(١) فيقال: كما أثبت لنفسه أُمومة الأجانب وأخوتهم مجازاً، بجامع طاعة الله؛ كذلك يُريد بالأبوة، والبنوة، والربوبية، والعبودية مجازاً؛ بجامع عليّة الوجود والطاعة، كما سبق، والعلاقة قائمة في الموضوعين.

فائدة: ذكر في الفصل السادس والعشرين: (أنَّ المسيحَ بَارَكْ عَلَى خَمْسِ خُبَرَاتٍ وَحَوْتِينَ، فَأَشْبَعَ مِنْهَا خَمْسَةَ أَلْفٍ^(٢) سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَفَضَلَ عَنْهُمْ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَلَةً مَمْلُوءَةً).^(٣)

قلتُ: وقد صحَّ عن محمدٍ ﷺ^(٤) من هذا الجنس أكثر من هذا؛ فإنه في غزاة تبوك،^(٥) سُكِّي إليه قلَّةُ الزَّادِ، حتى أشار بعضهم بذبح الإبل والخيول؛ فاستدعى النبي ﷺ بفضلَه زاد القوم؛ فجمعه هو فإذا هو كمريض العنز،^(٦) فوضع عليه مبرزاً، ثم بَارَكْ فيه وأمرهم التزوّد منه، فأكلوا وملأوا أو عيَّتهم، وكانوا عسكراً جرّاراً، أحسبه أكثر من عشرين ألفاً،^(٧) فإن قيل: هذا لا يثبت، وهو من أخبار الآحاد، قلنا: بل هو

(١) إنجيل متى: ١٢: ٤٦-٥٠.

(٢) هكذا وردت والصواب (آلاف).

(٣) إنجيل متى: ١٤: ١٤-٢٠.

(٤) (وسلم): ليست في: (أ)، وهي زيادة من (ب).

(٥) تبوك: مدينة شمال المملكة العربية السعودية، لها تاريخ حافل في بداية الإسلام، بها مسجد التوبة (يقال) إنه صلى في رسول الله ﷺ إبان غزوة تبوك، وبها كانت آخر غزوات الرسول ﷺ.

[موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية (١٦٢)، مفردات من الحضارة الإسلامية (١٨٥)].

(٦) في: (أ): العير، والمثبت من (ب).

(٧) هذه القصة جاءت في صحيح مسلم (١٩٢٧) في (كتاب اللقطة، باب: استحباب خلط الأزواد)، من حديث إياس بن سلمة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جهد، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزادنا، فحزرتة كريمة العز! ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا، فقال نبي الله ﷺ: فهل من وضوء؟ قال: فجاء رجل برداء له فيها نطفة، فأفرغها في القدح، فنوضأنا كلها، فدغفقه دغفقه، أربع عشرة مائة، قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: فرغ الوضوء. انظر: [شرح النووي على مسلم (١٢/٣٤)]

جهل
النصارى
وسوء
فهمهم

صحيحٌ بالاستفاضة عند المسلمين، فإن قيل: لم يثبت ذلك عند النصارى، قلنا: وما ذكرتموه من ذلك عن المسيح لم نعلمه إلا من الإنجيل، والإنجيل عندنا أكثره من اختلاق النصارى وتدليس اليهود، وإنما نحن نتبرعُ بتأويله والقدح في تفاصيله تبرعاً! على جهة التَّنَزُّل في مقام النظر؛ فإن منعمونا منعناكم، وإن سلَّمتم سلَّمنا، ويلزم ما نريد من إثبات نبوة محمد ﷺ الثابتة بهذه المعجزة المعينة.

فإن قيل: نمنعكم هذه، وامنعونا أنتم نظيرها!، ثم نرجعُ نحن إلى خوارق المسيح، الثابتة بالتواتر الذي لا شكَّ فيه؛ كإحياء الموتى، ونحوه، فأنتم إلى ما ترجعون؟! قلنا: إلى القرآن الثابت بالتواتر أيضاً!، وعلينا بيانُ إعجازه بالبرهان، وإلى ألوفٍ من المعجزات، استفاضةً أحادها، وحصل العلم بالمعنى [١٨/ أ] الكلِّي المشترك بينهما، وهو التواتر المعنوي؛ كشجاعة علي، وسخاء حاتم^(١)، وذلك مُحَصَّلٌ للمقصود، وسنستقصي الكلام في هذا إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك في الفصل السابع والعشرين [٢٠/ ب]: (ذكر أن المسيح صعد الجبل منفرداً يصلي، وأنه جاءهم بعد ذلك في الليل يمشي على الماء حتى أتى السفينة، فسجد له من فيها، وقالوا له: أنت هو بالحقيقة ابن الله)^(٢).

وقد بينّا أنَّ المجاز في لفظ: الابن، وأنه بمعنى العبد، أو الرسول؛ لأنَّ الابن يُطِيع^(٣) أباه طاعةَ العبد مولاه. والأبُّ في العرف يرسل ابنه في حوائجه كما يرسل الحاكم وغيره رسله^(٤)، وحيثُ لا يُضِيرُ لفظُ الحقيقة هنا؛ إذ يصير التقدير: أنت بالحقيقة رسول الله، والمؤيد منه بالقوى الروحانية. وممّا يؤكد عبودية المسيح انفراده يصلي؛ فإنَّ صلاته لا يصحُّ حملها على التشريع والتعليم؛ لانفراده عنهم، والابن الحقيقي لا يعبدُ أباه هذه العبادة؛ فتعيَّن أنَّه عبدٌ مربوبٌ، أطاع الله، فأطاع له الأشياء.

(١) حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجموده، كان من أهل نجد، أرخوا وفاته بعد مولد النبي ﷺ في السنة الثامنة [الأعلام (١٥١/ ٢)].

(٢) إنجيل متى: ١٤: ٢٢-٣٤.

(٣) في (أ): يطع، والمثبت من (ب).

(٤) في (ب): (رسوله).

ومن ذلك في الفصل الثامن والعشرين: (قال المسيح: اسمعوا وافهموا، ليس ما يدخل الفم يُنَجِّس الإنسان؛ لكن الذي يخرج من الفم [هذا ينجِّس الإنسان؛ ثم فسره بأن قال: كل ما يدخل إلى الفم يصل إلى البطن، وينطرد إلى الخارج، وأمَّا الذي يخرج من الفم] ^(١) فهو يخرج من القلب؛ هذا الذي يُنَجِّس الإنسان ^(٢)).

قلت: هذا كلامٌ صحيحٌ، وحكمةٌ بالغةٌ؛ ولكنَّ النصارى لجهلهم وسوء فهمهم، وضعوه غيرَ موضعه، وحملوه على محملٍ يشبه وجوههم ولحاهم! ^(٣)، فظنوا أنَّ مرادَ المسيح نفى النجاسة عن البول والغائط ^(٤)؛ حتى جعل رهبانهم، وعبادهم، ومخاييسهم!؛ يتعبدون باجتماع العذرة ^(٥) على مخارجهم منهم! وما حولها؛ حتى يصير كما قال أبو النجم ^(٦):

كَأَنَّ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشُّوْلَ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفُ قُرُونِ الْأَيْلِ ^(٧)

(١) ساقط من: (ب)، وأثبتته من: (أ).

(٢) إنجيل متى: ١٥: ١٠-١١.

(٣) هذا تحكُّمٌ بالنصارى، ولا يخفى ما فيه من الاستخفاف بقولهم وسذاجتها في عدم فهمها لمراد المسيح ﷺ. وهذا الأسلوب لا بأس في استعماله في الإنكار، وفي مواجهة المعاند، والمصر. قال سلطان العلماء، العز بن عبد السلام: (قال ﷺ لأبي ذر وقد سبَّ رجلاً، وعيَّره بأُمَّه: (إنك أمرؤ فيك جاهلية) (متفق عليه) (البخاري ٣٠، ١٨٤٥) ومسلم (١٨٢٨))... وقال أبو بكر ﷺ لسهيل بن عمرو بحضرة رسول الله ﷺ (امصص بظر اللات) (البخاري برقم ٢٧٣١).. وفي الزواجر إعزازُ الدين، والاستخفاف بالمخالفين. سبَّ رسول الله ﷺ أبا ذر بما فيه من أخلاق الجاهلية؛ ليأنف منها، وينزجر عنه... وأما قول أبي بكر لسهيل بن عمرو: امصص بظر اللات، فاحتقار منه لسهيل واللات، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿أَتَى لَكَ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَا لَيْتَنِيَ﴾. [الأنبياء: ٦٧]. [شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (٢٢٤) عز الدين بن عبد السلام ٦٦٠ هـ ت: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ دار ماجد عسيري. جدة، المملكة العربية السعودية].

(٤) في: (أ) في الهامش كُتِبَ: (مطلب في بيان عدم كون العذرة نجاسة عند النصارى).

(٥) العَذْرَةُ الغائط، فناء الدار. [لسان العرب: (٤/ ٥٤٥)].

(٦) أبو النجم: الفضل بن قدامة من عجل. وكان يتزل بسواد الكوفة في موضعٍ يقال له الفك، أقطعه إياه هشام بن عبد الملك. [الشعر والشعراء (١٣٠) ابن قتيبة الدينوري].

(٧) البيت ذكره ابن منظور في لسان العرب ونسبه لأبي النجم. [لسان العرب (٦/ ١٢٨)].

فَقَبَّحَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ الَّذِي افْتَرَوْا فِيهِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(١)، أَتَرَى هَكَذَا كَانَتْ عِبَادَةُ الْمَسِيحِ وَالتَّلَامِيزُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؟ أ، كَلَّا وَاللَّهِ؛ بَلْ ﴿ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، [الأنعام: من الآية: ١٤٠]. وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ مَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ؛ أَنَّ النِّجَاسَةَ، قَسَمَانِ: حَسِّيَّةٌ؛ كَالْبَوْلِ، وَالْغَائِطِ، وَعَقْلِيَّةٌ؛ كَالذَّنُوبِ، وَالْمَعَاصِي. وَهِيَ تَسْمَى: نِجَاسَةً، عَلَى الْمَجَازِ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ^(٢): إِنَّ الْمَاءَ الْمُسْتَعْمَلَ فِي رَفْعِ الْحَدَثِ نَجَسٌ؛ لِأَنَّ الطَّهَارَةَ عَنْ غَيْرِ نِجَاسَةٍ؛ غَيْرِ مَعَهُودٍ، فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْأَعْضَاءِ نِجَاسَةٌ مَعْقُولَةٌ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ مَحْسُوسَةٌ^(٣).

وَعَرَضْنَا بِهَذَا إِيرَادُ شَاهِدٍ لِلْمُسْلِمِينَ، عَلَى أَنَّ مِنَ النِّجَاسَاتِ مَا هُوَ [١٩/أ] مَعْقُولٌ عِنْدَ بَعْضِ الْأُثْمَةِ؛ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَصِيَّةً؛ لِأَنَّ الْحَدَثَ لَيْسَ مَعَصِيَّةً. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْوُضُوءَ يَحْطُ الْخَطَايَا مِنْ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ، كَمَا نَصَّ الْحَدِيثُ^(٤)، [٢١/ب] وَالْخَطَايَا نِجَاسَاتٌ تَقْدِيرِيَّةٌ، أَوْ مَعْقُولَةٌ مُجَازِيَّةٌ، كَمَا سَمِيَ الْمَسِيحُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْقَمِ نِجَاسَةً. وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُمْ: عَشْرَةُ الرَّجُلِ، وَعَشْرَةُ اللِّسَانِ، فِي أَنَّ الْأُولَى حَسِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَالثَّانِيَّةُ عَقْلِيَّةٌ مُجَازِيَّةٌ.

(١) فِي (ب): (وَرَسُولُهُ) وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (أ).

(٢) الْإِمَامُ، فُقَيْهِ الْمَلَةِ، عَالِمُ الْعِرَاقِ، أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ، يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْفَرَسِ، وَلَدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَرَأَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ لَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِمُ الْكُوفَةَ، وَلَمْ يَثْبِتْ لَهُ حَرْفٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَرَوَى عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى مَا قَالَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الْفَقْهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ: قَالَ الذَّهَبِيُّ: قُلْتُ: الْإِمَامَةُ فِي الْفَقْهِ وَدَقَائِقُهُ مُسَلَّمَةٌ إِلَى هَذَا الْإِمَامِ. وَهَذَا أَمْرٌ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتِجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ وَسِيرَتُهُ تَحْتَمِلُ أَنْ تَقْرُدَ فِي مَجْلَدَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَحِمَهُ. تَوَفَّى شَهِيدًا مُسْقِيًّا فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ. وَلَهُ سَبْعُونَ سَنَةً. [سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٦/٣٩٠-٤٠٣)].

(٣) انْظُرِ الْخِلَافَ فِي الْوُضُوءِ بِالْمَاءِ الْمُسْتَعْمَلَ، وَهُوَ الْمُنْفَصَلُ عَنْ أَعْضَاءِ الْمَتَوَضَّئِ وَالتَّرْجِيحَ فِي [الْمَغْنِيِّ لِابْنِ قِدَامَةَ (١/٤٧)].

(٤) الْحَدِيثُ: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ». (رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: خروج الخطايا مع ماء الوضوء برقم (٣١٦)).

وإذا ثبت هذا فالمسيح صلوات الله عليه؛ لما^(١) أثبت لما يخرج من الفم: من غيبة، ونميمة، وكفر، وتجديف^(٢)، ونحوه، وصف^(٣) النجاسة العقلية المجازية؛ علمنا أن هذه هي^(٤) التي نفاها عن الداخل إلى الفم، المنطرد إلى المخرج، ولا يلزم من نفي النجاسة العقلية عنه نفي النجاسة الحسية؛ لأنَّ غرضه ليس نفيها، إنما غرضه نفي النجاسة التي يُعاقب عليها الإنسان، وذلك صحيح؛ فإنَّ الله سبحانه لا يُعاقب الإنسان على أنه يبول ويتغوط؛ لأنَّ ذلك من الطبيعات الضرورية؛ كالتنفس، ويعاقبه على الغيبة والنميمة؛ لأنَّه من الأفعال الاختيارية لا الضرورية، وفيه إضرارٌ بالناس. أمَّا نجاسة الخارج المتولد عن المأكول؛ فمقررٌ في بداية^(٥) العقول، والشرع فيه تابع للعقل^(٦)؛ لأنَّا لا نعني بنجاسته^(٧) إلَّا وجوب اجتنابه، وذلك طاهر عقلاً؛ لسقوط قوته، وخُبث ريحه وخلوه من فائدة، فصار ضرراً محضاً، وأذى^(٨) صرفاً، ومفسدةً مجردة، وعقول لا تقتضي بدايتها اجتناب مثل هذا؛ عقولٌ سوءٌ مخدولة.

والسرُّ في وجوب اجتناب هذه الخبائث؛ أنَّ الإنسان مأموراً بالعبادات لله سبحانه

(١) ليست في: (ب)، وأثبتها من (أ).

(٢) التجديف: هو الكفر بالنعمة وقيل: هو استقلال ما أعطاه الله. [لسان العرب (٩/٢٣) والتجديف: شتمة ونميمة، ويقصد بها في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله، ومن أنواع التجديف على الروح القدس الطعن في معجزات المسيح كقول الفريسيين أن شفاء الأعمى والأخرس الذي تم بروح الله إنما هو من اعنال بعزبول، فمثل هذا التجديف غير قابل للمغفرة وأما الذين يشعرون بياس ظناً منهم أنهم قد جددوا على الروح القدس، فيأسهم بهذا السبب يظهر أنهم قابلون للتجديد والمغفرة بخلاف الذين قد رفضوا التوبة عن تصلف فقاوموا الروح القدس وتجاوزوا في معارضته وتكذيب إنذاره إلى إن صارت التوبة عندهم من المحال. فامثال هؤلاء لا ينالون المغفرة أصلاً. [قاموس الكتاب المقدس (٢٥٣)].

(٣) مفعول أثبت.

(٤) هي: (أ)؛ ليست في: (أ)، وأثبتها من (ب).

(٥) هكذا في: (أ)، وفي: (ب)، ولعلها: (بداة).

(٦) انظر الكلام عن العقل، وقضية التحسين والتقيح في: [كتاب الطوفي: درء القول القبيح بالتحسين والتقيح، تحقيق د: أيمن محمود شحادة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ].

(٧) في: (أ)؛ بنجاسة، والمثبت من: (ب).

(٨) في: (ب): (وإذا).

(وتعالى)^(١)، وعابدُ الله مناج له واقف في خدمته، فالأولى به أن يقوم في خدمته كامل الهيئة، ومن كمال الهيئة إزالة الخبائث، التي هي ضررٌ محضٌ، لا نفع فيها أصلاً. فإن قيل: ليس خلوف^(٢)، فمِ الصائم كرية الرائحة؛ حتى أنه يقارب ريح العذرة^(٣)؛ لا سيما ممن يكون أبخر^(٤)، وقد استحَب علماء المسلمين بقاءها له، من حين الزوال إلى غروب الشمس؛ بل بعضهم كره إزالتها^(٥) حينئذٍ، وهذا تعبدٌ لله^(٦) سبحانه بالريح الخبيثة، فما وجه^(٧) التشنيع علينا؟!.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس الخلوف في ذلك كالعذرة عند أحدٍ من العقلاء، فلا يلزم من مشروعية التَّعَبُّد بالأدنى مشروعية التَّعَبُّد بالأعلى.

الثاني: أن الخلوف ليس مكروهاً في بداية^(٨) العقول كالعذرة، والفرق [٢٢/ب] بينهما شدة تأثير الهاضمة في العذرة، حتى يشتدَّ خبثها، بخلاف الخلوف.

الثالث: أن تعبد المسلمين هو بما يخرج من مخرج التسبيح والحكمة، تعبدًا مؤقتًا [٢٠/أ] بنصف النهار، وتعبد النصارى هو بما يخرج من مخرج الضراط، والفساء؛ تعبدًا دائمًا، فأين أحد التعبدَيْن من الآخر؟!، وهل هذا إلا مثل قياسكم الأب، والابن، وروح القدس، على النفس، والنطق، والعقل؟، وقد بينّا فساده،

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) ورد في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: (الصائم جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقلل إلي صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها)، (صحيح)، رواه البخاري، (صحيح البخاري، باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٧٩٥، ج ٢/ص ٦٧٠). ورواه مسلم في: باب فضل الصيام، (صحيح مسلم حديث رقم: ١١٥١، ج ٢/ص ٨٠٧).

(٣) في (ب): المعدة.

(٤) في (أ): زيادة حرف (د) بعد (أبخر) وليست في (ب)، وأغلب ظني أنها من: البخر، وهو التَّنُّ في القم وغيره.

(٥) في (أ): (إزالتها)، وهو خطأ والصواب ما أثبتته من (ب).

(٦) في (أ): (تعبد الله) وهو خطأ والصواب ما أثبتته من (ب).

(٧) ليست واضحة في (أ)، والمثبت من (ب).

(٨) هكذا وردت في: (أ، ب) ولعلها (بداهة)، كما سبق وقررنا ذلك.

وقياسكم هنا أظهرُ فسادًا.

الرابع: أن المذهب الصحيح الذي نعتقده، وننصره، والحجة عليه ظاهرة، استحباب إزالة الخلوف بالسواك للصائم مطلقًا، وهو مذهب بعض العلماء^(١) ورواية عن أحمد، ومن كره إزالته، أو استحَبَّ بقاءه، أخطأ في فهم كلام محمد ﷺ^(٢)، كما أخطأتم أنتم في فهم كلام المسيح، لكنَّ خطأهم دون خطئكم؛ لسهولة الأمر في الخلوف بالنسبة إلى العذرة، وتقريرُ خطئهم في ذلك بيناه غيرَ هذا المكان، والله أعلم.

ومن ذلك في الفصل الثاني والثلاثين: قال المسيح لتلاميذه: (احذروا من خمير الفريسيين^(٣) والزنادقة، فظنوا أنه يحذّرهم خُبزَهم، حتى وبخهم على ضعف فهمهم، وأنه إنما أراد تحذيرهم تعليم الزنادقة والفريسيين^(٤)).

فانظر أيها المتأمل إلى هذا المجاز ما أبعدَه، وقد صرّحَ أنه أرادَه، وبخهم على عدم إمعانهم النظرَ في تفهّم كلامه، فلم لا يجوزُ أن يريدُ بالأبوة والبُنة المنسوبة إلى الله، وإليه؛ الربوبية والعبودية مجازًا؟، وإذا كان التلاميذُ الذين كانوا أنبياء معصومين،

(١) قال ابن قدامة في المغني (١/١٠٩) طبعة دار الفكر، الأولى، ١٤٠٥ هـ لبنان: (قال ابن عقيل: لا يختلف المذهب أنه لا يستحب للصائم السواك بعد الزوال وهل يكره؟، على روايتين:

إحداهما: يكره، وهو: قول الشافعي وإسحاق وأبي ثور، وروي ذلك عن عمر وعطاء ومجاهد لما روي عن عمر ﷺ أنه قال يستاك ما بينه وما بين الظهر، ولا يستاك بعد ذلك؛ ولأن السواك إنما استحَب لإزالة رائحة الفم وقد قال النبي ﷺ: (لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك) قال الترمذي: هذا حديث حسن، وإزالة المستطاب مكروه، كدم الشهداء، وشعث الإحرام.

والثانية: لا يكره ورخص فيه غدوة وعشيا النخعي، وابن سيرين وعروة ومالك وأصحاب الرأي، وري ذلك عن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم لعموم الأحاديث المروية في السواك...]. وقلت المسألة: خلافية يسوغ فيها الخلاف. انظر تعليق الناسخ الآتي.

(٢) في الهامش بخط الناسخ في: (ب): [هذه العبارة توجب مؤاخذة الطوفي كونه خطأ الجمهور والله أعلم].

وانظر: [زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/٢٩٣) لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت].

(٣) الكلمة من الآرامية ومعناها: المنعزل، وهو إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفتيين الآخرين فتي الصدوقين والأسينيين، وكانت أضيّقها رأياً وتعليماً. [قاموس الكتاب المقدس (٦٧٤)].

(٤) إنجيل متى: ١٦: ٦ - ١٢، ووجدت بدل (الزنادقة) لفظ: (الصدوقيين).

خفي عنهم مرأته؛ حتى صرّح لهم به؛ فما ظنك برعاع^(١) النَّصاري الخالفين بعدهم،
الذين هم كالأنعام، بل هم أضلّ سبيلاً!

ولقائل أن يقول: قد بيّنه في إنجيل (لوقا)، فقال: (خمير^(٢) الفريسيين
الذي هو:

الرياء^(٣))، لكن يقال: لو^(٤) صحَّ هذا البيان لما ذهب وَهُمْهُم إلى الخبز.

ومن ذلك في الفصل الثالث والثلاثين: (ثم جاء يسوع إلى قرى قيسارية، فقال
لتلاميذه: ماذا يقول الناس في ابن البشر؟، فقال قومٌ: يقولون: يوحنا المعمدان،
وآخرون (يقولون)^(٥) إيليا [٢٣/ب]، وآخرون أرمياء، أو واحدٌ من الأنبياء، فقال
لهم: فأنتم ماذا تقولون؟ فقال^(٦) سمعان بطرس: أنت هو المسيح ابن الله الحي،
فقال: طوباك يا سمعان، ثم استخلفه^(٧)).

واعلم أن هذا كلامٌ فاسدٌ مختلٌ، من وضع بعض غلاة النصاري، وقد كان في
غاية التغفيل، فليت شعري: كيف يشبه عليهم المسيح يوحنا المعمدان، وإيليا، و
أرمياء، وهم أقدمُ منه في القديسيّة والنبوة، وكلُّ منهم متعينٌ في نفسه، لا يشكل بغيره.

(١) الرَّعَاعُ الأحداثُ ورَعَاعُ الناسِ سَقَاطُهُمْ وَسَفَلَتُهُمْ. [لسان العرب: (٨/ ١٢٨)].

(٢) في (أ): خبز، وما أثبتّه من (ب)، وهكذا وردت العبارة في إنجيل (متى): ١٦: ١١: (كيف لا تفهمون أني ليس
عن الخبز قلت لكم، أن تحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين). والنص الذي أشار إليه الطوفي تَحْتَلُّهُ في
(لوقا): ١٢: ١: (و في أثناء ذلك إذا جمع ربوات الشعب، حتى كان بعضهم يدوس بعضاً، ابتداء يقول لتلاميذه:
أو لا تحرزوا! هكذا وردت، وفيه دلالة على هشاشة الترجمة، ومثل هذا كثيرٌ سياقياً لأنفسكم من خمير
الفريسيين الذي هو: الرياء).

(٣) إنجيل لوقا: ١٢: ١.

(٤) ليست في (أ)، والمثبت من (ب).

(٥) زيادة من: (ب).

(٦) ليست في (أ).

(٧) النص في متى: ١٦: ١٤ - ١٧: (فقالوا قوم: يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: أرمياء، أو واحد
من الأنبياء، فقال لهم: وأنتم من تقولون أني أنا؟، فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح، ابنُ الله
الحي، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي
في السماوات).

ويدل على كذب هذا الكلام، وفساده، قوله بعد هذا: (حينئذ أوصى تلاميذه؛ كذب إنجيل متى
ألا [٢١/أ] يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح)^(١)، ووجه الكذب فيه: أنه إن كان الله،
أو ابن الله؛ فلماذا يخفي نفسه؟!، وبالناس حاجة إلى معرفته؛ ليزول اللبس عنهم
والإشكال، ويسلكون طرق الهدى بعد طرق الضلال.

وهل هذا إلا تليس لا يليق إلا بإبليس؟!، والمسيح، صلوات الله عليه، منزلة
عنه، وإن كان رسولاً فكذلك؛ لأن شأن الرسول تبليغ ما أرسل به غير خائف مع الله
أحدًا، ولا تأخذه فيه لومة لائم.

وأيضًا: فإنه قبل هذا قد قدح بقول سمعان: (أنت هو المسيح ابن الله)، فكيف
يستخفي الآن؟!

فإن قيل: خيفة اليهود أن يقتلوه^(٢)؛ قلت^(٣): الكلام أعم من هذا، وأيضًا: فإنه
كان يعلم أي وقت يقبض عليه اليهود، ولم يكن جاء ذلك الوقت بعد.

وأيضًا: فإنه إذا كان يعلم أنه يقتل لا محالة؛ فمثله لا يستعصم بأسباب يعلم
أنها لا تنفع، ولا ترد قدرًا، ومن كان يمشي على الماء بيقينه يبعد^(٤) منه أن يقول:
لا تعلموا الناس بي؛ لثلاث تقتلني اليهود؛ مع أنه كان يعلم أنه لا بُدَّ من ذلك؛ لكونه
سبق في بشارة أشعياء، ونسبة مثل هذا إلى المسيح قدح فيه؛ ولكن ليس مستبعدًا من
النصارى؛ لأنهم أصدقاء جهال! وفي المثل: (عدو عاقل خير، من صديق جاهل).

ومن ذلك: في الفصل الخامس والثلاثين: (أن رجلاً كان بابنه شيطان؛ فقدّمه إلى
التلاميذ، فلم يقدروا على إخراجه منه؛ فأخرجه المسيح، فقال له التلاميذ لم

(١) وردت العبارة بنصها في إنجيل متى: ٢٠: ١٦.

(٢) في هامش (ب) كتب الناسخ: (يامدغين يانصارى، إن قلت: خيفة اليهود، فاليهود..... وأخس أن يقتلوا
من تزعمون أنه ابن الله، كيف يمكنهم من قتل ابنه. وإن قلت: هو الله، فمن يقدر على قتل الله؟!، وهل يخاف الله
من..... فعترك الله، ما أدمغكم، وأنعسكم).

(٣) في (ب): قلنا.

(٤) في (ب): نعيد.

يخرج معنا نحن؟ فقال: لِقَلَّةِ إيمانِكُمْ. الحقُّ أقولُ لكم، لو كان لكم إيمانٌ مثل حبة خردل؛ لقلتم لهذا الجبل انتقل من [٢٤/ب] هنا إلى هناك فينتقل، ولا يعسر عليكم شيء^(١)، وقد تكررَ مثلُ هذا في مشيه على الماء وغيره. وهذا ظاهرٌ في أنَّ المسيحَ إنما كان يفعل الخوارق بقوةِ يقينه وإيمانه، وحُسنِ ظنه بالله، ولو كان إلهاً لكان فعله لها بالقدره الإلهية، أو ابنُ الإله لكان فعله لها بقدره أبيه وجاهه؛ كما تتصرَّفُ أبناءُ الملوك في ممالك آبائهم بجاههم، فلما كان تصرَّفُ المسيح باليقين والإيمان؛ دلَّ على أنه عبدٌ مربوبٌ، لا إله، ولا ابنه.

وفي الفصل السادس والثلاثين: (لما طلبوا الخراج من المسيح قال: يا شمعان، ما يظنُّ ملوكُ الأرض؟ ممن يأخذون الخراج؟، من النبيين، أو من الغرباء؟، قال له بطرس: من الغرباء، قال يسوع: فالنبيون^(٢) إذاً أحرار^(٣)).

قلت: هذه اللفظةُ في الإنجيل رأيتها مترددةً الصورة بين (النبيين) جمع (نبي)، أو (البنين) جمع (ابن)؛ فإن كانت جمعَ نبيٍّ؛ فقد اعترف المسيحُ بأنه نبيٌّ؛ وإن [٢٢/أ] كانت^(٤) جمع ابنٍ؛ لزم أن يكونَ لله أبناءٌ متعددةٌ، ولا قائلَ به؛ بل القائلُ قائلان: أحدهما قال: ليس لله ابنٌ، والآخر قال: المسيحُ ابنُ الله، سبحانه عن ذلك.

ومن ذلك في الفصل الثامن والثلاثين: (قولُ المسيح لتلاميذه: إذا اتفق اثنان منكم على الأرض في كل شيء يطلبانه^(٥)، يكونُ لهما من قبل أبي الذي في السموات، وحيثما اجتمع اثنان، أو ثلاثة باسمي؛ فأنا أكون هناك في وسطهم^(٦)).

قلتُ: لعلَّ هذا مما تغرَّب به النصارى، في كون المسيح إلهاً؛ لكونه قال: حيثما

(١) إنجيل متى: ١٧: ٢٠.

(٢) في (أ) (فالنبيين)، والصواب من: (ب)، ووردت الكلمة في نص إنجيل متى: (فالنبيون)

(٣) إنجيل متى: ١٧: ٢٤-٢٦.

(٤) في (أ): (كان) والصواب من (ب).

(٥) في (أ): يطلبانه، والصواب من (ب).

(٦) إنجيل متى: ١٨: ١٩-٢٠.

اجتمعتم باسمي، فأنا في وسطكم، وإنما هذا كناية، ومجازٌ عن: أنكم بحكمي تحكمون، ولملتي تتبعون؛ بدليل قوله: ما اجتمع اثنان، أو ثلاثة باسمي؛ فتقييده باسمه يدلُّ على أنَّ ذلك مجازٌ عما قلناه؛ وإلاَّ فلو كان بذاته معهم لكونه إلهاً لزم التبعض والتجزئ على الإله؛ لأنَّ المسيح يكون بذاته معهم، وأبوه في السموات، كما صرح به غير موضع، وهما عندهم واحدٌ، والتجزئ على الإله محالٌ، ولو كان معهم بعلمه لم يكن لتقييده باجتماعهم باسمه معنى؛ لأنَّ الإله مع خلقه بعلمه حيث كانوا، سواء اجتمعوا باسمه، أو باسم الشيطان الرجيم؛ كما قال الله سبحانه في القرآن العزيز: ﴿.. مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧]، إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ^(١) مَعَهُمْ أَيْنَ مَا (٢٥/ب) كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧].

ومن ذلك في الفصل الأربعين: (قال: جاء الفريسيون إلى المسيح ليجربوه، قائلين: هل يحل للإنسان يطلق امرأته؛ لأجل كل علة؟، فقال لهم: أمَّا قرأتم إنَّ الذي خلق في البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟، ومن أجل ذلك يترك الإنسان أباه وأمه، ويلصق بامرأته، ويكونا كلاهما جسداً واحداً، وليس هما اثنان؛ لكن جسد واحد، وما جمعه الله لا يفرقه الإنسان، قالوا له: لماذا موسى أوصى أن تُعطى كتاب طلاق وتُخلَّى؟! قال: لأنَّ موسى علمَ قساوة قلوبكم، فأوصاكم أن تطلقوا نساءكم، ومن البدء لم يكن هذا، وأقول لكم: من طلق امرأته من غير زنا، فقد ألجأها إلى الزنا، ومن تزوج مطلقاً فقد زنا)^(٢).

قلت: اعلم أنَّ هذا الكلام^(٣) مختلقٌ على المسيح، لا يليق بعاقلٍ نسبته إليه؛ لأنَّه فاسدٌ، وبيانُ فساده أنَّ المسيح صلوات الله عليه، كان من أحكم الحكماء، وحكمه الثابتة عنه لا يمارى عاقلٌ في حسننها، وصحةِ علمها وظهورها للعقول، ومناسبتها.

(١) في كلا النسخين (أ) و(ب): وهو، وهو خطأ.

(٢) إنجيل متى: ١٩-٣-٩. انظر للفائدة: [التوراة والقرآن والإنجيل (١٠٧-١١٠): محمد حمد الصويان،

الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ مكتبة العبيكان. الرياض].

(٣) في: (ب): كلامٌ، والصواب من: (أ).

وهذا الكلام معلّلٌ بعلّةٍ غير مناسبة؛ وذلك أنّه جعل العِلّةَ في عدم جواز الطلاق كونَ الخالق خلقهما في البدء ذكراً وأنثى، وأنَّ الإنسانَ يلصقُ بامرأته [٢٣/أ]، ويدعُ أبويه، وليس في هذا التعليل ما يُناسب عدمَ جواز الطلاق، والتشديد فيه.

نعم، فيه ما ينهض سبباً لكرهاته، كما هو في دين الإسلام، هذا نعم! ؛ ولهذا قال محمد ﷺ: (أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق) ^(١).

أمّا تحريمُهُ والتغليظُ فيه فمن أين ذلك؟، وأمّا قوله: وما ^(٢) جمعه الله لا يفرقه الإنسان، فهو منقوَضٌ بالعضو المتآكل من البدن، إذا خيفَ منه الضررُ، كان قطعُهُ واجباً عقلاً وشرعاً؛ حفظاً للنفس.

وقد يحصلُ للإنسان من الضررِ بامساكِ الزوجة أضعافُ ما يحصلُ له بإبقاء العضو المتآكل. وقد نصّ المسيح على هذا في الفصل التاسع والثلاثين من هذا الإنجيل، حيث قال: (إن شكتك يدُك أو رجلُك فاقطعهما، والقهما عنك!، وإن شكتك عينُك ^(٣) فاقلمها! والقها عنك، فخيرٌ لك أن [٢٦/ب] تدخل الحياة أعرج، أو أعسم ^(٤)، أو بعينٍ واحدةٍ، من أن تلقى في جهنمِ صحيحَ الأعضاء) ^(٥).

وقد يكون استمرارُ الرجل مع المرأة مفضيًّا إلى النار، فيكون كما لو شكته ^(٦)

(١) (ضعيف) عن ابن عمر، سنن أبي داود. باب في كراهية الطلاق (ج ٢/ص ٢٥٥) (٢١٧٧) (٢١٧٨) سنن ابن ماجه. كتاب الطلاق. (ج ١/ص ٦٥٠) ح (٢٠١٨). سنن البيهقي الكبرى (ج ٧/ص ٣٢٢) باب ما جاء في كراهية الطلاق (١٤٦٧١)، ضعفه الألباني، في: [ضعيف ابن ماجه (٢٠٥٠/٣٤٩)]. ضعيف الجامع الصغير (ص ٨ برقم ٤٤) في إرواء الغليل (٢٠٤٠)، ضعيف أبي سنن داود (٣٧٣ و ٣٧٤) [٣٧٤].

(٢) في (أ): (فما) والصواب من (ب).

(٣) هكذا في النسختين (أ. ب.)، و اللفظ في الترجمة الحديثة: (و إن أعترتك عينك فاقلمها و القها عنك خير لك أن تدخل الحياة اعور من أن تلقى في جهنم النار و لك عينان).

(٤) الْعَسَمُ: يُنْسَى فِي الْبَرْقِ وَالرُّسْغُ تَعَوُّجٌ مِنْهُ الْيَدُ وَالْقَدَمُ. [لسان العرب (١٢/٤٠١)].

(٥) إنجيل متى: ١٨: ٩-٨.

(٦) في (ب): (شكاه) والصواب من (أ).

أحد أعضائه، لو تصوّر ذلك.

وَأَمَّا قوله: إن موسى لقساوة قلوبكم أو صاكم أن تطلقوا نساءكم، فيقال في جوابه: الطلاق، لا يخلو إمّا أنّه كان جائزاً عند موسى، أو غير جائز؛ فإن كان جائزاً؛ فكيف يستجيز موسى ما لا يستجيزه المسيح؟!.

فإن قيل: بطريق النسخ، قلنا: لو كان بطريق النسخ ليّنه المسيح، وقال: هذا في شرعي حرام، وإن كان جائزاً في شرع موسى، ولكن اعتلّ بقساوة قلوبهم، وقساوة القلوب لا تُبيح المحظور؛ بل تناسب حظر المباح، كما شدّد الله سبحانه على اليهود بتحريم جملة من الطيبات^(١)، وإن لم يكن الطلاق جائزاً عند موسى؛ فتجوز به إياه لهم لقساوة قلوبهم؛ أذهان في دين الله، وتسامح في حقوقه، وهو لا يليق بأحد من الأنبياء.

ثم إنَّ المسيح قد حكم لأصحابه، الذين سألوه عن الطلاق من الفريسيين وغيرهم^(٢) بقساوة القلب؛ فالعلة التي أجازها موسى لأجلها موجودة، فهلا أجازها لهذه العلة؟ وهل منع الشيء مع وجود مقتضيه إلّا تشديد على خلق الله وحرّج عليهم؟ ومقاصد النبوات من إقامة رسوم التكليف؛ تحصل بدون الحرج، والتضييق.

وَأَمَّا قوله: (من طلق امرأته من غير زنا فقد ألجأها إلى الزنا)؛ فكلام^(٣) غير

(١) يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ أَلَّا يَزْنُوا هَٰذَا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّت لَكُمْ وَبَيَّضْنَا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَٰذَا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفٍ وَرِيشِ الْبَقَرِ وَالْفَرْسِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُهُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَيِّنَاتٍ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وقوله ﷺ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَٰذَا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

(٢) في (أ): وغيره، والصواب من (ب).

(٣) في: (ب): كلام، والصواب من (أ). قلت: وهذا الكلام لا يقبل، وقد رجعت مرة أخرى لنسختي المخطوط فوجدته مثبتاً، وإن كان الأولى حذفه.

محصل، وكيف يلجئها إلى الزنا؟! والناس كثيرٌ تزوج بغيره، كما لو مات، وهل زوج المرأة، وامرأة الرجل إلا كخادمٍ يُستمعُ به في قضاء الحوائج؟!، إذا مات اشترى عوضه.

وكذلك قوله: (من تزوج مطلقة فقد زنا)؛ فإنه في غاية الفساد [٢٤ / أ] والتناقض؛ لأنَّ مفهوم قوله: (من طلق امرأته من غير زنا فقد ألجأها إلى الزنا)، جواز^(١) طلاقها إذا زنت^(٢).

وقوله: من تزوج مطلقة فقد زنا، عامٌ في المنع من تزوج المطلقة، سواء طُلِّقَتْ لكونها زنت، أو لا لعلية، فيلزم^(٣) من هذا أنَّ من زنت امرأته؛ جاز له طلاقها، ولم يجز لغيره تزوجها؛ فيُقضي حينئذٍ إلى أنها تزني، فهذا يكون إلجاء لها إلى الزنا، لا الذي قبله.

فأنت [٢٧ / ب] أيُّها العاقل اللبيب إذا تأملتَ هذا الكلام، وما اشتمل عليه من التَّهافت والاضطراب؛ علمتَ قطعاً أنه مختلقٌ على المسيح، وأن المسيح بريء منه، وأن هؤلاء القوم دلست عليهم أشياء، فراجت، ثم جعلوها أساساً لدينهم، فكان بناؤهم على جُرفٍ هارٍ^(٤)، وكما قال المسيح ﷺ؛ فيمن بيته على الرمل فجاء السيل فهدمه^(٥).

دراج
الشبه
على
النصارى

ومن ذلك: في الفصل الخمسين: (مثلٌ ضربه المسيحُ لهم، في رجلٍ سلَّم كُرمه إلى الفعلة ليقوموا عليه، فلمَّا جاء وقتُ الثمر؛ بعَثَ عبيده إليهم ليأخذوا الثمرة؛

(١) في (أ): (جواب) والصواب (ب).

(٢) بينا في تعليق سابق ما يؤدي إليه هذا الافتراء العظيم منهم على المسيح ﷺ من ظلم للمرأة، وسلب لإنسانيتها.

(٣) في: (أ) كتبت خطأ هكذا (فليزم) والصواب (ب).

(٤) الجرف الهاري: الجُرفُ اجترأكَ الشيء عن وجه الأرض، وشاهده في القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿هُ أَقْمَنَ أَسَسَ بَيْكُم عَلَى قَوْنٍ مِنْ أَلَلَّ وَرُضُونٍ حَرَامٍ مَنْ أَسَسَ بَيْكُم عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] انظر: [لسان العرب (٩/ ٢٥)].

(٥) النص في إنجيل متى: ٢٦-٢٧: (وكلُّ من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها؛ يشبه برجل جاهل، بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً).

فَضْرَبُوا بَعْضًا، وَقَتَلُوا بَعْضًا، ثُمَّ بَعَثَ عبيدًا له آخرين ففعلوا بهم كالأوليين، ثم بعث إليهم ابنه لعلهم يستحيون منه، فقالوا: هذا هو الوارث فقتلوه؛ ليختصوا بالثمرة^(١). هذا حاصل المثل، وهو مثل ضربه المسيح لله سبحانه، ولرسله^(٢) قبل المسيح؛ ولنفسه بعدهم. فربما قرّر النصارى رأيهم من هذا المثل بأن قالوا: قد فرّق المسيح هاهنا بين الابن والعبيد؛ فجعل نفسه ابن الله، وجعل الأنبياء قبله عبيدًا لله، فلو كانت البُتوة فيه مجازًا عن العبودية؛ لم يكن لهذا التفريق معنى، فدلّ على أن للابن، والبُتوة، خصيصّة ومزية على العبيد والعبودية، وليس إلّا ما ندّعيه.

والجواب: أنا نسلّم^(٣) الفرق بين المسيح ومن قبله من الأنبياء، وأنه أفضلّ منهم؛ ولكن من أين لكم أن خصّصته عليهم هي التي تدعونها من كونه ابن الله؟، ولم لا يُقال: أن خصّصته هي: أفضليته عليهم، بما ظهر على يديه ممّا لم يظهر على أيديهم، وبكونه في نفسه آية؛ حيث خلّق بكلمة الله، من غير بشر.

والمسيح صلوات الله عليه في نفسه آية، وظهرت على يده الآيات، وسائر الأنبياء ليسوا آيات في أنفسهم، وإنمّا ظهرت على أيديهم الآيات؛ فلهذه الفضيلة^(٤) استجاز أن يُنسب إلى الله بالبُتوة، المجازية اللفظية، ولم يسع^(٥) ذلك لغيره من الأنبياء؛ كيف والمسيح، صلوات الله عليه، يقول للعامة والسوقة^(٦): (ما فعلتم من خير؛ وجدتموه عند أبيكم الذي في السموات)^(٧)، فأضاف أبوة الله [٢٨/ب] إلى غيره من الناس، في مواضع كثيرة^(٨).

(١) إنجيل متى: ٢١: ٢٣-٤٠.

(٢) في (أ): (لرسوله)، والصواب من: (ب).

(٣) في (ب): (لا نسلم) وهي عبارة لا تستقيم، والصواب ما أثبتّه.

(٤) في (أ): الفضلة، والمثبت من (ب).

(٥) في (أ): يسع، والمثبت من (ب).

(٦) السوقة: ضد الملك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. [مختار الصحاح (٣٢٦)].

(٧) إنجيل متى: ٥: ٤٥ و ٦: ١٤، و ١٤: ١٨.

(٨) في إنجيل متى: أضاف أبوة الله إلى أناس غير المسيح في غير ما موضع، انظر على سبيل المثال: ٦: ١٤، ١٥، ٢٦، و ٧: ١١، ١٠: ٢٠ و ١٠: ٢٩ و ١٤: ١٨. وقد تقدم في الدراسة أن من منهجه: الاحتجاج على النصارى

فهذا^(١) وأمثاله [٢٥/أ] تبيّن أن مراده ببنوة نفسه، وأبوّة الله له إنّما هي العبوديّة الخاصّة^(٢) بمزيد كرامة وفضيلة، لا ما ذهب إلى أذهان فاسدة.

وينحوي من هذا يُجاب عن ضربه المثل بالملك الذي صنع لابنه عرساً، ودعا إليه قومًا، فلم يجيوا؛ فأهلكهم، ودعا لوليمته أبناء السبيل. ذكره في: الفصل الحادي والخمسين^(٣).

ومن ذلك في الفصل الثالث والخمسين: (جاء الزنادقة الذين يقولون: ليس قيامة؛ فقالوا: يا معلم، إن موسى قال: إن مات إنسان وليس له ولد؛ فليزوج أخوه امرأته، ويقيم زرعًا لأخيه، وكان عندنا سبعة إخوة تزوجوا امرأة، واحدًا بعد واحد، ولم يُرزقوا منها ولدًا، ثم ماتت المرأة، فلمن تكون المرأة في القيامة من السبعة؟! فقال لهم يسوع: ضللتم، لم تعرفوا الكتب ولا قوة الله في القيامة لا يتزوجون ولا يزوجون؛ لكن يكونون كملائكة الله في السماء)^(٤).

قلت: هذا الكلام إن صحّ عن المسيح؛ فيجب حمله على قيامة الموت، لا قيامة البعث بعد الموت^(٥)؛ لأنّ قيامة كلّ إنسان بموته؛ لأنّه يتبيّن له بموته ماله في قيامة البعث، من خيرٍ وشرٍ، وفي الحديث: (وإنما قيامة أحدكم إذا مات)^(٦).

بالمجاز الذي لا يسوغ غيره، في دعواهم بنوة المسيح لله تعالى؛ فيقول: (قوله: (لكيما تكونوا بني أبيكم)، قد تقدّم الاستدلال بإضافة البنوة إليهم، على أن المراد بها في حقّ المسيح العبوديّة).

(١) في (ب): (فهذا) والمثبت من (أ) وهو الصواب.

(٢) وردت في: (ب) دون: (أ).

(٣) انظر النص في: إنجيل متى: ٢٢: ١-١٤.

(٤) إنجيل متى: ٢٢: ٢٣-٣٠.

(٥) قلت: بل الصواب أن يُردّ هذا النص جملة، ونريح أنفسنا من عناء التكلف في تفسيره، وهكذا كان ينبغي للطوفي أن يفعل كمثلته.

(٦) (ضعيف). قال الألباني رحمة الله عليه: (ضعيف) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»

(٤/٥٦ - طبع الحلبي): (رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث: أنس رضي الله عنه بسند ضعيف).

ومن حديثه رواه العسكري والديلمي كما في «المقاصد الحسنة» (ص ٧٥ و ٤٢٨) بلفظ: «إذا مات أحدكم

فقد قامت قيامته». وسكت عليه. وجاء بلفظ: «إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم ترونه،

واستغفروه كل ساعة)، قال الشيخ الألباني رحمة الله عليه، في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (١١/ ٨١٩):

ولهذا ذكر المسيح عقب هذا الكلام قيامة الأموات وقال: (أما قرأتم ما قيل لكم من الله؛ إذ قال: أنا هو إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، والله ليس إله أموات؛ لكن أحياء)^(١).

ومعنى هذا الكلام: أن المؤمن إذا مات كانت نفسه حية في عالم السموات، مجردة عن المادة البدنية، ولا ترى ثوابها من أكل وشرب، ونكاح وتلذذ نفسياني وجسماني، إلا يوم القيامة عند بعث الأجساد. فإن صَحَّ هذا التأويل، وإلا فهذا الكلام مختلق، موضوع على المسيح، وضعه بعض الزنادقة، كالذين سألوه. والدليل على بطلانه من وجوه:

أحدها: أن المسيح قد صرَّح بذكر جهنم^(٢) في الإنجيل في مواضع، في سياق وعيد من لا يؤمن به، وكُنِيَ عنها بالظُّلْمة، وصرير الأسنان، في مواضع منها: في آخر الفصل السابع، وآخر: الحادي والخمسين من هذا الإنجيل^(٣). وعذاب جهنم عذابٌ حسيٌّ؛ فينبغي أن يقابله للمطيع نعيمٌ حسيٌّ؛ لأنَّ النعيم

(موضوع) أخرجه الديلمي (١/ ١/ ١٥١ - زهر الفردوس) من طريق عنبسة ابن عبد الرحمن: حدثنا محمد بن زاذان عن أنس مرفوعاً. قلت: وهذا موضوع؛ أفته عنبسة هذا؛ فإنه كان يضع الحديث. وقد مضى له غير ما حديث موضوع؛ فانظر اسمه في فهرس المجلد الأول والثاني من هذه «السلسلة». وقريب منه: شيخه محمد بن زاذان؛ فإنه متروك، فانظر الحديث (٤٣٥، ٥١٨) والحديث؛ ذكره السخاوي في «المقاصد» (ص ٧٥) من رواية العسكري عن أنس بلفظ: «الموت القيامة، إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته، يرى ما له من خير وشر». ولم يتكلم على إسناده بشيء، لا في رواية العسكري ولا في رواية الديلمي، وقد ذكرها تحت حديث: «من مات؛ فقد قامت قيامته» (ص ٤٢٨) مشيراً إلى أنه لا أصل له بهذا اللفظ الأخير. وقال: «وللطبراني من حديث زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة المرء موته. ومن رواية سفيان بن أبي قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا؛ فقد قامت قيامته». [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: (٣/ ٣٠٩) و (١١/ ٨١٩)].

(١) إنجيل متى: ٢٢: ٣١-٣٢.

(٢) انظر: إنجيل متى بلفظ (جهنم): ٥: ٢٢ و ١٥: ٢٣ و ٢٣: ٣٣. ولفظ (النار): ٧: ١٩ و ١٣: ٤٢ و ١٣: ٥٠ و ١٨: ٨، ٩ و ٢٥: ٤١ وإنجيل مرقس بلفظ (جهنم): ٩: ٤٣ و ٤٥ و ٤٧ و لفظ (النار): ٩: ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨. وإنجيل لوقا، بلفظ (جهنم): ١٢: ٥، و لفظ (النار): ٣: ٩.

(٣) انظر إنجيل متى: ٨: ١٢ و ٢٢: ١٣ و ٢٥: ٣٠.

الوعدي^(١) ينبغي أن يكون من جنس العذاب الوعدي؛ لأنَّ الرُّسُلَ إنَّمَا رَغَّبُوا الْأُمَمَ وَرَهَّبُوهُمْ [٢٩/ب] بما يعقلون، ويحذِّرون؛ ليكون أدعى إلى الإجابة.

وَاللَّذَّةُ الرَّوْحَانِيَّةُ أَكْثَرُ الْأُمَمَ لَا تَدْرِكُهَا، ولهذا احتاج الفلاسفة في إثباتها إلى تَلَطُّفٍ، وضرب أمثلة مشاهدة [٢٦/أ]، كما نقل ابن سينا^(٢) في

(١) والفرق بين الوعد والوعيد بينه الطوفي تَعَلُّقُهُ ضَمَنًا في تفسيره سورة الفاتحة، قال: (والوجه الثاني: أن القرآن مشتمل على الوعد والوعيد، والحلال والحرام، وغيرهما من الأحكام والقصص والأخبار. أما الوعد ففي ضمن قوله ﷺ: ﴿أَرْحَمَنَ الرَّحِيمِ﴾. وقوله ﷺ: ﴿مِرْطَ الَّذِينَ أَنْتَ عَيْتُهُمْ﴾. والوعد فيه ظاهر لا شتماله على صفتي الرحمة والإنعام. وأما الوعيد ففي قوله ﷺ: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾. إذ فيه إشارة إلى أنه ﷺ مالك يوم الحساب والجزاء، فيجازي كلا بفعله: ﴿يَوْمَ لَا تَنَالُكَ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَهِ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]. وأيضاً قوله ﷺ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْفَاسِقِينَ﴾. لأن صفتي الغضب والضلال تقتضيان ترتب الوعيد عليهما. وأما الحلال والحرام ونحوهما من الأحكام ففي قوله ﷺ: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾. إذ المراد بالدين الجزاء المستلزم للتكليف بأحكام الأفعال المجازي عليها من إيجاب وحظر وكراهة وندب. وكذا قوله ﷺ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ﴾. فصرح بلفظ التعبد الذي هو من التكليف الموجب لوجود الأحكام على المكلفين. وأما القصص والأخبار ففي قوله ﷺ: ﴿مِرْطَ الَّذِينَ أَنْتَ عَيْتُهُمْ﴾. إلى آخر السورة. ويقرره ما مر في الوجه قبله من أن المخبر عنهم، إما منعم عليه، أو مغضوب عليه، أو مهتد، أو ضال. وما كان من الأخبار بالمعاد، ففي قوله ﷺ: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾. وهي مذكورة في كتاب (العاقبة) وكتاب (البعث والنشور)، وغيرها من كتب السنة. [إيضاح البيان عن معنى أم القرآن للطوفي. ت: د: علي حسين البواب، - ١٤١٩ هـ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة].

(٢) الشيخ الرئيس، ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى عاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض، في الطريق، ومات بها.

قال ابن قيم الجوزية: (كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين).

وقال ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغت علومهم، فانه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المتتبعين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد) أشهر كتبه (القانون) كبير في الطب، يسميه علماء الفرنج Canonmedcna بقي معولاً عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في رومة وهم يسمون ابن سينا Avcenne وله عندهم مكانة رفيعة. قلت: قال ابن سينا عن نفسه: (وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية... وقال: وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت إلى الجامع، وصليت وابتهلت =

آخر كتبه: (الإشارات)، وغيره من الفلاسفة، ولأفمن أنكر النعيم الحسيّ لزّمه إنكارُ العذاب الحسيّ، وأنّ العذاب في الآخرة إنّما هو تألّم النفس؛ مما تجده من آثار العقائد الباطلة، وكثافة الجهل، وظلمته عليها، كما قرّره الفلاسفة^(١)، وفي ذلك إبطال لما توعدّ به الإنجيل من جهنم في غير موضع.

= إلى مبدع الكل، حتى فتح لي المنقلب، وتيسر المتعسر، وكنت أرجع بالليل إلى داري واضع السراج بين يدي، وأستغلّ بالقراءة والكتابة، فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف، عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريشما تسود إلي قوتي). [الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، (عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢٩٠)، (سير أعلام النبلاء (٣٤/ ٣٥). ومقدمة (الإشارات والتنبيهات (٨٥-٩٨)، وقد جاول الدكتور: سليمان دنيا تبرته من شرب المسكر والإلحاد.. فلم يقلح. وانظر: رسائل في الأديان والمذاهب (١٩-٢١) د: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ دار ابن خزيمة، الرياض.].

(١) قالت الفلاسفة: إن النفس تبقى بعد الموت سرمدياً، إما في لذة عظيمة إذا كانت كاملة زكية، وإما في ألم عظيم إذا كانت ناقصة ملطخة. أو يتفاوت الناس في درجات الألم واللذة كما يتفاوتون في المراتب الدنيوية. والسعادة تنال بالكمال والتزكية، والكمال يحصل بالعلم، والزكاء بالعمل. والنفس الجاهلة المنشغلة بالبدن وشهواته في الحياة الدنيا، تتألم في الآخرة بفوات اللذة النفسية، وإن لم تحس بالألم في حياتها؛ فلأن البدن يلهمها وينسبها ألمها، كالخدر الذي لا تحس بالنار. فاللذات الجسدية حقيرة بالإضافة إلى اللذات الروحانية العقلية، والدليل على ذلك أن الملائكة التي ليست لها اللذات الحسية هي أشرف حالاً من البهائم. كما أن الإنسان نفسه يؤثر اللذات العقلية على الحسية، فيهتم بالغلبة دون الأنكحة والأطعمة، وبالخشمة دون قضاء الوطر، وبليذة الثناء والإطراء دون خطر الموت. وتركية النفس تتم بالعمل والعبادة. فالنفس المواظبة على الشهوات تنال الأذى، لعجزها عن الاتصال بالملائكة، ولعجزها عن تحصيل اللذة الجسمانية المعتدلة بعد أن تستلب منها ألتها، وهي البدن لذلك وجب الإعراض عن الدنيا، والاكتفاء بتوسط الشرع في الأخلاق، كالجواد الذي هو وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة التي هي وسط بين الجبن والتهور. إذن، السعيد من الناس من جمع فضيلتي العلم والعمل. والهالك من عديم هاتين الفضيلتين. ومن له فضيلة العلم دون العمل فهو العالم الفاسق الذي يتعذب مدة ثم لا يدوم لكمال نفسه بالعلم. ومن له فضيلة العمل دون العلم يسلم وينجو عن الألم، لكنه لا يحظى بالسعادة الكاملة، ومن مات بنظر الفلاسفة قامت قيامته. والجواب بنظر الغزالي، أن «أكثر هذه الأمور ليس على مخالفة الشرع. فإنا لا ننكر أن في الآخرة أنواعاً من اللذات أعظم من المحسوسات، ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن، ولكننا عرفنا ذلك بالشرع... وإنما أنكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل». لكن الذي يخالف الشرع هو إنكار حشر الأجساد، وإنكار اللذات وللآلام الجسمانية في الجنة والنار. فالجمع بين السعادتين، الروحانية والجسمانية متحقق. والأمثال التي ضربت في ذلك لا تحتمل التأويل. وذهبت الفلاسفة إلى أنه لو قُدر بعث الأجساد، لكان ذلك: إما بجمع مادة البدن التي تبقى تراباً، وتركيبها وخلق الحياة فيها ابتداءً. وإما يرّد البدن الأول بجمع أجزائه، على أن النفس موجود يبقى بعد الموت. وإما يرّد النفس إلى البدن، أي بدن كان؛ لأن الإنسان إنسان بالنفس. وهذه الأقسام الثلاثة باطلة، لأن استئناف الخلق بحسب القسم الأول هو إيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان. وجمع أجزاء البدن بحسب القسم الثاني يؤدي إلى معاد الأقطع، ومجدوع الأنف =

الفلاسفة
وإدراك
اللذة
الروحانية

الوجه الثاني: أَنَّ الباري سبحانه عدلٌ حكيمٌ، والعدلُ والحكمةُ يقتضيانِ أَنَّ من ترك في دار التكليف شيئاً بموجب التكليف، وتقوى الإله سبحانه؛ أَنْ يُعَوِّضَ بمثله من جنسه في دار الجزاء، وذلك يقتضي أَنَّ من ترك الزنا واللواط، والمأكَل والملابس المحرمة في الدنيا؛ يُعَوِّضَ بجنسها في الآخرة، مجازاةً له على تقواه، وإلَّا كَانَ مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ مَلِكٍ قَالَ لِغَلَامِهِ: لَا تَأْكُلْ هَذَا الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي، وَأَنَا أَعْلَمُكَ عِوَضَهُ عِلْمًا.

فإنَّ للغلام أَنْ يقول: إِنَّ لِي بَدَنًا وَنَفْسًا، وَالْعِلْمُ وَإِنْ كَانَ قُوَّةَ نَفْسِي إِلَّا أَنَّ الطَّعَامَ قُوَّةَ بَدَنِي، وَكِلَا الْقَوَتَيْنِ لَا غِنَى لِي عَنْهُ.

والعلمُ لَا يَقُومُ مَقَامَ الطَّعَامِ، كَمَا لَا يَقُومُ الطَّعَامُ مَقَامَ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ^(١) أَجْنَاسَ الشَّهَوَاتِ وَغَيْرَهَا، لَا يَقُومُ بَعْضُهَا مَقَامَ بَعْضٍ، فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ يَكَابِدُ تَرْكَ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُجَازَى بِأَنْ يُجْعَلَ كَالْمَلِكِ يُسَبِّحُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُ، لَيْسَ بَعْدُ وَلَا حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ تَعَبٍ إِلَى تَعَبٍ، إِلَّا أَنَّ النَّصَارَى تَقْبَلُ عَقُولَهُمْ هَذَا؛ بُنَاءً^(٢) عَلَى خَرَافَةِ رَأْيِهَا عَنْ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ يَقَالُ لَهُ:

= وَنَاقِصَ الْأَعْضَاءِ، وَهَذَا مُسْتَقْبَحٌ بِحَقِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا أَنَّ أَجْزَاءَ الْبَدَنِ تَنْدَثِرُ وَتَخْتَلِطُ بِغَيْرِهَا مِنَ الْأَبْدَانِ وَتَدْخُلُ فِي بَعْضِهَا الْبَعْضُ. وَيَطْلَانُ الْقِسْمُ الثَّالِثُ حَاصِلٌ لِأَنَّ الْأَبْدَانَ الْمُتَنَاهِيَةَ لَا تَقِي بِالْأَنْفُسِ غَيْرَ الْمُتَنَاهِيَةِ، وَلِأَنَّ تَوَارِدَ النَّفْسِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ بَدَنٍ هُوَ قَوْلٌ بِالتَّنَاسُخِ، وَالتَّنَاسُخُ بَاطِلٌ. وَاعْتَرَضَ الْغَزَالِيُّ عَلَى أَوْجِهٍ الْإِسْتِحَالَةِ هَذِهِ: بِاخْتِيَارِ الْقِسْمِ الثَّالِثِ وَإِقْرَارِهِ، شَرْعًا. فَالْنَفْسُ بَاقِيَةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَذَلِكَ «دَلٌّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وَرَدَّ النَّفْسَ مُمْكِنًا إِلَى أَيِّ بَدَنٍ كَانَ، سِوَاهُ كَانَ مِنْ مَادَّةِ الْبَدَنِ الْأَوَّلِ أَوْ مِنْ مَادَّةٍ اسْتَوْنَفَّ خَلْقَهَا. فَالْمَهْمُ هُوَ النَّفْسُ، لَا الْبَدَنُ الَّذِي يَتَبَدَّلُ مِنَ الصَّغَرِ إِلَى الْكِبَرِ، بِالْهَزَالِ وَالسَّهْوِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالتَّنَاسُخُ يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ، أَمَّا الْبَعْثُ فَلَا يَنْكَرُهُ، فَإِنَّ سَمِيَّ الْبَعْثِ تَنَاسُخًا فَلَا مَشَاحَةَ فِي الْأَسْمَاءِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى تَدْيِيرِ الْأُمُورِ. [مَشْكَلَةُ الصَّرَاحِ بَيْنَ الدِّينِ وَالْفَلَسَفَةِ (١٥٧-١٥٩) د: رِضَا سَعَادَةِ. الدَّارُ الْعَالَمِيَّةُ. تَهَافُتُ الْفَلَسَفَةُ: لِلْإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ ت (٥٠٥) هـ. (٢٧٤ - ٢٨٢) ت: د: سَلِيمَانُ دُنْيَا. دَارُ الْمَعَارِفِ. ط الثَّامِنَةُ. وَانْظُرْ: تَهَافُتُ التَّهَافُتِ: لِلْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ رَشْدٍ ت (٥٩٥) هـ. ت: د: سَلِيمَانُ دُنْيَا. دَارُ الْمَعَارِفِ. ط الرَّابِعَةُ.]

(١) فِي (أ): (أَنْ) وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (ب).

(٢) فَائِدَةٌ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ الْإِخْوَةَ الْأَفَاضِلَ فِي مِصْرَ هُنَا، مِنْ عُلَمَاءَ وَمُتَّقِينَ وَبَاحِثِينَ، يَنْطَلِقُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ كَمَا ضَبَطْتُهَا بِالشَّكْلِ أَعْلَاهُ (بُنَاءً)، أَي: بِالضَّمِّ، فَسَأَلْتُ وَتَسَاءَلْتُ كَثِيرًا فَلَمْ أَجِدْ جَوَابًا، ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِ اللَّطَوْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فِي كِتَابِهِ: الصَّعْقَةُ الْغَضَبِيَّةُ عَلَى مُنْكَرِي الْغَضَبِيَّةِ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ إِلَى صِحَّةِ نَظَرِي هَذِهِ =

بقطينوس الحكيم، قال له بعض تلاميذه: ما فائدة ظهور المسيح إلى البشر؟! هل كان إبليس من الملائكة؟ فقال له كلاماً معناه: إِنَّ الله سبحانه وتعالى ^(١) لَمَّا خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ؛ جَعَلُوا يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ ^(٢) بِالْعِبَادَةِ، وَيَزِيدُ هُوَ فِي إِكْرَامِهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ مَقْدَمٌ جَاهِلٌ، قَالَ لَهُمْ: إِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ إِنَّمَا يَزِيدُ فِي إِكْرَامِنَا خَشْيَةً أَنْ نَقْهَرَهُ عَلَى مُلْكِهِ فَهُوَ يَصَانَعُنَا!؛ فَهَلُمُّوا نَغْلِبْهُ عَلَى مُلْكِهِ، وَنَكُونَ مَكَانَهُ، فَوَافَقْتَهُ فِرْقَةً، وَخَالَفْتَهُ فِرْقَةً، فَالَّذِينَ خَالَفُوهُ بَقُوا عَلَى مَلَائِكَتِهِمْ، وَالَّذِينَ وَافَقُوهُ رَكَّبَ اللهُ سَبْحَانَهُ أَرْوَاحَهُمُ اللَّطِيفَةَ [٣٠/ب] النَّيِّرَةَ، فِي هَذِهِ الْأَجْسَادِ الْكَثِيفَةِ الْمَظْلَمَةِ، ثُمَّ كَلَّفَهُمْ أَنْوَاعَ التَّكْلِيفِ، فَمَنْ أَطَاعَ هَاهُنَا رُفِعَ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى حَيْثُ كَانَ فِي الْمَلَائِكَةِ ^(٣)، وَمَنْ عَصَى أَهْبِطَ إِلَى أَسْفَلٍ، وَجَعَلَ اللهُ سَبْحَانَهُ مَقْدَمَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي ^(٤) أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الرَّأْيِ إِبْلِيسَهُمْ ^(٥) فِي دَارِ التَّكْلِيفِ، وَمَغْوِيهِمْ، كَمَا كَانَ مَغْوِيهِمْ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَدْرَكَتْهُ الرَّحْمَةُ لِمَلَائِكَتِهِ فَظَهَرَ لِلْبَشَرِ لَيْسَتْ قُدْرَتُهُمْ مِنْ حَبَائِلِ شَيْطَانِهِمْ وَمَغْوِيهِمْ.

هذا حاصلُ تقريره، ولو صحَّ هذا وثبت لم ينفِ النعيمَ الحسيَّ؛ بمقتضى

= اللفظة، قال: (قال الأصمعي: قال لي شعبة: إني وصفتك لحماذ بن سلمة، وهو يحب أن يراك، قال: فوعدته يوماً، فذهبت معه إليه، فلَمْتُ عليه، فحيّاً ورحب، فقال له شعبة: يا أبا سلمة: هذا الفتى الأصمعي الذي ذكرته لك، قال: فحياني بعدُ وقرب، ثم قال لي: كيف تشد هذا البيت:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا!
فقلت:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا.
يعني: بكسر الباء، فقال لي: انظر جيّداً، فنظرت، فقلت: لست أعرف إلا هذا، فقال يا بني: أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا. يعني بضم الباء، القوم إنما بنوا المكارم ولم يبنوا بالبن والطين. قال: فلم أزل هائلاً لحماذ بن سلمة، ولزمته بعد ذلك. (الصعقة الغضبية على منكري العربية (٣١٧) ت. أ. د: محمد بن خالد الفاضل، العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ الرياض. وانظر: غريب الحديث (٦٠/١) للإمام: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ).

(١) وتعالى: ليست في (ب).

(٢) ليست في (أ).

(٣) في (ب): (من الملائكة).

(٤) في (ب): (الذين) وما أثبتته من (أ).

(٥) المثبت من (أ)، وفي (ب): (إبليس).

[٢٧/ أ] العدل الإلهي، وإن صار المكلفون كالملائكة، كما رُغبت الشهوة في (هاروت) و(ماروت)^(١)، وهما على ملكيتهما؛ ينزلان من السماء ويعرجان إليها، حتى كان منهما ما كان.

الوجه الثالث: أن سؤال الزنادقة الذين يقولون: لا قيامة للمسيح، عن المرأة لمن تكون في القيامة من الإخوة؟!، يدلُّ على أنهم علموا أن التزوُّج في القيامة من دين موسى، أو المسيح، أو هما، وأيا ما كان؛ دلَّ على بطلان ما حكيتهم من جواب المسيح لهم، وأنه^(٢) مختلقٌ عليه، فكان سؤالهم له عن ذلك خارجاً مخرج الإيراد عليه، والإشكال على ما جاء به من النكاح في الآخرة.

وتقريره أنك تقول^(٣) بالنكاح في الآخرة، وهذه القصة تُشكل على مذهبك؛ لأنَّ كلاً من الإخوة قد تزوجها؛ فإن جُعِلَتْ لأحدهم دون الباقي، كان ترجيحاً من غير مُرجِّح، وإن جُعِلَتْ لجميعهم؛ فلم يُعهد امرأة لها أكثر من زوج واحد!.

وإن قلت: لا تكون لأحد^(٤) دلَّ على ما قلناه من نفي النكاح في القيامة، ومن نفي القيامة أيضاً؛ فجوابُ المسيح لهم بما حكيتهم عنه يكون موافقةً لهم على الزندقة، وتبليغهم غرضهم، فهذا واضحٌ في القدر في هذا الفصل بأسره.

وأما جوابُ الإشكال الذي أورده الزنادقة، من قصة المرأة وأزواجها؛ فقد

(١) قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَنَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَرْيُوتَ وَمَا يَمْلِكَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ (البقرة: ١٠٢) انظر في قصتهما، وتفسير الآية المتقدم ذكرها: [تفسير ابن جرير (١/ ٣٥٢)].

تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١). وتفسير ابن كثير (١/ ٢٣١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي (١/ ٧٣) [..].

(٢) في (أ): (وأنهم) والتصويب من (ب).

(٣) الخطاب هنا موجّه للنصراني الذي رد عليه الطوفي في كتاب: الانتصارات الإسلامية، وفي هذا الكتاب أيضاً.

(٤) في (ب): (لأحدهم) والصواب من (أ).

بَيَّنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ حَيْثُ قَالَ فِيمَا رُوِيَ^(١) عَنْهُ: (المرأة لآخر أزواجها في الجنة)^(٢)، وهو مقتضى الفقه والحكمة؛ لأنَّ الأوَّلَ تنقطع علقته عنها؛ بنكاح الثاني لها، وهَلُمَّ جَرًّا، إلى آخر الأزواج [الذي تموت عنه؛ لأنَّ الفُرقة بينهما كانت [٣١/ب] ضرورية لا اختيارية]^(٣)، فالنكاح ينقطع حكمًا بالنسبة^(٤)، إلى أحكام دار التكليف؛ كنكاحه أختها، وأربعًا^(٥) سواها، وسقوط نفقتها، ونحو ذلك، لا بالنسبة إلى دار الجزاء، فإذا اعتدَّتْ كان أحقَّ بها؛ لموتها في عصمتها، وكان ذلك مرجحًا له على غيره. ولهذا لو فرضنا أنها عاشت بعد الموت في دار الدنيا، لعادت إليه بالنكاح الأول، كما لو كانت فرقتهما عن اختلاف دينٍ أو أسرٍ، أو اختطافِ الجن، أو الضَّلالِ في برِّيَّة، ونحو ذلك، وأولى^(٦).

ومن ذلك في الفصل الخامس والخمسين: (قال يسوع للفريسيين، ما تظنون في المسيح؟ أين هو؟، قالوا: ابن داود، قال: كيف يكون ابن داود، وداود يقول: قال الرب لربي، اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت قدميك؟!؛ فإنَّ كان داودُ يدعوه بالروح ربَّه، فكيف هو ابنه، فأفحمهم!)^(٧).
قلت هذا يوجبُ أحدَ أمورٍ أربعة:

(١) روي: من صيغ التمريض عند المحدثين انظر: [تيسر مصطلح الحديث (٦٥) للطحان]. لكن الحديث المذكور صحيح كما سيأتي، ولا أظن الطوفي عنى بقوله: روي، مصطلح المحدثين؛ إلا أن يكون يرى ضعفه.
(٢) (صحيح) صححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) (٣ / ٢٧٥) ... عن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية ﷺ أم الدرداء، فأبت أن تزوجه وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها، أو قال: لآخر أزواجها» أو كما قالت - ولست أريد بأبي الدرداء بدلا وصحح الحديث أيضًا في (الجامع الصغير) ص (١١٣٤)، برقم (٢ / ٦٦٩١) وعزاه في الترغيب (١ / ١٤٦) لابن خزيمة، وابن حبان.

(٣) ليست في (أ)، وما أثبتته من (ب).

(٤) غير واضحة في (أ)، وما أثبتته من (ب).

(٥) في (أ): (أربع) والتصحيح من (ب).

(٦) قلت: هذا كلامٌ فيه تكلفٌ شديد، وأي اختطاف جنٌ هذا؟! ونظيره ما يتكلفه الفقهاء في رمي الجمرات وافترضهم أن طائرًا خطف الحصة قبل وقوعها في الحوض! وهكذا. وانظر في أحكام المفقود، وهل يقاس عليه ما ذكر الطوفي؟! [المغني لابن قدامة (٩ / ١٤٥)].

(٧) إنجيل متى: ٢٢: ٤١ - ٤٦.

أحدها: اختلاق هذا الفصل على المسيح وداود، وأنه لا أصل له [٢٨/أ].

الثاني: أن يكون له أصل عن داود؛ لكنَّ المسيح لم يفهم معنى كلامه!

الثالث: أن داود كان يعتقد أن له ربَّين!؛ لأنه يقول: قال الرَّبُّ لربِّي، يعني المسيح، ولا تنفعهم في دفع هذا الوجه دعواهم أن المسيح هو الله؛ لأنَّ هذا الكلام من داود؛ يستدعي قائلًا، ومقولًا له، وربًّا، ومجلسًا عن يمينه، وذلك موجبٌ لتغايرهما.

وأيضًا ما سبق من أن^(١) الله سبحانه والمسيح حقيقتان متفاضلتان حِسًّا، وإشارة

المسيح إلى أن أباه بكماله في السموات مع كون المسيح مشاهدًا في الأرض.

الرابع: أن يكون معنى كلام داود: قال الرب لسيدي؛ كما سبق من تسمية أهل

الكتاب السيد ربًّا، وهذا الرابع متعينُ الإرادة؛ لأنَّ^(٢) الثاني والثالث مُحالان، والأوَّلُ

يوجب إسقاطَ الكلام مع إمكان حمله على معنى صحيح. ولا يُستبعد أن يكون الله

سبحانه أعلمَ داودَ بظهور عيسى بعده، وأنه أفضلُ منه، فكان يعظِّمه بأن يُسمِّيه سيده

بلفظ: ربِّه، كما علَّم يوحنا المعمدان بظهور المسيح، وكان يقول للناس: (الذي

يجيء بعدي أقوى مني، ولا أستحق أن أحلَّ سيورَ حذائه!، وهو يعمِّدكم بروح

القدس)^(٣).

ثم إنَّا نقول: ما تعنون بالمسيح اللاهوت وحده؟، أو النَّاسوت وحده؟، أو هما؟

[٣٢/ب].

(١) ليست في (ب).

(٢) في (أ): (لكن) والصواب من (ب).

(٣) انظر: إنجيل مرقس: ١: ٧، وإنجيل لوقا: ٣: ١٦ وإنجيل يوحنا: ١: ٢٧ وإنجيل متى: ٣: ١١

بلفظ: «لست أهلاً أن أحمل حذاءه». ووجدت في إنجيل برنابا، الفصل: ٤٢ العبارة التالية:

«أجاب يسوع: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر، إني أنكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسي

نظير الذي تقولون عنه؛ لأنني لست أهلاً أن أحلَّ رباطات جرموق، أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه

مسيّا، الذي خلُق قبل، وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية، فانصرف اللاويون والكتبة

بالخيبة...». قلت: ولعل هذا صريحٌ في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ في هذا الإنجيل وسيأتي إن شاء الله في الكلام

على ذلك.

والأولان: باطلان بإجماع؛ بل المسيح عبارة عن ناسوته ولاهوته جميعاً^(١).
فهب أنه صحَّ لكم أن ناسوته ليس ابن داود، فكيف يصحُّ أن لاهوته ليس ابنه،
وهو ابن مريم التي هي من نسل داود؛ فإذا لم يكن بُدُّ من تسليم أن ناسوته ابن داود،
كان إطلاق المسيح إنكار كونه ابن داود؛ غير صحيح.

فهذا يعلم العاقل اللبيب أن هذا الفصل مختلق موضوع، ومفتعل مصنوع،
قاتل الله من وضعه، وأضلَّ الجهال به، ولو كان هذا صحيحاً لكان الواجب أن
يُفصِّل المسيح في الجواب على عاداته في أجوبته المفصلة، وحكمته^(٢) الشافية،
فيقول لهم:

ما الذي تظنونه ابن داود؟، ناسوتي؟ أم لاهوتي؟.

الأول: صحيح، والثاني: باطل؛ لأن داود دعاه ربّه، فكيف يكون ابنه؟.

ومن ذلك قوله في الفصل السادس والخمسين: (لا تدعوا لكم معلماً على
الأرض؛ فإنَّ معلّمكم واحد هو المسيح، وأنتم جميع إخوة، ولا تدعوا لكم مدبراً
على الأرض؛ فإنَّ مدبركم واحد هو المسيح، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض؛ فإنَّ
أباكم واحد، هو الذي في السموات)^(٣).

قلت: ومن المعلوم أن مراده بأبيهم هو الله سبحانه، ثم قد فرّق في الخطاب
[٢٩/أ] والتسمية، بين أبيهم والمسيح، فدلَّ على أن المسيح غير الله، وليس هو الله.
ثم قد أضافهم بالأبوة إلى الله، فدلَّ على أنه هو ليس ابن الله، ولا لزم ذلك
فيهم أيضاً، فلم يبقَ إلا أنه عبد لله، كريم على الله، وجية عنده، كما صرح به
القرآن المعظم^(٤).

(١) في (أ): (جمعا) والصواب من (ب).

(٢) في (ب): (وحكمه، والمثبت من (أ)).

(٣) إنجيل متى: ٢٣: ٨-١٣.

(٤) ورد في القرآن الكريم آيات كريمات تتحدث عن عبودية المسيح لله تعالى وعن إكرام الله له:
﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَرْسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ يُخَلِّقُ لَكَ كَلِمَةً مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥]. وغيرها كثير في هذه المواضع: (النساء: ١٧١)، (النساء: ١٧٢)،
(المائدة: ٧٢)، (المائدة: ٧٥)، (التوبة: ٣٠)، (مريم: ٣٠).

توجيه قول
المسيح:
«فإنَّ أباكم
واحد هو
الذي في
السموات»

وقوله: لا تدعوا لكم معلماً على الأرض، يعني غيري؛ لدلالة الحسّ، والخطاب،

طعن
النصارى

في نبوة
النبي ﷺ

أَمَّا الْحَسُّ: فَلأنّه مشاهدٌ بحقيقته على الأرض بينهم، فلا يصحُّ مع ^(١) ذلك
دعوى ^(٢) أنّه في السموات.

والرد
عليهم

وَأَمَّا الْخَطَابُ: فَلأنّه قال: فَإِنَّ ^(٣) معلّمكم المسيح، ومدبركم المسيح، ولم يقل
الذي في السموات، ولمّا ذكر أباهم الذي هو الله قال: فَإِنَّ أباكم واحدٌ هو الذي في
السموات، فدل على أنّ الله سبحانه في السموات، وأنّ المسيح ليس في السموات؛ بل
هو على الأرض معلّم، وأن لا معلّم عليها غيره.

وَأَمَّا الْقَرِينَةُ: فَلأنّه ذكر هذا الكلام في سياق ذم الفريسيين: (الذين يراؤون الناس،
ويعظمون أطراف ثيابهم، ويحبّون أوّل الجماعات في العشاء، وصدور المجالس
في المجمع، والسلام في الأسواق، وأن يدعوهم الناس معلمين. فأما أنتم فلا تدعوا
لكم ^(٤) معلماً على الأرض، فإن معلّمكم واحدٌ هو المسيح) ^(٥)، وهذا ظاهرٌ في أن
تقدير [٣٣/ب] الكلام: لا تدعوا لكم معلماً على الأرض غيري.

فائدة: ذكر في الفصل السابع والخمسين: (أن المسيح يسوع قال لتلاميذه: انظروا

لا يضلّكم أحد، كثير يأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويُضِلُّون كثيراً) ^(٦) ^(٧).

[وقال في موضع آخر منه: (ويقوم كثير من الأنبياء الكذبة ويُضِلُّون كثيراً)] ^(٨).

(١) في (ب): (على) والصواب من: (أ).

(٢) ليست في (أ)، وأثبتها من (ب).

(٣) في (ب): (فلان).

(٤) في (ب): دون (أ).

(٥) إنجيل متى: ٢٣: ١ - ١٠.

(٦) في (ب): (كثير) والمثبت من: (أ) والنص من الإنجيل هكذا: (ويقوم أنبياء كذبة كثيرون، ويضلون كثيرين).

(٧) إنجيل متى: ٢٤: ٤ - ٥.

(٨) ساقط من (أ): وأثبت من: (ب).

وقال في موضع آخر منه: (فسيقوم مسيحو كذب^(١)، وأنبياء كذبة، ويُعطون علامات عظام^(٢) وآيات، ويُضَلُّون المختارين إنْ قدروها، قد تقدَّمتُ وأخبرتُكم، إن قالوا لكم آية في البرية فلا تخرجوا، أو في المخادع فلا تصدقوا، وكما أنَّ البرق يخرج من المشرق فيظهر في المغرب؛ كذلك يكون مجيء ابن البشر، وحيث تكون البعثة هناك تجتمع النسور)^(٣).

قلتُ: النصارى لجهلهم يحتاجون بهذا، ويقولون في الفصل الخامس: (احذروا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بلباس الحملان، وهم ذئابٌ خفية)^(٤) على أنَّ محمدًا ﷺ ليس نبيًّا، ولا حجة فيه؛ لأنَّ المسيح إنما حذر الأنبياء الكذبة، والذين يتسمون باسمه، ويقولون نحن مسيحيون^(٥) ولم ينصَّ على أحدٍ باسمه، وذلك لا ينفي ظهورَ نبيٍّ صادقٍ بعده، تدلُّ على صدقه الحججُ والبراهين، كما سنقرر إن شاء الله تعالى^(٦)، بل هذا مما يدل على صدق محمد صلى الله عليه، حيث قال: (لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثون دجالًا كلهم يزعم^(٨) أنه نبي، ألا وإنه لا نبيَّ بعدي)^(٩) [٣٠/أ]، فكونُ عيسى ومحمد اتفاقًا على الإخبار بظهور الكذابين بعدهما، يدلُّ

(١) في (أ، ب) (مسيحوا) وهي خطأ، وفي نص متى: (مسحاء كذبة).

(٢) هكذا وردت في النسخ، والصواب أن يقال: عظامًا. وفي الترجمات الحديثة لفظ: (عظيمة).

(٣) إنجيل متى: ٢٤: ٢٤ - ٢٨.

(٤) إنجيل متى: ١٥: ٧.

(٥) في: (ب)، دون: (أ).

(٦) انظر: [النصرانية، نشأتها التاريخية، وأصول عقائدها (١٣-١٥) د: عرفان عبد الحميد فتاح].

(٧) (تعالى): ليست في (ب).

(٨) المثبت من (أ)، وفي (ب): يدعي.

(٩) (صحيح) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٤٠) (٥٢) كتاب الفتن وأشراف الساعة (١٨): باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... ورواه البخاري (٦١) كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٩). وقد ظهر أولهم في عصر النبوة في آخر حياة الرسول ﷺ، وظهورهم من علامات الساعة التي وقعت ولا تزال في البروز والظهور إل يوم القيامة.. وأما توجيه الروايات التي جزمتم بالثلاثين كذابًا، فيكون: الدجالون الكبار الذين يفتنون الناس عن دينهم ويتبعهم أناس كثير، مثل: مسيلمة الكذاب والأسود الغنسي، وغيرهما. [انظر: أشراف الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين (١/ ٢٥٦) د: خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار الأندلس الخضراء. والصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراف الساعة (٤١٣) الشيخ مصطفى العدوي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ. دار الهجرة. الثقة].

على صدقهما؛ لأنَّ الحقيقتين متفقان، والحقُّ والباطل مختلفان. وأمَّا وعد المسيح بمجيئه، فهو كما وعد به محمد ﷺ: أنه ينزل من السماء؛ يقتل الدَّجَالَ^(١)؛ ويضع الجزية على اليهود والنصارى، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب؛ لأنَّ حكمهما بطل بنبوة محمد ﷺ، وكان أخبر بظهوره على ما شهدت به التوراة والإنجيل، كما سنذكره^(٢)، ونزوله من السماء يكون بين ملكين، فذلك يكون سريعاً كما قال: (كالبرق يكون مجيء ابن البشر)^(٣) وإذا نزل اجتمع إليه صالحو^(٤) الأرض من كل مكان، فيقاتل بهم الدَّجَالَ، فذلك معنى قوله: حيث تكون الجثة تجتمع النسور^(٥). فانظر أيها العاقل إلى جهل النصارى، كيف تشهد كتبهم، وكلام أنبيائهم بصحة ما عندنا، وهم يحرفون ويكابرون كفرًا وعنادًا؟!، فعليهم من الله ما يستحقونه! [٣٤/ب].

ومن ذلك: ما ذكر في الفصل الرابع والستين: (أن يسوع بينما هو يأكل مع تلاميذه الفسح^(١) أخذ خبزاً وشكر وكسّر، وأعطى تلاميذه، وقال: خذوا وكلوا،

نزول
المسيح
آخر
الزمان

(١) أحاديث الدجال متواترة تواتراً معنوياً، ولا عبرة بمن أنكرها وردّها، وزعم ضعف رواياتها. وللوقوف على تخريج أحاديثها انظر: أقصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقته إياه، على سياق رواية أبي أمامة ﷺ مضافاً إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، للعلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله عليه، طبع المكتبة الإسلامية بالأردن] ونزول عيسى ﷺ ثبت بالقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَلَنَزِلْنَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ سَهِيلاً﴾ [النساء: ١٥٩]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقراءوا إن شئتم: ﴿وَلَنَزِلْنَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا قَبْلَ مُحَمَّدٍ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ سَهِيلاً﴾ [النساء: ١٥٩]. [رواه البخاري برقم (٣١٩٢) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عيها السلام. ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى حاكماً بشريعة نبينا] وله أطراف كثيرة.

(٢) عند ذكر النصوص الواردة بالبخارة بنينا ﷺ.

(٣) إنجيل متى: ٢٤: ٢٧.

(٤) في (أ، ب): صالحوا، وهو خطأ.

(٥) إنجيل متى: ٢٤: ٢٨. وقد مرَّ النص كاملاً.

(٦) العيد الرئيسي عند النصارى، وهو ذكرى قيامة المسيح من بين الأموات، ويقع بين ٢٢ مارس و ٢٥ إبريل =

هذا هو جسدي! وأخذ كأساً وشكر^(١) وأعطاهم، وقال: اشربوا من هذا كلكم، هذا دمي العهد الجديد، الذي يُهراق عن كثير؛ لمغفرة الخطايا، أقول لكم إنني لا أشرب من الآن من عصير هذه الكرمة، إلى ذلك اليوم الذي أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي، فسبحوا، واخرجوا إلى جبل الزيتون^(٢).

قلت: إخباره بأن الخبز جسده، والخمر دمه ليس على حقيقته قطعاً، أعني أن جسده خبز، ودمه خمر^(٣)، فيجب تأويله على مجاز شائع^(٤)، ولا يظهر في^(٥) الضلال المجاز إلا كونه أراد أن: مادة جسدي ودمي؛ الخبز والخمر؛ لأنّه قوتي^(٦)، النصاري عن فهم أمثلة المسيح المضروبة والأجساد ودمائها إنما تتولّد عن الأقوات؛ مأكولاً ومشروباً، وحينئذٍ يظهر أن فائدة ذلك تعريفهم عند قرب مفارقتة أنه بشرٌ محضٌ، وليس فيه شيء من الألوهية؛ لأنّ حقيقة الإله لا تتولّد عن الأقوات، ونحوها من المحدثات،

وهذا معنى قوله سبحانه في القرآن المقدس: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّكَ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] أي فتولّد عنه أبنائهما، ثم يرميان بقلّة^(٧) بولاً وتغوطاً، وهذا مما لا يجوز على الإلهية. ثم قوله في الخمر: أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي، يناقض قوله للزنادقة:

= ويرتبط به عدد كبير من الأعياد الأخرى، ويسبق بالصيام الكبير الذي يدوم (٤٠) يوماً بجمعة آلام المسيح. وهذا العيد أيضاً من أبرز أعياد اليهود ويقع عندهم في ١٥ نيسان، وفيه خرج بنو إسرائيل من مصر هرباً من فرعون.

[قاموس الكتاب المقدس (٦٧٨) الموسوعة العربية الميسرة ص (١٢٤٧)].

(١) هكذا في (أ)، وفي (ب): وسكر.

(٢) إنجيل متى: ٢٦: ٢٦ - ٣٠.

(٣) في: (أ): خبز، والصواب من (ب).

(٤) في (ب): سافغ، والمثبت من (أ).

(٥) في (ب): من، والمثبت من (أ).

(٦) في (ب): قوته، والمثبت من (أ).

(٧) مشكلة علي جداً ويشبه أن تكون في (ب): تفلّة. والله أعلم.

في القيامة لا يتزوجون، ولكن تكونون كملائكة الله؛ لأن ملائكة الله لا يشربون، وهو [٣١/أ] قد أخبر أنه يشرب الخمر مع تلاميذه هناك.

ومن الخرافات المضحكة التي في الإنجيل؛ قوله في الفصل الخامس والستين: (أنَّ يهوذا الإسخريوطي^(١) لما جاء بالشرطة من عند رؤساء الكهنة؛ ليقبضوا على يسوع؛ جرَّد بعض أصحاب يسوع سيفه فضرب عبد رئيس الكهنة قطع^(٢) أذنه، فأمره يسوع بالكف وقال: كلُّ من أخذ بالسيف؛ بالسيف يهلك^(٣)).

من خرافات
النصارى
وأضحوكتهم

قلت: وفي هذا الكلام أضحوكة وأكذوبة، أمّا الأضحوكة، فقوله: إن التلميذ ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، أفكان هذا الضارب مهندساً، فكَّر وقدَّر، فنظر واعتبر بالبركار! ^(٤)؛ حتى إنما قطع أذنه، هذا مما يُستبعد [٣٥/ب] أن يتفق.

ولكن قومٌ قليلو^(٥) العقول يصدِّقون بالخرافات، ثم بتقدير صحة هذا، هكذا يكون انتصار الأصحاب لأنبيائهم!، أين هذه الضربة من ضربات: علي ابن أبي طالب لجبابرة الجاهلية؟! التي كانت تقدِّ الفارس والفرس، وضربات غيره من الصحابة:

(١) في إنجيل برنابا: (ويهوذا الإسخريوطي الخائن، فهو لاء كاشفهم على الدوام بالأسرار الإلهية، إمّا يهوذا الإسخريوطي فأقامه وكيلًا على ما كان يعطى للصدقات، فكان يختلس العشر من كل شيء) الفصل: ١٤.

(٢) هكذا في (أ) و(ب): وفي نص متى: (فقطَّع أذنه)، ٥١: ٢٦.

(٣) إنجيل متى: ٢٦: ٤٧ - ٥٢.

(٤) آلة هندسية لرسم الدوائر، وهي ما يعرف اليوم بالفرجار، وجاء ذكرها في ترجمة: يحن بن رستم الكوهي، أبو سهل: مهندس، عالم بالهيئة وآلات الرصد هو الذي بنى «بيت الرصد» لشرف الدولة ببغداد، وأحكم أساسه وقواعده، ورصد فيه الكواكب السبعة في سيرها وتنقلها في بروجها، على مثل ما كان المأمون قد فعله في أيامه. وله كتب، أكثرها رسائل ومقالات، منها: (البركار التام والعمل به) مات حوالي السنة ٣٩٠ هـ... [الأعلام للزركلي (١٢٧/٨)].

(٥) في (أ، ب) (قليلو) وهو خطأ.

كالزبير^(١)، وطلحة^(٢)، والمقداد^(٣)، وغيرهم؟ هؤلاء كانوا الأنصار^(٤)، وجدريّ بمن يكون ضربةً ناصره غايته قطعُ أذنِ عبدٍ؛ أن يُسلمَ لليهود، فيفعلون به ما أرادوا^(٥).
فإن قيل: المسيحُ لم يكن صاحبَ سيفٍ ولا حربٍ، وإنّما كان سلطانه بالآيات

(١) الزبير بن العوام: بن خويلد بن أسد، القرشي، حوارى رسول الله ﷺ، وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، كانت أمه تكتبه أبا الطاهر، واكتنى هو بابنه عبد الله، فغلبت عليه، واسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل ثمان سنين، وقال الليث حدثني أبو الأسود قال: (كان عم الزبير يعلقه في حصير ويدخن عليه؛ ليرجع إلى الكفر فيقول لا أكفر أبداً)، وكان قتله بعد أن انصرف يوم الجمل، في جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين، وله ست أو سبع وستون سنة، وكان الذي قتله رجل من بني تميم، يقال له: عمرو بن جرموز قتله غدراً، بمكان يقال له: وادي السباع، [الإصابة في تمييز الصحابة. رقم الترجمة (٢٧٩١)].

(٢) طلحة بن عبيد الله: بن سعد القرشي التيمي، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذي أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى وكان عند وقعة بدر في تجارة الشام فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره، وشهد أحدًا، وأبلى فيها بلاء حسنًا، ووقى النبي ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه. مات شهيدًا في وقعة الجمل ٣٦ هـ. [الإصابة في تمييز الصحابة. رقم الترجمة (٤٢٧٠)].

(٣) المقداد: هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني، ويقال له المقداد بن الأسود. هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان فارسًا يوم بدر حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره. وقال زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه سبعة فذكر فيهم. وروى المقداد عن النبي ﷺ أحاديث، اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان قيل وهو بن سبعين سنة. [الإصابة. رقم الترجمة (٨١٨٩)].

(٤) قلت: وهذا الكلام أيضًا يثبت براءة الطوفي رحمه الله من تهمة الرفض؛ إذ الشيعة الرافضة يفكرون ويلعنون ويسبون الصحابة ولا يعتدون إلا بنفر قليل منهم على خلاف بينهم في عددهم!

(٥) في الهامش الأسير في (ب): كُتب: (هذه العبارة فيها غضاضة على المسيح، صلوات الله على نبينا وعليه، غفر الله للشيخ نجم الدين). قلت: لا أرى فيها ما ذكر، والطوفي رحمة الله عليه أعقل من أن يغض من شأن المسيح عليه السلام، وهو يعلم أن الاستهزاء بنبيٍّ كفرٌ أكبر يُخرج من الملة، وغاية ما في العبارة السخرية من النصاري الذين لفقوا هذا النص، وأثبتوا به سخافة عقولهم؛ حيث قارن بين حماية ودفاع أصحاب محمد ﷺ عنه، ودفاع تلاميذ المسيح عليه السلام عنه، وأنهم لم يبلغوا في الشجاعة والحكمة ما بلغه الصحابة رضي الله عنهم؛ وسيأتي قول الطوفي رحمة الله عليه في هذا الكتاب: «ولما صار لمحمد ﷺ تلميذ واحد، هو عمه حمزة ابن عبد المطلب منعه من جبايرة العرب، وضرب أبا جهل بالقوس، ففلق هامته، وكان أبو جهل سيد أهل الوادي. وتلاميذ المسيح لما أفلح بعضهم وذُبَّ عنه ضرب عبدًا قيمته ثمن عباءة!، فقطع أذنه، كأنه أراد أن يجعلها هندازة!...». وسيأتي في قصة وفاة يعقوب ﷺ كلام للطوفي، لم يكن من اللائق قوله، ولكنه اجتهد منه، والله يعفو عنه.

الإلهية، والحجج البرهانية، ومحمدٌ إنّما كان صاحبَ سيفٍ؛ لا صاحبَ آيةٍ، فلماذا ظهرت قوّته في السيف، ولولاه لما قام ناموسه. وهكذا يقرّرون القدح في شريعة الإسلام بهذه الشبهة.

والجواب: أمّا قولكم: إنّ محمدًا لم يكن صاحبَ آيةٍ إلهية؛ فغير صحيح. آياته أكثرُ من أن تُحصى كانشقاق القمر^(١)؛ وتسليم الحجر والشجر^(٢)، وتسبيح الحصى في كفيه، ونبع الماء من بين إصبعيه^(٣)، وإشباع الخلق الكثير من طعام يسير^(٤)، كما نقلتم عن المسيح، وآيات كثيرة، دونها أهل العلم في دواوين^(٥)، ومن أعظمها القرآن؛ الذي أخرس الألسنة الفصاح، بعد التحدي والاقتراح،

من آيات
النبي ﷺ
الكثيرة

(١) سبق في الدراسة الكلام عن دلائل ومعجزات النبي ﷺ، ومنها انشقاق القمر الثابت أصلاً بكتاب الله تعالى، وبسنة النبي ﷺ الصحيح، فدلّل هذا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ اشهدوا.

[صحيح البخاري (ح ٣٤٣٧) ج ٣ ص ١٣٣٠] [وصحيح مسلم (ح ٢٨٠٠) ج ٤ ص ٢١٥٨]
(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ». [رواه مسلم في الفضائل، باب: نسب النبي ﷺ (٤٢٢٢) والترمذي (٣٥٥٧) وأحمد (١٩٩١٢) و(١٩٩٨٨) و(٢٠٠٩٧)].

(٣) عن علقمة عن عبد الله قال وسمع عبد الله بخسف قال كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، إنا بينا نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ: (اطلبوا من معه يعني ماء ففعلنا فأتى بماء فصبه في إناء ثم وضع كفيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فملأت بطني منه واستسقى الناس) قال عبد الله قد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. [رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٤١٦١)].

(٤) في مسند أحمد: (عن أنس رضي الله عنه) عَمَدَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى نِصْفِ مُدٍّ شَعِيرٍ فَطَلَعَتْهُ ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَى عُكَّةٍ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ سَمْنٍ فَاتَّخَذَتْ مِنْهُ حَظِيقَةً قَالَ ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ إِنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ أَرْسَلْتَنِي إِلَيْكَ تَدْعُوكَ فَقَالَ أَنَا وَمَنْ مَعِيَ قَالَ فَجَاءَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ قَالَ فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ لِأَبِي طَلْحَةَ قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَمَسَى إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ حَظِيقَةٌ اتَّخَذْتُهَا أُمُّ سُلَيْمٍ مِنْ نِصْفِ مُدٍّ شَعِيرٍ قَالَ فَدَخَلَ فَأَتَانِي بِهِ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ أَدْخِلْ عَشْرَةَ قَالَ فَدَخَلَ عَشْرَةً فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ دَخَلَ عَشْرَةً فَأَكَلُوا ثُمَّ عَشْرَةً فَأَكَلُوا حَتَّى أَكَلَ مِنْهَا أَرْبَعُونَ كُلُّهُمْ أَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا قَالَ وَبَقِيَتْ كَمَا هِيَ قَالَ فَأَكَلْنَا. [مسند أحمد (١٢٠٣٤) مسن أنس بن مالك ()].

(٥) في (أ): (دواين)، والصواب: من (ب).

فافتضحوا غاية الافتضاح، ولجأوا^(١) إلى الحرب والكفاح.

قال بعضُ علمائنا: «في القرآن ألفانِ ومائتانِ واثنانِ وعشرون معجزاً، قال: لأنَّ

معجزة
القرءان
الكريم
وتحديه
البشر

جميع القرآن ستة آلاف وستمائة وستون آية^(٢)، والمعجزُ: هو الأمرُ الممكنُ، المقرونُ بالتحدي^(٣) الخالي عن المعارض^(٤). ورأينا الله سبحانه وتعالى ينزل^(٥) في تحدي الكفار بالقرآن؛ حتى تحداهم بسورة منه»، قال: «ورأينا أقصرَ [٣٢/أ] سورة في القرآن ثلاث آيات؛ وهي سورة الكوثر، فوجب أن تكون كلُّ ثلاث آيات من القرآن معجزاً تاماً؛ لأنه تحدى به فأعجز».

ثم من معجزاته ما تواتر التواتر الحقيقي، كالقرآن^(٦)، ومنها ما تواتر التواتر المعنوي^(٧)، كالمشترك الكلّي بين كل ما نقل عنه من المعجزات، كما في شجاعة علي، وسخاء حاتم.

الكلام
على
التواتر

(١) في (أ): (لجأ) والصواب من (ب).

(٢) اختلف العلماء في عدد آي القرآن الكريم وسبب هذا الاختلاف أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي؛ تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس آي، حتى إذا علموا ذلك وصل ﷺ الآية بما بعدها؛ طلباً لتمام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليس فاصلةً فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميع آية واحدة والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها. وقد علمت أن الخطب في ذلك سهل لأنه لا يترتب عليه في القرآن زيادة ولا نقص، والخلاف وقع في العدد بين أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة. [انظر: الإتيان في علوم القرآن (١٧٠-١٨٠) جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ دار الكتاب العربي. مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٤٤) الشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى الحلبي].

(٣) يوجد تعليق بالهامش في (ب): (ولما ذكر أباهم الذي في السموات، قال: فإن أباهم واحد، هو الذي في السموات، فدلّ على أن الله سبحانه في السموات، وأن المسيح ليس في السموات).

(٤) المعجزة أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله. [التعريفات للرجزاني (٢٨٢)].

(٥) في (ب): تنزل، والمثبت من: (أ).

(٦) في (ب): بالقرآن، والصواب من: (أ).

(٧) قسم أهل الأصول المتواتر إلى: لفظي وهو: ما تواتر لفظه، ومعنوي: وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة، تشترك في أمر يتواتر ذلك القدر المشترك، كما إذا نقل رجل عن حاتم مثلاً أنه أعطى جملاً، وآخر أنه أعطى فرساً، وآخر أنه أعطى ديناراً، وهلم جرا، فيتواتر القدر المشترك بين أخبارهم، وهو الإعطاء؛ لأن وجوده مشترك من جميع هذه القضايا... وذلك أيضاً يتأتى في الحديث فمنه ما تواتر لفظه.. ومنه ما تواتر معناه كأحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع يديه في الدعاء. [تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١٨٠/٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض. تيسير مصطلح الحديث (٢١) د: الطحان].

فإن قيل: تواتره عند المسلمين لا يكفي؛ لأنهم متهمون!.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ عدد التواتر لا يثبتهم؛ لأنَّه لا يجوز عليهم الكذب عادةً، ولهذا لا
الرد على
النصارى في
شرط اليهود
في التواتر
تشرط عدالتهم [٣٦/ب] ولا إسلامهم؛ لأنَّ الاعتماد على كثرتهم؛ لا على
عدالتهم^(١).

الوجه الثاني: أنَّ اليهود اشترطوا في عدد التواتر أن^(٢) لا يجمعهم دينٌ واحدٌ،
وإنَّما اشترطوا هذا الشرط لأنَّ المسلمين والنصارى سلَّموا لهم نبوةً موسى وكتابه^(٣)،
فأمَّنوا غائلةَ هذا الشرط؛ فاعتبروه؛ ليعطلوا به على المسلمين والنصارى، ويقولون^(٤)
لكلِّ من الطائفتين: معجزاتُ نبيِّكم إنَّما تواترتُ عندكم، وأنتم أهلُ دينٍ واحدٍ، فلا
نعتبر ذلك حتى يوافقكم عليه أهلُ دينٍ آخر، وهذا من مكر اليهود وخُبثهم، عليهم
اللعنة، ولهم سوء الدار!.

ونحن نمنع اعتبار هذا الشرط في التواتر، ولا حجة لهم على اعتباره، فنقول:
إن اعتبرتم أنتم أيضًا هذا الشرط؛ سقطتْ لكم آياتُ كثيرةٌ للمسيح لم تتواتر إلَّا
عندكم؛ كإطعام أربعة آلاف من خمس خبزات^(٥)، وكإبراء الدَّين كانت بهم الأنفُسُ

(١) سبق الحديث عنه في الدراسة. وانظر: [التعريفات للجرجاني (٩٤)] وتيسير مصطلح الحديث (١٩-٢٠)
د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ والموسوعة الفقهية الميسرة
(٥٩٤/١)

(٢) في (أ): لأن، والمثبت من: (ب).

(٣) في (أ): وكتابه، وما أثبتته من: (ب).

(٤) في (ب): ويقولوا، وما أثبتته من: (أ).

(٥) في (أ): خبز، والمثبت من: (ب)، والنص في إنجيل متى ١٤: ١٩-٢١: (فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب، ثم
أخذ الأرغفة الخمسة، والسمكتين ورفع نظره نحو السماء، وبارك وكسر، وأعطى الأرغفة للتلاميذ، والتلاميذ
للجموع، فأكل الجميع، وشبعوا، ثم رفعوا ما فضل من الكسر، اثنتي عشرة قفة مملوءة، والأكلون كانوا نحو
خمس آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد) و١٦: ٩-١٠: (حتى الآن لا تفهمون، ولا تذكرون خمس خبزات
الخمس آلاف، وكم قفة أخذتم، ولا سبع خبزات الأربعة آلاف، وكم سلا أخذتم). وانظر: إنجيل مرقس:
٨: ٦. ويوحنا: ٦: ١٣. ولوقا: ٩: ١٣.

لنَجْسُهُ، وغير ذلك، وما تواتر عندنا من معجزاته؛ كإحياء الموتى^(١)، ونحوه، فإنما تواتر بواسطة نبينا وكتابنا، والذي أخبر به نبينا وكتابنا أنه: نبي ذو معجزات، إنما هو: عبد الله^(٢) وروحه وكلمته، المخلوق بقدرته^(٣)، الذي نصّ على البشارة بنبينا ﷺ^(٤)، لا الذي تزعمون أنه ابن الله، أو الله نفسه، والذي تزعمون أنه كذب نبينا، وحذرکم منه، وحينئذ الذي ندّعيه ونعترف به غير الذي تدّعون في الذات والصفة.

فما اتفقنا نحن وأنتم على تواتر شيء من معجزات المسيح، وحينئذ يبقى تواتر معجزاته عندكم فقط، والتقدير أنكم تشرطون للتواتر أن لا يجمع أهله دين واحد، فما تواتر للمسيح معجز أصلاً، وإن لم تعتبروا هذا الشرط ثبتت معجزات نبينا بتواترها عندنا، كما ثبتت معجزات المسيح لتواترها عندكم، وذلك مقصودنا.

ويلزمكم الانقياد لما نقوله من نبوة محمد ﷺ، وأما نحن فإننا نصدّق بالمسيح، صلوات الله عليه، على ما وصفه به كتابنا، فلا يلزمنا من التصديق به نقص، ولا رد، ولا تجدد انقياد؛ لأننا بحمد الله متقادون للحق [٣٣/أ] بدون المناظرة أو الإلزام.

وأما قولكم: إن محمداً كان صاحب سيف، فصحيح، ونحن [٣٧/ب] لا ننكر ذلك، ولكن أنتم بجهلكم اعتقدتم أن ظهور النبي بالسيف نقص^(٥)، وإنما هو

(١) دليله من القرآن الكريم: قول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأُكْمَرِ وَأُنْصِتُ لِمَا تَكْفُرُونَ وَمَا تَنْزَخِرُونَ فِي يَوْمَيْكُمْ إِلَّا فِي ذَٰلِكَ لَايَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَىٰ يَاقُوَ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]

(٣) يشير إلى قوله جلّ وتعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]

(٤) دليل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَبِيِّي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يُأْتِي مِنَ بَعْدِي أَنَّهُمْ أَخَذُوا مِيثَاقَهُمْ لَأَتَنَّبَهُمْ فَأَلَا هَذَا بَشَرًا مِثْلِي﴾ [سورة الصف: آية: ٦].

(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم). (مسند الإمام أحمد: (حديث: ٥١١٤-٥١١٥-٥٦٦٧)). وانظر: (الدين والدولة، في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، علي بن رين الطبري، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ دار الآفاق الجديدة، بيروت. لبنان).

غاية الكمال، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن النبوة عبادةٌ وطاعةٌ، والعبادة إذا كانت بالقلب والبدن؛ كانت أكمل من أن تكون بالقلب فقط، أو بالبدن فقط؛ لأن القلب والبدن جميعًا مخلوقان لله تعالى^(١)؛ فاستغراق العبادة لهما أكمل من انفراد أحدهما بها.

فمحمد ﷺ عبد الله، وأطاعه بالإيمان، بما نزل على قلبه من الآيات، وعَبَّده ببدنه بما جد فيه واجتهد من الأمور الجهاديات؛ فبهذا يظهر كماله وشرفه، على المسيح وغيره من الرسل.

مقارنة
بين
الصحابه
وتلاميذ
المسيح

الوجه الثاني: أن دين الله وشرائعه^(٢) أعزُّ الأشياء، وأشرفها، وأعظمها، وأعلاها، وأفخمها، فإقامته بالعزة والقهر والاستيلاء؛ أولى وأنسب من إقامته بالذل والمسكنة، واحتمال الضيم والصغار، ولما صار لمحمد ﷺ تلميذٌ واحدٌ هو: حمزة ابن عبد المطلب^(٣)، منعه من جبايرة العرب، وضرب أبا جهل^(٤) بالقوس، ففلق هامته، وكان أبو جهل سيد أهل الوادي.

وتلاميذ المسيح لما أفلح بعضهم، وذُبَّ عنه؛ ضرب عبدًا قيمته ثمنُ عباءة!، ففطع أذنه، كأنه أراد أن يجعلها هندازة^(٥) قبيح، أو كمه!

(١) في (ب): سبحانه. وفي: (أ): تعالى، دون (ب).

(٢) في (ب) (شعائره).

(٣) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتها ثويبة مولاة أبي لهب، وشهد بدرًا وأبلى في ذلك وقتل شيبه بن ربيعة وشارك في قتل عتبة بن ربيعة أو بالعكس وقتل طعيمة بن عدي وعقد له رسول الله ﷺ لواء وأرسله في سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام في قول المدائني واستشهد بأحد وقصة قتل وحشي له أخرجهما البخاري من حديث وحشي وكان ذلك في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فعاش دون الستين ولقبه النبي ﷺ أسد الله وسماه سيد الشهداء، ﷺ وأرضاه. [الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٢٢)].

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، سماه النبي ﷺ أبا جهل فلا يعرف إلا به، قتل يوم بدر وألقي في القليب، وهو فرعون هذه الأمة، وهو والد عكرمة بن أبي جهل ﷺ. انظر: [سير أعلام النبلاء (١/ ١٧١)]. والسيرة النبوية لابن هشام (٤٢٠).

(٥) هندازة: الهنداز: بوزن المفتاح، معرَّب، وأصله بالفارسية: إندازة، يقال: أعطاه بلا حساب ولا هنداز. (مختار الصحاح مادة (هن دز) ص (٦٠١)). وكتب في الهامش: آلة القياس للثياب ونحوها.

ولهذا لما كانت الزكاة تنبئ عن ذل أخذها^(١)، وعز معطيها؛ نزه الله تعالى منصب رسوله عنها، وحرّمها عليه، وعوّضه عنها الخمس من الغنمة، التي تنبئ عن عزّة أخذها، وذُل من أخذت منه.

ووجه الحكمة في ذلك: أنه عليه السلام لما أعز دين الله بالجهاد فيه، أعزّه الله بتنزيهه عمّا لا يرضيه، والله أعلم.

ومن ذلك في الفصل السادس والستين: (ذكر أن بطرس^(٢) لما قبض على المسيح سئل عنه، وقيل: أنت من أصحابه؟، فأنكره ثلاث مرات قبل صياح الديك بمقتضى وعد المسيح له بذلك)^(٣)، وهو من أخص^(٤) تلاميذه، والمشفق عليه، وإذا قيس ضعف هذا التلميذ وخوره^(٥) عن معلمه، إلى أبي بكر، وعمر، وعثمان بن مظعون^(٦)، وغيرهم من الصحابة، الذين كانوا في أول الإسلام والشوكة

مدح
الطوفي
لصحابة
الرسول
ﷺ

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه: (... أن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب والنّعباس بن عبد المطلب قالاً لعبد المطلب بن ربيعة وللفضل بن عباس أتيا رسول الله ﷺ وساق الحديث بنحو حديث مالك وقال فيه قال لي عليّ رداء ثم اضطلع عليه وقال: أنا أبو حسن القرم، والله لا أرى مكنى حتى يرجع إليكم إن كنتم، بخور ما بعثتم به إلي رسول الله ﷺ، وقال في الحديث ثم قال لنا: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد». وقال أيضا ثم قال رسول الله ﷺ «ادعوا إلى محبة بن جزي». وهو رجل من بني أسد كان رسول الله ﷺ استعمله على الخماس). [صحيح مسلم حديث رقم ١٠٧٢ (ج ٢/ ص ٧٥٤)].

(٢) في (أ): (برطس)، والصواب من: (ب).

(٣) إنجيل متى: ٢٦-٦٩-٧٥.

(٤) في (أ): (بعض) والصواب من: (ب).

(٥) في (أ): (وجوره)، والصواب من: (ب).

(٦) عثمان بن مظعون.. الجمحي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى في جماعة فلما بلغهم أن قريشا أسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ثم ذكر رده جواره ورضاه بما عليه النبي ﷺ وذكر قصته مع لييد بن ربيعة حين أنشد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، فقال عثمان بن مظعون: صدقت. فقال لييد: وكل نعيم لا محالة زائل. فقال عثمان: كذبت! نعيم الجنة لا يزول فقام سفيه منهم إلى عثمان فطمع عنه فاحضرت. توفي بعد شهوده بدرًا في السنة (٢) من الهجرة وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين دفن بالبقيع. [الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٦١)].

لقريش يقاتلونهم^(١) دون رسول الله ﷺ، حتى تمزق شعر أبي بكر دونه^(٢)، وهو يقول: [٣٨/ب] ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [سورة غافر: آية ٢٨]. وجرى دمُ عمر، وفقت عين عثمان^(٣)، وُجدَ بينهما بونٌ عظيمٌ، فلو استحيى النصارى لم يذكروا لأنفسهم دينًا بين الأديان!، وإنما [٣٤/أ] كان لهم دينٌ فحرفوه، وضلُّوا عنه وأخطأوه.

ومن ذلك أنه ذكر في الفصل السابع والستين: أن اليهود صلبوا المسيح^(٤)، واتفقت على ذلك الأناجيل الأربعة^(٥)، وأجمع عليه النصارى، وهو كذبٌ ومحالٌ؛ لأنَّ المسيح إمامًا أن يقال: هو الله، أو ابن الله، أو رسولُ الله وعبدُه. فإنَّ كان هو الله؛ فيكفي النصارى في الجواب أن كلَّ من سَمِعَ ذلك عنهم سخرَ منهم، وضحك على لحاهم!؛ حيثُ سفَّهوا ربَّ السموات، حتى ألجأ نفسه إلى الصَّلب، وقد كان له عنه مندوحةٌ بقدرته المتَّق علىها الكاملة، فلا شيء يُعجزها. ويتجه على هذا قولُ المسلمين أنَّه لم يُصلب، وإنما ألقي شَبَّهُه على الذي

بطلان
ادعائهم
صلب
المسيح

(١) في (أ): (يقاثلهم) والصواب (ب).

(٢) قصته وتعذيبه مبسوط في كتب السير والمناقب. انظر [السيرة النبوية لابن هشام (٢٠٩)] والسيرة النبوية في الصحيحين وعن ابن إسحاق د: العودة وكتاب: أبو بكر الصديق، للشيخ علي الطنطاوي رحمة الله عليه، الطبعة الرابعة. ١٤١٥ هـ دار المنارة، جدة [.

(٣) الصواب أنه عثمان بن مظعون المتقدمة ترجمته، وعينه اخضلت كما مر في الترجمة من لكمة السفية.

(٤) انظر في الدراسة الكلام على هذه العقيدة، ومنهج الطوفي في الرد عليهم فيها.

(٥) انظر النصوص في ذلك في: ١- إنجيل: متى: ٢٧: ٢٧-٢٧ و ٢٨: ١-٢٠.

٢- إنجيل: لوقا: ٢٣: ٢٣-٢٣ و ٢٤: ١-٥٣.

٣- إنجيل: يوحنا: ١٩: ١-٤٢ و ٢٠: ١-٢٤ وما بعدها.

٤- إنجيل: مرقس: ١٥: ١-٤٧. وقيامته في الإصحاح: ١٦.

والتضارب فيها والتناقض واضح جدًا، بل مخزٍ للنصارى غاية الخزي!، على سبيل المثال: انظر: [التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د/ سارة محمد العبادي، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة. التوراة والإنجيل بين التناقض والأساطير (٣٥٤-٣٥٩)، السيد سلامة غنمي، طبعة ٢٠٠٢ م، دار الأحمدى للنشر، القاهرة. [.

أَسْلَمَهُ، أو على بعض أعدائه؛ إذ الباري سبحانه قديم^(١)، لا يَتَأْتَى صُلْبُهُ، ولا لحوقُ أذىٍ له على الإطلاق دائماً ولا مؤقتاً.

وإن كان ابنُ الله؛ فالكلامُ كذلك؛ إذ الواحدُ من المخلوقين يستفرغ جَاهَهُ، وماله، وقوته في خلاص ابنه من ضرب عشرة أسواط!، فما ظنُّكَ بالله الذي إنقاذُ من أراد إنقاذه عنده أيسرُ الأشياءِ، وقد سبق هذا البحث بعينه.

وإن كان رسولَ الله، فنقول: لا شكَّ أنَّ المسيحَ لمَّا ظهرَ على يده من الكراماتِ،

وخوارق العادات؛ ولكونه كان آيةً في نفسه، ظهرَ واشتهرَ، حتى صار أشهرَ من خفاء قصة الصلب على علماء الكتاب أهل العلم الأول شكَّ يجبُ أن يكون مشهوراً كشهرته، بحيث لا يختلفُ فيه اثنان من العالم، كما لم يختلفوا في وجوده من غير بشرٍ، وفي أنه أحيَا^(٢) الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص،

فلمَّا رأينا المسلمين على كثرتهم، يخالفونكم في صُلْبِهِ، حتى جماعةٌ من علماء أهل الكتاب؛ أهل العلم الأول، والمُطَّلَعين على دقيقه وجليله، كعبد الله بن سلام^(٣)، وكعب الأحبار^(٤)، وهب بن منبه، علمنا أنَّ ما تدَّعون من صلبه، خرافةٌ من الخرافات، وأكذوبةٌ من الأكاذيب؛ لأنَّ مثل هذه الواقعة العظيمة، لا تحتل مثل هذا الخلاف.

وأكثرُ ما عند النصارى جواباً [٣٩/ب] عن هذا أن يقولوا: إنَّ محمداً استملى من القُصَّاص، وعلماء العرب، وغيرهم؛ أنَّ عيسى لم يُصَلَّب، وكانت له شوكةٌ، فلم

(١) تقدم نقد هذا الوصف.

(٢) في (أ): (يحيي)، والصواب من: (ب).

(٣) عبد الله بن سلام، من ذرية يوسف النبي ﷺ حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفاً لهم وكان من بني قينقاع يقال كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ، أسلم حين قدم النبي ﷺ المدينة، مات بالمدينة سنة ٤٣. [الإصابة (٤/١١٨-١١٩)].

(٤) كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب، ويقال له كعب الحبر يكنى كُ أبا إسحاق، أدرك النبي ﷺ رجلاً وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر وقيل في زمن النبي ﷺ والراجح أن إسلامه كان في خلافة عمر، عالم بحر، يكتب اليهود، مات سنة أربع وثلاثين وقيل سنة اثنتين وقد بلغ مائة وأربع سنين. [الإصابة في تمييز الصحابة (٥/٦٤٥-٦٥١)].

يجسر أحدٌ يخالفه، ثم استمر على ذلك المسلمون تقليداً.

لكن يقال لهم في الجواب: هذا اعتذارٌ باطلٌ؛ لأنَّ صلبه قد بيَّنَّا أنَّه من القضايا التي يلزمها التواترُ القاطعُ، الذي لا يقبل الخلاف، ولا يخفى عن أحدٍ، ففرُّصُ خفاءٍ مثل هذا على مُنمِّلٍ، أو مستمِّلٍ، أو كاتبٍ [٣٥/أ] أو أمِّيٍّ، محالٌّ عادةً، كخفاء طوفان نوح^(١)، وناقية صالح^(٢)، ونار الخليل^(٣)، وعصى موسى^(٤)، وولادة المسيح من غير بشر^(٥). وهل موته في الشهرة إلا كمولده؟، فهلاً وقع الخطأ في مولده؟^(٦).

وقيل: إنكم معشر النصارى تكذبون أنَّه وُلد لا من بشرٍ، بل هو ابنُ يوسف، ابنِ داود النَّجَّار^(٧)، الذي خطب مريم، وهي حاملٌ بالمسيح، لو قال لكم قائلٌ هذا،

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوِّرُ عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ نَكْمٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ رُبِّهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسْوَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَةٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

(٣) قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَادْفِنُوهُ إِنَّهُمُ كُنْتُمْ قَتِيلِينَ﴾ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَارْأَوْا يَوْمَ كُنَّا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَفْتَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِمَصَافِكَ الْحَجَرِ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَبِيًّا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُفُورًا فَشَرِبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

(٥) اقرأ الآيات في سورة مريم، من ١٦-٣٦.

(٦) وقع التناقض في تاريخ مولده واحتفال النصارى والكنائس به، على رأس كل سنة، وللوقوف على التناقض والخطأ فيه، انظر: [قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأنجيل (١٢١)، د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة. التحريف والتناقض في الأنجيل الأربعة، د: سارة العبادي].

(٧) قال ابن كثير رحمة الله عليه عن قصة مريم مع يوسف النجار: (فالْمَشْهُورُ الظاهر -والله على كل شيء قدير- أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالح من قرياتها يخدم معها البيت المقدس، يقال له: يوسف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك من أمرها، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها، ثم تأمل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول، فقال: يا مريم، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي عليّ. قالت: وما هو؟ قال: هل يكون قط شجر من غير حب؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من غير أب؟ فقالت: نعم -فهمت ما أشار إليه- أما قولك: هل يكون شجر من غير حب وزرع من

ونازعكم، ما وجدتم سبيلاً إلى إثباته؛ لأنه كان يطعن فيما عندكم من النقل، ويدّعي تحريفه وعدم الوثوق به، ويقول: أنا لم يأتي في كتابي ما يصدقكم، ووجود إنسان من غير بشر مُحالٌ عادةً، فلا يكون، فبماذا كنتم تثبتونه^(١)؟!، وهل كان يكون عندكم إلاّ دعوى مجردة عن برهانٍ مشترك، أو مقترنة ببرهان يختصّ بكم، كالإنجيل ونحوه، ولو لم يأت كتابنا ونبينا بما يوافق ما عندكم في مولد المسيح لنازعناكم فيه، كما نازعناكم في صلبه، فلماً وافقكم محمد عليه السلام في مولده، وخالفكم في سبب وفاته، دلّ على صحّة ما وافق عليه، وبطلان ما خالفتموه فيه.

وأيضاً^(٢) فهب^(٣) أن محمداً ﷺ كان جباراً صاحب سيف، ولم يكن نبياً، أفيشك عاقلٌ في أن من أقام هذا الناموس المؤبّد، والدّين المخلّد، يكون حكيماً، هذا ممّا لا يشك فيه من له أدنى عقل.

فإذا ثبت أنّه حكيم؛ فما الباعث له على أن يحكي شيئاً ليس منه على يقين، خشية أن يكون خبره غير مطابق، فينفر عنه من يعلم ذلك، ولو في الباطن؛ إن لم يمكنه في الظاهر، بل الحكمة كانت تقتضي أن لا يحكي إلاّ ما يعلمه، وما لا يعلمه يدّعه، كما ترك كثيراً من القصص لم يتعرض لها، والتفاصيل التي هي المذكورة في التوراة من أمر العالم، وفي الإنجيل من أمر المسيح.

وهب أنه كان [٤٠/ب] صاحب شوكة، يحتمي الناس مخالفتَه في الظاهر، لكن

= غير بذر؟ «فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر» وهل خلق يكون من غير أب؟ «فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم. فصدقها، وسلّم لها حالها. ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريسة، انتبذت منهم مكاناً قصياً، أي: قاصياً منهم بعيداً عنهم؛ لتلا تراهم ولا يروها. قال محمد بن إسحاق: فلما حملت به وملاّت قلبتها ورجعت، استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والترحم وتغير اللون، حتى فطّر لسانها، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا، وشاع الحديث في بني إسرائيل، فقالوا: «إنما صاحبها يوسف»، ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس، واتخذت من دونهم حجاباً، فلا يراها أحد ولا تراه». [تفسير ابن كثير (٢٢٢/٥-٢٢٣)]

(١) في (أ): يثبتونه، والصواب من (ب).

(٢) تكررت: (وأيضاً) في (أ)، وهو خطأ من الناسخ؛ لأنها لم ترد في (ب).

(٣) فهب: ليست في (أ)، وأثبتها من (ب)، وهو أصوب.

الحكيم لا يقتصر على مراعاة ظاهر حاله؛ بل على ظاهره وباطنه.

فتبين بهذا البرهان القاطع المذكور أنَّ عيسى لم يُصلب، وإنما أُلقي شبهه على بعض أعدائه، يقال: إنه «يهوذا الإسخريوطي»^(١)، الذي أسلمه ودلَّ عليه، والمسلمون سموه «يوذا»، وذلك لأنهم لمَّا ربطوا المسيح في الجبل، وأرادوا رفعه أظلمت الأرض ظلمة شديدة، وقد نصَّ في الإنجيل على وجود هذه الظلمة، وأنها كانت ثلاث ساعات، من الساعة السادسة، إلى الساعة^(٢) التاسعة، فأرسل الله ملائكة أطلقوا المسيح، وربطوا [٣٦/أ] مكانه عدوّه، وأُلقي عليه شبهه، ثم رُفِعَ المسيح على ظهر غمامة نزلت إليه، ثم انكشفت الظُّلَّة و«يوذا» مصلوبٌ، فجعل يقول لهم: المسيح أُطلقَ، وربطتُ مكانه، وأنا صاحبُكم، ويذكر لهم العلامات التي يعرفونها بينه وبينهم، وهم يرون عليه شبه المسيح فيزدادون عليه حقًّا^(٣)، ويقولون: قاتله الله، ما أعلمه بسرًّا، يعتقدونه^(٤) المسيح.

الخلافة
 نعم ^(٥) اختلف المسلمون في أن المسيح توفي حتف أنفه قبل أن يرفع أم لا، على
 بين
 المسلمين (١) جاء في إنجيل متى: (٤: ١٠) (.. ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه) و(٢٦: ١٤) و(٢٦: ١٥) ومرقس:
 في وفاة (٣: ١٩) و(١٤: ١٠) و(٢٦: ٣) و(٦: ٧١) ويوحنا (٤: ١٢) و(١٣: ٢) و(١٣: ٢٦) و(١٤: ٢٢) وبرنابا:
 عيسى
 الفصل الرابع عشر.

(٢) زيادة من: (ب). والنصوص التي ورد فيها ذكر الظلمة: إنجيل متى: ٢٧: ٤٥. إنجيل لوقا: ٢٣: ٤٤. إنجيل مرقس: ١٥: ٣٣. ولم أجد النص في إنجيل يوحنا.

(۳) فی (أ) (حیفاً) وما أثبتہ من (ب):

(٤) في: (أ): نعتقدونه، والصواب من: (ب)

(٥) في الهامش الأيمن بخط الناسخ تحت عنوان: (مطلب في الأشبه وفاة عيسى عند المسلمين): (أقول إن الأشبه عندي أنه: ما توفي بل رفعه الله حيًّا ثم ينزل ويتوفى في مدينة رسولنا محمد ﷺ وهذا ما ذهب إليه المحققون من أهل الإسلام، كم حقق ذلك في محله) ولي الدين. أ. هـ من: (أ). وفي (ب) في الهامش ذاته قوله: (أشبههما أنه توفي إن أراد من حيث لفظ القرآن فمسلَّم، وإن أراد من حيث التحقيق فلا يُسلَّم؛ لأن الله تعالى لا يجمع على العبد موتين. وقد أجمع المسلمون على أنه بعد نزوله من السماء وإقامته في الأرض يموت والله أعلم). قال البغوي رحمه الله عليه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُبَسِّمُ إِلَيَّ مَوْفِقُكَ وَرَأْفَقُكَ إِلَٰهِي﴾ [آل عمران: ٥٥] اختلفوا في معنى التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إلي من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: من الآية ١١٧] أي: قبضتني إلى السماء وأنا حي؛ لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه إلى السماء لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان أحدهما: إني أرفعك إلي وأيا لم ينالوا =

= منك شيئا، من قولهم توفيت كذا واستوفيته إذا أخذته تاماً والآخر: أي مستلمك من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكل ذي عين نائم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائماً إلى السماء، معناه: أي منومك ورافعك إلي كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّيْكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: من الآية ٦٠] أي ينيكمكم. وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، روى عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: أي مميتك يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ أَرْبَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. فعلى هذا له تأويلان: أحدهما ما قاله وهب: توفي الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصراني يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعاه، والآخر ما قاله الضحاك وجماعة: إن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا معناه أي رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء. وعن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده ليوصلن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (أخرجه البخاري في الأنبياء. باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام: ٤٩٠ / ٦). ومسلم في الإيمان. باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ برقم (١٥٥) / ١ (١٣٥ - ١٣٦). ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى ﷺ قال: «وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون» (أخرجه أبو داود - في الملاحم: باب: خروج الدجال: ١٧٧ / ٦ وسكت عنه المنذري. وأحمد في المسند عن أبي هريرة: ٤٣٧، ٤٠٦ / ٢، مطولاً). وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال نعم: ﴿وَكُنْجِبُ﴾ ولم يكنهل في الدنيا وإنما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء. [معالم التنزيل (٤٥ / ٢) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار طيبة للنشر والتوزيع]. قلت: وتعسف قوم من المحدثين في توجيه ألفاظ التوفي والرفع، حتى أفضى بهم الأمر إلى إنكار رفع المسيح بجسمه، وردوا الأحاديث الصحيحة الثابتة في نزول عيسى ﷺ بحجة أنها أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد، وهذه بدعة منكورة، مع أنها واردة في كتب الصحاح، فيلزمهم أمور: الإتيان بدليل قاطع على قولهم: «أحاديث الآحاد لا تُبنى عليها العقائد» ولن يجدوا. ردٌ كثير من أحاديث الصحيحين؛ إذ أعظم حديث في المقاصد (إنما الأعمال بالنيات...) إنما جاء من طريق آحاد. تشريع ما لم يشرعه الله تعالى، وذلك إذا قلتم برد أحاديث الآحاد وهي كثيرة، بنيت عقائدكم على الوهم والظن. وبالجمل فائدة الكتاب والسنة، وعمل الصحابة وأقول العلماء تدل دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في كل أبواب الشريعة، سواء كان في الاعتقادات أو العمليات، وأن التفريق بينهما بدعة لا يعرفها السلف وهناك من أثبت تواتر أحاديث نزول المسيح ﷺ بل هناك جزء للكشميري اسمه «التصريح بما تواتر من نزول المسيح» [انظر: قاموس البدع (١٣٢ - ١٣٦) مستخرج من كتب الإمام العلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله عليه (ت: ١٤٢٠ هـ)، مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ، دار الإمام البخاري. الدوحة. قطر. ومن أعجب ما قرأت ما قرره الدكتور: أحمد شلبي في كتاب (المسيحية) من رد أحاديث نزول عيسى ﷺ بعد تقريره عدم اعتقاد المسلمين رفعه، وتعسف كثيراً لجعل ما ذهب إليه بعض المفكرين والعلماء المحدثين صحيحاً، ومنهم: محمد عبده، والألوسي، وأبو زهرة، الشيخ شلتوت، ومحمد رشيد رضا، وأمين عز العرب، والمراغي، وعبد الوهاب النجار، وسيد قطب، وصلاح أبو إسماعيل الذي قرر إن «الله ليس له مكان محدود حتى يكون الرفع حسيّاً...» ثم كانت الطامة من كلام الدكتور: أحمد شلبي نفسه: =

قولين، أشبههما: أنه توفيَّ وبقي ثلاثة أيام. وقيل: أربعين يوماً، يُصلي^(١) عليه الملائكة في السماء، ثم أحياه الله، وأمره بالرجوع إلى تلاميذه؛ ليعهد إليهم ما يريد؛ لأنَّ اليهودَ أعجلوه عن ذلك.

اختيار
الطوفي
وفاة
المسيح
عليه السلام

فإن قيل: أجمعت الأمم الثلاث^(٢) على وجود الصلب، وقد وافقتم على أنَّ المسيح تُوفيَّ، والصلبُ الذي ندَّعه سببٌ صالحٌ للوفاة التي اعترفت بها، فوجب أن يكون قد صُلب.

اختلاف
الأمم
الثلاث
في عين
المصلوب

قلنا: هذا خطأ ومغالطة، الأمم الثلاث اتفقت على الصلب، واختلفت في عين المصلوب، فأنتم، واليهود قلتم: هو المسيح، أولئك لحلاوة الظفر، وأنتم لحلاوة الشناعة والتَّعدي عليهم.

وصواب
قول
المسلمين

ونحن نقول: إنَّه يهوذا، أو غيره من أعاديته^(٣)، فأين الاتفاق؟! ولا يلزم من اعترافنا بموته أن يكون سبب الصلب الذي ادعيتموه؛ لأنَّ البرهان قام على بطلان ذلك، وأيضاً فإن أسباب الموت كثيرة، والصلب لم يتعين سبباً.

ومن ذلك حكايتهم عنه أنَّه قال وهو في الخشبة: (إلهي، إلهي لم تتركني)، فإنَّه يدلُّ على أنه عبدٌ مألوه، ويدلُّ على تخليطهم في الإنجيل، ومناقضتهم فيه؛ لأنَّهم زعموا [٤١/ب] أنَّه جادَ بنفسه في إنقاذ النوع الإنساني من كيد الشيطان، فكيف ييخل بنفسه الآن؟!.

= ١.. ونختم هذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسمه وروحه اعتقاد متأثر بالفكر المسيحي! الذي يرى أن عيسى هو الإله الابن، نزل من السماء ثم رُفِعَ ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله الأب!! أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد، وأنه في كل مكان!! وليس جسماً، فكيف يوقعون بين هذا وبين رفع عيسى..... ٢. [انظر: المسيحية (٤٧-٥٩) د: أحمد شلي]. وقد جانب الصواب في ذلك، تَحَنُّنًا.

(١) في: (ب): تصلي، والمثبت من (أ): والملائكة لا توصف بذكورة ولا أنوثة ولا يتوالدون، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة أو خنثة كفر لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَوَّاهُ شَهَدَتْهُمْ وَرُسُلُونُ﴾ [الزخرف: ١٩] [الإصابة في تمييز الصحابة (٩/١) طبعة: دار الكتب العلمية بيروت. سنة ١٤١٥هـ].

(٢) المسلمون، واليهود، والنصارى.

(٣) في (ب): (أعدائه).

وذكر أن يوسف؛ تلميذ المسيح، استوهب جسد المسيح، من فيلاطس^(١) الذي تولّى برجاله صلب المسيح، فوجه له فذهب فدقنه، ثم إنَّ المسيح قام من الأموات بعد ثلاثة أيام.

قلت: إنمّا دُفن المصلوب الذي^(٢) أُلقي عليه شبه عيسى؛ لا اعتقادهم أنّه هو، ولو تركوه لم^(٣) يدفنوه لعاد إليهم المسيح، وذاك مصلوب، واتضح الحق، ولكن أراد الله سبحانه وقوّع هذا الإبهام بين العالم، فكان دفن التلميذ المصلوب، كما قال أبو العلاء^(٤) في الرفضية^(٥):

(١) فيلاطس: ويلقب بالبنطي، باللاتينية بنطيوس، وهو وال أقامته الحكومة الرومانية نائباً أو حاكماً على اليهودية في سنة ٢٩ مسيحية. واستمرّ حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود (... المسيح)، وكانت قيصرية مركز ولايته. وكان يصعد إلى أورشليم إلى دار الولاية فيقضي للشعب هناك، وأما أيام حكمته فلم تكن مرضية لليهود لأنه كان قاسياً جداً غير مهتم إلا لمنافعة الشخصية. وفضلاً عن ذلك فهو الذي سلم المسيح لليهود مع أنه اعترف ببراءته وعدم اقترافه جرماً يوجب تسليمه لهم. وما ذلك إلا لعدم اكترائه بصالح المسكين والغريب... [قاموس الكتاب المقدس (٢٠٧)].

(٢) في (أ): (التي)، والصواب من: (ب).

(٣) في (أ، ب) (لا يدفنوه) وهذا لا يتفق مع السياق.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعري اللغوي الشاعر المشهور كان عجبا من الذكاء المفرط والاطلاع على اللغة ولد سنة (٣٩٣) هـ وجد في السنة الثالثة من عمره فعمى منه، فكان يقول لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، وأخذ العربية من أصحاب بن خالويه وعلى والده، وكان قانعاً باليسير، وسافر إلى بغداد سنة تسع وتسعين وثلاث مائة فسمعوا منه ديوانه المسمى بسقط الزند وعاد إلى المعرة سنة أربع مائة فلزم منزله وسمى نفسه هن المحبسين يعني منزله وبصره وقصد من النواحي ويقال أنه كان يحفظ ما يمر بسمعه. ومات في ربيع الأول سنة (٤٤٩) هـ [لسان الميزان (١/ ٢٠٤)].

(٥) والرفضية: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين فأبى وقال: كانا وزيرين جدّي فتركوه ورَقَصُوهُ وأزَقَصُوا عنه. والتسمية: رافضي، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب. هم فرق كثيرة قاتلهم الله. [الفرق بين الفرق (٤١) عبد القاهر البغدادي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث، القاهرة. التعاريف (١/ ٣٦٩) تاريخ دمشق (١٩/ ٤٧٢) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (٢/ ٧٥) محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني. ت: محمد عبد الحميد. المكتبة السلفية - المدينة المنورة]. قلت: فلو كان الطوفي رافضياً كما قال ابن رجب رحمة الله عليه، فهل سيصف قومه بأنهم (رافضة)، وهي سبة لهم كما نعلم؟! وقد تناولهم كثيراً بالتقد تارة، وباللعن تارة أخرى في كتابه الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية.

(ما في القرى سوى المغيرة، والله أعلم بالسريرة)^(١)، وإنما المسيح عاد من السماء؛ ليعهد إلى تلاميذه، فتوهموه قد قام من القبر.

فلو قيل: لو كان الأمر هكذا لوجب أن تبقى جثة المصلوب في القبر، وليس كذلك [٣٧/أ] فدلّ على أنها كانت جثة عيسى، عادت إليها روحه، ثم قام.

قلنا: قد قيل: إن أصحاب عيسى سرقوا تلك الجثة من القبر؛ لاعتقادهم أنها جثة المسيح، أو ليؤذوا الحرس الذين كانوا عليها من اليهود؛ نكاية^(٢) فيهم.

فيحتمل أنهم فعلوا ذلك وطمّوا الجثة في موضع آخر، ثم لما عاد المسيح، وعلموا برجوعه؛ لم يشكروا في أن روحه عاد إلى تلك الجثة؛ لاعتقادهم أنها جثته^(٣)، وبقيت تلك مدفونة، أكلها التراب.

ويحتمل أن اليهود سرقوا تلك الجثة، واتهموا^(٤) بها أصحاب عيسى؛ لعلم اليهود أن عيسى سيبعث؛ لأنهم كانوا يعرفون أنه رسول الله، ولكن أنكروه عنادًا، كما أنكروا محمدًا عليه السلام، وفعلوا ذلك خشية أن تُفقد الجثة، وهم يعتقدونها جثة المسيح؛ فيظهر للملك أنهم تعصّبوا على صلب نبي؛ فينقم عليهم، أو لئلا يظهر للناس صدق المسيح فيما أخبر من بعثه بعد موته، فيهرع الناس إلى دينه وما كان عليه، واليهود ما كانوا يؤثرون ذلك.

ثم إنهم دفنوا تلك الجثة وتركوها نسيًا منسيًا، كل هذا محتمل، وإثبات النصارى معارض بنفي اليهود، والطائفتان عندنا كذبة متهمون، هؤلاء في التفريط في المسيح، وهؤلاء في الإفراط فيه، والله أعلم.

هذا آخر التعليق على إنجيل متى.

(١) لم أجد هذا القول رغم البحث الطويل.

(٢) في (أ): مكانه، والمثبت من (ب).

(٣) من قوله: «في موضع آخر»... إلى: «جثته»، ساقط من المتن في (ب) سهواً، وأثبتت في الهامش الأيسر بخط الناسخ.

(٤) في (أ): أبهموا، من الإبهام، والمثبت من (ب) وهو أصوب.

ثانياً: إنجيل مرقس

ولنشرع الآن في التعليق على إنجيل مرقس^(١).

فمن ذلك قوله في مقدمته حكاية عن كتاب: أشعياء النبي: (هو ذا أنا مرسلٌ أملاكي [٤٢/ب] إمام وجهك؛ ليسهل طريقك قدامك، صوت صارخ في البرية: أعدُّوا طريقَ الرَّبِّ، وسهِّلوا سُبُلَه)^(٢).

قلت: المراد بالصَّارخ، يوحنا المعمدان، كان يسكن البرِّ، وطعامه الجراد، وعسل البرِّ، ولباسه وبرُّ الإبل، ومنطقته من آدم على حقويه، وكان يُعمِّد الناس في نهر الأردن.

والمراد بالرَّبِّ: الله سبحانه وتعالى^(٣) لا المسيح؛ لأنَّ طرق الشرائع هي سُبُل الله سبحانه وتعالى، والرُّسُل فيها مستخدمون، متعبِّدون بالسعي في إقامتها، وقد سبقت الأدلة على أنَّ المسيح لا يجوز أن يكون ربًّا.

ومن ذلك: حكاية^(٤) عن روح القدس: لَمَّا جاءه كالحمامة، وقد سبقت، ووجه دلالتها في: التعليق على إنجيل متى.

(١) في هامش: (أ) الأيسر: (مطلب، إنجيل مرقس). وفي هامش: (ب) الأيمن: مرقس. وقد أثبتُّ هنا اسم: (مرقس)؛ لأنَّه الاسمُ المشهور المتعارف عليه، والمثبت في التراجم الحديثة للأناجيل، وكتب علماء المسلمين الذين تصدَّوا للردود على النصارى. وإنجيل مرقس هو الثاني في ترتيب الأناجيل الأربعة مع أن هذا لا يعني بالضرورة أنه كتب بعد إنجيل متى. وهو أقصر الأناجيل الأربعة والمادة التي يقدمها في تفصيل كثير. [قاموس الكتاب المقدس (٨٥٣)]. ومرقس: اسم لاتيني معناه: مطرقة، وهو لقب ليوحنا، ويرجح أنه ولد في أورشليم لأن أمه سكنت هناك وكانت ذات اعتبار بين المسيحيين الأولين فإن بطرس لما أطلق من السجن ذهب إلى بيتها. ويرجح أن مرقس أتبع الرب بواسطة بطرس لأنه يدعو ابنه (١ بط ٥: ١٣). ويظن أن مرقس هو الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليمه. [هكذا يعرفه قاموس الكتاب المقدس (٨٥٣)] فانظر إلى الدقة في بيان نسب مؤلف إنجيل يتعبدون الله بما فيه [أ]. وأقول: «لا يُعرف شيءٌ حقيقي عن حياته».

(٢) إنجيل مرقس: ١: ١-٢.

(٣) تعالى، ليست في (ب).

(٤) في: (ب): حكايته، والمثبت من (أ).

ومن ذلك قوله في الفصل الخامس للمخلّع: (قد غُفِرْتُ لك خطاياك، حتى قال الكتبة: ما هذا التجديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد؟!، فقال يسوع: إيما أيسر^(١)؟ أن يقال للمخلّع: قد غفرت لك خطاياك، أو يقال: قم فاحتمل سريرك واذهب [٣٨/أ]؛ لتعلموا أن السلطان لابن الإنسان على الأرض أن يغفر الخطايا، ثم أبرأ المخلّع، فقام يحتمل سريره^(٢)).

قلت: جهلتُ النصارى والكتبة؛ حيث ظنوا أنَّ هذا الكلام من المسيح يقتضي إلهيته، وليس كذلك؛ بل رسلُ الله سبحانه في الأرض يُبلغون عن الله ما يوحى به إليهم، وهم بمنزلة نوابه في خلقه ووكلائه، يجوز أن يقول لهم: احكموا بما رأيتم، فإنكم لا تحكمون إلاَّ حقًا، أو أنهم إذا أخطأوا نبههم، وأحكامهم في الأصل مستندة إلى الله سبحانه، فمن الجائز أنَّ المسيح أوحى إليه في تلك الحال أنَّ خطايا المخلّع قد غُفِرَتْ، فأخبر بها مضيفًا إلى نفسه الفعل؛ بناءً على أنَّ حكمه حكمُ الله، وحكمُ الله حكمه، أو أنَّه كان مأذونًا له في الأحكام بناءً على تأييده بالعصمة، فأضاف الفعل إلى نفسه؛ لأنَّه المستقلُّ في الأرض بالحكم، ومستتبه في السماء. ويحتمل أنه قال ذلك بنية التبليغ عن الله، أو مصرحًا بالتبليغ عنه، فقال: إن الله يقول: قد غفرت لك خطاياك، فخفي لفظُ التبليغ عنهم؛ لكثرة الجمع، أو خفاء صوتِ المسيح.

اعتراض
الكتبة
على كلام
المسيح
عليه السلام

ويحتمل أن لفظه: قد غُفِرْتُ لك خطاياك، على صيغة ما لم يسم فاعله؛ بدليل أنَّ لفظَ إنجيل لوقا: (مغفورة لك خطاياك)^(٣)، وهو على صيغة ما لم يُسم فاعله [٤٣/ب]، ثم لما كان الفاعل مجملًا، مترددًا بين الله والمسيح، والكتبة شديدي العناد له، يتمنون له العثرات، حتى يقتلوه بها، كما صرَّح به الإنجيل

رد اعتقاد
النصارى
الوهمية
المسيح
بنص إنجيل
مرقس

(١) في: (أ): إنما أبشر. والمثبت من (ب). ونص إنجيل مرقس: ٩: ٢. (أيما أيسر أن يقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش).

(٢) إنجيل مرقس: ٢: ٥-١٢

(٣) إنجيل لوقا: ٥: ٢٣. ونصه: (أيما أيسر أن يقال: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم وامش؟).

حين قبضوا عليه، وقالوا: (قد استغنيتم^(١) عن الشهود عليه ها هو قد جَدَّف^(٢)). حملوا الفظه على أنه هو الفاعلُ الغافرُ، ووافقهم النصارى على هذا الفهم؛ لغلوهم في المسيح، واعتقادهم إلهيته، وإنَّما أرادَ المسيحُ بالفاعل الغافرِ اللهَ سبحانه، لكنَّ هذا الاحتمالَ يردُّه قوله:

(لتنظروا^(٣) أن السلطان لابن الإنسان أن يغفر الخطايا)^(٤)، فتبقى الاحتمالاتُ الأخرى، ومعها لا يصحُّ الحكمُ بأنَّ من صحَّ أن يتولى غَفَرَ الذُّنُوبَ كان إلهاً على الإطلاق؛ بل بشرط أن يكونَ مستقلاً لا حاكمَ فوقه، ثم قد ضَمَّنَ كلامه ما يُزيلُ أبنيته، وهو قوله:

إِنَّ السُّلْطَانَ لِبْنِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَغْفِرَ، فَإِنَّهُ نَبَّهَ بِكَوْنِهِ ابْنَ الْإِنْسَانِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ إِلَهًا، وَلَا ابْنَ إِلَهٍ، وَإِلَّا لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ومن ذلك في الفصل السادس، لما قال له الفريسيون: (قد فعل أصحابك يومَ السَّبْتِ ما لا يحلُّ، قال لهم: من أجل الإنسان كان السَّبْتِ، ولم يُخلَقِ الإنسان لأجل السَّبْتِ، وابن البشر هو: رَبُّ السَّبْتِ)^(٥).

قلتُ: قد يتوهَّمون أن معنى قوله: ابن البشر رب السَّبْتِ [٣٩/أ] أي: أَنَّهُ الإله الذي شرَّعه وأوجبه، وليس كذلك، وإنما معناه: إِنِّي رَسُولٌ، صاحبُ شريعةٍ مستقلة؛ كموسى، فمن جهتي يُعلم تحريمه أو تحليله؛ لأنِّي الواسطةُ بينكم وبين الله ووحيه، وأنا لم يوح إليَّ تحريمُه؛ فهو حلالٌ لي.

فمن هذه الجهة صحَّ أن يقول: أنا ربُّ السَّبْتِ، لا من جهة أَنَّهُ الإلهُ الأصليُّ

(١) في: (أ): استغنيتم. والمثبت من: (ب).

(٢) انظر تصريح الأناجيل بذلك: إنجيل متى: ٢٦: ٦٥-٦٢. إنجيل لوقا: ١٤: ٦٢-٦٤.

وفي الهامش الأيسر في: (ب) كُتِبَ: (التجديف معناه: الكفر).

(٣) في: (ب): لتنظروا، وفي نص مرقس: لتعلموا.

(٤) إنجيل مرقس: ٢: ٥-١٢.

(٥) إنجيل مرقس: ٢: ٢٤-٢٨.

الشَّارِع، كيف وهو يقول: ابن البشر هو رب السَّبت؟، تنبيهًا على أن ليس مراده ما فهموه.

ومن ذلك في آخر الفصل السابع منه، قال: (والذين كانت بهم عاهات، وأرواح نجسة، كانوا إذا رأوه سقطوا قدامه قائلين: أنت هو ابنُ الله)^(١).

والمراد: عبدُ الله، تجوزًا^(٢) عنه بلفظ الابن؛ بدليل ما سبق تقريره في التعليق على إنجيل متى.

قصة إحياء
المسيح
بنت رئيس
الجماعة
ودلائها
على نبوته

ومن ذلك في آخر الفصل الثالث عشر منه: (أنه لما أحيَا^(٣) الصبيَّة؛ بنت رئيس الجماعة، فتعجَّب الناس منه، وقالوا: من أين له هذا القوة والحكمة؟، أليس هذا ابنُ النَّجار ابن مريم، أخو يعقوب، ويوسي، ويهوذا، وشمعون، أليس [٤٤ / ب] إخوته عندنا، وكانوا يشكُّون فيه؟، فقال لهم يسوع: أليس يهانُ نبيٌّ إلَّا في بلدته، وعند أنسابه وبيته^(٤)؟ ولم يصنع هناك قوة واحدة غير مرضى قليل أبراهم^(٥)، وعجَّب من قلة إيمانهم)^(٦).

قلت: هذا تصريحٌ منه بأنَّه نبيٌّ؛ لأنَّ معنى كلامه: لا يهان نبيٌّ إلَّا في بلدته، وأنا نبيٌّ قد أهِنتُ في بلدي.

فإن قيل: المسيحُ له جهةٌ ناسوتٍ هو بها نبيٌّ، وجهةٌ لاهوتٍ هو بها إلهٌ. قلنا: قد سبق جوابُ هذا، في الكلام على إنجيل متى، ثم^(٧) يلزمكم على هذا أن يكونَ الإلهُ مُرَكَّبًا، أو نصفَ إنسانٍ!، وهو باطلٌ عند العقلاء أجمعين إلَّا المجسِّمة^(٨)،

(١) إنجيل مرقس: ٣: ١١.

(٢) في (ب): (تجوزوا) وما أثبتَّه من (أ).

(٣) في (أ، ب): (أحي) ولعل ما أثبتَّه هو الصواب.

(٤) في (أ): (أ)، وبنه، والمثبت من: (ب)، ونص مرقس: ٦: ٤: (ليس نبيٌّ بلا كرامة، إلَّا في وطنه، و بين أقرباه، و في بيته).

(٥) في (أ): (آثارهم)، والصواب من: (ب).

(٦) إنجيل مرقس: ٥: ٣٩ و ٦: ٣-٦.

(٧) في: (ب): لم. والصواب من: (أ).

(٨) (أما ذكر التجسيم، وذم المجسِّمة فهذا لا يُعرف في كلام أحد من السلف والأئمة كما لا يعرف في كلامهم أيضًا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم كما ذكره أحمد في كتاب =

والحلولية^(١)، وهم طائفة منكم، أو مثلكم، لا عبرة بهم.

ومن ذلك في الفصل الثامن عشر منه: ذكر في سياق إنكار الكتبة، والفريسيين،

على تلاميذه؛ أكلهم بدون غسل أيديهم! (لا يُنَجِّسَ الإنسانَ ما دخل فاه ثم
تناقض
إنجيل متى
مع إنجيل
مرقس
خرج، إنما ينجِّسُهُ ما خرج من فيه)^(٢)، وقد سبق الكلام عليه في إنجيل متى
ومن ذلك في الفصل الثامن والعشرين منه: ذكر سؤال الفريسيين للمسيح،

عن طلاق الرجل امرأته^(٣). وقد سبق ذكره في: الأربعين، من إنجيل متى.

ويبين الإنجيليين في هذه القصة، وغيرها، تفاوت كثير في اللفظ، وهذا يدل على
أن هذه الأناجيل رُويَتْ بالمعنى، مع تقادم عهدها، وتعريبها، [٤٠ / أ] من العجمي
إلى العربي، وتداول النسخ والأزمنة لها، وهذا يقتضي أنها صارت ممسوحة^(٤).

وإذا كان المسلمون قد وقع بينهم خلافٌ عظيمٌ؛ لأجل رواية سنةٍ نبيهم

بالمعنى؛ مع قرب المدة، وقصر الأمد، واختلفَ علماءهم في جواز الرواية بالمعنى
اختلافًا شديدًا^(٥)؛ حذرًا من استحالة الأحكام، فما ظنك بهذه الأناجيل مع طول
حكم رواية
الحديث
بالمعنى

= الرد على الجهمية ولما ناظر برغوث والزمر برغوث بأنه جسم امتنع أحمد من موافقته على النفي والإثبات وقال هو عند
أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد). [درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (١ / ٢٤٩)]. المسلمون

(١) الحلول: عقيدة زعيمها: الحلاج (المقتول)، ويظهر في هذه المدرسة التأثير بالتصوف الهندي والنصراني،
حيث يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل فيه وأنه قد اتحد هو بالله، فمن أقوالهم: (أنا الحق) و (ما في الجبة إلا
الله) وما إلى ذلك من الشطحيات التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر بخمرة الشهود على ما يزعمون.
[الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦١)].

(٢) إنجيل مرقس: ٧: ١٥.

(٣) إنجيل مرقس: ١٠: ٢-٥.

(٤) ولو قال تَنَقَّلْتُ: ممسوخة! لكان متوجهاً؛ إذ هي كذلك.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة: (وأما الرواية بالمعنى فالخلاف فيها شهير والأكثر على الجواز أيضًا
ومن أقوى حججهم الإجماع على شرح الشريعة للعجم بلسانهم للعارف به فإذا جاز الإبدال بلغة أخرى
فجوازه باللغة العربية أولى وقيل إنما يجوز في المفردات دون المركبات وقيل إنما يجوز لمن يستحضر اللفظ
ليتمكن من التصرف فيه وقيل إنما يجوز لمن كان يحفظ الحديث ففسى لفظه وبقي معناه مرتسمًا في ذهنه فله
أن يرويه بالمعنى لمصلحة تحصيل الحكم منه بخلاف من كان مستحضرًا للفظه وجميع ما تقدم يتعلق بالجواز
وعدمه ولا شك أن الأولى إيراد الحديث بألفاظه دون التصرف فيه قال القاضي عياض (ينبغي سد باب الرواية
بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن كما وقع لكثير من الرواة قديمًا وحديثًا والله الموفق).
[انظر: الكتاب: نزعة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (١١٩) المؤلف: أبو الفضل أحمد =

مُدَّتِها، واختلاف لغاتها ورقومها.

ومن ذلك في الفصل التاسع والعشرين: (لَمَّا قَالَ لِرَجُلٍ: بَعْ كُلَّ مَا لَكَ، وَأَعْطِهِ
لِلْمَسَاكِينِ، وَاكْنُزْهُ^(١) فِي السَّمَاءِ، فَصُعْبُ عَلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ: هَا نَحْنُ
قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ، فَقَالَ يَسُوعُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ
بِيوتًا، أَوْ إِخْوَةً، أَوْ أَخَوَاتٍ، أَوْ أَبًا، أَوْ أُمًّا، أَوْ امْرَأَةً، أَوْ بَنِينَ، أَوْ حَقْلًا لِأَجْلِي؛
وَلِأَجْلِ بَشَارَتِي إِلَّا وَهُوَ يَأْخُذُ مِائَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، مَنَازِلَ وَإِخْوَةً،
وَأَخَوَاتٍ، [٤٥/ب] وَأَب وَأُم وَبَنِينَ فِي الشَّدَائِدِ، وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي فِي الْحَيَاةِ الْمُؤَيَّدَةِ
أُولُونَ كَثِيرٌ يَكُونُونَ^(٢) آخَرِينَ، وَآخَرُونَ أُولِينَ).

دعوة
المسيح
إلى الدار
الآخرة

قلت: قد أخبر المسيح هاهنا بأن من ترك شيئًا من متاع الدنيا لأجله؛ يُعْطَى
أضعافه في الآخرة، وهذا يَنَاقِضُ ما حكوا عنه في إنجيل متى.

وفي الثامن والثلاثين من هذا الإنجيل: (فِي السَّبْعَةِ^(٣) إِخْوَةً، الَّذِينَ تَزَوَّجُوا امْرَأَةً
وَاحِدَةً تَتْرَى، حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: لَا نِكَاحَ فِي الْآخِرَةِ؛ بَلْ يَكُونُونَ كَالْمَلَائِكَةِ)^(٤)

فأحدُ الكلامين باطلٌ عنه قطعًا، ومُخْتَلَقٌ عليه جزمًا، إمَّا هَذَا، وَإِمَّا ذَاكَ، وَأَيُّمَا
كَانَ؛ فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الْوَثُوقَ بِهِذِهِ لِأَنَّا جِئْنَا؛ لَوْقُوعِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِيهَا.

وأيضًا فَإِنَّ بَعْضَ النَّصَارَى قَدَحَ فِي صَدَقِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ بِإِخْبَارِهِ بِالنِّكَاحِ فِي الْجَنَّةِ،
وَهَذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذَا نَصُّ الْمَسِيحِ فِي الْإِنْجِيلِ: أَنَّ مَنْ تَرَكَ زَوْجَةً لِأَجْلِهِ؛ أَخَذَ
أضعافَهَا فِي الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ.

= بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي،
الطبعة الأولى عام (١٤٢٢هـ) مطبعة سفير بالرياض. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (١٨٩)
جمال الدين القاسمي الدمشقي.

(١) في (أ) (وأكثره) والصواب من (ب).

(٢) في (أ) (يكونوا) والصواب من (ب).

(٣) في: (أ): سبعة، والصواب من: (ب).

(٤) إنجيل مرقس: ١٢: ١٩-٢٤.

ومن ذلك في الفصل الثاني والثلاثين: (لَمَّا قَرَّبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ^(١))؛ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ لِيَأْتِيَاهُ بِحِمَارٍ يَرْكَبُهُ، وَقَالَ^(٢) قَوْلًا: إِنَّ الرَّبَّ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ^(٣). ومعنى ذلك: أَنَّ السَّيِّدَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونُ السَّيِّدَ رَبًّا. وَتَقْرِيرُهُ أَنَّ السَّيِّدَ مَأْخُوذٌ مِنَ السُّودَدِ وَالسِّيَادَةِ، وَهِيَ الرَّيَّاسَةُ.

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَرْبِيُّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ رَئِيسَ الْقَوْمِ يُرَبِّيهِمْ وَيَنْظُرُ فِي مَصَالِحِهِمْ؛ كَتَرِيَةِ الْمَرْبِيِّ لِمَنْ يُرَبِّيهِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْقِصَّةِ: (مَبَارَكُ^(٤) الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ)^(٥)، يَعْنِي: الْمَسِيحُ، هُوَ: الْآتِي بِاسْمِ اللَّهِ، وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ إِلَّا رَبٌّ وَاحِدٌ، فَتَعَيَّنَ [٤١/أ] أَنَّ الرَّبَّ إِذَا سُمِّيَ بِهِ الْمَسِيحُ فَمَعْنَاهُ السَّيِّدُ، وَإِذَا سُمِّيَ بِهِ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فَهُوَ الْإِلَهَ.

ومن ذلك في التاسع والثلاثين: (لَمَّا سَأَلَهُ الْكَاتِبُ أَنْ يَوْصِيَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَوَّلُ الْوَصَايَا اسْمِعْ يَا إِسْرَائِيلَ، الرَّبُّ إِلَهُنَا الرَّبُّ وَاحِدٌ هُوَ)^(٦).

فَانْظُرْ إِلَى الْمَسِيحِ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، كَيْفَ أَتَى فِي هَذَا الْكَلَامِ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي لَا لِبَسَ فِيهِ، وَلَا غُبْرَةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بَأْنَ إِلَهِهِ وَإِلَهٍ غَيْرِهِ وَاحِدٌ، هُوَ أَخْبَرَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبَأَنَّهُ غَيْرٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ أَضَافَ إِلَيْهِ، وَالْإِضَافَةُ تَوْجِبُ تَغَايِرَ الْمُضَافِ [٤٦/ب]، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ، وَهَذَا مُنَافٍ لِرَأْيِ النَّصَارَى؛ لِأَنَّ مَنْ يَقُولُ: الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ؛ فَمُنَافَاةٌ لَهُ ظَاهِرَةٌ، وَمَنْ يَقُولُ هُوَ ابْنُهُ يَقُولُ: هُوَ أَقْنَوْمٌ لِدَاتِهِ؛ جَوْهَرًا أَوْ صِفَةً، عَلَى مَا سَبَقَ تَقْرِيرُهُ فِي أَوَائِلِ هَذَا التَّعْلِيقِ، بُنَاءً عَلَى قَوْلِهِمْ فِي الثَّالِثِ.

فَقَدْ بَانَ بِهَذَا النَّصِّ الثَّابِتِ عِنْدَهُمْ؛ الصَّحِيحُ: أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ،

(١) في: (أ): (يروشليم).

(٢) في: (ب): (فقال).

(٣) إنجيل مرقس: ١١: ١-٢. ولفظه: (تجدان جحشًا).

(٤) في (أ): (منازل)، والصواب من (ب).

(٥) إنجيل مرقس: ١١: ١٠.

(٦) إنجيل مرقس: ١٢: ٢٨-٢٩.

معنى
الرب
دعوة
المسيح
إلى
التوحيد
الخالص

تناقض
الأناجيل
وكذبها
مرة
أخرى

وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَحَقُّ بِرَأْيِ عَيْسَى، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَدِينِهِ، وَمَا أَتَى بِهِ مِنْ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ مِنْهُمْ^(١)، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ دَائِمًا.

وَمِنْ ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الرَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ: (ذَكَرَ أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ فِي بَيْتِ عَنِيَا^(٢)، فِي بَيْتِ شَمْعَانَ الْأَبْرَصِ مَتَكَنًا، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا طِيبٌ كَثِيرَ الثَّمَنِ، فَطَيَّبَتْ^(٣) بِهِ الْمَسِيحَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهَا التَّلَامِيزُ، وَقَالُوا لَوْ بَاعَ وَتُصَدَّقَ بِهِ عَلَى الْمَسَاكِينِ لَكَانَ أَوْلَى، فَقَالَ الْمَسِيحُ: دَعُوهَا نَعْمًا فَعَلْتُ، الْمَسَاكِينُ عِنْدَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَنَا لَسْتُ عِنْدَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَإِنَّمَا^(٤) طَيَّبْتُ جَسَدِي لِدَفْنِي، الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَكَانٍ يُكْرَزُ^(٥) فِيهِ هَذَا الْإِنْجِيلُ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِ؛ يَنْطِقُ بِمَا صَنَعْتَ هَذِهِ؛ بِذِكْرِ لَهَا^(٦)).

قلت: فقولُه: هذا الإنجيل، إشارةٌ إلى ماذا؟، إِنْ كَانَ إِشَارَةً إِلَى إِنْجِيلٍ؛ كَانَ مَوْجُودًا فِي حَيَاةِ الْمَسِيحِ؛ فَذَلِكَ لَا يُعْرِفُ بَيْنَ النَّصَارَى، وَلَا تُعْرِفُ بَيْنَهُمْ إِلَّا هَذِهِ الْأَنْجِيلُ الْأَرْبَعَةُ، وَحَيْثُ نَقُولُ لَهُمْ: هَاتُوا هَذَا الْإِنْجِيلَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ؛ لِنُؤَافِقَكُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِ.

فقدان
الإنجيل

وَأَمَّا هَذِهِ الْأَنْجِيلُ فَهِيَ مَبْدَلَةٌ، مُحَرَّفَةٌ، تَارَةً مِنْ جِهَةِ الْعِنَادِ وَالتَّعَصُّبِ، وَتَارَةً مِنْ جِهَةِ الرِّوَايَةِ بِالْمَعْنَى، وَتَارَةً مِنْ جِهَةِ نَقْلِهَا مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ، وَتَارَةً مِنْ فُسَادِ تَأْوِيلِكُمْ لَهَا.

تاريخ
تدوين
الأنجيل

وَإِنْ كَانَ إِشَارَةً إِلَى هَذِهِ الْأَنْجِيلِ فَهَذِهِ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً عَلَى عَهْدِ الْمَسِيحِ^(٧)، بَلْ أَوَّلُ إِنْجِيلٍ صُنِّفَ كَانَ بَعْدَ صُعُودِ الْمَسِيحِ بِثَمَانِ سِنِينَ، وَآخِرُهَا صُنِّفَ بَعْدَهُ

(١) فِي: (أ): بَيْنَهُمْ، وَالصَّوَابُ مِنْ: (ب).

(٢) بَيْتُ عَنِيَا: اسْمُ آرَامِيٍّ مَعْنَاهُ: بَيْتُ الْيُؤُسِ أَوْ الْبَائِسِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ جَبَلِ الزَيْتُونِ، عَلَى بَعْدِ مِيلَيْنِ مِنْ أُورُشَلِيمَ تَقْرِيبًا. وَتَدْعَى الْآنَ الْعَازِرِيَّةَ وَهِيَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَكْمَةٍ صَخْرِيَّةٍ عَسْرَةِ الْمَسَالِكِ. [قَامُوسُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (٢٠٤)].

(٣) فِي (أ): (فَطَيَّبَ): وَالصَّوَابُ مِنْ (ب) وَنَصْ مَرْقُسَ ١٤: ٣: (فَكَسَرَتْ الْقَارُورَةَ وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ).

(٤) فِي (أ): (وَأَنهَا) وَالصَّوَابُ مِنْ (ب).

(٥) إِنْجِيلُ مَرْقُسَ: ١٢: ٢٨-٢٩.

(٦) إِنْجِيلُ مَرْقُسَ: ١٤: ٢-٩.

(٧) كَتَبَ فِي الْهَامِشِ (أ): مُطْلَبٌ فِي بَيَانِ وَقْتِ تَصْنِيفِ الْأَنْجِيلِ.

بحوالي ثلاثين سنة^(١)، فأين كانت عند المسيح حتى يشير إليها؟!

فإذا تأملت هذا [٤٢/ أ] البحث؛ علمت أن لفظة (هذا)، في هذا الكلام: منحولة على المسيح، زادها بعض المتعصبين الجاهلين منهم، حملة تعصبه^(٢) على زيادتها؛ لتوهم أن الأناجيل ثابتة^(٣) بنص المسيح. ومنعه جهله من إدراك ظهور خيائته وكذبه لمن بعده.

وإذا ثبت أنها منحولة لا أصل لها؛ سقط الوثوق بهذه الأناجيل؛ لجواز أنها أو أكثرها منحول مختلق.

فإن قيل: ليست هذه اللفظة منحولة، ولا مختلقة على المسيح؛ بل هي من كلامه، وإشارته بها إلى نفس الكلام الذي هي فيه، من قصة المرأة المذكورة، وسُمِّي واختلافها ذلك الكلام [٤٧/ ب] وإن قل إنجيلًا؛ لأنه بعض الإنجيل، إطلاقًا لاسم الكل على البعض مجازًا، كما تُسمون أنتم بعض القرآن: قرآنًا.

قلت: هذا لا يصح؛ لأن الإنجيل عندكم هو قبالة المصحف عندنا، وهما من الأسماء المركبة، التي لا تصدق على جزئها اسم كلها؛ كاليد، والرجل، والرأس، والظهر، ونحوها من الأعضاء المركبة، فلا يقال لبعض الإنجيل: إنجيل، ولا لبعض المصحف: مصحف، كما لا يقال لبعض اليد: يد، ولا لبعض الرأس: رأس.

وأما القرآن^(٤) فهو باعتبار اشتقاقه في لغة العرب؛ من الأسماء البسيطة التي

(١) سبق بيان هذا في الدراسة، وانظر: [قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأناجيل (١٣)، د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة].

(٢) في (أ): (بعضه) والصواب من (ب).

(٣) في: (ب) (الإنجيل ثابت) والصواب من (أ).

(٤) قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴿القيامة ١٧-١٨﴾. أي قرأته، فهو مصدر على وزن «فعلان» بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قراءة وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم الشخصي. [مباحث في علوم القرآن (١٥-١٦) الشيخ أ. د: مناع القطان، مكتبة المعارف. الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م].

يصدق على جزئها اسمُ كلِّها؛ كالشحم، واللحم، والعظم والعرق، والعصب؛ لأنَّ اشتقاق القرآن من القرء، وهو الجمع؛ لأنَّه جمعُ الكلام، أو القصص والأحكام، فكلُّ ما كان جامعاً لشيءٍ من ذلك كان قرأنا، وإن كان جزءاً يسيراً منه؛ فلهذا قيل لبعض القرآن: قرآن، كما قيل لبعض الشحم: شحم، وبعض اللحم: لحم، وبعض الماء: ماء، ونحو ذلك.

توجيه
إشارة
المسيح

فإن قيل: بل الإنجيل هو نظير القرآن عندكم، وبذلك نزل كتابكم حيث قال فيه في غير موضع: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٢) ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْقُرْآنَ﴾ (١) .. ﴿[سورة آل عمران: من الآية ٣-٤].. وفي موضع آخر: ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ...﴾ [سورة التوبة من الآية ١١١] (١)، وإذا كان الإنجيل قبالة القرآن لا المصحف؛ جاز أن يُطلق على بعضه اسمُ كلِّه؛ كالقرآن، وحينئذ يصحُّ أن يكون هذا من المسيح إشارةً إلى كلامه ذلك بعينه، سماه إنجيلاً، وإن كان بعضُ الإنجيل.

قلت: هذا وهمٌ وغلطٌ (٢)؛ لأنَّ الإنجيل الذي نُثبتهُ نحنُ قريناً (٣) للقرآن عندنا، ليس هذا الذي بأيديكم، بل كتابٌ أنزل على عيسى كالتوراة على موسى، وذلك ليس موجوداً عندكم، وإن جئتمونا به وافقناكم عليه؛ لأنَّا نعلم أنَّه لا يخالف ما عندنا؛ لأنَّ الجميع (٤) حقٌّ من عند الله، وأمَّا هذا الإنجيل الذي بأيديكم فهو كما

(١) من قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى﴾ إلى قوله: ﴿وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، سقطت من (أ).

(٢) في هامش (أ)، كتب: (قوله: (قلت هذا وهم وغلط) أقول: لا شك أن المصاحف عندنا أربعة: مصحف عثمان، ومصحف حفصة، ومصحف ابن مسعود، ومصحف أبيي، وأن التوراة ثلاثة، نسخة عند النصارى، هي نسخة الحكماء الاثنين والسبعين، ونسخة عند اليهود، ونسخة عند السامرة، وأن الإنجيل الأربعة، إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ولا شك أن التحريف وقع في التوراة والإنجيل كما أخبر الله عنه في القرآن، ولا شك أن التوراة المنقسمة إلى ثلاثة (كذا)، هي التي أنزلت على موسى، وكذا الإنجيل المنقسم إلى أربعة، هو الذي أنزل على عيسى. هذا هو الإنصاف (ولي الدين).

(٣) في: (أ): قريباً، والصواب من (ب).

(٤) في: (أ): جمع، والصواب من (ب).

ترونيه لم ينزل على المسيح، وإنما صُنِّفَ بعده على هيئة التاريخ لمولد المسيح، وصعوده، وسيرة له [٤٣/أ].

فالذي نعرف نحن به لا تجدونه أنتم حتى تسمونه بسيطاً ولا مركباً، والذي تجدونه لا نسلم لكم ببساطته، فلا سبيل لكم إذاً إلى إثبات دعواكم.

فإن قيل: [٤٨/ب] الإنجيل هو كلام المسيح الذي كان يقوله لتلاميذه وللناس غيرهم، وهو في ضمن هذه الأناجيل الأربعة، وحينئذ يجوز أنه علم أن كلامه سيدون^(١) بعده، مضمومًا إليه شرح سيرته وتاريخ مولده، وصلبه، وأنه يُسمى إنجيلًا، فوقعت الإشارة بقوله: (هذا) إلى مجموع كلامه الذي علم أنه سيدون^(٢) ويسمى إنجيلًا، وتلك إشارة صحيحة.

قلت: هذا أصلح من سؤالكم الأول، مع أنه لا ينفعكم.

أما أولاً: فلأن قولكم: أن الإنجيل، هو كلام المسيح بُناءً على رأيكم من أن المسيح هو الله، فهو المتكلم الموحى إلى جميع الأنبياء، أو^(٣) أنه ابن الله؛ فهو يتصرف في ملك أبيه باطلاعه على أسرار لاهوته؛ لأنه هو، وأبوه، وروح القدس، جميعاً إله واحد، كما أنتم مصرحون به، ونحن قد أبطلنا ذلك، ومنعناكموه، ومع منع الأصل لا يثبت الفرع.

وأما ثانياً: فإن قولكم: علم أن كلامه سيدون، فأشار إليه، بُناءً أيضاً على أن المسيح إله، أو ابن الإله، وأنه يعلم الغيب لا يخفى عليه شيء مما كان أو يكون، وهذا أيضاً ممنوع عندنا، بل إننا نعتقد عبد الله ورسوله، لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه كما قال في القرآن المقدس: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرَضَوْنِي مِنْ رَسُولِي ﴿[سورة الجن، آية: ٢٦-٢٧] وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

(١) في: (أ): سيدون، والصواب من (ب).

(٢) في: (أ): سيدون، والصواب من (ب).

(٣) في (أ): (و) والصواب من (ب).

بَشْنِيءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿ [سورة البقرة، من آية الكرسي: ٢٥٥].

وَأَمَّا ثَالِثًا: فَإِنَّا بتقدير أن نسلّم لكم أن الإنجيل هو كلامٌ عيسى، لكن قد رأيتم ما خالطه من كلام الإنجيليين، مع اختلاف عباراته، وما قد أريناكم من الدّخل والتّناقض فيه، عند من يُنصف منكم ومن غيركم، ولا يتعصب.

وما هذا شأنه لا يبقى به وثوقٌ؛ بحيث يُبنى عليه فروعٌ شريعة، فضلًا عن أن يُبنى عليه أصول شريعة يقتلُ الناسُ عليها بالسّيف نحو ألفِ سنة، فعلى هذا التقدير؛ نبقى مشكّكين في لفظه: (هذا) المذكورة، لا يُعلم هل هي من كلام المسيح، أو منحولةٌ عليه، وكفى بالشكّ ضلالًا.

ومن ذلك قوله في الفصل الثامن والأربعين، وهو الآخر منه: (ومن بعد ما كلمهم الربّ يسوع ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله)^(١).

قلت: فهذا يقتضي أنهما اثنان، فأين قولهم: الأب، والابن، [٤٩/ب] وروح القدس، إلهٌ واحدٌ، هذا تناقضٌ ومحالٌ.

ومن الاختلاف في الأنجيل [٤٤/أ] قصةُ إنكارِ بطرس للمسيح، قبل أن يصيح الديك، فإنّ في إنجيل: متى^(٢)، ولوقا^(٣)، ويوحنا^(٤): (أنت ستتكربي^(٥)) قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات)، وحكوا الأمر كذلك.

وفي إنجيل مرقس: (ستتكربي^(٦)) قبل أن يصيح الديك مرتين ثلاث مرات)، وحكا الأمر كذلك، وهذه قصة^(٧) واحدة، والجمعُ بين لفظيها اللّذين رويت بهما غيرُ ممكن، وبدون هذا يسقط الوثوق بالكتاب.

(١) إنجيل مرقس: ١٦: ١٩.

(٢) انظر: إنجيل متى: ٢٦: ٧٥.

(٣) انظر: إنجيل لوقا: ٢٢: ٣٤، ٢٢: ٦١.

(٤) انظر: إنجيل يوحنا: ١٣: ٣٨.

(٥) في: (أ): ستذكربي، والصواب من: (ب).

(٦) في: (أ): ستذكربي، والصواب من: (ب).

(٧) في: (ب): قضية، والمثبت من: (أ).

وأيّن هذا من القرآن؟!، الذّي على وجه الأرض له ألوّف من الحُفّاظ، وبه ألوّف من النّسخ، لا يختلف الجميع في حرفٍ واحدٍ منه، ولو لم يكن على صحة دين الإسلام دليلٌ إلا هذا لكفاه.

ويُحكى أن هولاكو^(١)؛ ملك التتار لمّا ظهر على أرض المسلمين من العراق قصة هو لاكو في امتحان أهل الديانات والعجم، أحبّ النّظر في الأديان على جهة الترجيح بالامتحان، فسلك إلى ذلك طريقين جديتين، دلّتا على ذكائه وجودة فطرته:

إحدهما: أنّه استدعى بالتوراة، والإنجيل، والقرآن، ثم أخذ من كل واحد كراساً، فأخفاه، ثم استدعى بثلاثة من رؤساء علماء المِلل الثلاثة، فأعطى كلّ واحد كتابه، وأمره أن يقرأه من أوّله إلى آخره، فاليهودي، والنّصراني: قرءا إلى الآخر، ولم يتنبها لما ذهب، والمسلم لما جاء إلى الموضع المفقود وقف فقال: مالك؟!، فقال: ذهب من هاهنا كذا وكذا، فقال الملك: هؤلاء أضبط لدينهم من هؤلاء!.

الشك في صحة هذه اللفظة

الطريقة الثانية: أنّه سأل عن الأنبياء الثلاثة ما صنعوا؟!، فقبل له: موسى صعد الجبل وجاء من الله بكتاب، وعيسى صعد ولم ينزل إلى الآن، ومحمد صعد وعاد في ليلته.

فقال: هذا وصل إلى أستاذه؛ ففضى شغله وعاد، وذاك صعد؛ فلم يقض شغلاً، والآخر لم يصعد أصلاً، فالذي^(٢) قضى شغله وعاد هو: البهادر أو كما قال، وهذا وإن كان فيه تجاهلٌ على الأنبياء؛ لأنّا نعتقد شرفهم وصدقهم، ولا نُفرّق بين أحد

(١) هولاكو خان بن تولى خان بن جنكيز خان؛ ملك التتار ابن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، وقد كان هولاكو ملكاً جباراً فاجراً كفاراً لعنه الله، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجزيه على ذلك شرّ الجزاء، كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق، وكان هو يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصور منها شيئاً، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجهة ومكانة، وإنما كانت همته في تيسير مملكته وتملك البلاد شيئاً فشيئاً، حتى أباده الله في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تولا، لا يُتخلّث. [البداية والنهاية (١٣/ ٢٨٨)].

(٢) في (أ) (والذي) والتصويب من (ب).

منهم^(١)، لكنه مع عاميته استخرج استخرأجا حسناً، ليت النصرارى وَقُفُوا لبعضه، ولكنهم شرعوا في خرافاتٍ يكفيهم أن عقلاء العالم بأسرهم^(٢) بمجرد سماعها يلعنونهم!، وينفرون منها، وإذا سلوا^(٣) أنفسهم عن ذلك، وعزَّوها قالوا: نحن براءة [٥٠/ب] على الملة المسيحية.

يا مساكين! الملة المسيحية حقٌ، ولكن لستم على شيء منها، وإن [٤٥/أ] المسيح أشدَّ عداوةً لكم عند الله منه لليهود؛ لأنكم غلوتهم^(٤) فيه حتى أعطيتموه (١) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّاتِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٢) بأسرهم، ليست في (ب) وأثبتها من (أ)..

(٣) سَلَاةٌ مِنْ هَمِّ تَسْلِيَةٍ وَأَسْلَاةٌ أَيْ كَشَفُهُ عَنْهُ. [مختار الصحاح (٣٢٦)].

(٤) قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٧١] قال ابن كثير: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصرارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعَوْا فيهم العصمة واتبعوه في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هُشَيْمٌ قال: زعم الزُّهْرِيُّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُطْرُونِي كما أطرت النصرارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله». [مسند أحمد (٢٤، ٢٣/١)] وصحيح البخاري برقم (٣٤٤٥). وعن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ». [المسند (١٥٣/٣)] وهو على شرط مسلم. [١]. وقوله: «وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتنزهه وتقدس وتوحد في سؤده وكبريائه وعظمته - فلا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل، ﷺ، إلى مريم، فنفس فيها من روحه ياذن ربه، ﷻ، فكان عيسى بإذن الله، ﷻ، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولَّجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله، ﷻ؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه =

ما لا يستحق، وأولئك فرطوا فيه حتى منعه ما يستحقه، وجاء الإسلام فيه بالعدل والقسط، لا إفراط ولا تفريط، ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٤٥]. هذا آخر التعليق على إنجيل مرقس.



= كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل، قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ أَبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا صِدْقُهُ كَأَنَّا يَا كَلَانَ الظَّلَامِ﴾ [المائدة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مِنْ الْفَائِزِينَ﴾ [التحریم: ١٢]. وقال تعالى إخباراً عن المسيح: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧-٤٧٨) تحقيق: سامي السلامة].

ثالثاً: التعليق على إنجيل لوقا

وهذا حين الشروع في التعليق على إنجيل لوقا^(١).

فمن ذلك: قوله في مقدمته في صفة يحيى بن زكريا^(٢)، لَمَّا بَشَّرَهُ بِهِ جَبْرِيْلُ: (يكون عظيمًا قَدَامَ الرَّبِّ، لا يشربُ خمرًا، ولا مسكرًا، ويمتلئُ من روح القدس)^(٣). وفي آخر المقدمة: (وامتلاً زكريا أبوه؛ من روح القدس)^(٤).

قلْتُ: ففي هذا الكلام شناعةٌ، ونقْصٌ على النصارى، أمَّا الشناعة: فإنَّ ملك الرَّبِّ وصف ابنَ زكريا بأنَّه لا يشرب الخمرَ على؛ جهة المدح له. والأناجيل تضمَّنَت أنَّ المسيح مَلَأَ الكأسَ وقال: (هذا دمي، وما عدتُ أشرب عصير الكرمة حتى أصل إلى ملكوت السماوات)^(٥)، أو معنى هذا الكلام، وقد سبق وصرَّح فيه بأنَّه شرب الخمر، وهذا يدلُّ على أنَّ يحيى بن زكريا أفضلُ من المسيح؛ لأنَّ دين المسيح تركُ الدُّنيا وشهوَاتِهَا، وقد زهد يحيى منها؛ فيما لم يزهده فيه المسيح، وهم لا يقولون بهذا ولا نحن، وإنما ألزمناهم إلزامًا.

(١) في الهامش الأيسر في (أ): (مطلب في تعليق إنجيل لوقا). وفي (ب) في الهامش الأيمن: (لوقا). ولوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصاراً: لوقانوس، أو: لوكيوس، وهو صديق بولس ورفيقه وقد اشترك معه في إرسال التحية والسلام إلى أهل كولوسي، حيث وصفه بالقول ((الطيب الحبيب)) وكذلك في الرسالة على فليمون (فل ٢٤) حيث وصفه بالقول ((العامل معي)). وكان مع بولس في رومية حين كتابة الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، نجد في القرن الثاني لميلاد أن الاعتقاد كان سائداً بأن لوقا هو كاتب الإنجيل الثالث وأعمال الرسل - السفرين اللذين كتباً بدون ريب بقلم واحد، الأمر الذي يساعدنا على معرفة الكثير عن لوقا من سفر الأعمال حيث يذكر أنه كان مع بولس في قسم من أسفاره بدليل استعمال ضمير الجمع المتكلم ((نحن)) ((ونا)) في وصف تلك الأسفار. [قاموس الكتاب المقدس (٨٢٢)] وهذا اعترافٌ ضمنِّي منهم بجهالة المؤلف، وسبق الكلام عن هذا في الدراسة.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) إنجيل لوقا: ١: ١٥.

(٤) إنجيل لوقا: ١: ٦٧.

(٥) انظر نصوص الأناجيل التي تتحدث عن شرب المسيح ﷺ الخمر: إنجيل متى: ٢٦: ٢٩. مرقس: ١٤: ٢٥.

لوقا: ٢٢: ١٨.

وأما النقص: فإنَّ الإنجيل قد تضمَّن أنَّ ابن زكريا، امتلاءً من رُوح القدس في بطن أمِّه، وهذا أبلغ من المسيح؛ لأنَّ الأناجيل تضمَّنَّت أنَّ رُوح القدس، إنَّما جاء المسيح لَمَّا اعتمد من يوحنا المعمدان، وكذلك تضمَّن الإنجيل^(١) امتلاء زكريا من رُوح القدس، فيلزمُ النَّصاري أن يكونَ زكريا وابْنُه إلهين، أو ابنين^(٢) للإله؛ لمشاركتهما المسيح في رُوح القدس، ولا فرق بينهما وبين المسيح في ذلك، إلَّا أنَّ المسيح ولد لغير بشر، وظهر على يديه من الآيات ما ظهر، وليس ذلك بفرق مؤثِّر من حيث الأبوة والبنوة، بل من حيث ظهور المعجزات التي يختصُّ الله بها من يشاء من خلقه.

بل أبلغ من هذا أنه ذكر في الفصل الثالث: (أنَّ شمعان كان يحلُّ عليه رُوح القدس [٥١/ب]، فيلزمُ أن يكون ابن الله)^(٣). فيلزم أن يكون ابن الله^(٤).

ومن ذلك: (حكايته أنَّ مَلَك الرَّب لما جاء مريم خافت منه، فقال: لا تخافي يا مريم، قد ظفرتِ بنعمة من عند الله، وأنت تقبلين حَبلاً^(٥))، وتلدن ابناً، ويدعى اسمه يسوع، يكون عظيمًا، وابنُ العليِّ يُدعى، ويعطيه [٤٦/أ] الرَّبُّ كرسيَّ داود أبيه^(٦) ويملك على بيت^(٧) يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء)^(٨).

قلت: أمَّا قوله: (وابنُ العليِّ يُدعى)، فيحتمل وجهين:

أحدهما: ما سبق الدليل عليه؛ من أن المراد بالابن العبد.

(١) في (أ): (تضمن الأناجيل) والتصحيح من (ب).

(٢) في كلا النسختين (أ) و(ب): ابنان، وهو خطأ، والصواب ما أثبتُّه.

(٣) إنجيل لوقا: ٢: ٢٥-٢٦.

(٤) هذا من باب الإلزام، وسبق في الدراسة بيان إلزامات الطوفي لهم بأقوالهم؛ لإفحامهم وتبيين زيف اعتقادهم.

(٥) في (أ): (جبلًا) والصواب من: (ب). وانظر النص في إنجيل لوقا: ١: ٢٨-٣٣. والْحَبْلُ بالفتح الحمل وقد حَبَلَتِ المرأة من باب طَرَبَ فهي (حبلِي) [مختار الصحاح: مادة (ح ب ل)]، (١١٩).

(٦) في: (أ) (ابنه) والتصحيح من (ب). وهكذا في إنجيل لوقا: ١: ٣٣.

(٧) كتب فوقها: (بني) صوابه. في (أ) وفي (ب) (بيت) وفي إنجيل لوقا الإصحاح الأول (٣٣): «ويملك على بيت

يعقوب».

(٨) إنجيل لوقا: ١: ٢٨-٣٣.

والثاني: أَنْ يَكُونَ تَشْنِيعًا عَلَى مَنْ يَعتقدُ فِيهِ البُنُوَّةُ بِغَيْرِ العُبودِيَّةِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: أَنَّهُ لِعَظْمَةٍ^(١) قَدَرُهُ وَشَهْرَتُهُ، وَارْتِفَاعُ مَحَلِّهِ، يَفْتَتِنُ بِهِ بَعْضُ الْعَالَمِ حَتَّى يَدْعُوهُ^(٢) ابْنُ اللَّهِ، عَلَى أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ فِي هَذَا الْفَصْلِ؛ مَتَهافتٌ مَعَ مَا فِي الْإِنْجِيلِ؛ مِنْ الزَّامِهِم بِالتَّارِيخِ صَلِبِ الْيَهُودِ لِلْمَسِيحِ، وَإِهَانَتِهِمْ لَهُ، فَأَيْنَ مُلْكُهُ عَلَى بَنِي يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ؟!

إِنْ أُريدَ بِذَلِكَ حَقِيقَتُهُ فَهُوَ مَكَابِرَةٌ لِلْحَسِّ؛ فَإِنَّ الْمَسِيحَ الْآنَ عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَبَنُو يَعْقُوبَ مِنْهُمْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَبَيْنَهُمُ الْحُرُوبُ، وَالْمَلِكُ يَحِبُّ أَنْ تَكُونَ دَوْلَتُهُ سَاكِنَةً، وَرَعِيَّتُهُ مُتَفَقَّةً.

وَإِنْ أُريدَ أَنَّ اسْمَهُ فِي البُنُوَّةِ^(٣) بَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ؛ فَهَذَا يَشَارِكُهُ فِيهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ. وَكَذَلِكَ إِنْ أُريدَ بِهِ أَنَّ لَهُ مَلَّةً وَشَرِيعَةً، بَاقِيَةً عَلَى زَعَمِ أَصْحَابِهَا إِلَى الْأَبَدِ، وَقَوْلُهُ: (يُعْطِيهِ الرَّبُّ كُرْسِي دَاوُدَ أَبِيهِ^(٤)) مُنَافٍ لِمَا سَبَقَ مِنْ إِنْكَارِ الْمَسِيحِ أُبُوَّةَ دَاوُدَ، حَيْثُ احْتَجَّ بِقَوْلِهِ: (قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي)^(٥)، ثُمَّ إِنْ أُريدَ بِكُرْسِيِّ دَاوُدَ مُلْكُهُ؛ فَالْمَسِيحُ لَمْ يَمْلِكْ، وَإِنَّمَا كَانَ فَقِيرًا سَائِحًا يَدْعُو^(٦) إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَالْيَهُودُ مِنَ الْكَهَنَةِ، وَالْكَتَبَةِ، وَالفَرِيسِيِّينَ؛ يَعَانِدُونَهُ، وَهُوَ يَفْرُ مِنْهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، حَتَّى صَلَبُوهُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ وَتَقَرَّبُوا بِقَتْلِهِ إِلَى اللَّهِ عَلَى زَعْمِكُمْ. وَإِنْ أُريدَ بِكُرْسِيِّ دَاوُدَ مَسْكَنَهُ، وَدَارَ مُلْكِهِ؛ فَتِلْكَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ، وَالنَّصَارَى عَنْهَا بِمَعزِلٍ^(٧).

وَإِنْ أُريدَ بِكُرْسِيِّهِ أَرْضُ الرُّومِ، وَالْإِفْرَنْجِ، وَدَارُ مَمْلَكَةِ النَّصَارَى كَقُسْطَنْطِينِيَّةِ^(٨)

(١) فِي: (أ): بَعْظُمُهُ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ: (ب).

(٢) فِي (أ): يَدْعُونَهُ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ: (ب).

(٣) فِي: (ب): النَّبُوَّةُ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ (أ).

(٤) فِي: (أ) (ابْنَهُ)، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ (ب). وَهَكَذَا فِي إِنْجِيلِ لُوقَا: ١: ٣٣. وَقَدْ سَبَقَ.

(٥) إِنْجِيلِ مَتَّى: ٢٢: ٤٤.

(٦) فِي النَّسَخِ (يَدْعُو) وَالصَّوَابُ الْمَثْبُوتُ.

(٧) لَكُنْهُمْ فِي الْحَقْبِ الَّتِي بَعْدَ الطُّوفَى غَزَوْهَا، كَمَا هِيَ الْيَوْمَ بِأَيْدِي الْيَهُودِ، نَسَّالَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجًا قَرِيبًا.

(٨) قُسْطَنْطِينِيَّةٌ وَيُقَالُ قُسْطَنْطِينِيَّةٌ بِإِسْقَاطِ يَاءِ النِّسْبَةِ قَالَ ابْنُ خَرْدَاذْبَةَ كَانَتْ رُومِيَّةً دَارَ مَلِكِ الرُّومِ وَكَانَ بِهَا مِنْهُمْ تِسْعَةُ عَشَرَ مَلَكًا وَنَزَلَ بِعُمُورِيَّةٍ مِنْهُمْ مَلِكًا وَعُمُورِيَّةٌ دُونَ الْخَلِيجِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سِتُونَ مِيلًا وَمَلِكٌ بَعْدَهُمَا مَلِكَانِ آخَرَانِ بِرُومِيَّةٍ ثُمَّ مَلِكٌ أَيْضًا بِرُومِيَّةٍ قُسْطَنْطِينِ الْأَكْبَرِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَزَنْطِيَّةٍ وَبَنَى عَلَيْهَا سُورًا وَسَمَّاها قُسْطَنْطِينِيَّةً وَهِيَ دَارُ مَلِكِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ وَاسْمُهَا إِصْطَنْبُولُ وَهِيَ دَارُ مَلِكِ الرُّومِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْبَحْرُ الْمَالِحُ عَمَرَهَا مَلِكٌ مِنْ =

ونحوها؛ فليس ذلك كرسياً لداود، ولا هؤلاء على ملة المسيح؛ حتى يصحَّ بهم هذا
الخبر، فهذا كلامٌ منتحلٌ لا أصل له.
وأيضاً، استقرارُ مُلكِ النَّصَارَى [٥٢/ب] في الرُّوم ليس لأجل المسيح، وإنما
هو بإخبارِ إسحاق ودعائه؛ أنَّ ذلك يكون^(١) في ولده العيص الذي هو أبو الرُّوم،
كما ذكر في التوراة^(٢).

ومن ذلك: قوله في الفصل الثاني؛ حكايةً عن مَلِكِ الرَّبِّ أَنَّهُ قال للرُّعَاة: (أبشروا
فقد وُلِدَ لكم اليوم مخلصٌ، الذي هو المسيح الرَّبُّ)^(٣).
قلت: وقد بينَّا غيرَ موضع أنَّ الرَّبَّ، لفظٌ مشتركٌ في لسانهم، بين الإله؛ والسَّيِّدَ المعظَّم.
فقوله: (المسيح [٤٧/أ] الرَّبُّ)، يعني السَّيِّدَ، وقولُ الرُّعَاة: (امضوا بنا إلى بيت
لحم^(٤))؛ لتنظرَ الكلامَ الذي أَعْلَمَنَا به الرَّبُّ) يعني: ملائكة الرَّبِّ، وهو الإله.

= ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة. [معجم البلدان (٤/ ٣٤٧)]
(١) يكون، ليست في (أ)، وأثبتها من (ب).

(٢) انظر سفر أرميا: ١٧: ٣٣: (لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع داود إنساناً يجلس على كرسي بيت إسرائيل). و
الأصح منه قوله: ٣٣: ٢١ (فإنَّ عهدي أيضاً مع داود عبدي ينقض، فلا يكون له ابنٌ مالكاً على كرسيه) وقوله:
٣٠: ٣٦ (لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالسٌ على كرسي داود، وتكون جثته
مطروحةً للحرِّ نهاراً وللبرد ليلاً).

(٣) إنجيل لوقا: ٢: ٩-١١.

(٤) بيت لحم: اسم عبري معناه: ((بيت الخبز))، قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من
أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة. وفيها مياه عذبة تنفجر من أراضيها
المخصبة وهي بليد قرب البيت المقدس عامر حفل فيه سوق وبازارات ومكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام
وتم كانت النخلة وليس ترطب النخيل بهذه الناحية ولكن جعلت لها آية وبها كنيسة ليس في الكورة مثلها،
ولما ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم فقال له معي منك أمان على بيت
لحم فقال له عمر ما أعلم ذلك فأظهره وعرفه عمر فقال له الأمان صحيح ولكن لا بد في كل موضع للنصارى
أن نجعل فيه مسجداً فقال الراهب إن بيت لحم حنية مبنية على قبلكم فأجعلها مسجداً للمسلمين ولا تهدم
الكنيسة فعفا له عن الكنيسة وصلى إلى تلك الحنية واتخذها مسجداً وجعل على النصارى إسراجها وعمارتها
وتنظيفها ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون إلى تلك الحنية ويصلون فيها وينقل خلفهم عن
سلفهم أنها حنية عمر ابن الخطاب وهي معروفة إلى الآن لم يغيرها الفرنج لما ملكوا البلاد ويقال إن فيها قبر
داود وسليمان عليهما السلام. [قاموس الكتاب المقدس (٣٠٢)، معجم البلدان (١/ ٥٢١-٥٢٢)]

وقد قال بعض الفضلاء^(١): «أكثر اختلاف العلماء؛ من اشتراك الأسماء». فإذا كان اشتراك الأسماء مؤثراً في أذهان العلماء حتى يختلفوا؛ فأحرى أن يؤثر في أذهان الجُهَّال؛ حتى يضلُّوا.

ومن ذلك في هذا الفصل، قال: (إن شمعان رأى في الرؤيا من روح القدس، أنه لا يرى الموت حتى يُعاین المسيح الرَّبَّ، فأقبل بالروح إلى الهيكل عندما، جاء بالطفل يسوع أبواه)^(٢)، يعني: مريم، ويوسف خطيبها، فليت شعري إذا جعلوا المسيح ابنَ يوسف مجازاً؛ للعلم بأنه ليس منه، مع أهلية يوسف للولادة الحقيقية، فما المانع من أن يجعلوه ابنَ الله مجازاً بمعنى عبدِ الله، ويُغيِّروا هذه العبارة الشنيعة^(٣)، التي غرَّتهم بها هذه الأنجيلُ المختلفةُ المخترعةُ.

وفي هذه النكتة ردُّ على بعض النَّصارى؛ حيث أنكر إخبارَ محمد ﷺ بأنَّ أبوي يوسف لمَّا اجتماعا به؛ سجدا له، فقال: أمُّ يوسف ماتت قبل ذلك بحين، وإنَّما كانت امرأةً أبيه^(٤) لا أمه؛ يقال له: هذا إنجيلكم؛ قد سمَّى يوسف بن داود؛ أبا المسيح.

وقال في الفصل الرابع: (وكان أبواه يمضيان إلى يروشلیم كلَّ سنة، فتخلف عنهما مرة، فرجعا فوجداه في الهيكل، فقالت له أمه: يا بُني؛ ما صنعت بنا، أنا وأبوك، تعني يوسف زوجها، جهدنا في طلبك)^(٥). وليس أباه بالإجماع، بل لمَّا كان زوج أمه سمَّاه أباه مجازاً، فكذلك تلك، لمَّا كانت زوجةً أبيه؛ سمَّاهَا أمه مجازاً.

فائدة: [٥٣/ب] وطعن هذا المصنَّفُ بعينه في ما تضمَّنه القرآن من قوله تعالى

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى في مواضع كثيرة: «وقد قال بعض الفضلاء: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، لكن وقوع الاشتراك والإجمال يضل به كثير من الخلق، كما يهتدي به كثير من الخلق، [مجموع الفتاوى (١٢/٤٥١)].»

(٢) إنجيل لوقا: ٢: ٢٥-٢٧.

(٣) في: (ب): الشنعة، والتصحيح من (أ).

(٤) أبيه، ساقط من (ب) وأثبتها من (أ).

(٥) إنجيل لوقا: ٢: ٤١-٤٨.

في قصة زكريا حيث بشره الملك يحيى: ﴿مَا يَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران: من الآية ٤١] بوجهين:

الدفاع
عن زكريا
عليه السلام

أحدهما: أَنَّ صُمَات زكريا لم يكن على سبيل الآية والعلامة، بل على جهة العقوبة؛ حيث لم يبادر إلى الإيمان بالبشرى؛ بل قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: من الآية ٤٠].

الثاني: أَنَّ مُدَّة صُمَاتِهِ لم تكن ثلاثة أيام فقط، بل كان من حين البُشرى إلى حين ولادة يحيى. وأورد عليه ما ذكر في إنجيل لوقا، في مقدمته، قال زكريا للملك^(١):

(كيف أعلم هذا وأنا شيخٌ، وأُمِّي قد طعنت في أيامها؟، فقال الملك: أنا جبريل الواقف قدام الله، أرسلتُ أكلّمك بهذا، وأبشرك، [٤٨/أ] ومن الآن يكون صامتًا، لا يقدر يتكلم، إلى اليوم الذي يكون، هذا لأنك لم تؤمن بكلامي الذي تمّ في أوانه)^(٢).

يلزم
في قصة
مريم
ما وقع في
قصة زكريا

والجواب عن الأول: أَنَّ صُمَاتِهِ على جهة العقوبة؛ لا يُنافي كونه على جهة الآية والعلامة؛ إذ من الجائز أَنْ يجعل عقوبته علمًا على حادث يتجدّد^(٣) له، خصوصًا وجبريل أجابه بذلك في سياق قوله: كيف أعلم هذا وأنا شيخٌ، فيدلُّ على أَنَّهُ ذكر له العلامة.

ثم هذا منتقَضٌ بمريم؛ فإنها لما بُشِّرَتْ بالولد قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران، من الآية: ٤٧] نصَّ على ذلك الإنجيل في هذه المقدمة بعينها^(٤)، فهلَّا عُوقِبَتْ^(٥) كما عوقِبَ زكريا؟!

الجواب عن الثاني: بعدم المنافاة أيضًا؛ لأنَّه أخبر ببعض مدة صُمَاتِهِ، والقرآن

(١) في (أ): (الملك) والتصحيح من: (ب).

(٢) إنجيل لوقا: ١: ١٧-٢٠.

(٣) في: (ب): تجدد، والتصحيح من: (أ).

(٤) نص إنجيل لوقا: ١: ٣٤-٣٥: فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك

وقال لها: الروح القدس يحل عليك).

(٥) أي: مريم.

إنما أتى بِمُجْمَلَاتٍ قضايا الأولين، أو بعضهم، لا بتفاصيلها.

فإنَّ صَحَّ ما في الإنجيل فهو زيادة مقبولة؛ على أنَّنا لا نحتجُّ به، ولا هو عندنا معتمدٌ، خصوصًا وقد بينَّا وقوع التخليط فيه والتناقض، وكتابتنا^(١) عندنا أو وثق منه، ومن يقدح في ثبوت نبينا بمثل هذا؛ ما تحصَّل له غرض، بل المرجعُ إلى أدلة النبوات وبراهينها.

ومن ذلك في الفصل الرابع: (أنَّ المسيحَ لما تخلف عن أبويه بيروشلیم؛ رجعا فوجدها في الهيكل، جالسًا بين العلماء، يسمع منهم ويسألهم، وكانوا مبهوتين من علمه وإجابته لهم)^(٢).

قلت: فظاهرُ سماعه منهم، وسؤاله لهم؛ إنَّما كان على جهة الاستفادة، وهذا مما يوجبُ السخرية من عقول النصارى؛ لأنَّ من يكون إلهاً [٥٤/ب] كامل العلم والقدرة، أو ابنَ الإله مطلقًا على أسرار أبيه، أيُّ حاجة له إلى السَّماعِ من العلماء، والسؤال لهم؟!.

قلت: ولهم أن يُجيبوا عن هذا بجوابين:

أحدهما: لا يُسلَّم أنه كان سؤالَ استفادة، بل سؤال امتحان وإفادة، كما يمتحن المعلمُ تلاميذه بمطارحتهم، وإلقاء المسائل عليهم، بدليل قوله: وكانوا مبهوتين من علمه وإجابته لهم؛ إذ^(٣) المستفيد لا يُبْهت له مُفيدُه عادةً.

الثاني: سلَّمنا ذلك، لكنَّه سألهم في صورة مستفيد؛ ليسَّن لهم الأدب والتواضع، وعدم استكبار العالم أن يتعلم ممن دونه، كما اعتمد من يوحنا المعمدان، وكما كان

(١) أي: القرآن الكريم. وهذا الكلام لا يقبل، فالله تعالى لم يحوج هذه الأمة إلى زيادة من كتب الأولين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ أَكَلَّمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْسَعْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فما الظن إن كانت تلك الزيادة من كتب محرقة؟!.

(٢) إنجيل لوقا: ٢: ٤٥-٤٦.

(٣) في (أ): (إذ) والصواب ما أثبتته من (ب).

یُشاوَرِ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ^(۱)، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ عِنْدَكُمْ.

والجواب عن الأول: أَنَّ ما ذُكر من سماعه منهم، وسؤاله لهم ظاهرٌ في الاستفادة. وإِما كونُهم بُهتوا منه، [٤٩/ أ] فهو من ذكائه، وإدراكه لما يستفيدة، كما يتعجب المعلم من الصبيِّ الذكي، ويتوسَّم^(٢) فيه النجابة؛ أوَّل ما يراه؛ لذكائه وجودة فهمه. وعن الثاني: أَنَّ حَمْلَ سؤاله لهم على الأدب، وشرع التواضع؛ إِنَّمَا يصحُّ بتقدير أَنَّهُم كانوا يعرفونه بالفضل والرئاسة، وليس الأمرُ كذلك؛ بل إِنَّمَا كانوا يرونه صبيًّا متعلِّمًا، ولو عرفوه لما بُهتوا وتعجبوا منه؛ إِذ الفضيلة لا تُنكر لأهلها.

الشیاطین
توهم
النصارى
بأن
المسیح
ابن الله

وبهذا يظهر الفرق بين سؤاله للعلماء؛ وبين تعمده من يوحنا، ومشاورة محمد لأصحابه؛ لأنَّ يوحنا كان يعرف المسيح بالرياسة والفضل؛ ولهذا قال: (والذي يأتي بعدي أقوى مني ولا استحق أن أُحلَّ سيور حذائه) ^(٣). وأصحاب محمد كانوا قد تابعوه ^(٤) وآمنوا به، وعرفوا منصبه وقدره.

وهذه القصة كانت قبل أن يتعمّد، وينزل عليه روح القدس، وإنّما اعتقدوه معلّمًا، بعد نزول الرُّوح عليه في جسدٍ حمّامة.

ومن ذلك في الفصل العاشر: (أنه كان يخرج الشياطين من الناس، وكانت الشياطين تصرخ وتقول: أنت هو المسيح ابن الله، وكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون

(١) ودليله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ﴾ [الشورى ٣٨]. وقصة مشاورته ﷺ لأصحابه في بدر مشهورة. عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا.. الحديث. [الجمع بين الصحيحين (٢/ ٤٨٨) حديث (٢١٢٢) محمد بن فتوح الحميدي تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. دار ابن حزم، بيروت، لبنان].

(٢) في (ب): (ويتوهم) والصواب من (أ).

(٣) جاء هذا النص في مواضع كثيرة من الأناجيل الأربعة، وكذلك إنجيل برنابا. انظر:

(٤) في (أ): (بايعوه) والصواب من (ب).

بهذا؛ لأنهم يعرفون^(١) أنه المسيح^(٢).

قلت: الآن حصص الحق، وتبين أن الشياطين هم الذين أوهموا^(٣) النصارى؛ أن المسيح [٥٥/ب] ابن الله؛ ليضلّوهم، والشيطان^(٤) ليس بمؤمن على الدين، حتى يصدق فيه ويحتج بقوله.

وهم أيضًا وضعوا على المسيح النطق بلفظ: الأب، والابن، وما تصرف منهما، وإلا فالذي يقتضيه العلم أن المسيح لم ينطق بشيء من ذلك، ولم يدع غير العبودية، والدليل عليه أنه^(٥) نهى الشياطين أن تنطق بهذا، والنبي لا ينهي عن قول الحق ممن صدر، فضلًا عن الله، أو ابنه عندهم.

ومن ذلك في الفصل التاسع عشر (أن يسوع أحيًا ميتًا، كان محمولًا على جنازة، وكان وحيدًا لأُمّه، فخاف القوم، ومجدّوا الله قائلين: لقد قام فينا نبيّ عظيم، وتعاهد الله شعبه بصلاح)^(٦).

قلت: هذا هو الكلام الذي لا لبس فيه!، وهو أن القوم كانوا يعتقدونه نبيًا، ويقرّهم هو عليه.

وبه يتبين أن مخاطبتهم له بالرّب، وابن الله، ونحوه؛ ألفاظ تعظيم، وكان من عادة الله سبحانه في بني إسرائيل أن يتعاهدهم، بعد كل فترة؛ بنبي يصلح شأنهم، وتعاهدهم بالمسيح، ففهموا أنه من جنس الأنبياء الذين سبقوه [٥٠/أ].

من ذلك: أنه ذكر في الفصل الرابع والعشرين: (أن المسيح أخرج الشياطين من إنسان، وأمرهم أن يدخلوا في قطع خنازير، فدخلوا ثم وثب القطيع في البحر فغرقوا، وأن الرجل أراد أن يتبع المسيح فيكون معه، فقال له: ارجع إلى بيتك، وأخبر بالذي

نبوة
المسيح
ونفي
ألهيته
بنص
إنجيل لوقا

(١) في (أ): (تعرفوا) والصواب من (ب) ونص لوقا في الترجمة الحديثة: (عرفوه).

(٢) إنجيل لوقا: ٤: ٤١.

(٣) في (أ): (وهموا) والصواب من (ب).

(٤) في (أ): (الشياطين) والصواب من (ب).

(٥) في (أ): (أن نهى) والصواب من (ب).

(٦) إنجيل لوقا: ٧: ١٢-١٤.

(٧) إنجيل يوحنا: ١٠: ٢٦.

يكن المسيح يأمرهم بكتمة؛ لأنه إمّا باطلٌ فلا يقرُّه عليه، أو حقٌّ؛ فالمسيح إنّما أرسل ليُظهر الحقَّ على الباطل، ويجاهد بنفسه وبمن يتبعه، ولا يخاف أحداً مع الله، كيف وقد كان ينكر عليهم ضعفَ إيمانهم ويقينهم؟، ثم إنّه قد صرح قبل هذا الوقت بأنه ابنُ الله مراراً كثيرة على ما نقلتم عنه، فما فائدة [٥١/أ] الأمر بالكتمان بعد الإعلان؟.

ردُّ اليهود
نبوة
المسيح
ثم إنَّ فائدة كتم الأمر التمكنُ من إظهاره بعد إحكامه، وكون المسيح ابنَ الله ما نراه إلّا خاملاً بين اليهود، والمسلمين، وطوائف من النصرانية، وليس يقول به إلّا شردمةٌ قليلةٌ منهم، فصار الأمرُ بكتمانه عبثاً.

وبهذا يظهر الفرقُ بين هذه القضية، وبين كلِّ من كتم أمره من نبيٍّ وملكٍ؛ لأنَّ أولئك لما كتموا أمورهم أحكمت وظهرت، وهذا ليس كذلك.

على أنَّ قول بطرس: أنت المسيح ابن الله، يحتمل أنَّ معناه: أنت عبدُ الله ورسولُه، كما قدمناه من تأويل البُتوة على العبودية، ويكون بطرس قد اختار بعضَ أقوال الناس التي تنازعوها، وإنَّما أمره المسيحُ بكتمان ذلك؛ لأنَّه أقرَّ برسالته وصدق نبوته، وفي الناس من كان يكذبُه في ذلك، ولا يؤمن به، فكتم أمره حتى يشهر حاله، ولا جرم أن نبوته ما خالف فيها إلا اليهود [٥٧/ب]، عليهم لعنة الله أجمعين!.

ومن ذلك: في الفصل الثاني والثلاثين: (قال يوحنا للمسيح: يا معلم، رأينا إنساناً يُخرج الشياطين باسمك فمتعناه؛ لأنَّه لم يتبعنا، فقال: لا تمنعوه؛ لأنَّ كلَّ من^(١) ليس عليكم فهو معكم!)^(٢).

وذكرت هذه القصة في السابع والعشرين، من إنجيل مرقس، وقال فيها: (كلَّ من^(٣) ليس هو معنا فهو علينا!)^(٤)، وبين العبارتين بونٌ بعيدٌ؛ فإن لم يكن هذا التفاوت

(١) في (أ، وب): (كلمن)، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) إنجيل لوقا: ٩: ٤٩-٥٠.

(٣) في (أ، وب): (كلمن) والصواب ما أثبتُّه.

(٤) إنجيل مرقس: ٩: ٤٠.

من قلم النساخ^(١)، وإلا فهو قاذح؛ لأنه تناقض^(٢)، وتقريره: أن كل واحد من الناس إما أن يكون معك، أو عليك، أو لا معك ولا عليك، فالطرفان حكمهما معلوم، وأما الوسطة الذي لا لك ولا عليك؛ فإنها على لفظ لوقا^(٣) تكون لك؛ لأنها ليس عليك، وعلى لفظ مرقس يكون عليك؛ لأنها ليست معك؛ فيلزم من هذا أن يكون بعض الناس في قضية واحدة من وجه واحد لك وعليك. ولفظ لوقا أشبه بسياق القضية.

فأما قوله في الفصل التاسع والثلاثين: (من لم يكن معي فهو عليّ ومن لا يجمع معي فهو يفرق)^(٤)، فهو كلام صحيح، مناسب لما في سياقه من القصة، وهي غير هذه.

تضارب
الفاظ
إنجيل
لوقا مع
إنجيل
مرقس

ومن ذلك [قوله]^(٥) في الثالث والخمسين: (إذا صنعت وليمة فلا تدع أجياءك^(٦)) ولا أغنياء^(٧) جيرانك؛ لأنهم ربما كافؤك، ولكن ادع الضعفاء والمساكين، الذين لا قدرة لهم على مكافأتك؛ لتكون مكافأتك في قيامة [٥٢ / أ] الصديقين، فسمع بعض الحاضرين ذلك، فقال: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله)^(٨).

تناقض
آخر

قلت: فقد أقره المسيح على هذا ولم ينكره، فدلّ على أن الناس يأكلون في الآخرة. وهذا يناقض ما ذكر في سؤال الزنادقة له عن سبعة الإخوة الذين تزوجوا امرأة واحدة تباعاً، لمن تكون منهم في الآخرة؟ فقال: إن الناس هناك كالملائكة لا يتزوجون؛ لأن من يأكل الخبز لا يكون كالملائكة، وإذا فارق الملائكة بأكل الخبز؛

- (١) النص الوارد في إنجيل مرقس في الترجمة الحديثة: ٩: ٤٠: (لأن من ليس علينا فهو معنا).
- (٢) المسيح ﷺ بريء من هذه التناقضات؛ لكن هل من الصدف أن يتحدث رئيس أمريكا الأسبق (بوش) بمثل هذا الكلام؟! أم أنه التطبيق الحرفي لنصوص الأناجيل؟، فقد أصبح شعاره: (من ليس معنا فهو ضدنا!) أشهر من أن يذكر، وبه استطاع أن يغزو ديار الإسلام. (قلت هذا إبان غزوه للعراق ٢٠٠٣ م).
- (٣) عبارته السابقة: (لأن كل من ليس عليكم فهو معكم).
- (٤) إنجيل لوقا: ١١: ٢٣.
- (٥) ليست في (أ).
- (٦) في (أ وب) (أحبك) والصواب ما أثبتته.
- (٧) في (ب): (والأغنياء جيرانك) والصواب ما أثبتته من (أ).
- (٨) إنجيل لوقا: ١٤: ١٢-١٥.

جاز أن يفارقهم بالنكاح والتزوج^(١)، فهذا تناقض ظاهرٌ.

ومن ذلك: في الفصل الخامس والسبعين، قوله: (وحيتل ينظرون [ب/٥٨] ابن الإنسان آتياً في السحابة بقواتٍ ومجدٍ عظيمٍ، فإذا بدت هذه تكون، انظروا إلى فوق، وارفعوا رؤوسكم؛ فإنَّ خلاصكم قد دنا)^(٢).

قلتُ: قد سبقت حكايتنا لصعود المسيح على غمامة، وقد أشار هو هاهنا إلى أنه يأتي فيها أو في مثلها، وهذا إشارة منه إلى نزوله في آخر الزمان؛ لقتل الدجال، وكسر الصليب، وقتل الخنزير، ووضع الجزية على اليهود والنصارى، كما سبق ذكره، وكما وعد به محمد ﷺ^(٣).

وأما قوله: فإنَّ خلاصكم قد دنا، فهذا خطابٌ منه لمن كان في زمنه، ممن كان على ملته من توحيد الله، والتصديق بمحمد ﷺ بتقدير ظهوره، فأما هؤلاء الذين بدلوا، أوحرفوا وثلثوا، وخالفوا وصية المسيح، وغيره، في الإيمان بمحمد ﷺ، فإنَّ خلاصهم^(٤) أيضًا يكون قد دنا، لكن إلى جهنم! أعاذنا الله منها.

ومن ذلك قوله في الفصل الثاني والثمانين: (إنَّ مريم المجدلانية^(٥))، ومريم

بشارة
المسيح
بنينا ﷺ

الفرق بين
نصارى
الأمس
ونصارى
اليوم

(١) في (أ): (التزويج) والصواب من (ب).

(٢) إنجيل لوقا: ٢١: ٢٧-٢٨.

(٣) قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل

الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ (صحيح) عن أبي هريرة، رواه البخاري - كتاب البدع (٤/ ٤١٤) مع فتح الباري، ومسلم (١/ ١٣٥)، وانظر: صحيح الجامع الصغير، حديث رقم (٧٠٧٧)

(٤) في (أ): خلاصكم، والمثبت من (ب).

(٥) مريم المجدلانية: في القاموس... المجدلية: ولا طائل تحت الرأي الشائع أنها كانت امرأة زانية؛ لأنها كانت ذات ثروة وصيت حسن، وإنما كانت قد ابتليت بسبعة شياطين أخرجهن منها المسيح فتبعته، وثبتت إلى المتهى فكانت معه وقت الصلب (بزعمهم)، والدفن (بزعمهم أيضاً)، وكانت من جملة اللواتي آتين إلى القبر لحنظته وكانت من الأوليات عند القبر مع مريم أم يعقوب وشرفها المسيح بحديثه معها بعد قيامته. [قاموس الكتاب المقدس (٨٤٢)]. ولا أجد هنا أبلى من عبارة الطوفي تعليقاً على هذا الكلام: (ما رأيت ولا سمعتُ بأجهل من النصارى، ولا أقل من عقولهم، كيف يصدقون مثل هذا؟!، فلن الله من ينسب مثل هذا إلى أحاد الأمم....).

أم يعقوب، ومن معهما لما أُخبرت بأن المسيح قام من قبره بعد ثلاث (حي)^(١)، وأخبرت الرسل التلاميذ، فكان هذا الكلام عندهم كالهزء، ولم يصدقوه، وقام بطرس إلى القبر فرأى الثياب موضوعة، فتعجب^(٢).

وكذلك: ذكر في إنجيل مرقس: (أن مريم لما أُخبرت التلاميذ بقيام الرب؛ لم

يصدقوا)^(٣)

تناقض
عظيم في
قصة مريم
المجدلية
كفر
الشاك
والمرتد
في صدق الله
ورسله

قلت: ما رأيت ولا سمعتُ بأجهل من النصارى، ولا أقل من عقولهم! كيف يصدقون مثل هذا؟! فلعن الله من ينسب مثل هذا إلى آحاد الأمم؛ فضلاً عن التلاميذ، والرسل المعصومين، فإنَّ المسيح، صلوات الله عليه، تقدّم فأنذرهم، قبل أن يفعل به اليهود ما فعلوا، بما سيكون منه ومنهم غير مرة، وقد شاهدوا منه الآيات والمعجزات [٥٣/أ] وثبت صدقه، فكيف يُنسبون بعد ذلك إلى أنهم يُخبرون بوقوع أمر، وعدهم بوقوعه غير مرة؛ فيتخذونه هزواً، ولا يصدقونه، وهل الشاك أو المرتدُّ في صدق ما يُخبر به الصادق من الله أو رُسُلِهِ إلاً كافر؟! خصوصاً والمخبر عندهم إله، والمخبرون به رسل، فعظمت الرزية من الطرفين؛ إذ نسبوا الرسل المعصومين إلى تكذيب [٥٩/ب] الإله، فقبح الله هذه العقول، التي قد مرّت على هذه الفضائح نحو ألفي سنة، من علمائهم، وملوكهم، وسوقتهم، ما كان فيهم بصيرٌ يتدبّرها فيستر عوارها بإزالتها، ولكن؛ قومٌ استخفوا بدين الله فاستخفَّ الله بهم، وجعلهم هزاةً للمستهزئين، وشُخْرةً للساخرين، وكانوا أحقَّ بها وأهلها!.

ولا يقال: إن تردّد التلاميذ ليس فيما أخبرهم به المسيح، من قيامه من الأموات، بل في زمنه الذي^(٤) أخبرتهم فيه مريم، والشيء قد يُعلم حقيقة وجوده، ويُجهل زمنه؛

(١) في (ب): (حي).

(٢) إنجيل لوقا: ٢٤: ١-١٢.

(٣) إنجيل مرقس: ١٦: ١١.

(٤) في: (أ): التي، والمثبت من (ب).

لأنَّا^(١) نقول: إنَّ المسيحَ أخبرهم بقيامه بعد ثلاثة أيام، وإخبارُ مريم لهم بذلك بعد ثلاثة أيام؛ فالزَّمن معيْنٌ، وقد كذبوا به على ما نعلم عنهم، فلزم المحذور.

ومن ذلك [في]^(٢) الفصل الثالث والثمانين: (أَنَّ التلاميذ لما بلغهم قيام المسيح قام اثنان منهم يسيران^(٣) إلى عمواس، وهما يتحدثان فيما كان من أمر المسيح؛ إذ صار المسيح بينهما يماشيهما^(٤)) وأخذ بأبصارهما عن معرفته، فقال لهما: فيما تتحدثان؛ قال لاه: في أمر يسوع الناصري، كان رجلًا نبيًّا، قويًّا بالأعمال، والكلام قُدَّام الله، وجميع الشعب، فأسلموه لحكم الموت)^(٥).

قلت: وكان المخاطبُ للمسيح، سمعان بطرس، وقد سمَّاه نبيًّا، والنُّبوة تنافي الإلهية، فدلَّ على أنه لم يكن، ولا كانوا يعتقدونه إلهًا، ولا ابنًا للإله؛ لأنَّا علمنا بالاستقراء التام أنَّ أحدًا من الأنبياء لم يكن كذلك، والاستقراء التام يفيد العلم، فتيَّن بهذا أنَّ النَّصارى ليسوا على دين المسيح ولا اعتقاد التلاميذ، بل هم همْلٌ بلا راعٍ! ﴿ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]

هذا آخر التعليق على إنجيل لوقا.



نبوة
المسيح
في إنجيل
لوقا

(١) في: (أ): ولا، والمثبت من (ب).

(٢) في: ليست في (ب).

(٣) في (أ): (يشيران) والصواب من (ب).

(٤) في (أ): (شيهما) والصواب من (ب).

(٥) إنجيل لوقا: ٢٤: ١٣-٢٠.

رابعاً: التعليق على إنجيل يوحنا

ولنشرع في التعليق على إنجيل يوحنا^(١) بن زبدي:

فمن ذلك، قوله في فاتحته: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة، كان هذا قديماً عند الله [٥٤/أ] كلُّ به وبغيره، لم يكن شيء مما كان)^(٢).

قلت: هذا الكلام من حُجَج النصارى التي يعتمدون عليها، وهو كلامٌ بعضه [٦٠/ب] صحيح، وبعضه فاسدٌ متهاقضٌ، وجديرٌ بعقولهم أن يحتجوا بمثله، وصف عقول النصارى فإنَّ عقولهم دون عقول الصَّبيان!

أمَّا الصحيحُ منه فقوله: في البدء كان الكلمة؛ فإنَّ كلام الله سبحانه صفة من صفاته، وهو عند المسلمين قديمٌ بقديمه^(٣).

وقوله: والكلمة كان عند الله، صحيحٌ أيضاً؛ لأنَّ الكلمةَ صفتهُ، والصفة قائمةٌ بالموصوف، ويصحُّ أن يُطلق عليها لفظُ العندية. وقوله: كان هذا قديماً عند الله، هو معنى ما ذكر.

(١) يسمى يوحنا الرسول: هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل. دعاه يسوع مع أخيه يعقوب الذي قتله هيرودس اغريباس الاول ليكونا من تلاميذه، ويبدو أنه كان على جانب من الغنى لان أباه كان يملك عدداً من الخدم، أما سالومة فقد كانت سيدة فاضلة نقية. كانت شريكة النساء اللواتي اشترين الحنوط الكثير الثمن لتكفين جسد يسوع!!! وكانت على الأرجح أخت مريم أم يسوع، وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة، لأن عادات اليهود كانت تقضي على أولاد الأشراف أن يتعلموا حرفة ما. وكان يوحنا من تلاميذ المعمدان ومن تلاميذ يسوع، وكان وأخوه شريكي سمعان في الصيد وكان معروفاً لدى قيافا رئيس الكهنة وربما كان له بيت في اورشليم. قاموس الكتاب المقدس (١١٠٨) وقد بينا في الدراسة جهالة هذا الشخص وأن إنجيله مزور، فلهذا يقول صاحب كتاب «المدخل إلى العهد الجديد» بناءً على ذلك: أن الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا الإنجيل ولهذا منذ نهاية القرن التاسع عشر ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري بشكل واسع ووصفته دائرة المعارف الفرنسية بأنه «إنجيل مزور وهذه الدائرة اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى. [انظر: دراسات في الأديان (١٥٧-١٥٨) د: سعود الخلف].

(٢) إنجيل يوحنا: ١: ٣-١.

(٣) ولأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، فإن هذا القول صحيح؛ إذ إن الله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وقوله: كُلُّ بِهِ كَانَ، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان، صحيحٌ أيضًا؛ لأنَّ الأشياءَ موجودةٌ بإرادة الله، وقدرته، وأمره، فالإرادة تخصيصٌ، والقدرة مع الأمر تؤثر، وفي القرآن المقدس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].
فالكلمة عندنا هي: كُنْ، وهي أمرٌ، من: كَانَ، يكونُ، وبها كان المسيح، وإنَّما سُمِّيَ كلمةً؛ لأنَّه أوجد بالكلمة، فكان^(١) أحقَّ بهذه التسمية من غيره؛ لأنَّ تأثير القدرة كان فيه أظهر؛ لكونه من غير بشر.

فأما قولهم: (إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ تَجَسَّدَتْ، فَصَارَتْ لَحْمًا وَدَمًا)^(٢)، فلا نقوله به، ولا يمكنُ في العقل أن يتجسَّد الكلام، وقدرة الله إنما تؤثر في الممكنات لا في غيرها، ومن جَوَزَ أن الكلمة تتجسَّد حتى تصير إنسانًا؛ فليجوزُ أنَّها تتجسَّد حتى تصير جمادًا، وحيوانًا: ثورًا، وحمارًا، وفرسًا، وكلبًا، وسبعًا، وغيرها من أنواع الحيوان، ثم لتكن الحيوانات والجمادات آلهة، أو أبناء آلهة؛ لأنَّها أوجدت بكلمة الله، وكلمةُ الله تجسَّدت فاستحالت إلهاً. وأمَّا المتهافات منه فقوله: والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة.

وذلك لوجهين:

أحدهما: أَنَّ الكلمة^(٣) ليست هي الله، ودعوى أنَّها هي، هو مكابرةٌ وسفسطة^(٤)؛ فإنَّ الكلمةَ صفةُ المتكلم، والصفةُ غيرُ الموصوف، فالكلمةُ غيرُ الله.

الثاني: أن هذا كلامٌ جُمع فيه بين التغاير والاتحاد؛ في قضيةٍ واحدة، من جهة

(١) في (أ): (وكان) والصواب من (ب).

(٢) النص الموجود في إنجيل يوحنا: ١ : ١٤ (و الكلمة صار جسدًا، وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجدًا، كما لو حيد من الأب، مملوءًا نعمة وحقًا).

(٣) ليست في: (أ) وأثبتها من (ب).

(٤) السفسطة: قياس مركب من الوهميات والفرض منه تغليب الخصم وإسكاته كقولنا الجوهر موجود في الذهن

وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض ليتيج أن الجوهر عرض [التعريفات (١٥٨)].

واحدة، وهو تناقض محال.

والوجهان اللذان قررنا بهما التهاقت في التحقيق: واحد أو متلازمان.
ومن ذلك قوله: (الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في [٦١/ب] حضن أبيه، هو خَبَرٌ^(١))^(٢).

وأظن هذا من كلام يوحنا المعمدان؛ الذي هو: يحيى بن زكريا. قلتُ: فقوله: الابن، قد بينا فيما سبق أن المراد به العبد؛ مجازاً.
ووصفه [٥٥/أ] بالوحدة؛ ليس معناه أنه ليس الله ابن غيره؛ بل معناه: أنه وحيد في الرسالة إلى الناس، أي: لا رسول معه في عصره مثله سواه.

وقوله: الذي هو في حضن أبيه، أي: في رعايته، وحياطته من الأعداء، إلى الوقت المعلوم، وهو الذي يؤيده بالقوى والمعجزات، فكل هذا يصلح أن يعبر عنه بالحضانة^(٣)؛ لأن الله تعالى يتولى من رسله ما يتولى الحاضن من ولده.
وكذلك: قول يوحنا عن المسيح: (إنه يأتي بعدي وهو قبلي كان)^(٤)، ليس المراد بذاته^(٥)؛ بل بالقوة في علم الله، وبشارات الأنبياء المتقدمين، كما قال نبينا محمد ﷺ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)^(٦)، وقوله بعد هذا شهدت أن هذا هو

(١) في: (أ): خير، والصواب من: (ب)، ونص إنجيل يوحنا.

(٢) إنجيل يوحنا: ١: ١٨.

(٣) لكن هذا اللفظ - في نظري والله تعالى أعلم - لا يجوز إطلاقه على الله تعالى، حتى من باب التنزل مع الخصم، وضرب الأمثال في جنب الله تعالى يمثل هذا لا يصح.

(٤) إنجيل يوحنا: ١: ١٥.

(٥) في (أ) (بداية) والصواب من (ب).

(٦) سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن هذا اللفظ ومما يروون عنه ﷺ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وكنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين). فأجاب: الحمد لله، هذا اللفظ كذب باطل، ولكن اللفظ المأثور الذي رواه الترمذي وغيره أنه قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد)، وفي السنن عن العرياض بن سارية، أنه قال: (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيته). [مجموع الفتاوى ١٨ / ٣٧٩-٣٨٠]. قال الألباني حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) (موضوع) ومثله حديث: (كنت نبياً وآدم ولا ماء ولا طين).. وقال الألباني، رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٤٧٣): موضوع. ذكر هذا والذي قبله السيوطي في ذيل «الأحاديث الموضوعة» (ص ٢٠٣) نقلاً عن ابن تيمية، وأقره، وقد قال في رده على البكري =

ابن الله، قد سبق بيان تأويله بمعنى العبودية والرسالة.

وقوله: (شهدتُ أنَّ هذا هو ابنُ الله)^(١)، قد سبق بيانُ تأويله، بمعنى العبودية

والرسالة.

وقوله: (هذا حَمَلُ الله)، هذه إضافةٌ خَلْقِي، أي: الحَمَلُ المخلوقُ لله، وكان

عيسى أَحَقَّ بهذه الإضافة من غيره من الناس؛ لأنَّ تأثير القدرة فيه كان أظهرَ؛ إذ كان آيةً وعبرةً لمن اعتبر.

ومن ذلك في الفصل الثالث: قال لنيقوديموس^(٢): (إني أعلمكم بالأرضيات، فلا

تؤمنون، فكيف إن أعلمتكم بالسماويات تصدقون؟! وما يصعد أحدٌ إلى السَّماء إلاَّ

الذي نزل من السماء، ابنُ البشر الذي هو في السماء)^(٣).

قلتُ: الخطب في هذا يسيرٌ، فإنَّ أرواحَ الناس كلها تفيض عليهم من العالم

(ص ٩): لا أصل له، لا من نقل ولا من عقل، فإنَّ أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطلٌ، فإنَّ آدم ﷺ لم يكن بين الماء والطين قط، فإنَّ الطين ماء و تراب، وإنما كان بين الروح والجسد، ثم هؤلاء الضَّلال يتوهمون أنَّ النبي ﷺ كان حيتنًا موجودًا، وأنَّ ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه أنه كان نورا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أنَّ النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل. ويشير بقوله: «وإنما كان بين الروح والجسد» إلى أنَّ هذا هو الصحيح في هذا الحديث ولفظه: «كنت نبيًا و آدم بين الروح والجسد» وهو صحيح الإسناد كما بيته في «الصحيحة» (١٨٥٦)، وقال الزرقاني في «شرح المواهب» (١ / ٣٣) بعد أن ذكر الحديثين: صرح السيوطي في «الدرر» بأنه لا أصل لهما، والثاني من زيادة العوام، وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن تيمية، فأفتى بطلان اللفظين وأنها كذب، وأقره في «النور» (كذا ولعله «الذيل») والسخاوي في «فتاويه» أجاب باعتماد كلام ابن تيمية، في وضع اللفظين قائلاً: وناهيك به إطلاقاً وحفظاً، أقره المخالف والموافق، قال: وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي: ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه، وكان الشَّنة بين عينيهِ وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة وعين مفتوحة.

[سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٤٧٣]

(١) إنجيل يوحنا: ١: ٣٤.

(٢) اسم يوناني معناه: المتصر على الشعب، وهو فريسي، وعضو في السنهدريم، وكان واحدًا من رؤساء اليهود، جاء إلى المسيح في الليل: (حتى لا يراه أحد) ليشاوره ويأخذه في امر الولادة الثانية الروحية. وقد اقتنع بكلام يسوع، ودافع عن يسوع في السنهدريم لما هاجمه الفريسيون، ثم بعد أن مات يسوع (بزعمهم)، عمل على تطييب جسده بالمر، ودفنه. [قاموس الكتاب المقدس (٩٨٨)].

(٣) يوحنا: ٣: ١٢-١٣.

العلوي؛ لكنَّ الفرقَ بين المسيح وغيره؛ حيث عَلم ما في السموات دون غيره، من وجوه: أحدها: الإلهام من الله؛ كسائر الأنبياء، الذين أطلَعَهُم الله^(١) على ملكوتِ السَّمَوَاتِ.

الثاني: أنَّ رُوحَ المسيح كانت رُوحًا خاصة، ذات خصوصية، علمت^(٢) كيفيات السموات حال تجردها، وحفظت ذلك، حتى أخبرت به بعد تركُّبها في الهيكل الجسماني.

ورُوح غيره لم تكن لها تلك القوة، ولهذا كان المسيح لقُوَّة نفسه [٦٢/ب] وما فيها من الخصوصيات الإلهية إذا أبرأ إذا عاها أحسَّ بقُوَّة خرجت منه، كما أخبر بذلك لما لمست المرأة التي كانت تنزفُ الدَّم، ثوبه^(٣).

أطوار
خلق
الإنسان

الثالث: أن أرواحَ سائر الناس إنَّما تفيضُ عليهم إذا كمل لهم حملًا أربعة أشهر، ومضت عليهم الأطوار أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين علقه، ثم أربعين مضغة، فحيثُ تنفخ فيه الروح^(٤)، والمسيحُ كان فيضانُ روحه [٥٦/أ] على بدنه مقارنًا لتكوُّنه، فلعلَّ لهذا تأثيرًا فيما ذُكر.

ويقال: إنَّ المسيحَ في الحقيقة مَلَكٌ ظهر في صورة البشر، كما ظهر جبريلُ في

(١) لفظ الجلالة: الله، ليس في: (أ)، وأثبتها من: (ب).

(٢) في: (ب) (عقلت) والصواب من (أ) كونها وردت في السياق.

(٣) انظر إنجيل لوقا: ٨: ٤٢ - ٤٨

(٤) دليله: حديث الصحيحين، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة). [رواه البخاري: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٢٩٦٩) وفي القدر والتوحيد. ومسلم (٤٧٨١).]

صورة دحية^(١)، وهو تحقيق لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَآئِلَيسُوتَ﴾ [الأنعام: ٩].

وقال بعد هذا: (أحبَّ اللهُ العالمَ؛ فبذلَّ^(٢) ابنه الوحيد؛ لكيلا يهلك، بل تكون له حياة الأبد)^(٣). قلت: قد بينا معنى الابن الوحيد، وحيثُ لا يكون في ذلك كسائر الأنبياء؛ أن الله تعالى بذلهم^(٤) وحيدين في أعصارهم؛ ليهدوا العالم، وينقذوه من كيد الشيطان ومكره.

ومن ذلك في الفصل السابع، قال: (وكان اليهود يريدون قتل يسوع؛ لأنه كان ينقضُ السَّبت عليهم بإبرائه المرضي فيه؛ ولأنَّه كان يقول: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، ويعادل نفسه بالله)^(٥).

قلت: هذا كذبٌ على المسيح، أنَّه كان يزعم أنَّه معادلُ^(٦) الله؛ لأنَّه مناقضٌ لقوله لما ربطوه ليصلبوه:

(إلهي غير عني هذا الكأس، وليس كإرادتي، بل كإرادتك)^(٧)، ولو كان عديله لعادلت إرادته إرادته.

فلما غلبت إرادة الله إرادته دلَّ على بطلان هذا النقل عنه، ثم إن هذا تخليط بطان
دعوى
صلب
المسيح
منهم، فإن هؤلاء يزعمون أنه الله، ومُعادِلُ الله لا يكون: هو، هو، بل غيره، وإمَّا
زعمه أنَّه ابنه؛ فإن ثبت عنه فتأويله سبق.

(١) دحية بن خليفة الكلبي: صحابي مشهور أول مشاهدته الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدرًا وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته، شهد دحية اليرموك وكان على كردوس وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية. [الإصابة في تمييز الصحابة رقم الترجمة (٢٣٩٢)].

(٢) في: (أ) تحقيق قوله) والصواب من (ب).

(٣) في: (أ): بدله، والصواب من (ب)، ونص إنجيل يوحنا.

(٤) إنجيل يوحنا: ٣: ١٦.

(٥) في: (أ): بدلهم، والصواب من (ب).

(٦) إنجيل يوحنا: ٥: ١٨. وفيه: (معدلاً).

(٧) في: (ب): يعادل، والصواب من: (أ).

(٨) إنجيل متى ٢٦: ٣٩، وإنجيل لوقا ٢٢: ٤٢.

وكذلك قوله: (لأنَّ الأعمال التي يعملها الأب، يعمل الابنُ مثلها)^(١)، يقتضي العموم والاستغراق؛ فيلزم منه إمَّا انحصار أعمال الله، فما كان يعملهُ المسيحُ، أو عملُ المسيحِ مثل جميع ما عمل الله سبحانه، وهو باطلٌ، وإن ادعيتُموه مُنعموه، وإن زعمتم أنَّ اللامَ في الأعمال ليست للاستغراق، بل أراد الأعمال من إحياء الموتى ونحوه، فهو خلاف ظاهر اللفظ، ثم لا تبقى فيه حجة؛ لأنَّ سائر الأنبياء عملوا بعض أعمال الله بقدرته.

وكذلك قوله: (ليس الأب يدين أحدًا، بل أعطى الحكمَ كُلَّهُ للابن؛ ليُكرم الابنُ جميعَ الناس، كما يكرمون الأب)^(٢)، فإنَّه مناقضٌ لاستقالته من الصَّلب، فلم يُقل؛ لأنَّ من جعل له الحكمَ كُلَّهُ كيف لم يملك لنفسه الخلاصَ مما يكرهه؟!.

ولكنَّ هذه خرافاتُ كُلِّها، وأنا أحلفُ ولا أستثني؛ أنَّ المسيحَ لم يُقل شيئًا من هذا، ولا كره الصَّلب، ولا استقال منه؛ بل لعله كان أثرٌ عنده من البقاء؛ لِعلمه بما يصير إليه من كرامة الله له على تسليمه لقضائه وقدره^(٣)، وصبره [٥٧/أ] على الأذى، فلا جرم أنَّ الله سبحانه وتعالى^(٤) نظر إلى يقينه ورضاه^(٥)، فخلَّصه وأوقع اليهود والنصارى في الضلال واختلاق المحال.

ومن ذلك قوله في هذا الفصل: (أنه ستأتي ساعة، وهي الآن حاضرة، يسمع فيها الأموات صوت ابن الله، والذي يسمعونهُ يحيون؛ لأنه كما أنَّ الأب الحياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون الحياة فيه، وأعطاه سلطانًا أن يكون يحكم؛ لأنَّه ابن البشر)^(٦).

قلت: هذا كلامٌ جمعُ مُحالًا، وتناقضًا، وفسادَ تعليلٍ.

(١) إنجيل يوحنا: ٥: ١٩.

(٢) إنجيل: ٥: ٢٢.

(٣) في (أ) (قدرته)، ولعل الصواب ما أثبتته من (ب).

(٤) وتعالى، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٥) ورضاه، ليست في (ب) وأثبتته من (أ).

(٦) إنجيل يوحنا: ٥: ٢٥-٢٧.

أَمَّا المحال، فقولُه: أنه ستأتي ساعة، فإنه يريد^(١) بها ساعة القيامة، حين يأتي لبعث الناس ودينونتهم.

فقولُه: وهي الآن حاضرة، مُحالٌ؛ إذ ساعتنا هذه مثلاً؛ ليست هي القيامة، ولا يصحُّ هذا الكلام إلا بتأويل بعيد جداً، وهو أن يقال: تقديرُه، أن القدرة التي يحيى بها الموتى، في ساعة القيامة هي موجودة الآن. هذا الذي يظهر لي في تصحيحه، فإن كان له تأويل آخر أقرب من هذا فعليهم بيانه.

وَأَمَّا التناقض فقولُه: كما أن الحياة في ذات الأب، كذلك أعطى الابن أن تكون الحياة فيه، فإن هذا مع ما سبق، من أنه يُعادل نفسه بالله، وأن الأعمال التي يعملها الأب، يعملُ الابنُ مثلها، يقتضي أن حياة ذاته؛ كحياة ذات أبيه، ولو كان كذلك لم يتطرق عليه الموت، كما لا يتطرق على أبيه^(٢)، وليس كذلك؛ بل الأنجيل متفقٌ على أنه لَمَّا صُلبَ صاح، وأسلمَ الرُّوح، ثم قام [٦٣/ب] من الأموات بعد ثلاث. وتضمَّنت الأنجيل أيضاً؛ أنه أخبرهم بأنه يُصلَّب، ويقوم من الأموات بعد ثلاث. فإن قيل: معنى موته: أن الرُّوح فارقه، والرُّوح لم يَمُت.

قلنا: فهيرودس، وفيلاطس، ورؤساء الكهنة، الذين تألبوا في صلبه، بل فرعون،

(١) في: (ب)، يؤيد، والصواب من (أ).

(٢) أي: الله، على زعم النصارى الضلال.

وهامان^(١)، وقارون^(٢)، لَمَّا ماتوا، هكذا جرى لهم، إنما فارقتهم أرواحهم، ولم تمت، وكذلك جميع الناس.

فإن قال قائل: إن المسيح: هو الله، فلا يرد هذا التناقض ببيان التفاوت بين حياته وحياة أبيه.

قلنا: فيكون الله سبحانه قد مات! لَمَّا صَلَّبَ الْمَسِيحُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وبقي الوجود في تلك الأيام بلا إله، وقد عُلِمَ أَنَّ قَرِيَّةً مِنْ قُرَى الدُّنْيَا إِذَا خَلَّتْ مِنْ سُلْطَانِهَا لِحِظَةً وَاحِدَةً؛ خَرِبَتْ، فكيف لم يخرب الوجود؟!، حيث بقي ثلاثة أيام بلا مُدَبِّرٍ، [٥٨/أ] لهم^(٣).

وهذا لازم لمن ادعى ذلك، فإن ادَّعى مُدْعٍ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، أو^(٤) هو^(٥) ابن الله، ولَمَّا صَلَّبَ لم يُصَلِّبِ اللَّهُ مَعَهُ، كان ذلك من الهذيان، الذي لا جواب له إلاَّ سَكَنِي الْمَارِسْتَانِ^(٦)! والله المستعان.

جنون
النصاري في
اعتقادهم
الصلب

وأما فساد التعليل؛ فقلوه: وأعطاه سلطاناً أن يكون بحكم؛ لأنه ابن البشر، فإن هذا فاسدُ الوضع؛ لأنه علَّق على العلة نقيض ما تقتضيه؛ لأنَّ البشرية والنسبة إليها ضعيفة، فلا تُنَاسِبُ إعطاء السلطان لأجلها، وإنَّما المناسبُ أن يقولَ

(١) هامان: وزير فرعون مصر، وقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرٍ فَأَوْفِدْنِي يَنْهَكُنَّ عَلَى الْوَلَدِ فَأَجْعَلَنِي صَرَحًا لِّمَلَكِي أَطْلُعْ إِلَيَّ إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنَّ ابْنِي صَرَحًا لِّمَلَكِي أَتَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦] وينسب إليه قوله: قال: قد كان ظني بك خيراً من هذا، تصير عبداً يعبد بعد أن كنت رباً يعبد! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: «أنا ربُّكم الأعلى». وكان بين كلمته «ما علمت لكم من إله غيري» وبين قوله: «أنا ربُّكم الأعلى» أربعون سنة. [انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/١٦٣)].

(٢) قارون: ابن عم موسى عليه السلام، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مَوْسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَيْنَاهُ مِنَ الْكُوفَرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. [انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/١٧٨)].

(٣) لهم، ليست في (ب)، وأثبتها من (أ).

(٤) في (أ): و، وفي (ب): أو، وهو الأصوب.

(٥) في (ب): أو هو، وهي مضطربة، وما في (أ) أنسب للسياق.

(٦) المَارِسْتَانُ بفتح الراء: دارُ المَرْصَى، مُعَرَّبٌ. [القاموس المحيط للفيروزآبادي (٧٤١)].

أعطاه سلطاناً لأنّه ابنُ الله؛ لأنّ الإلهية قويّةٌ تُناسبُ إعطاءَ السلطان لأجلها، ثم لو كان إعطاؤه السلطان^(١) لأنّه ابنُ البشر، وكانت البشرية تُناسبُ إعطاءَ السلطان لكان غيرُ المسيح أحقّ بذلك؛ لأنّه ابنُ بشرٍ واحدٍ، وغيره ابنُ بشرين اثنين!، فعِلّةُ إعطاءِ السلطان فيه أقوى وأكمل.

ولا يظهر لي في تصحيح هذا الكلام، على جهة الإنصاف إلّا أنّ تقديره: أنّه أعطاه سلطانَ الحكم، وجعله حاكماً على البشر؛ لأنّه بشرٌ من جنسهم، فهم له أشدُّ إلْفًا وانقيادًا، من الملائكة الذين ليسوا^(٢) من جنسهم، فإن كان تأويله هذا فهو قريبٌ، وإلّا فعليهم بيانه!

ومن ذلك قوله: (لا تظنُّوا أنني أشكوكم عند الأب، إنّ لكم من يشكوكم، موسى الذي عليه تتوكلون، فلو كنتم آمتتم بموسى آمتتم بي [٦٤/ب]؛ لأنّ ذلك كُتب من أجلي)^(٣).

قلت: هذه مُحاجةٌ حجّ بها المسيحُ اليهودَ، وحاصلُها: أنّ موسى بشرٌ بي، وبُعثَ مقدمةً بين يديّ، فلمّا لم تؤمنوا بي لم تؤمنوا بموسى؛ لأنّ من جملة ما جاءكم به الإيمانُ بي، واليهودُ كانوا يكذبون عيسى في هذه الدعوى، وينكرون معرفته، ولا يعرفونه إلّا بيسوع بن يوسف الناصري، والنصارى عندهم أنّ هذه حُجّةٌ فَلَجَ فيها المسيحُ على اليهود، فكذلك محمدٌ ﷺ^(٤) إذا حاجَّ النصارى بما حاجَّ به المسيحُ اليهود فَلَجَ عليهم؛ لأنّ الصورة والدعوى واحدة، فإنّ محمدًا قال للنصارى: إنّ عيسى بشرٌ بي وبُعثَ مُقدِّمةً بين يديّ، فلمّا لم تؤمنوا بي؛ لم تؤمنوا بالمسيح؛ لأنّ من جُملة ما جاءكم به الإيمانُ بي، مع أنّ النصارى كذبوا محمدًا في هذه الدعوى، وأنكروا أنّ له عندهم اسمًا، أو يعلمون له علمًا [٥٩/أ]، فيكون قد فَلَجَ فيها على

محاجة
المسيح
لليهود

(١) في: (ب): للسلطان والمثبت من (أ).

(٢) في (أ): (ليس)، والصواب من: (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ٥: ٤٥.

(٤) وسلم، ساقطة من: (أ) والمثبت من (ب).

النصارى، كما فَلَجَ المسيحُ في دعواه على اليهود، وإلاَّ فيلزمُ أَنَّ المسيحَ لم يَحْجِ اليهودَ في هذه الدعوى، فيكون كاذبًا فيها، والكاذبُ في كلمةٍ واحدةٍ لا يصلح أن يكون عدلاً، فضلاً عن رسولٍ، بل عن الله أو ابنه على زعمهم، فإن سَلَمُوا لليهود هذا^(١) في المسيح؛ سَلَمْنَا لهم مثله في محمدٍ، وحينئذٍ يلزم^(٢) أَحَدُ أمرين: إمَّا التسوية بين محمدٍ والمسيح، في إثباتِ الرسالة أو نفْيِها، والنفْيُ لا يقولون به في المسيح، فيلزمُ الإثباتُ، فإن قيل هذا غيرُ لازمٍ؛ لأنَّ المسيحَ فَلَجَ على اليهود في حجته دون محمدٍ على النصارى، والفرقُ بينهما ظهورُ المعجز على يد المسيح دون محمدٍ.

قلنا: هذا سؤالٌ؛ قد أحكمنا جوابه فيما سبق^(٣) من إنجيل متى، عند إطعام المسيح أربعة آلاف^(٤) رجلٍ من خمس خبزات وحتوتين^(٥)، فكُمَلْتُ الحجة، ولزَمَكُم ما تكررُون.

ومن ذلك في الفصل الثامن: (أَنَّ المسيحَ لما أشبع خمسةَ ألف رجلٍ، في خمسة أرغفة وسمكتين، قال الناس: حقاً إِنَّ هذا هو النبيُّ الجائي إلى العالم)^(٦).
قلت: فهذا نصُّ الإنجيل على أَنَّ الناسَ اعتقدوه نبياً، وأنَّ الأنبياء قبله بشرُّوا به، على أنه نبيٌّ، فالإلهية من أين جاءت؟، وهما مما لا يجتمعان حتى^(٧) يقال: لا تنافي بين كونه نبياً، و^(٨) إلهاً.

ومن ذلك [٦٥/ب] في الفصل التاسع: (أَنَّ الناسَ لما أكلوا الخبز الذي

(١) هذا، ليست في: (ب) والمثبت من (أ).

(٢) في (ب): لزَمَ، والمثبت من (أ).

(٣) في (ب): جوابه.

(٤) في (أ): ألف، والمثبت من (ب).

(٥) انظر النص في إنجيل متى: ١٤: ١٣-٢١.

(٦) إنجيل يوحنا: ٦: ١٤.

(٧) حتى، تكررت في (ب).

(٨) في (أ): (أو)، ولعل الصواب ما أثبتته من (ب).

أطعمهم، تبعوه إلى كفر ناحوم^(١) فقال: ما جئتموني إلا للخبز، فاعملوا لا للطعام
النابت؛ بل للطعام الباقي؛ للحياة المؤبدة، يعطيكموه ابن البشر؛ لأنَّ هذا الله الرَّبُّ،
قد حكَّمه أو حَتَّمه، قالوا له^(٢): ما نصنع حتى نعمل أعمال الله؟! قال: هذا هو عملُ
الله، فآمنوا بمن أرسله^(٣).

قلت: فهذا اعترافٌ منه بأنَّه رسولٌ، يعمل ما يعمل به بالتأييد الإلهي، لا أنَّه هو
الله^(٤)، وإلاَّ لقال لهم: أنا الله، وهذا عملي؛ لأنَّه وقتُ البيان، وتأخيرُه عن وقت
الحاجة لا يجوز^(٥).

وأيضاً قوله: لأنَّ هذا الله^(٦) الرَّبُّ قد حكَّمه، فقد اعترف بالربوبية لله^(٧) فيه^(٨)،
فيكون هو عبده.

وقوله: هذا هو عملُ الله فآمنوا بمن أرسله [٦٠/أ] يعني نفسه، فاعترف بأنَّه
معمولٌ مخلوقٌ، مرسلٌ لله سبحانه.

وذكر بعد ذلك، أنهم قالوا: (إِنَّ آبَاءَنَا أَكَلُوا الْمَنَ فِي الْبَرِيَّةِ، وَجَاءَهُمْ خَبْزٌ مِنْ

(١) اسم عبري معناه: قرية ناحوم، وهي قرية واقعة على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل في أرض زبولون
ونفتالي، وكانت مركزاً للجباية، ويظهر أنه كان فيها مركز عسكري روماني، انتقل يسوع إليها من مدينة الناصرة
في وقت مبكر من خدمته جاعلاً منها مركزاً له حتى أنها دُعيت مدينته.
[قاموس الكتاب المقدس (٧٨٢)].

(٢) له، ليست في: (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ٦: ٢٤-٢٩.

(٤) في: (ب): إله، والمثبت من (أ).

(٥) هذه مسألة مشهورة عند الأصوليين. انظر للشيخ مصطفى الزرقا **كتاتيبه**: [القاعدة السادسة والستون (المادة
٦٧): (لا ينسب إلى ساكت قول لكن السكوت في معرض الحاجة بيان)]. والكلام عليها، وانظر الكلام
عنها في: [اللمع في أصول الفقه الكتاب (٢٠) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ
١٩٨٥ م، دار الكتب العلمية - بيروت. غاية الوصول في شرح لب الأصول (٧٩) لشيخ الإسلام: زكريا بن
محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري].

(٦) لفظ الجلالة: الله، ليس في: (ب).

(٧) لفظ الجلالة: الله ليس في: (أ).

(٨) ليست في: (ب).

السَّمَاء، فَأَرَنَا أَنْتَ آيَةً، وَأَعْطَانَا فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ هَذَا الْخَبْزِ، فَقَالَ: إِنَّ مُوسَى لَمْ يَعْطِكُمْ الْخَبْزَ مِنَ السَّمَاء، وَإِنَّمَا أَعْطَاكُمْوه أَبِي!؛ لِأَنَّ خَبْزَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاء، وَيَهْبُ الْحَيَاةُ لِلْعَالَمِ، وَأَنَا خَبْزُ الْحَيَاةِ، وَمَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي لَا يَعْطَشُ إِلَى (١) الْأَبَدِ (٢).

ثم ذكر بعد ذلك: (أَنَّ الْيَهُودَ تَذَمَّرُوا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: أَنَا الْخَبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاء، قَالُوا: أَلَيْسَ هَذَا يَسُوعُ بْنُ يَوْسُفَ، نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَكَيْفَ يَقُولُ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاء؟) (٣).

قلت: فمن توهَّم من هذا أَنَّ عَيْسَى نَفْسَهُ خَبْزٌ فَهُوَ مَجْنُونٌ!، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنَّ بَسْبِي بَقَاءَ الْإِنْسَانِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَنَّ بَسْبَب (٤) الْخَبْزِ بَقَاؤُهُ (٥) فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ لَمَّا قِيلَ لَهُ: (أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ يَطْلُبُونَكَ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أُمِّي وَإِخْوَتِي) (٦)، يَعْنِي: التَّلَامِيذَ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْمُسْتَرَشِدِينَ. وَكَمَا قَالَ لَهُ رَجُلٌ: (أُرِيدُ أَنْ أَدْفِنَ أَبِي، فَقَالَ: دَعْ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ) (٧)، فَهَذَا مَجَازٌ ظَاهِرٌ، وَإِنَّمَا تَغَيَّظَتْ عَلَيْهِ الْيَهُودُ؛ لِدَعْوَاهُ أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاء.

فَأَمَّا قَوْلُ الْيَهُودِ بَعْدَ هَذَا: (كَيْفَ يَقْدِرُ هَذَا عَلَى أَنْ يَعْطِينَآ جَسَدَهُ لِنَأْكُلَهُ؟) (٨)، وَجَوَابُهُ لَهُمْ: (إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْبَشَرِ، وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فَيْكُمْ، مَنْ يَأْكُلُ [ب/٦٦] جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ (٩) الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ؛ لِأَنَّ جَسَدِي مَأْكُلٌ حَقٌّ،

(١) لَيْسَتْ فِي (أ).

(٢) إِنْجِيلُ يَوْحَنَّا: ٦: ٣٠-٣٥.

(٣) إِنْجِيلُ يَوْحَنَّا: ٦: ٤١-٤٢.

(٤) فِي (أ): (سَبَب)، وَالصَّوَابُ مِنْ (ب).

(٥) هَكَذَا: وَالصَّوَابُ (بَقَاؤُهُ).

(٦) إِنْجِيلُ مَتَّى: ١٢: ٤٧. وَلُوقَا: ٨: ٢١. وَمَرْقُس: ٣: ٣٢.

(٧) إِنْجِيلُ مَتَّى: ٨: ٢١-٢٢. لُوقَا: ٩: ٥٩-٦٠.

(٨) إِنْجِيلُ يَوْحَنَّا: ٦: ٥٢.

(٩) فِي (أ): (أ)، وَلَهُ، وَالصَّوَابُ مِنْ: (ب).

ودمي مشربٌ حق، من يأكل جسدي، ويشرب دمي؛ يثبت فيّ، وأنا أثبتُ فيه^(١)، فإن لم يُحمل على مجازٍ سائح؛ فلا أعلم ما هو!

ومن ذلك قوله في هذا الفصل: (أنا أتكلّم بالذي رأيتُ عند الأب^(٢))، وأنتم تعلمون^(٣) ما رأيتم عند أبيكم. قالوا: أبونا هو إبراهيم، قال لهم: لو كنتم بني إبراهيم عملتم عمل إبراهيم، ولكنكم تعملون أعمال أبيكم، [فقالوا لسنّا مولودين من زنا]، وإنّما لنا أبٌ واحدٌ، هو الله، قال لهم: لو كان الله أباكم كنتم^(٤) [تحبّوني؛ لأنّي خرجت من الله، لكنكم من أبيكم]^(٥)، إبليس، وبنوة أبيكم تهزؤون^(٦)، الذي هو من البدء قتالٌ للناس^{(٧)(٨)}.

قلتُ: ففي هذا الكلام قد أُضيف اليهود بالبنوة إلى الله، وإلى إبراهيم، وإلى إبليس جميعاً، فدلّ على أنّ لفظ الأبوة والبنوة^(٩) تارة يراد بها: حقيقتها؛ كماضافتهم بها إلى إبراهيم، وتارة: مجازها؛ كماضافتهم^(١٠) إلى الله وإلى إبليس جميعاً لعلاقة^(١١) الطاعة، كما يطيع الابنُ أباه، ويرحم الأبُ ابنه، وكذلك هي في حقّ المسيح بالنسبة إلى الله سبحانه، وإلّا وجب أن يكون اليهود أبناء الله؛ بتقدير حبّهم للمسيح، بل

(١) إنجيل يوحنا: ٦: ٥٣-٥٦.

(٢) في: (أ) الرّب، والمثبت من: (ب) ونصّ إنجيل يوحنا: (عند أبي).

(٣) في: (أ): تعلمون، والصواب من: (ب).

(٤) ما بين المعقوفتين استدرکها الناسخ في الهامش الأيسر في: (ب).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

(٦) غير واضحة في (ب)، وفي (أ): تهزؤون ولعلها الأنسب: ونصّ إنجيل يوحنا ٨: ٤٤ ليست فيه هذه الكلمة بنصّها: (انتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذلك، كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت

في الحق؛ لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلّم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب).

(٧) في: (أ): قتال الناس، والمثبت من: (ب) هو الصواب، وموافق لما في نص يوحنا السابق.

(٨) يوحنا: ٨: ٣١-٤٢.

(٩) في (ب): البنوة والأبوة، وما أثبتّه من (أ).

(١٠) تكرر سهواً في (ب) قوله: (فدلّ على أنّ لفظ البنوة والأبوة تارة يراد بها حقيقتها كماضافتهم) وعليه شطب

بخط الناسخ.

(١١) في: (ب): بعلاقة الطاعة، والمثبت من (أ).

والنصارى^(١)، وسائر العالم، ولا قائل به.

ومن ذلك قوله في الفصل الخامس عشر^(٢)، وغيره من الأناجيل: (من رأي فقد [٦١/أ] رأى الذي أرسلني)^(٣)، قد يتوهم بهذا أنهما واحد؛ كما تقول النصارى، وليس كذلك؛ لأنه قد صرح غير موضع، وهو في الأرض أن أباه في السماء، واتحادهما مع ذلك مُحال لا يعقل، وإنما مجاز هذا الكلام: أن أفعالي تشبه أفعال الذي أرسلني، وأنا أمرُ بأمره^(٤)، وأنهى بنهيه، فمن رأي كأنما قد رآه؛ لأنه لا يرى إلا من يأمره وينهاه، بمثل ما أمره به وأنهاه، وهذا كما تقول لشخص: أتجب أن ترى زيداً؛ فانظر أخاه عمراً؛ للشبه الذي بينهما.

ومن ذلك قوله في السادس عشر أو السابع عشر لتلاميذه: (لا تضطرب قلوبكم، آمنوا بالله وآمنوا بي)^(٥)، وهذا يدل على تغايرهما، والنصارى يقولون: المسيح هو الله.

ومن ذلك: (أن فيلنفس^(٦) قال له: [٦٧/ب] يا سيد: أرنا الأب وحسبنا، قال له يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني يا فيلنفس؟!، من رأي فقد رأى الأب،

(١) في: (ب): للنصارى، والصواب من (أ)؛ إذ إن السياق يقتضيه فمعناه: والنصارى أيضًا يكونون أبناء الله. والله أعلم.

(٢) في (أ): عشرة، والصواب من: (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٢: ٤٥.

(٤) بأمره: ليست واضحة في: (ب).

(٥) إنجيل يوحنا: ١٤: ١.

(٦) في إنجيل يوحنا: ١٤: ٨ (فيلبس)، وهو: فيلبس أحد الرسل الاثني عشر، وكان من بيت صيدا على بحيرة طبرية، مدينة أندراوس وبطرس. التقى به يسوع (عيسى عليه السلام) أولاً في بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد، فدعاه ف تبعه. ووجد فيلبس نشأيل فجاء به إلى يسوع ثقة منه بأن مقابلة واحدة منه مع السيد تقنعه أنه هو المسيح. وهكذا كان. وبعد ذلك بسنة اختاره يسوع ليكون تلميذاً له. وعندما أراد إطعام الخمسة الآلاف امتحن أولاً فيلبس وسأله: ((من أين نبتاع خبزاً لياكل هؤلاء؟)). ويوم دخوله أورشليم متصراً جاء بعض اليونانيين يريدون مقابله، فأوصلهم فيلبس، وعندما كلم يسوع تلاميذه مبيناً لهم أنهم قد رأوا الأب لم يفهم فيلبس الكلام على ما يظهر، فقال ليسوع: ((أرنا الأب وكفانا)). ويقول يوسيبوس أن فيلبس قد دفن في هيرابوليس في آسيا الصغرى. انظر: [قاموس الكتاب المقدس (٧٠١)].

[فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟!]^(١) إِمَّا تَوْمن أنني في الأب، والأب في؟!، وهذا الذي أتكلّم به ليس من عندي، بل أبي الذي هو حالٌ فيّ، هو يفعل هذه الأفعال، آمنوا بي، أنا في الأب، والأب في^(٢) (٣).

قلت: هذا الكلام لو سُمع من الأب^(٤) الذي لا نزاع فيه، وجاءت به المرسلون أجمعون، لوجب تأويله؛ إذ ظاهره محالٌ؛ لأنّه لا يمكن أن يكون شيان كل منهما في الآخر، كما لا يمكن أن يكون كل منهما عين^(٥) الآخر، ومن يعتقد ظاهر هذا الكلام وحقيقته، فليس من العقلاء حتى يُناظر، وإذا وجب تأويله فأقرب التأويلات إليه ما ذكرناه قبل هذا بفصلٍ واحد^(٦)، وهو: أن فيه قوة إلهية، من الله سبحانه وتعالى^(٧)، يفعل بها الخوارق، فبواسطتها استجاز أن يقول: إن الأب فيّ، أي: سر الأب، وتأيده. وأنا في الأب، أي: مشتملٌ على سرّه منظورٍ عليه متضمّن له^(٨).

وكذلك قوله: بل أبي الذي هو حالٌ فيّ هو يفعل هذا، أي سرُّ أبي وتأيدُهُ حالٌ فيّ، فيكون من باب حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مجازاً، وهو مجازٌ مشهورٌ. فإن قيل على ما ذكرتموه أسئلة^(٩):

-
- (١) زيادة من: (ب). وفي نص إنجيل يوحنا: ٩: ١٤ (فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟!).
 (٢) وقع تكرار في (ب) من قوله: (وهذا الذي أتكلّم به... إلى قوله: والأب فيّ) والتصويب من: (أ) ونص الإنجيل.
 (٣) إنجيل يوحنا: ١٤: ٨-١١.
 (٤) قوله: سمع، و: الأب، ملحقه بخط الناسخ في الهامش العلوي الأيمن في: (ب) وليس واضحة تماماً.
 (٥) في (ب): (على الآخر)، والصواب من: (أ).
 (٦) له، ليست في (أ)، أثبتها من: (ب).
 (٧) ليست في (ب).
 (٨) ليست في (أ).
 (٩) في (أ) و (ب): (أسولة)، وأثبتها على قواعد الخط المعاصرة، والسؤال في اللغة: طلب الأدنى من الأعلى.
 [التعريفات (١٦٣)] وقول الطوفي: أسولة، له وجهٌ في العربية: قال ابن منظور (حكى: ابن جني سؤال وأسولة) لسان العرب [١١/ ٣٥٠].

أحدها: أنا لا نُسَلِّمُ استحالة شيئين كل واحد منهما في الآخر، ولا استحالة حلول الإله في المسيح، فما الدليل عليه؟!.

سَلَّمْنَا أَنَّهُ مُحَالٌ، لكن بالإضافة إلى عقول البشر، لا إلى قدرة الخالق، وطوره الخارج عن دائرة طور البشر، سَلَّمْنَا لَكِنْ [٦٢/أ] المجاز الذي حملتم عليه هذا الكلام بعيداً جداً، فلعلَّ هناك مجازاً أقرب منه، يُحَصِّلُ مقصودنا دونكم، فلم حصرتموه في هذا المجاز المعين؟!.

قلنا: الجواب عن الأول: أن العقل ميزان يُعرف^(١) به المحال من غيره، والعقل ببديهيته يحكم باستحالة ذلك عند كل من يُعرض عليه من العقلاء، وليس وراء البديهية حجة، فمن أنكر حكمها كان كالمرور الذي لا يجد طعم^(٢) حلاوة العسل، والأعمى الذي لا يُدرك^(٣) ضوء الشمس.

وأما استحالة حلول الإله في المسيح؛ فلأنَّ المسيح قد وصف نفسه بأنه ابنُ الإنسان، وابنُ البشر، في عدة مواضع من الأناجيل^(٤)، وابنُ البشر يكون: بشراً وإنساناً.

هذا مع أن المسيح قد شُهِد وعُيِّن على حقيقة البشر، وصفاتِ البشر، من الأعضاء والجوارح [٦٨/ب]، والأكل والشرب، واللذة والألم. ومع الجِسِّ لا حاجة إلى غيره من في ذلك. وإذا ثبت^(٥) أنه إنسانٌ وبشرٌ، فلو حلَّ الباري سبحانه فيه لكان^(٦) إمَّا مع بقائه سبحانه على حقيقته وصفته قبل الحُلُول، أو مع استحالته عن حقيقته قبل الحُلُول.

والأول: يوجبُ أنَّ الباري أصغر في الحقيقة من جُرم البشر، وهو محالٌ أن يكون

(١) في (أ) تكررت: يعرف.

(٢) طعم، ليست في (ب).

(٣) في (ب): يدري، والصواب من (أ).

(٤) انظر على سبيل المثال: إنجيل متى: ١٨: ٢٢-٢٣. ولوقا: ١٢: ٨-٩.

(٥) ثبت، ليست في (أ).

(٦) لكان، تكررت في (ب).

خالق السموات والأرض كذلك^(١).

والثاني: يوجبُ تغيُّر القديم واستحالته، وهو أيضًا باطل؛ لما ثبت في الأدلَّة الكلامية من استحالة تغيُّر القديم وتنقلُّه في الأحوال.

وما قرَّره بعضُ سفهائهم، من أنه سبحانه لمَّا أراد إنقاذَ الخلق تأنَّسَ بهم، وظهر في مظهرٍ يشاكلهم، وأنَّ الله سبحانه له مظاهرٌ يظهر فيها، تارةً في صورة كبش^(٢)، وتارةً في صورة نارٍ؛ كنار العُلَيْقة^(٣) التي كلَّم منها موسى، وتارةً في صورة ملكٍ أو بشرٍ، كما ظهر لإسرائيل وصارعه^(٤)، فكلُّ هذه خرافاتٌ، لو طولبوا بإثباتها لتعذَّر عليهم الشبهة عليها، فضلًا عن الحجة.

خرافات
سفهاء
النصارى

فإن قيل لا تُسَلِّم أنَّ ابن البشر يكون مطلقًا، بل إذا كان ابن البشر من الطرفين يكون بشرًا محضًا^(٥) مطلقًا، إمَّا من أحد الطرفين فلا يكون كذلك، وحيثُ يُدعى بحلول البارى فيه من الجهة التي ليس هو منها بشرًا؛ قلنا: الجواب من وجهين: أحدهما: أنَّ جهته التي ليس هو منها بشرًا عندكم؛ هي: حلول البارى فيه، أو كونه هو الله، فلو كان حلول الله فيه من هذه الجهة^(٦) لزم أن يقال: إنَّ حلولَ الله فيه؛ من جهة حلول الله

(١) من قوله: يوجب.. إلى: كذلك، كُتب في (ب) في هامش الصفحة الأعلى اليسرى وفيه عدم وضوح، واضطراب، وتقديم وتأخير، والمعتمد ما في (أ).

(٢) تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فالأبدان تقشعر من قراءة مثل هذه. والحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان.
(٣) العليق الشجرة التي أنس موسى ﷺ منها النار، قاله ابن سيده. وقيل: إنها العوسج، والعوسج، إذا عظم، قيل له الغرقد. وفي الحديث أنه شجر اليهود، فلا ينطق، يعني إذا نزل عيسى ﷺ، وقتل اليهود فلا يختبئ أحد منهم خلف شجرة، إلا نطقت وقالت: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق.

[حياة الحيوان (١٣/٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٣)]

(٤) إسرَائِيل: معنى هذا الاسم العبري: يجاهد مع الله، أو: وقد أطلق هذا الاسم في الكتاب المقدس على.. يعقوب؛ إذ أطلق عليه الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر في فتوئل في مخاضة يوق.. هكذا يصور الكتاب المقدس الله تعالى، وفي الحقيقة هذا الاسم يعني عندهم: (أصرع ليل).. ويعنون به الله جل وتعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا..

[قاموس الكتاب المقدس (٦٩)] وانظر: [الله جل جلاله، د: محمد البار].

(٥) المَحْض: بوزن الفللس اللبن الخالص الذي لم يخالطه الماء حلواً كان أو حامضاً [مختار الصحاح (٦٤٢)].

(٦) في (أ) (الحجة) والصواب من (ب).

فيه، أو ^(١) من جهة أنه الله. وهذا كلام لا حاصل له، ولا يُعقل.

الثاني: [٦٣/أ] أَنَّ ما ذكرتم يوجب أَنَّ المسيح مركَّب من الإلهية والبشرية، فيقال لكم: إمَّا أن تعتمدوا في هذه الدعوى على الحسَّ والمشاهدة، والعادة المتعارفة في الوجود، أو على قدرة الله تعالى ^(٢) الأزلية، التي لا يُعجزها شيء، وأسراره التي لا تدركها العقول.

فإن اعتمدتم على الأوَّل؛ لزم أن يكون الله - سبحانه وتعالى عمَّا تقولون - قد وطئ مريم وأحبلها؛ كإحبال الأدميين للأدميات، حتى جاء ^(٣) عيسى مركَّبًا من الإله والبشر؛ لأنَّا لا نرى في الموجودات المحسوسة، مولودًا مركَّبًا من جنسين، أو نوعين، إلَّا عن وطئ وإحبال، كما في البغل المتولد بين الحمار والفرس، والسمَّع، والعسبار ^(٤)؛ المتولدين من بين جنس الذئب والضبع ^(٥).

وإن اعتمدتم على الثاني؛ فقد أبعدتم الشُّقة، وركبتم التعاسيف الشنيعة، والمفاوز المهلكة، وما ندعوكم إليه أقرب.

فإنَّا قلنا: إنَّ المسيح مؤيَّد بقوة إلهية من الله [٦٩/ب] سبحانه، ويفعل بها الخوارق؛ كسائر النبيين من ^(٦) قبله، وإن كان هو أرجحَّ منهم في ذلك؛ لفضل عناية الله به ^(٧).

(١) أو: ليست في (أ)، والمثبت من (ب).

(٢) تعالى، ليست في (ب).

(٣) في: (ب): صار، والصواب من (أ).

(٤) العسبار: قيل بين الضَّبِّ والذَّئْب، وهو ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر.

[فقه اللغة (٢٤٥) حياة الحيوان الكبرى (١/٤٨٢) .]

(٥) عن ابن أبي عمار قال قلت لجابر: الضبع أصيد هي؟ قال: نعم، قال: قلت: آكلها؟ قال: نعم! قال: قلت: أقاله رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال علي بن المديني، قال يحيى بن سعيد وروى جرير بن حازم هذا الحديث فقال عن جابر عن عمر وحديث ابن جريج أصح وهو قول أحمد وإسحق والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم في المحرم إذا أصاب ضبعًا أن عليه الجزاء [سنن الترمذي. كتاب الحج. باب: ما جاء في الضبع يصيبها المحرم (٧٧٩)].

(٦) من، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٧) به، ليست في (أ).

وأسندنا ذلك إلى القدرة الأزليّة التي لا يعجزها شيء، واسترحنا من الشناعات، والبشاعات، وما أطبق عليها العالم من التضليل لكم، والتعديم لعقولكم.

وعن الثاني من وجهين:

أحدهما: أَنَّ الْعَالَمَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَحَالَ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْمَقْدُورِ، ولهذا تأولوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠] ^(١) على أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْأَشْيَاءُ الْمُمْكِنَةُ، ومع هذا فقولكم محالّ بالإضافة إلى عقول البشر، لا إلى قدرة الله ^(٢) الخالق تعالى ^(٣)، لا معنى له ولا طائل.

وأيضاً فنحن؛ إِنَّمَا نَحْنُ مُخَاطَبُونَ مِنْ جِهَةِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ، بمقتضى ما تدركه عقولنا، إِنَّمَا الطُّورُ الْخَارِجُ عِنْدَ دَائِرَةِ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلَمْ نُكَلِّفْ إِدْرَاكَهَ وَالْبِنَاءَ عَلَيْهِ، بَلْ كَلَّفْنَا الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَنَا مِنْهُ، إِذَا لَمْ نَجِدْ عَنْهُ مَدْوَحَةً، فَتَكْلِيفُنَا إِدْرَاكَ مَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ عُقُولِنَا تَكْلِيفٌ مَا لَا يَطَاقُ، وَأَنْتُمْ لَا تَقُولُونَ بِهِ.

الثاني: أَنَّ هَذَا مِمَّا يَفْتَحُ بَابَ السَّفْسُطَةِ ^(٤)؛ لِأَنَّهُ يُسَوِّغُ لِكُلِّ وَاحِدٍ دَعْوَى الْمُحَالِ، وَيَقُولُ هَذَا مُمْكِنٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٥)، وَالطُّورُ الْخَارِجُ عَنْ عُقُولِ الْبَشَرِ.

ويلزم من هذا: أَنَّ ثَلَاثَةً مِنَ النَّاسِ لَوْ جَاءُونَا؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، وَقَالَ ^(٦) الْآخَرُ: أَنَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَقَالَ ^(٧) الْآخَرُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،

(١) ومواضع كثيرة من القرآن.

(٢) لفظ الجلالة: الله، ليس في (ب) والمثبت من (أ).

(٣) تعالى، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

(٤) مذهب يوناني، سماه ابن رشد بالمغالطات في الألفاظ والمعاني. (انظر: تلخيص السفسطة. ابن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥ هـ). تحقيق: محمد سليم سالم. مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢ م).

(٥) ليست في (ب).

(٦) قال، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

(٧) قال، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

ونحن رسلُ الله، بعثنا الله لصلاح هذه الأمم [٦٤/أ]، وجمع كلمتها، فقلنا لهم: إن إرسال هؤلاء بعد انقضاء عصرهم، وقبل الوقت المعلوم لإرسالهم، وإحياء الميت منهم مُحالٌ، فلا نصدقكم!، فتقولون: هذا مُحالٌ بالإضافة إلى عقول البشر، لا إلى قدرة الله سبحانه، فأمنوا بنا؛ لما كان لنا حجةٌ، ندفعهم بها؛ مع فتحكم لهذا الباب.

وعن^(١) الثالث: عليكم بيان المجاز الأقرب؛ لتنظر فيه، وإلا فنحن لم نحضرنا سوى ما ذكرنا. والله أعلم بالصواب.

ومما يوجب تأويل الكلام المذكور قوله بعده: (إني سوف أجيئكم عن قليل، والعالم ليس يروني، وأنتم تروني^(٢))، إنني حيٌّ وأنتم أحياء في ذلك اليوم، تعلمون أنني في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم^(٣).

فإنه إن لم يتأول لزم من هذا أن يصير الكل في ذلك اليوم هريسةً مضروبةً^(٤)!، ولا حاجة لنا إلى التطويل.

ومن ذلك قوله: (إني منطلقٌ وعائدٌ إليكم، لو كنتم [٧٠/ب] تحبوني لكنتم تفرحون بمضيي إلى الأب؛ لأنه أعظمُ مني)^(٥).

فقلوه: أعظمُ مني يدلُّ على تفايرهما؛ لأنَّ (أفعل) التفضيل؛ لا يكون إلا بين اثنين فصاعدًا، ولا يكون الشيء أعظمَ من نفسه، وهذا يُبطل قولهم: إنَّ المسيح هو الله.

ومن ذلك قوله: (أثبتوا فيّ، وأنا فيكم، كما أنَّ الغُصن لا يطبق أن يأتي بالثمار من

(١) في: (أ): ومن، والصواب من: (ب).

(٢) وأنتم تروني، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٤: ١٨-٢٠.

(٤) تهكم أيضًا بالنصاري؛ لتصديقهم مثل هذه الأباطيل ونسبتها إلى عيسى عليه السلام، ومن إنصاف الطوفي رحمة الله عليه أشار إلى الخروج من مأزقهم هذا بتأويل هذا الكلام، قبل أن يختلط الحابل بالنابل! كما يفهم من قوله والهريسة: أكلة معروفة سميت الهريسة هريسةً لأنَّ البئر الذي هي منه يدق ثم يطبخ ويسمى صانعه هريسةً.

[لسان العرب (٦/٢٤٧)].

(٥) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٨.

عنده، إِنْ لم يَنْبِت في الكرمة، كذلك أَنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ إِنْ لَمْ تَنْبِتُوا فِيّ، أَنَا هُوَ الْكَرْمَةُ! وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ، مَنْ يَنْبِت فِيّ وَأَنَا فِيهِ؛ فَهُوَ يَأْتِي بِشَمَارٍ كَثِيرَةٍ، وَبِغَيْرِي لَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا شَيْئًا^(١).

قُلْتُ: قَدْ بَيَّنَّ هَذَا الْكَلَامُ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ قَبْلَ^(٢): (إِنِّي مِنْ أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيّ، وَأَنَا فِيكُمْ)^(٣)، وَأَنْ مَعْنَاهُ: أَنَّ مَادَّتِي فِيمَا أَفْعَلُ مِنْ أَبِي، وَمَادَّتْكُمْ مِنِّي، وَلِهَذَا يَقُولُ: (أَنَا كَرْمَةُ الْحَقِّ، وَأَبِي الْغَارِسُ، وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ)^(٤)، وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ، فَإِنَّ الْمَسِيحَ ^{معنى البرقليط} اسْتَمَدَّ الْقُوَّةَ مِنَ اللَّهِ بِوَسْطَةِ رُوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يَمْدُّ بِهِ التَّلَامِيذَ، وَيَسِيرُهُمْ فِي الْبِلَادِ، يُظْهِرُونَ الْخَوَارِقَ وَالْمُعْجَزَاتِ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: (فَإِنْ لَمْ يَنْبِت أَحَدٌ فِي طَرْحٍ خَارِجًا، مِثْلَ الْغُصْنِ الَّذِي يَحِفُّ، فَيَأْخُذُونَهُ، وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ)^(٥)، وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ قَصَدَ اللَّهُ مِنْكُمْ بَغِيرَ طَرِيقِي، وَجَعَلَ تَأْدِيبَهُ مِنْ غَيْرِي؛ هَلَكَ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ هَذَا كَلَامًا، أَزَالَ بِهِ اللَّبْسَ؛ تَرَكْتُ نَقْلَهُ لَطَوْلِهِ! وَمِنْ ذَلِكَ: [٦٥/أ] أَنَّهُ ذَكَرَ الْبَرْقَلِيطَ^(٦) فِي مَوَاضِعَ، وَأَبَيَّنُ مَا ذَكَرَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: (وَالْفَارْقَلِيطُ: رُوحُ الْقُدُسِ، الَّذِي يَرْسِلُهُ أَبِي بِاسْمِي، هُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ يَذْكُرُكُمْ كُلَّمَا قَلَبْتُ لَكُمْ)^(٧).

(١) إنجيل يوحنا: ١٥: ٤-٥.

(٢) قبل، ليست في (أ)، وأثبتناها من (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٠.

(٤) إنجيل يوحنا: ١٥: ٥.

(٥) إنجيل يوحنا: ١٥: ٦.

(٦) لم أجد هذا اللفظ في النسخ الحديثة للإنجيل، ووردت إشارة في إنجيل يوحنا بلفظ المعزي، إلى النبي ﷺ: (١٦: ١٤): (وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ فَيُعْطِيكُمْ مَعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ). والمعزي: الجاد في أمره، أو في أمر الله وجاء في لسان العرب (ذكر عن كعب أنه قال أسماء النبي ﷺ في الكتب السالفة محمد وأحمد والمتوكل والمختار وحمياط ومعناه حامى الحرم وفارقليطا أي يفرق بين الحق والباطل) [لسان العرب (٧/ ٢٧٦)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٤٨)].

(٧) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٦. في الترجمات الحديثة: (١٤: ٢٦): (وَأَمَّا الْمَعْزِيُّ الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سِيرَ سُلُوكَهُ الْأَبُ بِاسْمِي فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذْكُرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ) مما يدل على التحريف المتعمد؛ إذ النسخة التي نقل منها الطوفي تثبت لفظ (البارقليط)؛ ولعلمهم بأنه لا يمكن أن ينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ أخفوه واستبدلوه عمدًا.

وحيث يقول: (إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنني إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم) ^(١).

وحيث يقول: (إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنني إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، وإذا جاء ذلك فهو يوتخ العالم على الخطيئة، وعلى الحكم، إمّا على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي، وإمّا على الحكم فلأن أركون ^(٢) هذا العالم يُدان) ^(٣).

البشارات
بالنبي
ﷺ في
كتب أهل
الكتاب

ثم قال: (إذا جاء روح الحق ذلك فهو يرشدكم على جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما ^(٤) يسمع، ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني؛ لأنه يأخذ مما هو في ويخبركم) ^(٥).

قلت: فقد حصّص الحق بهذا الكلام، وأن هذا بشارة ^(٦) من المسيح؛ بمحمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ^(٧)؛ لأنه لم يأت بعد المسيح من ادعى النبوة؛ ومجد

(١) إنجيل يوحنا: ١٦: ٧-١١.

(٢) في كلا النسختين (أ، ب): يكون، والصواب ما أثبتته، والأزكون: العظيم من الدهاقين، والأزكون رئيس القرية وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه: دخل الشام فأتاه أزكون قريّة فقال له: قد صنعت لك طعامًا. (رواه محمد بن إسحق عن نافع عن أسلم) وأزكون القرية رئيسها ودفقائها الأعظم. [لسان العرب (١٣/ ١٨٥)].

(٣) إنجيل يوحنا: ١٦: ٧-١١. واستبدلوا بكلمة: البرقليط، كلمة: المعزي، في جميع الترجمات الحديثة وقد بيّنا ذلك سابقًا.

(٤) في (أ) و(ب): (كلما) والصواب ما أثبتته.

(٥) إنجيل يوحنا: ١٦: ١٣-١٤.

(٦) في هامش: (أ): مطلب: (بشارة عيسى بمجيء محمد بعده).

(٧) في (ب): (عليه السلام) وما أثبتته من (أ). والبشارات بنبينا ﷺ كثيرة جدًا في كتب أهل الكتاب. جاء في إنجيل برنابا: (فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها ((لا إله إلا الله ومحمد رسول الله))، ففتح حينئذ آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبأني ما معنى هذه الكلمات ((محمد رسول الله))، فأجاب الله: (مرحبا بك يا عبدي آدم، واني أقول لك أنك أول إنسان خلقت، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطى نورا للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا) فضرع آدم إلى الله قائلاً: (يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي) فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصه ((لا إله إلا الله))، وعلى =

عيسى، وبالغ في تمجيده، وصدقه في نبوته، وويخ العالم على خطيئة الكفر، [٧١/ب] وقتل اليهود، وعيرهم على تكذيب عيسى، وقبح^(١) عبادة الأوثان، وأخبر بأن الناس يُدانون يوم القيامة، ويحاسبون، وعلم الناس حسن الآداب، ومكارم الأخلاق، وظهر ناموسه واشتهر في البدو والحضر، كظهور نوااميس الأنبياء قبله؛ إلاَّ محمد^e.

وإن لم يكن هو الذي أشار إليه المسيح؛ لزم القدح في صدق وعده^(٢)؛ لأنَّه من المحال عادة إن عاد أحدٌ يظهر بما ظهر به محمد؛ ويتم له ذلك؛ لكونه أخبر بأنَّه خاتم النبيين، ولا نبي بعده إلاَّ مُدَّعٍ كذاب^(٣)، ولتوافر أُمته، وعلو كلمته، من ادَّعى ذلك أُنْخِدت جمرته وكُسرت شوكتُه، فمن ضرورة إثبات صدق المسيح القولُ بنبوة محمد ﷺ، وقد شهد له بأنَّه روح الحق، وأنه يرشدكم إلى جميع الحق، وأنَّ ما يخبر به هو من عند الله، لا من عنده، وأنه يُمجِّدُه، ولهذا كان محمد ﷺ أشدَّ الناس

= ظفر إيهام اليد اليسرى مانصه ((محمد رسول الله))، فقبل الإنسان الأول بحنو أبوي هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال: (بورك ذلك اليوم الذي سيأتي فيه إلى العالم) فلما رأى الله الإنسان وحده قال: (ليس حسناً أن يكون وحده) فلذلك نومه، وأخذ ضلعا من جهة القلب، وملا الموضع لحما، فخلق من تلك الضلع حواء، وجعلها امرأة لآدم، وأقام الزوجين سيدي الجنة، وقال لهما: (أنظروا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلانه خلا التفاح والحنطة) ثم قال: (احذروا أن تأكلتا شيئا من هذه الأثمار، لأنكما تصيران نجسين، فلا اسمح لكما بالبقاء هنا بل أطردكما ويحل بكم شقاء عظيم) [إنجيل برنابا (١٠٨-١٠٩) الفصل التاسع والثلاثون].
انظر: [هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى] من (١٨٠-٢٦٩) طبعة: أحمد عبد القادر الرفاعي.
الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/٢٤٨-٢٥٦) فقد أطال الطوفي رحمة الله عليه في إثبات ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، وانظر: النصوص الواردة بالبشارة بالنبي ﷺ في إنجيل برنابا، ترجمه من الإنجليزية إلى العربية، الدكتور: خليل سعادة، تحقيق: الشيخ الدكتور: أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥م، مكتبة دار الأمل، إربد، الأردن. وإنجيل الديداعي (٧)، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٥م، دار البروج، القاهرة لإنجيل جديد، مُكتَشَفٌ في أورشليم، يحتوي على عشرين بشارَة بسيدنا محمد ﷺ، وهو بتحقيق الدكتور الشيخ: أحمد حجازي السقا، وقد أثبت من كلام النصارى أن الديداعي أقدم في الزمان من الأنجيل الأربعة. و البشارات العجائب، في صحف أهل الكتاب، ٩٩ دليلاً على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مكتبة المنار الإسلامية، بالكويت، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان. [.

(١) وقبح، ليست في (ب).

(٢) أي: وعد عيسى ﷺ.

(٣) في (أ): (كاذب).

العادات، وإظهار المعجزات، قلنا: الجواب عن ذلك^(١) من وجهين:
أحدهما: أنه لا يصحُّ حملُه على ما أُيد به التلاميذ؛ لأنَّ من المعلوم عندكم أنَّ
التلاميذ أعطاهم ذلك المسيح، في حال حياته قبل صُعوده، وهو بينهم، وهو ههنا
يقول: إنَّ لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فكيف يصحُّ أن يُقال: أنَّ الفارقليط أتاها
قبل صعود المسيح، ولم يأتهم إلا بعده؟!، هذا تناقض. وأمَّا قولكم: ليست هذه من
صفات محمد.

قلنا: هي من صفات جبريل، وهو روح القدس [٧٢/ب] الذي بشر زكريا
بيوحنا^(٢)، كما نُصَّ عليه في^(٣) الإنجيل^(٤)، فإنَّ العالم لا يرونه^(٥) ولا يطيقون
قتله، ولم يدعْ أحدٌ أنه نزل عليه جبريل، وتم له أمره، وظهر ناموسه إلاَّ محمد، فيلزم
من ذلك صدقُه بمقتضى وعد المسيح، وضرورة صدقه. فإنَّ قيل: هذه وإن كانت
صفاته؛ لكنَّ قوله: لِيُثَبَّتْ معكم إلى الأبد، ليس من صفاته؛ لأنَّ جبريل ليس معنا إلى
الأبد. وكذلك قوله: لَأَنَّهُ^(٦) مقيمٌ عندكم، وهو فيكم.

قلنا: وكذلك روحُ القدس، ليس مع التلاميذ إلى الأبد، ولا^(٧) هو مقيمٌ بين
النصارى، وإنَّما^(٨) هذا إشارة إلى بقاء الناموس، الذي جاء به جبريل إلى محمد، أو
إلى بقاء محمد مقبوراً بين أهل الأرض، فإنَّه كذلك إلى يوم القيامة، ثم يكونُ حيًّا
بين من اتَّبعه إلى الأبد، وذلك بخلاف أمر^(٩) المسيح، فإنه صعدَ إلى أبيه، وجلس

(١) عن ذلك، ليست في (ب).

(٢) يوحنا هنا هو: نبي الله، يحيى بن زكريا ﷺ.

(٣) في، ليست في: (ب).

(٤) في لوقا: ١: ١٣ (فقال له الملاك لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت، وأمرأتك اليصابات ستلد لك ابناً و
تسميه يوحنا).

(٥) في (ب) لا يرونه.

(٦) لأنه، ليست في (أ).

(٧) لا، ليست في (ب).

(٨) في (ب): ثم.

(٩) أمر، ليست في (ب).

عن يمينه، عندكم^(١).

الوجه الثاني: أن كل ما في الإنجيل عندكم حق وصدق، ونحن فلا^(٢) اعتماد لنا عليه إلا بطريق الإلزام لكم، وإلا فحُجَّجْنَا غَيْرُهُ كَثِيرَةٌ عَلَى الْمَطْلُوبِ. وإذا عُرف هذا فأكثُر ما في الباب، أن ما ذكرتموه وذكرناه، من ذكر المسيح للفارقليط، لا يُمكن الجمع بينهما؛ لكن الواجب العمل بالكلام الحق، ولا يُلغى منه شيء، ما أمكن السبيل إلى ذلك.

فالواجب بمقتضى هذه القاعدة أن يُحكَمَ باشتراك الفارقليط^(٣) [٦٧/أ] بين محمد ﷺ وبين ما ذكرتموه، مما أيد به التلاميذ، فيكون ما ذكرناه دالاً على [نبوة محمد، وما ذكرتموه دالاً على]^(٤) تأييد التلاميذ، ويحصل لنا المقصود، وإن أبيت هذا دخلتم في أبواب العناد والبغي؛ لأننا ما تركنا لكم حجة ولا علة، والله أعلم. ومن ذلك في قوله في الفصل السابع عشر: (إنك أنت إله الحق وحدك، والذي أرسلت يسوع المسيح، أنا أمجدك على الأرض)^(٥).

قلت: فقد وحد الله في هذه الحال، مع أنه في الأرض، والإله في السماء، فوجب أن يكون الإله الآن كاملاً في السماء، وأن المسيح ليس هو، هو، ولا أقنوماً منه، وذلك مناف لما يقوله النصارى، وقد سبق هذا البحث، وإنما أثبت المسيح لنفسه الرسالة، وأما ما ادَّعاه من البُتُوَّة إن صحَّ عنه؛ فتأويله ذكرناه غير موضع.

(١) في إنجيل متى: ٢٢: ٤٤ (قال الرب لربي: اجلس عن يميني؛ حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك) وفي إنجيل لوقا: ٢٠: ٤٢ (و داود نفسه يقول: في كتاب المزامير، قال الربُّ لربي: اجلس عن يميني) وفي ٢٢: ٦٩ (منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله). وفي إنجيل مرقس: ١٢: ٣٦ (لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي: اجلس عن يميني؛ حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك). وانظر فيه أيضاً: ١٤: ٦٢، و١٦: ١٩. وغيرها

(٢) فلا، في (ب): لا اعتماد.

(٣) الفارقليط، ليست في (أ).

(٤) ما بين المعقوفتين، ليست في (أ).

(٥) إنجيل يوحنا: ١٧: ٣-٤.

ومن ذلك في الفصل التاسع عشر: (أَنَّ الْمَسِيحَ لَمَّا قَامَ مِنَ الْقَبْرِ قَالَ لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلَانِيَّةِ: امْضِي إِلَى إِخْوَتِي، وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي صَاعِدٌ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ، وَالْهَيَّ وَالْهَكُم)^(١).

قلت: فقوله: أبي وأبيكم، يدلُّ على أَنَّ الأُبُوَّةَ كِنَايَةٌ عَنِ الرَّبُوبِيَّةِ؛ لِتَشْرِيكَهِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ التَّلَامِيذِ فِيهَا. وقوله: والهي والهكم، يفيد ذلك أيضًا؛ لِأَنَّ الإِلَهَ هُوَ الرَّبُّ وَالْمَالِكُ [٧٣/ب]، وَلَمْ نَعْهَدْ أَحَدًا يَمْلِكُ ابْنَهُ مَلَكًا حَقِيقِيًّا.

ومن ذلك: (أَنَّ تَوْمًا^(٢)، أَحَدَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، كَانَ غَائِبًا عَنِ التَّلَامِيذِ، فَظَهَرَ لَهُمُ الْمَسِيحُ بَعْدَ قِيَامِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَلَمَّا جَاءَ تَوْمًا؛ أَخْبَرُوهُ بِظُهُورِ الْمَسِيحِ لَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ لَمْ أَبْصُرْ فِي بَدْنِهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَجْعَلَ أَصْبَعِي فِي مَوْضِعِ الْمَسْمَارِ، وَأَتْرَكَ يَدِي فِي جَنْبِهِ؛ لَا أَؤْمِنُ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ الْمَسِيحُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَرَاهُ^(٣) مِنْهُ مَا أَرَادَ وَقَالَ لَهُ: كُنْ مُؤْمِنًا وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ)^(٤).

قلت: وَقَدْ بَيَّنَّا مَا فِي هَذَا، مِنْ نَسَبَةِ [التَّلَامِيذِ]^(٥) إِلَى عَدَمِ تَصَدِيقِ الْمَسِيحِ الصَّادِقِ، فِيمَا كَانَ وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ عَوْدِهِ إِلَيْهِمْ. وَاسْتَوْفِينَا الْكَلَامَ عَلَيْهِ.

وهذا آخر التعليق، على إنجيل يوحنا بن زبدي، وبتمامه تم: التعليق على الأناجيل الأربعة.



(١) إنجيل يوحنا: ٢٠: ١٦-١٧.

(٢) اسم آرامي معناه: تَوْمًا، أَحَدَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولًا، وَكَانَ يُسَمَّى التَّوَامَ وَالظَّاهِرَ أَنَّهُ كَانَ ذَا مَزَاجٍ سَوْدَاوِيٍّ. [قاموس الكتاب المقدس (٢٢٦)].

(٣) في: (ب): فَأَرَاهُ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ (أ).

(٤) إنجيل يوحنا: ٢٠: ٢٤-٢٧.

(٥) فِي كِلَا النُّسَخَتَيْنِ: (أ) وَ (ب): الْأَنْبِيَاءُ، وَفِي الْهَامِشِ فِي: (أ): صَوَابُهُ التَّلَامِيذُ، وَهُوَ مَا أُثْبِتَ هُنَا؛ كَوْنُهُ أَلَصَقَ بِالسِّيَاقِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى.

البرهان على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ

ولنختم ذلك ببيان البرهان على صحة نبوة نبينا محمد ^(١)؛ إذ كان هؤلاء الجهال الضالّال ينكرونها، ولكنّ جديرٌ بعقولٍ تصدّق بالباطل أن تُنكِر الحقّ، [٦٨/ أ] ولنا على ذلك براهين، ولكن نقصر هنا على برهانٍ واحدٍ، واضحٍ للخاص والعام، قريبٍ إلى أذهان العلماء والعوام، وتقريره ^(٢)؛ أن نقول: إنّ محمدًا ﷺ لا يخلو؛ إمّا أن يكون ملكًا ماحقًا، كما زعمت اليهود والنصارى، حيث قالوا: جاء بالسيف بلا حجةٍ إلهية، أو نبيًا صادقًا، لكنه ليس ملكًا ماحقًا؛ فلزم أن يكون نبيًا صادقًا، وإنما قلنا: إنّهُ ليس ملكًا ماحقًا؛ لأنّا نقول: كلّ ملكٍ ماحقٍ لم تبقْ دولته وناموسه، الذي أقامه بالسيف بعد موته، بل انقرضت دولهم ونواميسهم بموتهم، ومحمدٌ ^(٣) لم ينقض ناموسه بموته؛ بل له اليوم سبعمائة سنة وسبع سنين! ^(٤)، وهو كلّما جاء في ظهور وانتشار، وهو كذلك إن شاء الله حتى الساعة، فيتّج أنّ محمدًا ﷺ ليس ملكًا ماحقًا. وإنما قلنا: إنّ كلّ ملكٍ ماحقٍ انقرضت دولته بموته ^(٥) بالاستقراء التام، وهو يفيد العلم القاطع، فإنّ ملوك الدنيا منذ خلق آدم، إلى يومنا هذا لم يمت ملكٌ منهم إلّا وانقرض ^(٦) ناموسه بموته؛ كالضحّاك ^(٧)،.....

(١) في هامش: (أ): مطلب في تمام التعليق على الأنجيل الأربعة.

(٢) في (أ): نقرره، والصواب من (ب).

(٣) وسلم، ليست في (أ)، وأثبتها من (ب).

(٤) في هذا القول تاريخ لكتابة الطوفي كتابه هذا، وأنه سنة (٧٠٧ هـ) والله تعالى أعلم.

(٥) بموته، ليست في: (أ)، وأثبتها من (ب).

(٦) مقابلها في الهامش في (أ) كتب: صوابه: أهبط، والصواب ما أثبتّه.

(٧) أهل اليمن يدعون أنّ الضحّاك منهم، وأنه أول الفراعنة، وكان ملك مصر لما قدمها إبراهيم الخليل، والفرس تذكر أنه منهم وتنسبه إليهم وأنه: يوراسب بن أرونداسب... ومنهم من ينسبه غير هذه النسبة، وزعم أهل الأخبار أنه ملك الأقاليم السبعة، وأنه كان ساحرًا فاجرًا. إنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق. وقال بعضهم: كان ملكه ستمائة سنة، وكان عمره ألف سنة، وإنه كان في باقي عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره، وقيل: كان ملكه ألف سنة وكان عمره ألف سنة ومائة سنة. [الكامل لابن الأثير (١/ ٢٣-٢٥)].

وأفريدون^(١)، ومن كان في زمانهما، وقبلهما، وبعدهما كالإسكندر^(٢) وملوك الطوائف^(٣)، وأكاسرة الفرس، وقياصرة الروم^(٤)، وتتابعة^(٥) اليمن، ونجاشي الحبشة^(٦)،

(١) هو أفريدون بن اثغيان، وقد زعم بعض نسابة الفرس أن نوحاً هو أفريدون الذي قهر الضحّاك وسلبه ملكه، وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز، وأما باقي نسابة الفرس فإنهم ينسبون أفريدون إلى جم شيد الملك، وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى اثغيان خوفاً من الضحّاك، وكان أفريدون أول من ذلّل الفيلة وامتطأها وتجنّ البغال واتخذ الإوز والحمام وعلم الترياق ورذّ المظالم وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، ورذّ على الناس ما كان الضحّاك غصبه من الأرض وغيرها إلّا ما لم يجد له صاحباً فإنه وقفه على المساكين.

(٢) ذو القرنين الثاني فهو إسكندر بن فيليس بن مصريم.. لمقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل (أي الإسكندر المذكور في القرآن الكريم فذاك مؤمن وهذا كافر) كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذلّ ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. [البداية والنهاية (٢/ ١٢٥)].

(٣) ملوك الفرس بعد الإسكندر في العراق، واختلف العلماء في عددهم وهم كثر. [تاريخ الأمم والملوك (١/ ٢٣٦-٢٣٨)].

(٤) كانت العرب تسمي كل من ملك الفرس (كسرى)، ومن ملك الحبشة (النجاشي)، وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن (بليقيس) كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة (قيصر).. و (فرعون) علم لمن ملك مصر كافة، و (المقوقس) لمن ملك الإسكندرية. و (تبع) لمن ملك اليمن والشحر، و (بطليموس) لمن ملك اليونان وقيل: الهند. و (خاقان) لمن ملك الترك. [البداية والنهاية (٢/ ١٩٢) صحيح السيرة النبوية (١٨٢) الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن].

(٥) في (ب): (تتبايعه) وهم ملوك اليمن، وانظر الحديث عنهم في: [الكامل في التاريخ (١/ ١٤٣)].

(٦) ملوك الحبشة، ومنهم: أَصْحَمَةُ، مَلِكُ الْحَبَشَةِ، مَعْدُوْدٌ فِي الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَانَ يَمُنُّ حَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَلَمْ يُهَاجِرْ، وَلَا لَهُ رُؤْيَةٌ، فَهُوَ تَابِعِيٌّ مِنْ وَجْهِ، صَاحِبٌ مِنْ وَجْهِ، قَدْ تُوفِّيَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى عَلَيْهِ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْغَائِبِ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صَلَّى ﷺ عَلَى غَائِبٍ سِوَاهُ. وَسَبَّ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ قَوْمٍ نَصَارَى، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ كَانُوا مُهَاجِرِينَ عِنْدَهُ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَامَ خَيْبَرَ لَمَّا تُوفِّيَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلنَّاسِ: (إِنَّ أَخَا لَكُمْ قَدْ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ). فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الصَّخْرَاءِ، وَصَنَعَهُمْ صُفُوفًا، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ. فَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ..

[سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٣-٣٩١)].

وملوك العرب، كجذيمة الأبرش^(١)، والنعمان بن المنذر^(٢)، وآبائه، وعمرو بن هند^(٣)، وغير هؤلاء، ولا [٧٤/ب] من ملوك المغرب والمشرق، ممن لا يحصى كثرة. وإنما قلنا: إنَّ محمدًا لم ينقرض ناموسه بموته؛ فلمشاهدة العيان، الذي لا يحتاج إلى إقامة برهان فإن قيل: ما ذكرتموه: صحيحٌ من جهة الطرد، لكنه فاسدٌ من جهة العكس^(٤)، فإنَّ من الأنبياء من انقرض ناموسه وليس بملك؛ قلنا:

(١) جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيًا، وأبعدهم مغازًا، وأشدَّهم نكاية، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق، وضمَّ إليه العرب، وغزا بالجيوش، وكان به برص فكنى العرب عنه، فقيل: الوصاح، والأبرش، إعطامًا له، ويعود في أبناء مالك بن فهم بن غنم، بن زهران من الأزد. [الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/١١٥)]، والنتيئة في تاريخ أنساب زهران (٣) علي بن محمد بن معيض سدران الزهراني، ط ١٤١٥ هـ مطابع الشاطيء الحديثة بالدمام.

(٢) النعمان ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. [تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/٢٥٩)].

(٣) عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة، وكان يلقب مضرب الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته، وأمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن أكل المرار، وهي عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث. [انظر سيرته في: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/١٨٩)].

(٤) الطرد ما يوجب الحكم لوجود العلة وهو التلازم في الثبوت، العكس في اللغة عبارة عن رد الشيء إلى سنته أي على طريقه الأول مثل عكس المرأة إذا ردت بصرك بصفائها إلى وجهك بنور عينك وفي اصطلاح الفقهاء عبارة عن تعليق نقيض الحكم المذكور بنقيض علته المذكورة رداً إلى أصل آخر كقولنا ما يلزم بالنذر يلزم بالشروع كالحج وعكسه ما لم يلزم بالنذر لم يلزم بالشروع فيكون العكس على هذا ضد الطرد، وهو التلازم في الانتفاء بمعنى كلما لم يصدق الحد لم يصدق المحدود وقيل العكس عدم الحكم لعدم العلة، والعكس المستوي هو عبارة عن جعل الجزء الأول من القضية ثانياً والجزء الثاني أولاً مع بقاء الصدق والكيف بحالهما كما إذا أردنا عكس قولنا كل إنسان حيوان بدلنا جزأيه وقلنا بعض الحيوان إنسان أو عكس قولنا لا شيء من الإنسان بحجر قلنا لا شيء من الحجر بإنسان، وعكس النقيض هو جعل نقيض الجزء الثاني جزءاً أولاً ونقيض الأول ثانياً مع بقاء الكيف والصدق بحالهما فإذا قلنا كل إنسان حيوان كان عكسه كل ما ليس بحيوان ليس بإنسان. [التعريفات (١٨٣ و ١٩٨) وانظر الكلام عنه مبسوطاً في: المستصفى في علم الأصول (٣١٥-٣١٧) لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية - بيروت].

ذلك من جهة نسخ الشرائع^(١)، لا من جهة الانقراض بالموت. والله أعلم بالصواب.



(١) قال ابن حزم رحمه الله عليه (نسبهم البداء إلى الله عز وجل، وحاش لله من ذلك، والعجب من إنكار من أنكر منهم النسخ بعدهذا، ولا نكرة في النسخ؛ لأنه فعل من أفعال الله، أتبعه بفعل آخر من أفعاله مما قد سبق في علمه كونه كذلك، وهذه صفة كل ما في العالم من أفعاله تعالى. وأما البداء فمن صفات من يهيم بالشيء ثم يبدوله غيره، وهذه صفة المخلوقين لا صفة من لم يزل لا يخفى عليه شيء يفعل في المستأنف) [الفصل في الملل والنحل (١/١٢٦)] وانظر للتوسع في هذا الأمر: [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٦٢)، و(٤/٦٤)].

التعليق من مصحف أشعيا^(١) النبي ﷺ^(٢)

فمما يدلُّ على أنَّ الله تعالى لا ولدَ له، قوله تعالى^(٣): (رَبِّتْ أَبْنَاءَ، وَهُمْ غَدَرُوا بي)^(٤)، وقوله: (أيها النسل الفاسد والأبناء المفسدون، أُحِبِّتُمْ^(٥) الربَّ، وأغضبتُم ظهر إسرائيل)^(٦). ووجه دلالتِه: أنه سُمِّيَ عبيدَه - قبل المسيح بدهرٍ طويل - أَبْنَاءَه، وليس لله تعالى ابنٌ خاصٌّ عند النصارى إِلَّا المسيح! [٦٩/أ]، وإِنَّمَا هذا توبيخٌ من الله لهم، يقول: أريكم تربية الأبناء، وتبارزوني مبارزة الأعداء.

(١) أشعيا بن أموص: ومعنى الاسم: الرب يخلص، وهو النبي العظيم الذي تنبأ في يهوذا في أيام عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا - ملوك يهوذا. ويرجح أنه عاش إلى أن جاوز الثمانين من العمر، وامتدت نبوته إلى ما يزيد عن الستين عامًا. واسم أبيه «أموص» ويظهر من تاريخ أشعيا أنه كان يسهل عليه الدخول إلى ملوك يهوذا والتحدث إليهم، ولذا فقد ظن بعضهم أنه لا بد كان من دم ملكي أو على الأقل كان ذا ثروة طائلة.. رأى أشعيا في الهيكل رؤيا فيها رأى الله وسمع دعوة الله له.. أما حزقيا الملك فقد أبدى قبولاً لرسالة أشعيا. ولما مرض حزقيا تنبأ أشعيا بشفائه. ولما أظهر حزقيا رسل مردوخ بلادان، ملك بابل، على كنوزه أنذره أشعيا بأن هذه الكنوز والأسرة الملكية في يهوذا ستحمل جميعها في يوم ما إلى بابل وقد أخذت جيوش سرجون الثاني ملك آشور، في سنة ٧١١ ق.م. ثورة قامت في أشدود. وقد قاوم أشعيا أي تحالف مع مصر ضد آشور، ولكن بالرغم من احتجاجات أشعيا، فإن يهوذا تحالفت مع الفلسطينيين في شق عصا الطاعة على سنحاريب الذي خلف سرجون على عرش آشور. فأتى سنحاريب وأخذ معظم مدن يهوذا وحاصر أورشليم وقد تنبأ أشعيا أثناء الحصار بأن الرب لا بد منقذ المدينة. وفعلاً اضطر سنحاريب إلى الانسحاب وقد ضرب ملاك الرب (يعني به: جبريل عندهم)، جيش الآشوريين ومات عدد كبير منهم وربما وقعت ضربة الله عليهم في شكل وباء حصد الكثيرين منهم ويذكر سفر ((صعود أشعيا)) وهو واحد من الأسفار غير القانونية أن أشعيا مات منشورًا بالمنشار تنفيذًا لأمر الملك منسى... ويعتبر أشعيا أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة. [قاموس الكتاب المقدس (٨١) الله جل جلاله، والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (٥٢٣-٥٢٦) د: محمد علي البار. دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ].

(٢) في الهامش في (أ): مطلب في: تعليق مصحف أشعيا. وفي هامش: (ب): أشعيا.

(٣) كان الأولى عدم إيراد هذه العبارة الموهمة؛ إذ لا يقال (قوله تعالى) إِلَّا للقرآن الكريم. والله تعالى أعلم.

(٤) سفر أشعيا: ١: ٢.

(٥) في: (ب): أُحِبِّتُمْ، والمثبت من (أ).

(٦) سفر أشعيا: ١: ٤.

فائدة: في آخر الإصحاح السابع، من كتاب أشعياء، حكايةٌ عن الرَّبِّ سبحانه^(١)، أنه قال بعد كلام طويل: (هذه الفكرة التي فكَّرت في الأرض كلها)^(٢)، ثم قال أشعياء: (الرَّبُّ القويُّ فكَّرَ فيمن يقدر أن^(٣) يُطلَّ فكرته)^(٤).

تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من الصفات.

قلتُ: إطلاقُ هذه العبارة على الله تعالى^(٥)، على ما في عُرف النَّاسِ لا يَصِحُّ؛ لأنَّ التَّفَكَّرَ هو حركةُ النَّفْسِ؛ لاستعلام مجهولٍ، والله سبحانه لا يخفى عنه شيءٌ، فبالواجبِ أنْ تُحملَ الفكرةُ في حقِّه على العِلْمِ؛ لأنَّ الفكرةَ سببُ العلمِ؛ فيكونُ من باب إطلاق السبب على المسبب.

وذكر في آخر الإصحاح الثامن عشر: (أن الله سبحانه^(٦) ردَّ الشَّمْسَ إلى خلفها عشر درجاتٍ، علامةً لحزقيا^(٧)، ملك بني إسرائيل، على أنه ينقُصُ له في عمره خمس عشرة سنة، بعد أن حضره الموت)^(٨) والقصة مشهورة.

قلت: فالذي انتهى إلينا: أنَّ الشَّمْسَ إِنَّمَا رُدَّتْ لِيُوشَعَ بن نون في قتال الجبارين^(٩)، ولحزقيا هذا تصديقاً لأشعياء؛ لأنَّه هو كان النَّبِيَّ، وحزقيا المَلِكُ، (١) سبحانه، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٢) لم أجد في سفر أشعياء هذا اللفظ في النسخ الحديثة؛ ولكن في: ١٤: ٥-٧، حول هذا المعنى، ولفظه: (قد كسر الرَّبُّ عصا الأشرار، قضيب المتسلطين، الضارب الشعوب بسخط ضربة بلا فتور، المتسلط بغضب على الأمم باضطهاد، بلا إمساك استراحت اطمأنت كل الأرض هتفوا ترمناً). (٣) أن، ليست في (ب).

(٤) لم أجده في سفر أشعياء هكذا، وبالجملية يمكن الاستئناس بهذا النص القريب منه، في: ١٤: ٢٦: (هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض، وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم). و١٤: ٢٧: (فإنَّ رَبَّ الجنود قد قضى؛ فمن يطل ١؟، ويده هي الممدودة، فمن يردّها؟!).

(٥) في: (أ): سبحانه، والمثبت من: (ب). (٦) ليست في (أ).

(٧) اسم عبري معناه ((الرب قد قوَّى أو الرب قوَّة)) ابن آحاز ملك يهوذا. اشترك مع أبيه في الحكم في ٧٢٨ ق. م. وبما أن آحاز كان عاجزاً عن المساهمة الفعلية في شئون الدولة، صار حزقيا الحاكم الفعلي. قيل أن حزقيا قد بدأ يحكم في سن الخامسة والعشرين، مات الملك نحو ٦٩٣ ق. م. [قاموس الكتاب المقدس (٣٠٥)].

(٨) سفر أشعياء: ٣٨: ٥-٧. (٩) الجبار: الرجل الذي يقتل في الغضب: (مولود الأرض، يقصد بهذه الكلمة أحياناً ذو البأس والجور والتعدي =

حديث
رد
الشمس
لعلي
عليه
والكلام
عليه

ولعلي بن أبي طالب لما فاتته صلاة العصر حين نام النبي ﷺ على فخذه فلم يوقظه، وبعض المتعصبين ضعف هذا الحديث وحكم بأنه موضوع^(١)،

= والإثم، وأحياناً يقصد بها طول القامة وذو البنية الغريبة الهائلة. وكان الجبابرة أشداء البأس معطلين، وكان بنو عناق سكان حبرون قديماً من أشهر الجبابرة المذكورين في الكتاب المقدس فخافهم بنو إسرائيل جداً حتى كان من جواسيسهم أنهم قالوا فيهم ((اننا كنا في عيوننا كالجراد وكذلك كنا في أعينهم)) وهنا دليل قاطع على ما بلغه بنو عناق من طول القامة وشدة البطش والقوة. ومن الأبطال المعدودين والجبابرة المشهورين قديماً عوج ملك باسان، الذي كان سريره من حديد طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع، وجلديات، الذي كان طوله ست أذرع وشبر، والمصري الذي قتله بنايا الذي كانت قامته خمس أذرع وقد قام أفراد كثيرون اتصفوا بطول القامة وعظمة البنية. [قاموس الكتاب المقدس (٢٤٥) وانظر: تفسير ابن كثير (٧٦/٣) طبعة: سامي السلامة. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع].

(١) أعاد الطوفي الاستشهاد بهذا في كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) (١/٢٥٧)، واحتج بتصحيح الطحاوي والقاضي عياض للحديث، ودافع بنفس الحماس الذي ورد هنا. قلت: خرج الألباني رحمه الله عليه الأحاديث المتعلقة برد الشمس لعلي، في السلسلة الضعيفة، وانتقد فيها كلام الطحاوي رحمه الله حولها، نقلتها بطولها - مع شيء من الاختصار -؛ حتى يتبين أن ما ذهب إليه الطوفي رحمه الله عليه من تصحيح الحديث، والدفاع عنه بهذا الحماس ليس بشيء، فالمعول على القواعد المثبتة عند المحدثين لتصحيح أو تضعيف الأحاديث ولا يخفى هذا على الطوفي رحمه الله، وهو ليس من فرسان هذا المجال، أعني الحديث، ولكني لست أعلم سبب قوة عبارته السابقة. وهناك حديثان: أحدهما: (ضعيف) والآخر: (موضوع). الأول برقم: ٩٧٢ - حديث (أمر ﷺ الشمس أن تتأخر ساعة من النهار، فتأخرت ساعة من النهار). قال الألباني: (ضعيف). [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (٢/٤٠١) الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ مكتبة المعارف، الرياض]. والثاني برقم: ٩٧١ - حديث (اللهم إن عبدك عليا احتبس نفسه على نيك، فرد عليه شرقها) وفي رواية (اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاررد عليه الشمس، قالت أسماء، فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت) قال الألباني (موضوع). أخرجه الطحاوي في (مشكل الآثار) (٢/٩) من طريق أحمد بن صالح حدثنا ابن أبي فديك: حدثني محمد بن موسى عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن أسماء بنت عميس: (أن النبي ﷺ صلى الظهر بالصهباء، ثم أرسل علياً ﷺ في حاجة، فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ (فذكره باللفظ الأول وزاد): قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال، وعلى الأرض، ثم قام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت، وذلك في الصهباء... وأقول: وهذا سند ضعيف مجهول، وكلام الطحاوي عليه لا يفيد صحته بل لعله يشير إلى تضعيفه. قلت (الألباني القائل): ثم إن في هذه الطريق ما يخالف الطريق الأولى، ففيها أن النبي ﷺ كان يقطأناً يوحى إليه حينما كان واضعاً رأسه في حجر علي ﷺ، وفي الأولى أنه كان نائماً، وهذا تناقض يدل على أن هذه القصة غير محفوظة، كما قال ابن تيمية (٤/١٨٤) والحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال (١/٣٥٦) «موضوع بلا شك... ثم قال: وجملة القول: أن العقل إذا تأمل فيما سبق من كلام هؤلاء الحفاظ على هذا الحديث من جهة متنه، وعلم قبل =

ولا معنى لذلك؛ فإنَّ أبا جعفر الطحاوي، والقاضي عياضاً^(١)؛ حكما بصحة هذا الحديث، قرأت ذلك على شيخنا أبي العباس^(٢)؛ في [٧٥/ب] [قاعدة الخوارق] له^(٣)، وهما إمامان لا يجهل مقدارهما في العلم.

وأيضاً: فإنَّ رَدَّ الشمس إنَّما كان في الحقيقة مُعْجَزاً له ﷺ؛ ولكونه بسبب عليٍّ؛ كرامةً له، والنبى ﷺ لا يُسْتَكْثَرُ له رَدُّ الشمس؛ إذ قد رُدَّتْ لمن هو دونه، وهما يوشع، وأشعيا، وليس رَدُّ الشمس بأعظم من انشقاق القمر.

فائدة: وذكر في الإصحاح التاسع عشر: (أما علمت أنني^(٥) الله ربُّ دائمٍ إلى^(٦) الأبد، وهو الذي خلق أقطار الأرض لا يُلْغَب، ولا يَعْيا)^(٧).

= ذلك أنه ليس له إسناد يحتج به، يثق أن الحديث كذب موضوع لا أصل له. [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (٢/٣٩٥-٤٠١) الطبعة الخامسة ١٤١٢ هـ مكتبة المعارف. الرياض. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/٢٥٧)]. قلت (موسى): وحكم بوضع حديث رد الشمس شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٨/١٦٥-١٦٨).

(١) في (أ): عياض، والمثبت من: (ب): وعياض هو: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى البحصبي الأندلسي، ثم السبتى المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربع مائة. تحول جدهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة. واستبحر من العلوم، وجمع وآلف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق. له كتاب «الشفاف» شرف المصطفى، مجلد، وغيره، توفي في سنة أربع وأربعين وخمس مائة في رمضان، وقيل: في جمادى الآخرة منها بعراكش. [سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٩)].

(٢) هو: شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد تتلمذ الطوفي عليه، ونصه هذا دليل على ذلك. وقد مر نقل الألباني رحمه الله لنقد ابن تيمية لهذا الحديث، مما يدل على ذلك عدم استشهاد الطوفي رحمه الله في كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/٢٥٧) بقول شيخ الإسلام لو كان ممن صححه، وقد ضعف الحديث تلاميذ ابن تيمية، كابن القيم، في المنار المنيف (٥٧) وابن كثير في البداية والنهاية (١/٣٢٣).. وغيرهم [انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/٢٥٧) والسلسلة الضعيفة (٢/٤٠٠) والمنار المنيف في الصحيح والضعيف (٥٧) للإمام ابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب].

(٣) له، ليست في (أ)، والمثبت من (ب).

(٤) في: (أ): صلى الله عليه، وفي: (ب): عليه السلام، والجمع بينهما أكمل.

(٥) في: (ب): أن، والمثبت من: (أ).

(٦) في: (أ): للأبد، والصواب من (ب).

(٧) سفر أشعيا: ٤٠: ٢٨ واللغوب: التعب والإعياء لغب يلغب، بالضم لغوباً، ولغباً ولغب بالكسر، لغة ضعيفة: =

قلت: هذا موافقٌ لِمَا في القرآن، من قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [سورة ق، آية: ٣٨]. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَفْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتِ﴾ [سورة الأحقاف، آية: ٣٣].

ويُردُّ [٧٠/أ] على اليهود قولهم: أَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثم استراح يوم السبت^(١)، وفي ذلك أنزلت الآية الأولى ردًا عليهم. وذكر في الإصحاح الحادي والعشرين، حكاية عن الله، مخاطبًا ليعقوب: (إسرائيل! لا خوفُ عليك؛ لأنِّي معك، آتي ذريتك من المشرق، وأجمعك من المغرب، وأقول للتيمن^(٢): لا تجس من عندك، ولا تمنعهم من الخروج، آتي ببني من بعيد، وبناتي من أقطار الأرض، كلُّ من يدعو باسمي، إنما خلقتة وجعلته لكرامتي^(٣)).

قلت: فهذا حكايةٌ عن الله؛ أنه أضافَ إلى نفسه بنين وبنات، وهو يدلُّ على عدم أعياء أشد الإعياء والغبته أنا، أي: أنصبته... وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: من الآية ٣٨] والعيا: العجز، وعدم إطاقة الأحكام. [لسان العرب (٧٤٢/١) و(١١١/١٥)].

(١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ فيه تقريرٌ للمعاد؛ لأنَّ من قدر على خلق السماوات والأرض، ولم يعي بخلقهم؛ قادرٌ على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والآخرى. وقال قتادة: قالت اليهود -عليهم لعائنُ الله- خلقَ الله السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: من إعياء، ولا تعب، ولا نصب، كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَفْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتِ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وكما قال ﷻ: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة غافر: آية: ٥٧]. [تفسير ابن كثير (٤٠٩/٧)].

(٢) في: (ب): للشمس، والمثبت من: (أ). والتيمن: (في قاموس الكتاب المقدس (٢٢٨)): (الصحراء الجنوبية، واسم عبري معناه (اليميني أو الجنوبي)).

(٣) سفر أشعيا: ٤٣: ٥-٨. ونص أشعيا ليس فيه كلمة: التيمن، ووجدتها في سفر الخروج: ٢٦: ١٨ و٢٦: ٣٥ و٢٧: ٩ و٣٦: ٢٣ و٣٨: ٩. وسفر العدد: ٢: ١٠ و٣: ٢٩، وسفر حزقيال: ٢٠: ٤٦ و٢٥: ١٣. وسفر يشوع: ١٢: ٣. وفي الأناجيل، في إنجيل لوقا: ١١: ٣١. وإنجيل متى: ١٢: ٤٢. في مواضع.

إلهية المسيح، وعدم كونه ابن الله، من الوجه الذي سبق تقريره غير مرة^(١).

فائدة: ذكر في الإصحاح الثاني والعشرين، حكاية عن الربّ سبحانه، مخاطباً يعقوب: (أنا الربّ الذي خلق كل شيء، مددت السماء وحدي، وليئت الأرض مني وإليّ بلا عونٍ أحدٍ، وأنا الذي أبطل آيات العرافين، وأجهلُ تعرفهم، أردُّ الحكماء إلى خلفهم، وأصير علمهم جهلاً، وأثبت كلام عبيدي، وأتم نية رسلي)^(٢).

قلت: فهذه شهادة من الله سبحانه، بأن الأنبياء فيما يخبرون به صادقون، وأنهم أوثق من الكهّان^(٣) والمنجمين^(٤) ونحوهم، ممن يتعاطى علم الغيب، والسبب في ذلك أن إخبار الأنبياء هو إخبار الله، فهو يُصدِّقه، وإخبار أولئك مزاحمة لله في غيبه، فهو تارة يُصدِّقه، وتارة يكذِّبه؛ ليُعلم [٧٦/ب] أن لا علم^(٥) على الحقيقة والكمال،

(١) الله تعالى أضاف إلى نفسه بنين وبنات (من خلال نصوص أهل الكتاب أنفسهم)، مما ينفي بُنوة المسيح لله تعالى، كما قال الطوفي رحمه الله. [انظر: سفر أشعياء (٤٣: ٥-٨)، سفر الخروج (٢٦: ١٨) و(٢٦: ٣٥) و(٢٧: ٩) و(٣٦: ٢٣)، وسفر العدد (٢: ١٠) و(٣: ٢٩)، وسفر حزقيال (٢٠: ٤٦) و(٢٥: ١٣)، وسفر يشوع (١٢: ٣)، وفي الأناجيل، في لوقا (١١: ٣١)، وفي متى (١٢: ٤٢). الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٨-٧٩-٨٠) الإمام أبو محمد علي بن أحمد (ابن حزم) الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٠ هـ. ومحاضرات في النصرانية (٩٣) والرد على النصارى (٣٩-٣١) الإمام: القاسم بن إبراهيم الرسي].

(٢) سفر أشعياء: ٤٤: ٢٤-٢٦.

(٣) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، وفي الصحيح: (عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ ناس عن الكهّان فقال: (ليس بشيء) فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدّثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: (تلك الكلمة من الحق يخطئها الجنى فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة). [صحيح البخاري ج ٥/ ص ٢١٧٣] وانظر: [لسان العرب (١٣/ ٣٦٣)].

(٤) المنجم والمتنجم الذي ينظر في النجوم يحسب مواعيقتها وسيرها. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه أبو داود بإسناد صحيح (سنن أبي داود (٤/ ١٥) برقم ٣٩٠٥ باب: في النجوم. والمنهي من علوم النجوم ما يدعي أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع وربما تقع في مستقبل الزمان مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجيء ماء المطر ووقوع الثلج وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار ونحوها ويزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره و[انظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود (١٠/ ٢٨٤) الطبعة الثانية ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت، وفتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٩١)]

(٥) في (ب): عالم، والصواب من (أ).

إِلَّا اللَّهَ ^(١) سبحانه.

وقال فيه حكاية عن الرَّبِّ سبحانه أنه قال: (الويلُّ للذي ^(٢) يخاصم خالقه، وهو خزف من أخزاف الأرض، لعلَّ يقول الطين للفاخراي ^(٣): ما الذي يُصنع لي، لستُ من عملك، ولا صُنعَ يدك، الويلُّ للذي يقول للأب ^(٤): ما الذي تولد، وللمرأة: لماذا أنت حُبلى؛ هكذا يقول الربُّ: ظهر إسرائيل ومخلَّصه اسمه: الربُّ القويُّ، مروني بالآيات التي ينبغي أنْ أصنعها بيني، وعلموني ما الذي أصنع في عمل يدي، أنا الذي خلقتُ الأرض والناس عليها) ^(٥)

قلت: فقد سمَّى الناس بينيه ^(٦)، وأخبر أنهم عملٌ يديه، ومخلوقون له، فلم يبق في قوله للمسيح: أنت ابني؛ دلالة على بُنوة خاصة، بل كِبْنة سائر الناس إلّا ما خُصَّ به من غير هذه الجهة، من إظهار المعجزات.

فائدة: ذكر في الإصحاح الخامس والعشرين [٧١/أ] حكاية عن الرب القوي أنه قال: (انتبهي ^(٧)، انتبهي يا صهيون ^(٨)، البسي لباس المجد يا أورشليم ^(٩) القرية الطاهرة؛ لأنه لا يعود يدخلك أغلف ولا نجس) ^(١٠). قلت: الأغلفُ: الأقفُ الذي لم يختن ^(١١)، وقد جعل عدمَ دخول الغُلفِ إليها طهارةً لها ومجدًا، والنصارى كلهم

(١) في (ب): الله، والصواب من (أ).

(٢) في (أ): الذي، والصواب من (ب).

(٣) صانع الأواني من الفخار. كان الطين يداس ويعجن بالأرجل. ثم يوضع على دولا ب أفقي يجلس وراءه الفخاري يديره برجله من أسفل ويصنع يده وذراعه من الطين الدائر فوقه مختلف أنواع الأواني. [قاموس الكتاب المقدس (٦٧١)].

(٤) في: (ب): للرب، والصواب من (أ).

(٥) سفر أشعياء: ٤٥: ٩-١٢.

(٦) في: (ب): بنيه، والصواب من (أ).

(٧) في: (ب): انتبهي، انتبهي، والمثبت من: (أ)، ونص سفر أشعياء: استيقظي، استيقظي.

(٨) سفر أشعياء: ٥٢: ١.

(٩) في: (أ): يا وراشلم (ب): يا ورشليم. والتصويب من نص سفر أشعياء.

(١٠) سفر أشعياء: ٥٢: ١.

(١١) انظر: لسان العرب (٩/ ٢٩٠) مادة (ق ل ف).

غلف^(١)؛ فبدل ذلك على وهن مذهبهم، وسوء رأيهم.

فإن قيل: اليهود مختونون، فليزكم على مساق ما ذكرتم أن يكونوا على حق، وأنتم لا تقولون به.

قلنا: ثبت ضلالهم بدليل آخر!

فائدة: ذكر في هذا الإصحاح ترجمة النبوة في المسيح، وصلبه مع الأئمة، واحتماله الذنوب^(٢)، وأولها: (أن عبدي ليفهم ويرتفع، ويتعظم ويتعالى جدًا، حتى يتعجب منه كثير من الناس؛ لأن رؤيته متغيرة من رؤية الرجل، ومستقبله أبهى من مستقبل الناس، هذا يظهر شعوبًا كثيرة، وعليه؛ وفي سببه تمسك الملوك أفواهاها، وتضمت؛ لأنهم عاينوا ما لم يقال^(٣) لهم، فهموا ما لم يسمعوا^(٤)).

قلت: هذه صفات المسيح ﷺ^(٥)، والترجمة مختصة به، وقد سماه الله سبحانه عبدًا، وهو يرد ما ادعاه النصارى من إلهيته أو بُنوته؛ إذ العبودية تنافيهما، والعجب من النصارى واليهود، كيف لم يحرفوا هذه [اللفظة و]^(٦) القصة ويبدّلوها، مع ما بدّلوا [٧٧/ب] من كتب النبوات، ولكن تركهم لتغييرها إمّا تدميغ! أو شيطنة؛ ليقال: لو حرفوا شيئًا من الكتب لحرفوا هذه.

ثم إنهم يكابرون ويتمحلّون^(٧)، ويمنعون دلالتها على ما ينافي رأيهم، وهيهات؛ إن تحريفهم ومناقضاتهم بأن واشتهر، وصار أشهر من القمر. وقد سبق جملة من ذلك في التعليق على الأناجيل.

ولما ثبت من تحريفهم وتبديلهم قال لنا نبينا محمد ﷺ: (إذا حدثكم أهل

قاعدة في التعامل

مع (١) في: (ب): قلف، والصواب من: (أ). وانظر: لسان العرب (٩/ ٢٧١-٢٧٢) ومختار الصحاح (٢٠٠).

حديث (٢) في: (ب): للذنوب، والصواب من (أ).

أهل (٣) هكذا وردت. والصواب: لم يقل، بالجزم.

الكتاب (٤) سفر أشعياء: ٥٢: ١٢-١٥.

(٥) وسلم، ليست في (أ) والمثبت من: (ب).

(٦) في (ب) (اللفظة والقصة) وفي: (أ) القصة، والمثبت أولى.

(٧) تمحل: احتال. [لسان العرب (١١/ ٦١٩) ومختار الصحاح (٢٥٧)].

الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٦] (١).

فإنه من المعلوم أنهم لم يبدلوا كل ما نزل إليهم، بل بعضه، وهو ما عليهم في بقائه ضرر؛ كالبشارة بمحمد ونحوها، فلذلك قال ﷺ، «لا تصدقوهم»؛ لأنهم بتبديل البعض صاروا فسقة، غير مأمونين، وقال صلى الله عليه (٢) «ولا تكذبوهم» [٧٢/أ] لجواز أن ما أخبروكم به ليس مما بدلوه، وقال:

﴿وَقُولُوا^(٣) بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٦]؛ لأن الذي أنزل إليهم جميعه حق، التوراة، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وإنما حدث التبديل بعد التنزيل بدهر طويل، وإنما النزاع فيما بأيديهم الآن، مع تطاول الزمان، ونقله من كتاب إلى كتاب، ومن لغة إلى لغة، ولو لم يكن على عدل محمد، وأمانته، وصدقه، غير هذا التعليم، الذي علمه أمته لكان كافياً لذوي الألباب، في الإيمان به، والدخول في دينه؛ لأنه استعمل الحزم في عدم تصديقهم، والعدل في عدم تكذيبهم، ولو كان خارجياً على الشرائع كما يقولون، مدعيًا ما^(٤) لم يؤته، ملكاً ماحقاً، لا نبياً صادقاً؛ لقول: لا تصدقوهم

(١) (صحيح) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن: باب ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ برقم: (٤١٢٥) في: الاعتصام بالكتاب والسنة برقم (٦٨١٤) و: التوحيد برقم (٦٩٨٧)، ولفظه: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم))، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [السلسلة الصحيحة (١) برقم: (٤٢٢) و (٦) برقم: (٢٨٠٠)] ورواه الإمام أحمد عن ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: (الله أعلم) قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلاً لم تصدقوهم) [مسند أحمد، كتاب مسند الشاميين (١٦٥٩٢) باب: حديث: أبي نملة الأنصاري ﷺ. ورواه أبو داود. كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب (٣١٥٩)]

(٢) صلى الله عليه، ليست في (ب).

(٣) في كلا النسختين: (أ، ب): قولوا، والمثبت هو الصواب.

(٤) في: (ب): لما. والمثبت من: (أ).

أصلاً؛ فإنه مطاعٌ عند أُمته، غيرُ خائفٍ من أهل الكتاب حتى يحاييهم، بل ولاً أخلا الأرض منهم، ولم يقبل منهم الجزية؛ لثلاث يشككون^(١) أُمته في دينه بقدرهم فيه. فلمَّا أمرهم بالجزية، وأمر بأن لا يُكذِّبوا؛ مع علمه بقدرهم في دينه، وطعنهم فيما جاء به؛ دلَّ ذلك على أنَّه على حقٍّ من عند الله، لم يُبال معه ببقائهم ولا طعنهم، وأنَّ ذلك منهم لم يمنعه من العدل فيهم، والحكم بما جاءه من الله في أمرهم، وهذا من البراهين القاطعة في الباب، فتأمله.

قلت: ثم ذكر في بيان أذى اليهود للمسيح قوله: (وهو [٧٨/ب] المضروب في سبب ذوات الله، المتواضع من أجلها، يُقتل من أجل إثمنا، ومتواضعٌ من أجل إثمنا، وعليه أدبُ سلامتنا؛ لأنَّ بجراحاته نبرأ كلُّنا)^(٢) إلى أن قال: (دنا متواضعًا، ولم يفتح فاه، وسبق مثل الحمل للذبح، وكان صامتًا كالنعجة قدام جازرها، ولم يفتح فاه)^(٣). قلت: هذه الألفاظُ كلُّها لا دلالةَ فيها على إزهاقِ نفس المسيح؛ بل إنَّما تدلُّ على أنَّه ضُرب؛ لأنَّ قوله: المضروب في ذات الله، صريحٌ في الضُّرب، ولا يدلُّ على الإزهاق.

وقوله: يُقتل من أجل إثمنا، وإن كان ظاهرًا في إزهاق النفس، إلَّا أنه يحتمل الضُّرب، فلا يكون نصًّا في الإزهاق، [٧٣/أ] والنَّاسُ يُطلقون القتلَ على ما دون المزهقِ للنفس؛ كضرب العصا، والسوط، كثيرًا مشهورًا في زمننا هذا، فلعلَّ هذا قد كان أيضًا في عرفهم.

وقوله: لأنَّ بجراحاته نبرأ كلُّنا، ظاهره المجاز لكلِّ عاقلٍ، وإن ثبت أنه حقيقةٌ فلا يلزم من الجرح الزهوق.

وقوله: سبق مثل الحمل للذبح، وكان صامتًا كالنعجة قدام جازرها، لا يدلُّ

(١) في (أ) و(ب) (يشككون) والصواب ما أثبتته لأنها منصوبة بـ(لثلاث).

(٢) سفر أشعياء: ٥٣: ٤-٥.

(٣) سفر أشعياء: ٥٣: ٧.

أيضاً على الزهوق؛ لأننا نُسَلِّم لهم أنه سيق كالحمل للذبح، وصمّت كالنّعجة قدام الجازر، وأنهم ربطوه على الخشبة ليصلبوه، بعد أن لطموه، وبصقوا عليه، وسخروا به، ولقي منهم العناء، عليهم وعلى النصارى ما يستحقونه؛ لكن أظلمت الأرض ثلاث ساعات، ففيها نزلت الملائكة، فحلت وثاقه، وأطلقت، وألقي شبهه على الذي دلّ عليه، يهوذا الإسخريوطي، أو غيره من أعدائه، فصُلِبَ مكانه.

نعم!، قال في تمام هذا الكلام: (ودنا منه قومٌ من آئمة شعبي، وأذن المنافقُ بدفنه)^(١)، والدفنُ ملزومٌ للقتل المزهق عادةً، ووجود الملزوم يدلّ على وجود اللازم، [ولا أرى للمسلمين عن هذا جواباً إلا الطعن في ثبوت هذا وصحته، على ما عُرِف من أصل دينهم، من القدح فيما في أيدي أهل الكتاب]^(٢)، والجواب من وجهين: أحدهما: أن يقال: ليس في هذا الكلام إلاّ دنوُّهم منه، وهو لا يدلّ على القتل، وإذن المنافق في دفنه، وهو لا يستلزم وقوع الدفن؛ إذ الأذن لا يستلزم وقوع المأذون فيه، وغاية ما في الباب، أن يقال: هذا الكلام عادة يقتضي وقوع القتل إلا أنه [لا يدل هذا الكلام عليه]^(٣).

ثم يقال لهم^(٤): هذه النبوة قد اشتملت على النص على عبودية المسيح، وما يدلّ على قتله المزهق، فإمّا أن تُثبتوا الأمرين، أو تنفوهما، أو تُثبتوا أحدهما وتنفوا الآخر، فإن أثبتموهما؛ نقضتم رأيكم بعبودية المسيح.

فإن قالوا: هو عبدٌ من جهة [٧٩/ب] ناسوتيته، فقد سبق جوابه بما^(٥) يُغني عن إعادته، وإن نفيتموهما نقضتم رأيكم في عدم صلّبه، وإخبارُ أشعيا به [في مصحفه]^(٦)

(١) سفر أشعيا: ٥٣: ١٢.

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من (ب). والظاهر أن هذا من كلام النصراني الذي رد عليه الطوفي.

(٣) في (ب): ما وقع. وما أثبتّه بين المعقوفتين من (أ).

(٤) لم يذكر الوجه الثاني، ولعله هذا.

(٥) في: (ب): ما. والمثبت من: (أ).

(٦) في مصحفه، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

هو عمدتكم فيه.

وإن أثبتتم أحدهما؛ فأما العبودية وحدها فهو أشد عليكم، وأما الصلب وحده؛ فهو تحكّم، وترجيح بلا مرجح. على أننا قد قدمنا في الطعن في صلب المسيح ما يثلج له قلب العاقل الرجيع [٧٤/أ]^(١).

فائدة: ذكر في الإصحاح الثلاثين، حكاية عن الله سبحانه، أنه قال: (السماء كرسي، والأرض موطأ خلقي، لي بيت يبنون لي)^(٢).

(١) ناقش الطوفي هذه القضية في غير موضع من كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية)، وهكذا في كتابه هذا (التعليق على الأناجيل الأربعة). واعتمد في ذلك على قاعدته في الرد على أهل الكتاب، وهي الحجاج العقلي؛ لأن كل واحد من المسلمين وأهل الكتاب يقدر في كتاب الآخر الذي بيده، فلا تقوم عليه الحجة به. لكنه في أول الرد على النصراني يستدل بالقرآن الكريم ويقول تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [سورة النساء ١٥٧]؛ لأن النصراني الذي يرد عليه الطوفي تكلفه يستدل بهذه الآية وتفسيرها يطلها؛ بدعوى أنها تخالف ما تواتر عند الأمتين: اليهود والنصارى، ومؤرخي المجوس على صلب المسيح، وبنص الكتب المقدس، وقد أجاد الطوفي في استتصال عقيدة الصلب لديهم، بما يثلج الصدور كما ذكر. والنظر إلى ما أورده الطوفي من نصوصهم والرد عليها يجد الاختلافات العديدة بينهم في أعظم حادث في حياة المسيح ﷺ حسب معتقد النصارى، وهو الصلب؛ إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم ليس لديهم علم مؤكد، ومحقق في هذا الأمر، وأن ذلك كله من باب الظن والخرص الذي لا يغني عن الحق شيئاً، وإلا لم اختلفوا لو كان عندهم شيء مدون، أو رواة ثقاة عابثوا وشاهدوا الأحداث، بالإضافة إلى ما هو مقرر في عقائدنا - نحن المسلمين - من أن الله تعالى رفع المسيح ﷺ إليه، فقد قال النبي ﷺ ﴿والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصلب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد﴾ (صحيح) عن أبي هريرة، رواه البخاري (٤/ ٤١٤) مع فتح الباري، ومسلم (١/ ١٣٥)، وانظر: صحيح الجامع الصغير (٧٠٧٧)، وفيه زيادة (وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها). وقال ﷺ ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهْلَنَ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ حَاجِبًا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ كَيْفَ يَنْهَمَا﴾. ((صحيح) عن أبي هريرة، رواه مسلم في كتاب الحج، برقم ٣٠٨٩، انظر: صحيح الجامع (٧٠٧٨)). [انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٤٣، ٣٥٢، ٣٥٩، ٤١٣)، (٢/ ٧١٨، ٧١٩، ٧٣٢، ٧٥١، ٧٥٢). وفي الدراسة، الفصل الثاني: منهج الطوفي في الرد على النصارى ونقد أصولهم، المبحث الرابع: منهجه في نقد عقيدة الصلب والفداء بينا بطلان هذا الاعتقاد. وانظر: دراسات في الأديان د/ الخلف (٢٣١)].

(٢) سفر أشعياء ٦٦: ١ ولفظه: (هكذا قال الرب: السموات كرسي، والأرض موطأ قدمي، أين البيت الذي تبنون لي؟ وأين مكان راحتي؟!).

قلت: وقد سبق في الإنجيل أن الأرض موطأ قدميه^(١)، فلعل هذا بيانٌ لذلك، ويكون قد سَمِيَ الخلق قدمًا؛ لعلاقة ما مجازية، وعلى هذا تأول بعض المسلمين قوله ﷺ «يضع الجبار فيها قدمه» [يعني في النار]^(٢) فتقول قط قط^(٣)، قال: فالقدم قوم من العالم؛ يقدمهم إلى النار، فتمتلى بهم، والمشهور عن الجمهور: أن المراد غير ذلك، وأن القدم صفة لله، على ما يليق بجلاله، وكذلك رأيهم في سائر آيات الصفات وأحاديثها.

فائدة: وذكر في هذا الإصحاح أيضًا، في سياق الوعيد: (لأن الرب يحاكمهم إلى النار)^(٤)، وبها يبلو كل ذي لحم، وتكثر قتلى الرب ويتقدسون، ويتطهرون في الجنان، ويتبع بعضهم بعضًا، في وسط الشجر)^(٥).

الرد على
منكري
الجنة من
النصارى

قلت: هذا نص على أن في الآخرة جنة ونارا، وهو يرذ قول منكري الجنة من النصارى، وقد سبق تقرير هذا، عند سؤال الزنادقة المسيح^(٦)، عن سبعة إخوة، تزوجوا امرأة تباعًا^(٧).

(١) انظر إنجيل متى: ٥: ٣٥.

(٢) ما بين معقوفتين، ليست في (أ).

(٣) (صحيح) رواه البخاري، باب قوله: «وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» [ق: من الآية ٣٠ ح (٤٤٧٠)] من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ «يُلْقَى في النار وتقول هل من مزيد، حتى يضع قدمه فتقول: قط قط» ورواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٤٧٣٠) و(٤٧٣١). ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٧١٢٢) و(٧١٢٤) و(٧١٢٦) و(٧١٢٨). والحكمة من وضع رجله سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها؛ كما في قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [السجدة: من الآية ١٣]. ولما كان مقتضى رحمته وعدله ألا يعذب أحدًا بغير ذنب، وكانت النار في غاية العمق والسعة؛ حقق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها. وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقًا آخرين كما ثبت في الصحيح (عن أنس عن النبي ﷺ قال: لَا تَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ يَقُولُ قَدْ قُذِّبَ عِزَّتِكَ وَكَرَمُكَ وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) (رواه البخاري، (٦٨٣٦)).

(٤) في: (ب): بالنار.

(٥) سفر أشعياء: ٦٦: ١٦-١٧.

(٦) في هامش (أ): يسوع، وفي متن (ب): يسوع.

(٧) انظر إنجيل متى: ٢٢: ٢٣-٣٠.

التعليق^(١): من مصحف هوشع بن بادى^(٢)

ذكر في الإصحاح الرابع منه، حكاية عن الربّ سبحانه، أنه قال:

(لأنّي كنتُ [قد]^(٣) أحببتُ إسرائيل في صغره، ودعوته بمصر: ابني)^(٤).

قلت: فثبت^(٥) أن إسرائيل عبدٌ مألوفٌ بإجماع، فكذلك المسيحُ، لا تدلُّ لفظة البتوة فيه^(٦) على أكثر من العبودية، نعم، هذه اللفظة تفيد خصوصية في العبودية، كما سبق تقريره. وذكر فيه أيضًا، حكاية عن الربّ سبحانه، أنه قال في أثناء كلام: (لأنّي الله^(٧)، وليس إنسانًا^(٨) بينكم)^(٩).

قلت: فدلّ هذا على أن الإلهية تنافي الإنسانية، وأنهما لا يجتمعان. وأجمعنا على أن المسيح إنسانٌ يأكل ويشرب، [٨٠/ب] فلزم أنّه ليس إلهًا. فإن قيل: فإنّا^(١٠) نمنع^(١١) اجتماع الأمرين، من جهة واحدة لا جهتين، والمسيحُ

(١) في الهامش الأيمن في: (أ): مطلب في: التعليق على مصحف هوشع. وفي هامش (ب) الأيمن أيضًا: هوشع.
(٢) هوشع: اسم عبري معناه: الخلاص، وهو ابن بئري. وهو نبي من الأنبياء الصغار (عند أهل الكتاب)، ويظن أن فترة نبوته دامت حوالي أربعين سنة، في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد عاصر هوشع سقوط السامرة سنة ٧٢٢ ق. م. وكان يتمي إلى مملكة الشمال، وإلى تلك المملكة (أي السامرة). تنبأ، وكان معاصرًا لإشعيا الذي تنبأ لمملكة الجنوب (يهوذا).... وسفر هوشع أول أسفار الأنبياء الصغار في ترتيب وضعها في الكتاب المقدس. وهو السفر الثامن والعشرون، في العهد القديم.
[قاموس الكتاب المقدس (١١٠٥)].

(٣) قد، ليست في (أ)، وأثبتها من (ب).

(٤) سفر هوشع: ١١: ١.

(٥) في: (ب): وثبت، والمثبت من: (أ).

(٦) ليست في: (أ).

(٧) في (ب): إله. والمثبت من: (أ).

(٨) في (ب) (وليس أنا إنسان بينكم)، والمثبت من: (أ).

(٩) سفر هوشع: ١١: ٩.

(١٠) في: (ب): إنما، والمثبت من: (أ).

(١١) في (أ): يمتنع، والمثبت من (ب).

كانت له جهتان^(١)؛ لاهوتية، وناسوتية. قلنا: سبق جوابُ هذا، في: التعليق على الإنجيل.



(۱) في (أ): جهتا، والصواب من (ب).

التعليق^(١) على: نبوة يونان

وهو: يونس بن متى^(٢)، صاحب: نينوى^(٣) ذكر فيها:

أنه لما خرج من بطن [٧٥/أ] الحوت^(٤)؛ أمر أن يأتي نينوى فينذرهم العذاب إن لم يؤمنوا، فأتاهم فأنذرهم؛ أن نينوى يُخسف بها بعد أربعين يومًا، ويقال ثلاثة أيام، ثم خرج إلى شرقي المدينة، واتخذ ظلةً، وقعد ينظر ما يجري لأهلها، فآمنوا وصدقوا، فاستحى يونس من تكذيبهم، فسأل الموت، فأثبت الله عليه شجرة اليقطين^(٥)، فوقته حرّ الشمس، ففرح بها ثم سَلَطَ اللهُ عليها^(٦) الدود، فأكل عروقه، ثم أرسل الريح فأببستها، فحزن لذلك يونس، فقال الله له: تحزن لهلاك شجرة لم تعملها، وتريدني أهلك نينوى؟! وكانت مدينة عظيمة، مسيرة ثلاثة أيام^(٧).

قصة
يونس
عليه السلام

(١) في الهامش الأيمن في: (أ): مطلب في: التعليق على نبوة يونس.

(٢) يونان: الصيغة السريانية والعربية للاسم العبري: (يونة). ومعناه حمامة. كان يونانان النبي بن امتاي من سبط زبولون، ومن أهالي جت حافر على بعد ثلاثة أميال من الناصرة.. وتنبأ في أيام يريعام الثاني ملك السامرة. وتنبأ برد حدود السامرة إلى مدخل حماة شمالاً وإلى بحر العربة وخليج العقبة جنوباً. وكان موضوع نبوءته إنقاذ بني إسرائيل من ظلم الآراميين ((السوريين)). وكانت نبوءته مطبوعة بطابع وطني أدبي خلقي كتبوة هوشع وعاموس. وهذا النوع من النبوات كان يصادف هوى في قلي الشعب العبراني. [قاموس الكتاب المقدس (١١٢٦)]. وهو النبي الكريم ﷺ الذي نزل في قوله تعالى ﴿وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وفي الصحيح عن قتادة قال سمعت أبا العالية حدثنا بن عم نيكم يعني بن عباس عن النبي ﷺ قال (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) رواه البخاري (٣١٢٥) ومواضع أخرى. ومسلم (٢٣٧٦) (٢٣٧٧).

(٣) نينوى: قرية يونس بن متى ﷺ بالموصل بالعراق [معجم البلدان (٣٣٩/٥)].

(٤) انظر: سفر يونان: ٢: ١٠.

(٥) (اليقطين) ما لا ساق له من النبات كالقثاء والبطيخ وغلب على القرع وهو الظاهر هنا. من خاصية اليقطين أن لا يقربه الذباب، ومن خواصه أن ماء ورقه إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أيضاً وسيأتي كلام الطوفي عن هذه الخواص. [المعجم الوسيط (٤١٢/٢)] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. تفسير ابن كثير (٤٠/٧). حياة الحيوان الكبرى (٢/٢٢٣) للدميري.

(٦) ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٧) انظر: سفر يونان: من: ٣: ١-٤.

قلت: والذي في القرآن العظيم^(١)، وهو قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥) وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿[سورة الصافات: آية ١٤٥-١٤٦] لا ينافي هذا؛ لكن علماء المسلمين؛ من المفسرين، والقصاص، ذكروا أن إنبات شجرة اليقطين عليه، كان عند خروجه من بطن الحوت، كالفرخ الممعوط، الذي لا ريش عليه، وكان في اليقطين حكمتان:

إحدهما^(٢): إظلاله من الشمس.

والثاني: منع الذباب أن يسقط عليه، وذلك من خواص اليقطين^(٣).

فالتنافي بين هذه النبوة وبين ما ذكر المفسرون^(٤)، لا بينها وبين ظاهر القرآن.



(١) العظيم، ساقطة من: (ب) والمثبت من: (أ).

(٢) في (أ): أحدهما.

(٣) انظر: حياة الحيوان للدميري (٢/ ٢٢٣).

(٤) انظر قصة يونس عند ابن كثير: [قصص الأنبياء (٢٧٣) بتصرف. وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠) طبعة

التعليق^(١) من: نبوة حبقوق^(٢) النبي ﷺ.

ذكر في صلواته: (يا رب، سمعت باسمك، وفزعْتُ، يا رب أظهر أعمالك في سنين الحياة؛ لتُعرف في هذه السنين، اذكر رحمتك أيام الغضب؛ لأنَّ الله أتانَا من التيمن، حيث ظهر لنا، واستعلن لنا من الظهر من جبال فاران^(٣)، وتغشَّت السماء من

(١) في الهامش الأيسر في: (ب): حبقوق.

(٢) في: (أ): حبقوق، وهو خطأ، والصواب من (ب)، وحبقوق:

(٣) فاران: بركة واقعة إلى جنوب يهوذا وشرق بركة بئر سبع وشور بين جبل سيناء (والأصح بين حضيروت الواقعة على مسيرة أيام من سيناء) وكنعان وكانت فيها قادس، وبطمة فاران أو ايلة (إيلات اليوم) على البحر الأحمر، كما كانت تشمل بركة صين أو كانت مندمجة فيها دون حد معين يفصل بينهما، وجميع هذه المعلومات تشير إلى السهل المرتفع أو الأرض الجبلية، الواقعة إلى جنوب كنعان تحيط بها من الجهات الأخرى بركة شور وسلسلة الجبال المعروفة بجبل التيه ووادي العرية. وفي هذه البركة تنقل بنو إسرائيل ٣٨ سنة. ومعظمها على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر. [قاموس الكتاب المقدس (٦٦٧)] هذا تفسيرهم. أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد نقل عن بعض العلماء، ومنهم ابن قتيبة الدينوري غير هذا فقال: (وجبال فاران هي جبال مكة قال وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم. قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أو ليس (استعلن) (وعلن) وهما بمعنى واحد، وهو ما ظهر وانكشف، فهل تعلمون دينًا ظهر ظهور الإسلام، وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوهه؟. وقال ابن ظفر: (ساعير) جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح. قلت: وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمى إلى اليوم ساعير ولها جبل تسمى ساعير. وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكانًا بساعير، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه ومنه كان نزول أول الوحي على النبي وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل إن بمكة اثني عشر ألف جبل وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم وفيه كان ابتداء نزول القرآن والبركة التي بين مكة وطور سيناء تسمى بركة فاران ولا يمكن أحدا أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزمني فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهدهد وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق. وفي الثالث: استعلن. وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاده النور والهدى. وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال واستعلن من جبال فاران فإن النبي ظهر به نور الله وهدهد في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها ولهذا سماه=

شعاع المحمودا، وامتلات الأرض من محامده؛ لأنَّ شعاعه يصير نورًا، ويصير عزه في قريته، وتظهر قوته في رحبتها، الموت يسير أمامه، ويجتمع الطير لوطه قدميه، قام فمسح الأرض، ونظر بغضبه، فاجتمعت نحوه الشعوب، وتفرغت الجبال المائية، مذ أوائل الدهر، وانضعت الآكام^(١)، التي لم تنزل ثابتة مذ قديم؛ [٨١/ب] لأنَّ الشيء القديم هو له^(٢).

قلت: أيها الناظر في هذا الكتاب، اعلم أولاً: أنَّ أشدَّ الكلام إجمالاً كلامُ الله سبحانه لخلقه^(٣)،

وأقرُّه إلى التصريح والنصوية والتفصيل؛ القرآن المقدس، والإجمال الذي فيه بينه النبي ﷺ [٧٦/أ] امتثالاً لقوله تعالى ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ [النحل: ٤٤]^(٤).

وكتب^(٥) الأوائل أشدَّ إجمالاً ورمزاً من القرآن؛ حتى إنَّ معانيها المرادة منها؛ لا تلوح إلاَّ خيالاً، أو إيماءً، أو إلماعاً؛ كلمع البرق في الغسق، أو كلمع اليدين في حبيِّ مُكَلَّلٍ^(٦)، وكالخطرات الإلهية على قلوب السالكين، في ابتداء إمارات الوصول والمعرفة.

= الله سراجاً منيراً وسمى الشمس سراجاً وهاجا والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت وكما قيل قد ينظرون به بعض الأوقات وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانية. وقد قال النبي ﷺ (زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمي ما زوي لي منها). [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٩٩-٢١٧)] وسيأتي ذكر هذه اللفظة في عدة مواضع من التوراة وكتب التاريخ في العهد القديم.

(١) الآكام: القف من حجرة واحدة، وقيل هو دون الجبال وقيل هو الموضع الذي هو أشدُّ ارتفاعاً ممَّا حوَّله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حَجَرًا.. والجمع أَكَمُّ وَأَكْمٌ وَأَكْمٌ وَأَكَامٌ [لسان العرب (١٢/١٧٣)].

(٢) سفر حيقوق: ٣: ١-٦.

(٣) في: (ب): خلقه، والمثبت من: (أ).

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) في (ب): فكتب. والمثبت من (أ).

(٦) ومَضَّ البرقُ أي لَمَعَ لَمْعًا خَفِيسًا ولم يَغْتَرِضْ في نَوَاحِي الغَيْمِ قال امرؤ القيس:

أَحَارِ تَرَى بَرْقًا أَرِيكَ وَمِیْضُهُ كَلَمَعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ

[لسان العرب (٧/٢٥٢)]

فإذا عرفتَ هذا؛ فاعلمْ أنَّ هذا الكلامَ الذي حكيناه، عن حقيق (١) النبي ﷺ ليس نصًّا في أحدٍ من البشر؛ لكنَّه أحرى أن يكون في محمدٍ ﷺ، وبيان ذلك بفكِّ رموزه، وفتح مقفل كنوزه، وتطبيق تنزيله بتأويله.

بشارة
حقيق
ﷺ
بالنبي
ﷺ

فنقول وبالله العصمة: قوله: يا ربِّ أظهر أعمالك، في سنين الحياة؛ لتُعرفَ في هذه السنين.

أقول: المرادُ بسنين الحياة سنون (٢) الحياة الدنيا؛ لأنها مُدةُ الحياة الفانية، ومن المعلوم أنَّ للعالم حياتين: فانيةً، وباقيةً.

فالحياة الدنيا، هي: الفانية، وهي المشار إليها بقوله: لتُعرفَ في هذه السنين، فهي إشارةٌ عهديَّةٌ، أي: لتُعرفَ في سنين الحياة، وذلك أنَّ (٣) فائدةَ إيجاد الخلق، وإرسال الرُّسل: تعريفُ الله نفسه لخلقِهِ، ودعاؤهم (٤) إلى عبادته وتوحيده.

ولهذا ورد في بعض الآثار، حكايةٌ عن الله سبحانه أنه قال: (كنت كنزًا لا أُعرفُ، فخلقتُ خلقًا؛ لأُعرفَ) (٥). فهذا في الحقيقة شفقةٌ من النبي ﷺ حقيق (٦) على خلق الله، الآتين بعده، ليُعرفُوا الله؛ فيفوزوا بالسعادة، وحذراُ منه عليهم، أن يجهلوه ويكفروا به؛ فيقعوا في الشقاوة.

ما صحت
هذا
الحديث؟

وقوله: وأذكر رحمتك أيامَ الغضب. معناه: أنَّ الله سبحانه إذا غضب على قوم أخفى عنهم رُشدَهُمْ من معرفته وغيرها، فيضلوا؛ فيهلكهم بضلالهم، كما قال في القرآن الكريم:

- (١) في: (أ): حقيق، وهو خطأ، والصواب من (ب).
- (٢) في (ب): سنين.
- (٣) في: (ب): لأن، والتصويب من (أ).
- (٤) في: (ب): دعائهم، والتصويب من (أ).
- (٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه تعليقًا على هذا القول: (عندما سئل ومما يروونه أيضًا: «كنت كنزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فعرّفتهم بي فعرّفوني»؟). فأجاب: هذا ليس من كلام النبي ﷺ ولا يُعرف له إسنادٌ صحيحٌ ولا ضعيفٌ [مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (١٨/٣٧٦) جمع بن قاسم].
- (٦) في: (أ): حقيق، وهو خطأ، والصواب من (ب).

وكما قال في القرآن المُقَدَّس: ﴿ وَبَجَعْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

وقوله: لأن الله أتانا من التيمن، حيث ظهر لنا، أي: أتانا أمره، وبركته، وهداه،
على لسان رُسُلِهِ، وهو إشارة إلى (.....) ^(٢).

قوله: واستعلن لنا من جبال فاران، أي ظهر لنا؛ لأن الاستعلان الظهور، وهو
ضدَّ السرِّ، أي: استعلن لنا أمره، وحكمه، وبركته.

وجبال فاران: جبال مكة والحجاز^(٣)، فيما يتعارفُه الناس، وهذه اللفظة محكية
عن التوراة^(٤)، ولم يظهر ما يصلح أن يكون أمراً، وبركة من الله، وناموساً من نواميسه؛
إلا دين محمد ﷺ.

قوله: وتغشت السماء من شعاع المحمود، وامتلات الأرض من محامده،
فيه إشارتان ظاهرتان في المقصود: أحدهما: الإشارة إلى اشتهار محمد في

= عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لما قضى الله الخلق كتب عنده) وذكر نحوه. ومن
حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كُتِبَ على نفسه
فهو موضوع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي). ومن حديث أبي رافع الصائغ عن أبي هريرة عن النبي
ﷺ نحوه بمعناه. وفي رواية أخرى عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق
الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش). وأخرجه مسلم مختصراً من حديث سفيان بن
عينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (قال الله ٥ سبقت رحمتي غضبي) ومن حديث
عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه - فهو موضوعٌ
عنده إن رحمتي تغلب غضبي). [الجمع بين الصحيحين (٩٦/٣) رقم (٢٣٤٦)].

(١) سورة الأنبياء آية: ٧١.

(٢) للأسف الشديد هناك يائسٌ بمقدار سطر تقريباً، من هذا الموضع إلى قوله: وقوله. في كلا النسختين (أ و ب).
(٣) الجِجَارُ البلد المعروف سميت بذلك من الحَجَزِ الفصل بين الشيتين لأنه فصل بين العُور والشام والبادية وقيل
لأنه حَجَزَ بين تَجِدٍ والسَّراة وقيل لأنه حَجَزَ بين تِهامة ونجد وقيل سميت بذلك لأنها حَجَزَتْ بين تَجِدٍ والعُور
وقال الأصمعي لأنها اخْتَجَزَتْ بالجرار الخمس منها حَرَّة بني سُليمان وحَرَّة واقم قال الأزهري سمي جِجَاراً لأن
الحَرَارَ حَجَزَتْ بينه وبين عالية نجد [معجم البلدان (٢/٢١٩) ولسان العرب (٥/٣٣١)].

(٤) وردت هذه اللفظة: (فاران) في عدة مواضع، على سبيل المثال: في التوراة: سفر التكوين: ٢١: ٢١ وسفر
الثنية ٣٣: ٢. وسفر العدد: ٢٠: ١٠ و ١٢: ١٦ و ١٣: ٣ و ٢٦: ١٣. في كتب التاريخ: سفر الملوك الأول:
١٨: ١١. وسفر صموئيل الأول: ٢٥: ١.

السَّماء ليلة المعراج^(١)، أو إلى حراسة السَّماء بالشَّهْب^(٢)؛ لأجل مبعثه، فإنه يُقال: لم تُحرس السَّماء بالشَّهْب إلا لمبعثه، وما كان منها قبله؛ فهو بزمن يسير، على جهة الإنذار بمبعثه.

ويقال: إن الشياطين كانت تخترق السموات السبع حتى بُعث المسيح ﷺ،

(١) ذكر الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِمَبْنِيِّهِ، لَيْلًا مِّنَ السَّجْدِ الْحَرَامِ إِلَى السَّجْدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وفي الحديث المتفق عليه، روي البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله ﷺ قال (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئاء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السَّماء الدنيا فلما جئت إلى السَّماء الدنيا قال جبريل لخازن السَّماء افتح قال من هذا؟ قال هذا جبريل قال هل معك أحد؟ قال نعم معي محمد ﷺ فقال أرسل إليه؟ قال نعم. فلما فتح علونا السَّماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسَم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السَّماء الثانية فقال لخازنها افتح (فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح). قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السَّماء الدنيا وإبراهيم في السَّماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح. (فقلت من هذا؟ قال هذا إدريس ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا؟ قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح قلت من هذا؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا؟ قال هذا إبراهيم ﷺ). قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام). قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي ﷺ: (ففرس الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعني فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا تراءى المسك). [صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء (٣٤٢)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم (١٦٣)، الجمع بين الصحيحين (١٤٩/١) حديث (٣٥٥)].

(٢) عن حراسة السَّماء من الشَّهْب قال الله تعالى: حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ فَمَن يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

فَمُنْعَتٌ مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ، فَلَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدٌ ﷺ ^(١) مُنْعَتٌ مِنَ الْبَاقِي ^(٢).

قلت ^(٣): ولعل هذا هو كان السبب في كثرة الكهان في الدهر الأول؛ لأن مادتهم استراق الشياطين السمع، وقد كانوا مفوضين في عالم الملكوت، فلما حُجِبُوا قَلَّتْ مَادَةُ الْكُهَّانِ؛ بَلْ عُدِمَتْ، فلهذا قال محمد ﷺ: (انقطعت الكهانة) ^(٤)، فحراسة السماء بالشهب هي تغشيها من شعاع المحمود المذكور هاهنا. جبال فاران الوادعة في كتب الأولين هي: جبال مكة والحجاز

وأما امتلاء الأرض من محامده فظاهر؛ فإن أهل الشرق والغرب، والسَّهْلَ والجبل، يشنون عليه، إمَّا مع المتابعة كالمسلمين أو مع عدم المتابعة [٧٨/أ] كالفلاسفة، وأصحاب الملل؛ فإنَّ أحدًا [٨٣/ب] منهم لَا يَشْكُ في حِكْمَتِهِ، وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ لِلنَّامُوسِ وَإِقَامَتِهِ.

الإشارة الثانية: قوله: من شعاع المحمود، وقوله: من محامده؛ فإنَّ هذين لفظان

(١) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من (أ).

(٢) انظر القرطبي وكتب التفاسير مهم.

(٣) قلت، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) رواه البخاري رحمه الله في (خلق أفعال العباد): حدثنا عمرو بن زرارة، ثنا زياد، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، عن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، عن عبد الله بن عباس عن نفر من الأنصار أن رسول الله ﷺ قال لهم: «ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به؟ قالوا: كنا يا رسول الله إنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك، ولد مولود، مات مولود، قال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك ولكن الله إذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحوا فيسبحوا من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، ثم يقول بعضهم لبعض: لم سبّحتم؟ فيقولون: سبّح من فوقنا فسبّحنا بتسبيحهم، فيقولون: أفلا تسألون من فوقكم لم سبّحوا فيسألونهم فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا، الأمر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثون فيتحدث به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف، ثم يأتيون به إلى الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون، فيحدث به الكهان، ثم إن الله ﷻ حجب الشياطين عن السماء بهذه النجوم وانقطعت الكهنة اليوم فلا كهانة». [خلق أفعال العباد (١٠٠) البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، دار المعارف السعودية - الرياض] وقال ابن حجر رحمه الله: قال القرطبي: «كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهان في الوقائع والأحكام ويرجعون إلى أقوالهم وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية لكن بقي في الوجود من يتشبه بهم وثبت النهي عن إتيانهم فلا يحل إتيانهم ولا تصديقهم». أ. هـ. [فتح الباري (٢١٩/١٠)].

مشتقان من مادة اسم محمد وأحمد^(١) وهما اسما نبينا ﷺ، وهو^(٢) إشارة إلى أنه المراد من هذه الصفات، ولهذا يقول حسان بن ثابت^(٣) في مدحه:

..... فذو العرش محمود، وهذا محمد^(٤)

وقوله: لأن شعاعه يصير نوراً، أي: ينتشر ويكثر، ويعلو ويظهر، وكذلك كان دينه عليه السلام خفياً، ثم ظهر حتى ملأ الوجود.

وقوله: ويصير عزه في قريته، وتظهر قوته في رحبتها.

قلت^(٥): قريته هي: مدينة يثرب^(٦)، وفيها ظهر عزه، وقوته، ومنها أنصاره وفيها كمل الوحي والدين^(٧)، وتمت النعمة الإلهية، على أهل دين الحنيفية، كما قال سبحانه في القرآن الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٨).

وقوله: الموت يسير إمامه، هذه صفة ﷺ^(٩) في غزواته؛ فإن كتاب المهاجرين والأنصار، ومن انضم إليهم من مسلمة البادية، كانوا يقدمونه، وفيهم الموت العاجل

(١) أحمد، ليست في: (ب)، والمثبت من (أ).

(٢) هو، ليست في: (ب)، والمثبت من (أ).

(٣) حسان بن ثابت الخزرجي: شاعر الرسول ﷺ، يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام لمنازلته عن رسول الله ﷺ ولتقطيعه اعراض المشركين، ولد في المدينة قبل مولد الرسول ﷺ بنحو ثمانين سنين، عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين أخرى، ومن حديث البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك. وهو في الصحيحين. البخاري برقم ٣٢١٣ و ٤١٢٣ و ١٤٢٤ و ٦١٥٣ وفي صحيح مسلم ص ١٩٣٣. [انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة ١٧٠٦، الاستيعاب (١/ ١٠٠-١٠١)].

(٤) والبيت في [ديوان حسان ﷺ (٨٢)] شرح الدكتور: يوسف عيد، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ دار الجيل.

(٥) قلت، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

(٦) يثرب: يثرب بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وياء موحدة قال أبو القاسم الزجاجي يثرب مدينة رسول الله ﷺ سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفريق يثرب بن قانية، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة؛ كرامة للثريب وسميت مدينة الرسول لتزوله بها. [معجم البلدان (٥/ ٤٣٠)].

(٧) الدين، ليست في (أ).

(٨) سورة المائدة: آية: ٣.

(٩) في (أ): صلى الله عليه، وفي (ب): عليه السلام. والمثبت أولى.

لمن له يُباري ويُساجل، ويبطئ بالإجابة، ولا يعاجل. وفيه أيضاً إشارة إلى قوله ﷺ: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ) ^(١) أي: كان يرعب منه مَنْ بينه وبينه مسيرة شهر، فكان الرُّعْبُ من جنده يسير أمامه، والرُّعْبُ من أسباب الموت.

وقوله: ويجتمع الطير لوطء قدميه. أي: يتبعه حيث سار؛ لتأكُل من لحوم القتلى في المعارك، وهذا معنى قول الشاعر ^(٢):

قد عوَدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا فَهُنَّ يَتْبَعُنَّ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ
وقول الآخر ^(٣):

وترى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَيْ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سُمَارُ
وقول النابغة ^(٤):

إذا ما سَرَى بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

(١) (صحيح) رواه البخاري، برقم (٤٣٨): كتاب الصلاة، ورواه مسلم: المساجد، برقم (١١٩١). من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) سليمان بن مسلم بن الوليد الشاعر الضريع، وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور، كان كأبيه شاعراً مجيداً وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه، ولذا كان متهماً دينه: مات سنة (١٩٩) هـ. [معجم الأدباء (١/ ٤٨٦) ياقوت الحموي].

(٣) الأَفْوَه: لقب واسمه: صلاة بن عمرو بن مالك، وفي ذلك يقول الأَفْوَه: (أبي فارسُ الشَّوْهَاءِ عمرو بن مالك... غداة الوغى إذ مال بالجد عائر) كان الأَفْوَه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعدّه من حكمائها وتعد دالّيته: (معاشر ما بنوا مجداً لقومهم... وإن بني غيرهم ما أفسدوا عادوا) [الأغاني (١٢ / ١٩٨) لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، ط ٢، دار الفكر - بيروت].

(٤) زياد بن معاوية بن ضباب الديلمي، شاعر جاهلي، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء ف تعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضلّه على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظاً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجدة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة وفود على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في ديوان صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمراً طويلاً. [الأعلام (٥ / ٤٤-٤٥)]. وأبياته في: [المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢ / ٣٨٣) ضياء الدين الموصلي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٩٥ م، المكتبة العصرية - بيروت، وتاريخ بغداد (١٤ / ٣٣٥)].

حوائم^(١) قد أيقن أن قبيله^(٢) إذا ما التقى الجمعان أول غالبٍ ولا نعلمُ أحدًا ممن استعلن بأمر الله كان على هذه الصفة؛ إلا محمدًا، عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأن الأنبياء على قسمين: أحدهما: من لم يحوجه الله إلى الجهاد ببذنه؛ بل كان ينتقم له بالأمر السماوية؛ كطوفان [٨٤/ب] نوح^(٣)، والريح العقيم لهود^(٤)، والصاعقة لصالح^(٥).

والثاني: من أحوجه إلى الجهاد البدني؛ كإبراهيم [٧٩/أ]، وموسى، ويوشع، وسليمان، عليهم السلام^(٦)، ولم يشتهر منهم بذلك مثل محمد ﷺ^(٧)، فإن أشدَّ الأنبياء قبله جهادًا موسى، ويوشع، وداود، ولم يتجاوز جهادهم دائرة الشام. وأمَّا سليمان ﷺ^(٨)، فلم يكن جهاده جهادًا في الحقيقة؛ لأنَّ الجهاد بذلُّ الجهد، وسليمان ﷺ^(٩) كان يركب على البساط، ويسير في الهواء، والجنُّ، والشياطينُ تقضي الأشغال، وكان في جهاده أرواحٌ منه جالسًا في بيته.

فأمَّا محمد ﷺ^(١٠) فافتحمت خيله على قلةٍ عسكره أقصى اليمن، وأقصى الشام، إلى حدود أرض الرُّوم، ووصلت إلى البحرين^(١١). ثم أصحابه من بعده بلغوا أقصى

(١) في النسختين هكذا، وفي الديوان، (جوانح).

(٢) في: (ب): رعيه، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في الديوان.

(٣) والطوفان مشهور، وقصته في آيات كثيرة، انظر: (العنكبوت: ١٤).

(٤) وأيضًا أخبار إهلاك قوم عاد ذكرت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، (الذاريات: ٤١). (فصلت: ١٥).

(٥) وقد جمع الله ذكر ما أصاب تلك الأمم في قوله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

(٦) عليه السلام، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٧) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٨) عليه السلام، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٩) في: (ب): عليه السلام، وفي: (أ): صلى الله عليه، والمثبت أولى.

(١٠) البحرين هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجور ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن الزمخشري قد حكى أنه بلفظ الشنية فيقولون هذه البحرين. لما كانت سنة ثمان للهجرة وجه رسول الله ﷺ العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي حليف بني عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو إلى الجزية وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى سبيخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو إلى الجزية =

خراسان^(١)، وأرض المغرب، وفتحوا قسطنطينية، وكثيراً من بلاد^(٢) الروم، ولهذا^(٣) كان ﷺ يُسَمَّى في الكتب القديمة^(٤): نبيّ الملاحم^(٥)، أي: الوقائع والغزوات.
وقوله: قام فمسح^(٦) الأرض، أي: سار فيها، كما بينّا، ونظر بغضبه،
يعني: لله^(٧) سبحانه، ولتوحيده، فاجتمعت نحوه^(٨) الشعوب، يعني: شعوب العرب
على الإسلام.

وقوله^(٩): وتفرّغت الجبال، يعني: من العرب؛ لأنّهم كانوا يسكنون الجبال
في الجاهلية، فلمّا جاء الإسلام تركوها، ودخلوا القرى لأجل الجهاد؛ لتجتمع
كلمتهم.

= فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم. [معجم البلدان (١/ ٣٤٦-٣٤٨)]. قلت: وهجر
المذكورة هي منطقة الأحساء اليوم. أما البحرين اليوم دولة (معروفة) ملكية مستقلة، وهي جزيرة في الخليج
العربي ولا تدرج تحت الاسم القديم، وكانت تسمى فيما مضى - كما حدثني بعض أهلها - دلمون.
(١) خراسان: بلاد واسعة.. آخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها،
إنما هو أطراف حدودها وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهرات ومرو، وهي كانت قصبتها وبلغ
وطالقان ونسا وأبورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، وقد فتحت أكثر هذه البلاد
عنة وصلحاً، وذلك في سنة ١٣ في أيام عثمان رضي الله عنه بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز، والنسبة إليها، يقال:
الخراسي والخراساني ويجمع على الخراسين. [معجم البلدان (٢/ ٣٥١)].

(٢) في: (ب): تخوم، والمثبت من: (أ).

(٣) ولهذا، تكررت في: (أ).

(٤) في الكتب القديمة، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٥) في مسند أحمد، برقم: (٢٢٣٤٨). قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: يَنْتَمَا أَنَا أُنْشِي فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: إِذَا رَسُلَ
اللَّهُ ﷺ يَنْشِي فَنَسْمَعُهُ يَقُولُ: (أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَالْحَاشِرُ وَالْمُقَفَّى وَنَبِيُّ
الْمَلَأْجِمِ). قال النووي رحمته الله: .. وفي حديث آخر: (نبي الملاحم)؛ لأنه ﷺ بعث بالقتال، قال
العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له ﷺ أسماء غيرها كما سبق؛ لأنها موجودة في الكتب
المتقدمة وموجودة للأسم السالفة). [شرح النووي على مسلم (١٥ / ١٠٦)] (باب: في أسمائه ﷺ)
وانظر: موسوعة نضرة النعيم (١/ ١٩٤).

(٦) في (أ): يمسح والمثبت من: (ب).

(٧) في (أ): الله، والصواب من: (ب).

(٨) في: (أ): إليه، والمثبت من: (ب).

(٩) قوله، ليست في (ب)،، المثبت من (أ).

وقوله: وَاتَّضَعَتِ الْآكَامُ، التي لم تزل ثابتة مُذ قديم، إشارة إلى أحد أمور:
إمّا: إلى وطء خيله جبال العرب وحصون غيرهم، حتى ذَلَّتْ وَاتَّضَعَتْ لَهُ،
وانقادت لحكمه، أو إلى قهر جبابرة الكُفَّار، من العرب^(١) وغيرهم. وكُنِيَ عَنْهُمْ
بِالْآكَامِ؛ لجامع صعوبة المُرتقى، ووعورة المسالك^(٢)، أو إلى رفض الجبروت
والتكبر، والتفأخر بالأحساب، الذي كان يفعله أهل الجاهلية، بقوله عليه السلام:
(كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ)^(٣)، ونحوه. وقوله: (كُلُّ مَأْتِرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،
فَهِيَ تَحْتَ قَدَمِي هَذَا)^(٤)، ونحو^(٥) ذلك.

وقوله: لِأَنَّ الشَّيْءَ الْقَدِيمَ هُوَ لَهُ، أي: هذا الناموس كان مذخوراً^(٦) له في القدم،

(١) من العرب، ليست موجودة: (أ) وهناك خطأ بعد كلمة: الكفار، يشير إلى وجودها في الهامش ولم أجدها في
النسخة التي بين يدي، وما أثبتته من: (ب).

(٢) في (أ): وعور المسلك.

(٣) الحديث: في مسند الإمام أحمد بن حنبل برقم: (٨٧٢١) (ج ٢ ص ٣٦١) وحسن إسناده الأرئوط. وفي سنن
أبي داود برقم: (٥١١٦) (ج ٤ ص ٣٣١). سنن الترمذي برقم: (٣٢٧٠) (ج ٥ ص ٣٨٩) وصححه الألباني في
الصحيحة (٢٧٠٠). سنن الترمذي برقم: (٣٩٥٥) (ج ٥ ص ٧٣٤) وحسنه الألباني. سنن البيهقي الكبرى
حديث برقم: (٢٠٨٥١) (ج ١٠ ص ٢٣٢). وحسنه الألباني في الصحيحة بلفظ: (الناس ولد آدم وآدم من
تراب) (٨/٣) برقم: (١٠٠٩). وحسنه الألباني (٦٢/٣) برقم (٤٨٩٩) في تحقيقه مشكاة المصابيح، للإمام:
محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) رواه مسلم (٣٩/٤) برقم (٣٠٠٩) بنحو هذا اللفظ: (أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي
مَوْسُوعٍ وَدِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْسُوعَةٌ). وفي مسند أحمد (٣٦/٢) برقم (٤٩٢٦) بهذا اللفظ: عن
ابن ربيعة قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على درج الكعبة: ... ألا إن كل مأثرة كانت في
الجاهلية فأنها تحت قدمي اليوم إلا ما كان من سدة البيت) قال الشيخ: شعيب الأرئوط: إسناده
ضعيف. وفي مشكاة المصابيح (٧٤/٢): قال الألباني: (صحيح) (برقم ٢٥٥٥) بلفظ: عن جابر بن
عبد الله ﷺ: (... فخطب الناس وقال: ... ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية
موضوعة ...) وفي مسند الطيالسي (١/٢٩٩) برقم (٢٢٧٠) عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ لما فتح
مكة قال: (... ألا إن كل مأثرة تعد ودم مال تحت قدمي هاتين إلا السدانة والسقاية). وفي سنن أبي داود، كتاب
الديات، باب: دية الخطأ شبه العمد برقم (٣٩٧٣).

(٥) في: (ب): ونحوه، والمثبت من: (أ).

(٦) في: (ب): مذخوراً، والمثبت من: (أ).

حتى^(١) يأتي^(٢) فيقيمه.

واعلم: أنَّ من أنصف، وقصد الحق؛ رأى تفسيرنا لهذا الكلام صحيحًا، مستقيمًا، حقًا، لا تشوبه عِلَّةٌ، ورأى أنَّ^(٣) محمدًا ﷺ^(٤) أحقُّ الخلق^(٥) بهذه الأوصاف، واعتقد أنَّ هذه علاماتٌ له، في كتب الأنبياء الأوائل، والله أعلم [٨٠ / أ].

* * *

(١) حتى، ليست في (ب).

(٢) في: (ب): ليأتي، والمثبت من: (أ).

(٣) أنَّ، ليست في: (ب)،، المثبت من (أ).

(٤) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٥) الخلق، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

التعليق من كتاب: ملاخي^(١) النبي ﷺ

وذكر في كتاب: ملاخي^(٢) النبي ﷺ، حكاية عن الربّ سبحانه [٨٥/ب]، أنّه قال لبني إسرائيل:

(قد تعلمون أنّ الابنَ يُكرّمُ أباه، والعبدُ مولاه، فإن كنتم لكم أباء؛ فكيف لا تُكرّموني؟!، وإن كنتم لكم مولى؛ فكيف لا تهابوني؟!)^(٣).

قلت: فهذا يدلُّ على أنّ الله سبحانه يستعملُ لفظَ الأبوةِ، والبُنىةِ، بينه وبين خلقه، على جهةِ المجازِ، وضربِ المثلِ، فلا يكونُ في استعمالها بينه وبين المسيح دلالةٌ على أمرٍ أخصّ من العبودية.



(١) في هامش: (أ) الأيمن: مطلب في ذكر كتاب ملاخي النبي. وفي هامش (ب) الأيسر: ملاخي. و: ملاخي، هو الموافق لما في العهد القديم من سفر: ملاخي.

(٢) ملاخي: ملاخي: اسم عبري معناه: رسولي، وهو آخر الأنبياء في العهد القديم، ودعي الختم؛ لأن نبواته كانت ختامًا لذلك العهد، ولا يعرف عنه إلا ما هو مدون في سفره. وقد زعم بعضهم أن الاسم ((ملاخي)) هو لقب لاسم كاتب آخر كعزرا مثلاً ولكن لا يوجد شيء يدعم هذا الزعم بصورة واضحة، وقد يكون هذا لقباً لأحد الأنبياء المجهولين على كل فيما نظنه هو أن الكاتب كان نبياً مستقلاً بذاته اسمه ملاخي... حين كتب هذا السفر لم يكن لليهود أي ملك بل كان يحكمهم حاكم أو وال معين على الأرجح من قبل الملك الفارسي. ونستنتج أن ملاخي قد جاء بعد كل من حجي وزكريا وقد يكون أن هذه الأسفار الأخيرة قد جاءت بترتيب تاريخي على الأرجح. وعاش بعد السبي وبعد حجي وزكريا وبعد تتميم بناء الهيكل ويظن أنه كان معاصرًا للنحميا سنة ٤٣٣ ق. م [قاموس الكتاب المقدس (٩١٣-٩١٤)].

(٣) سفر ملاخي: ٦: ١.

التعليق من نبوة: أرميا بن حلقيا، النبي ﷺ

ومن التعليق على ^(١) نبوة أرميا ^(٢) بن حلقيا النبي ﷺ حكاية عن الربّ سبحانه، يوبّخ بني إسرائيل على عبادة الأصنام، قال: (لأنّهم قالوا للخشبة: أنت أبونا، وقالوا للحجر: أنت ولدتنا!) ^(٣).

قلت: ومن المعلوم أنّ أحداً ممن عبد الأصنام ونحوها، لم يعتقد أنّها ولدته، ولا أنّها أبوه، وإنّما هذا توبيخ لهم؛ حيث نسبوا إلى الأصنام؛ ما أنعم الله به عليهم، كأنه قال: أنا أبوكم، وأنا ولدتكم، وأنتم تكفرون نعمتي، وتضيفون ذلك إلى الأصنام. فهذا يدلّ على نسبة الله خلقه إلى نفسه بالأبوة، والولادة؛ إنّما هو: كناية عن الربوبية والخلق، أي: أنا ربكم، وأنا خلقتكم، وكذلك الأمر في حق عيسى ﷺ.

ومنه، قوله في الإصحاح الخامس، حكاية عن الربّ سبحانه، أنّه قال موبخاً لبني إسرائيل: (أما ترى ما يصنعون في قرى يهوذا، وأسواق أورشليم، إنّ الأبناء يلتقطون حطباً، والآباء يؤجّجون نازاً، والنساء يعجنّ العجين؛ ليعملن قرايين لنجوم السماء، ويكثرون المرور للآلهة الأخرى؛ ليسخطوني، وإنّما يسخطون أنفسهم، ويخزون وجوههم) ^(٤).

قال بعض مفسري هذا الكلام: كانت قرايينهم هذه شبة خشكناج ^(٥)، يتخذونها من سميد ^(٦) معجون بالدهن والسكر؛ للنجم الذي يُسمّى الزهرة ^(٧).

(١) في (ب): من.

(٢) إرميا: بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب ﷺ. ومعناه: الرب يؤسس، أو: الرب يثبت، النبي العظيم. وهو ابن حلقيا الكاهن من عناثوث في أرض بنيامين [قصص الأنبياء (٤٨٦)].

(٣) سفر أرميا: ٢: ٢٧.

(٤) سفر أرميا: ٧: ١٧-١٩.

(٥) خبز فارسيّ معرب. انظر: [لسان العرب (١/ ٤٨١)].

(٦) السميد: السميد، وهو الحواري من الدقيق سميّ به لأنّه يُنقى من لباب البرّ [تاج العروس (٢٧٣١)]. القاموس المحيط (٤٢٦)].

(٧) والزهرة بفتح الهاء هذا الكوكب الأبيض قال الشاعر قد وكلّني طلّتي بالسّمسره وأنفطّني لطلوع الزّهره. [لسان العرب (٤/ ٣٣١)].

قلت: فهذا يدل على أن ما يتعانه بعض الناس، من خدمة الكواكب، والتقرب إليها كُفْرٌ، وأنه مُسَخِّطٌ للرب سبحانه.

وقد صنّف فخر الدين الرّازي، كتاباً سَمَّاهُ: «السُّرُّ المَكْتُوم في استخدام أرواح النجوم»^(١) في هذا المعنى، وفيه الكُفْرُ الصُّراح!، والشُّرْكُ البَوَاح! ^(٢)، يَعْرِفُ ذلك من نظر فيه، وحكى في أوله حكايات، تتضمّنُ مساعدةَ الرُّوحانياتِ لخدّام الكواكب على ما يريدون؛ ترغيباً في ذلك، وهو إمّا كذبٌ، أو أنّ ذلك في الحقيقة [٨١/أ] مضافٌ بالاستقلال إلى قدرة الله ^(٣)، لا إلى الرُّوحانيات؛ لكنّه وافق تلك الخدمة؛ فظنّ أنه من تأثيرها لأجلها.

ومنه: قولُ الربِّ سبحانه، في آخر هذا الإصحاح: (لا يفتخر [ب] الحكيمُ

بحكمته، ولا يفتخرُ الجبارُ بجبروته، ولا يفتخرُ الغنيُّ بغناه؛ ولكن يفتخرُ الذي
نقد كتاب
السر
المكتوم
للرازي
يفتخرُ بهذا؛ إذا علم وفهم أنّي أنا الربُّ، الذي يُظهر العدلَ والبرَّ في الأرض،
وبهذا أُسرُّ)^(٤).

قلت: حاصله أنّ الذي يُرضي الله من عبده معرفته وتوحيده، وإعطاؤه في الإلهية حقّه، لا الحكمة والجبروت والغنى؛ لأنّ الأوّل: أكبرُ عباداته، والثاني: مزاحمةٌ له في صفات ذاته.

والسَّيِّدُ إنّما يرضى من عبده بالخدمة لا بالمزاحمة، ولهذا سبق العارفون العاملون العالمين^(٥). والمقابلة هاهنا إنّما هي بين العارف المجرّد، والعالم المجرّد عن تلك المعرفة الخاصة؛ إذ لا بُدَّ لهذا العالم من معرفةٍ يحصل بها التوحيد، أمّا من كان عارفاً عالمًا؛ فهو سابقٌ لمن لم يتّصف إلاّ بإحدى الصّفتين. والله أعلم.

(١) في استخدام أرواح النجوم، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٢) في الهامش الأيمن في (أ) كُتب: مطلبٌ في: بيان كفر ما في السرّ المكتوم، لفخر الدين الرازي.

(٣) لفظ الجلالة: الله، ليس في (ب) والمثبت من: (أ).

(٤) سفر أرميا: ٩: ٢٣-٢٤.

(٥) والمعنى: أن العارفين بالله تعالى، العاملين بطاعته؛ سبقوا العالمين إلى الله تعالى.

ثم قال الربُّ سبحانه بعد هذا: (هذه أيامٌ؛ يجيئكم أمرٌ فيها بعقابٍ جميعِ الذين يَخْتَنُونَ من أهل مصر، واليهود، والأدمايين^(١)، وبني عمون^(٢)، والأموايين^(٣)، وجميع محلقي الشوارب الذين يسكنون البراري؛ لأنَّ جميع الشعوب غُلْفَتْهُمْ في مذاكرهم، وجميع بني إسرائيل غُلْفَتْهُمْ في قلوبهم^(٤)).

قلت: هذه شهادةٌ من الربِّ سبحانه، على اليهود والنصارى بالبلادة وضعف الإدراك، وقلة العقل! وهذا مما يُستدلُّ به على بُرْهَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ^(٥)؛ استدلالاً استثنائياً لا برهانياً؛ لأنَّ الحقَّ يُعرَفُ تارةً بالبرهان، وتارةً بإطباق الألباء عليه، وتارةً بتخلف البُلْدَاءِ عنه!

وهؤلاء تحاموا^(٦) عن دين محمدٍ ﷺ، وقد شهد الله عليهم بالبلادة، فهم جُدراء أن يصبوا ببلادتهم الباطل، ويخطئوا الحقَّ.

(١) الأَدُومِيُّونَ: هم نسل عيسو أو آدم، وقد ذكر الأدميون في سجلات مصر في عصر الأسرة الثانية عشرة التي حكمت من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ١٧٨٨ ق.م. وقد طرد عيسو ونسله الحوريين من أرض يدوم وسكنوا في موضعهم وكان حكام آدم، في البداية، أمراء يشبهون رؤساء القبائل أصبحوا فيما بعد، وقبل قيام مملكة إسرائيل، يلقبون بالملوك. [قاموس الكتاب المقدس (٣٩-٤٠)].

(٢) بنو عمون: أنهم نسل بن عمتي، ابن لوط، الذي ولد في مجاورة صوغر، وانتشرت ذريته في الشمال وسكنت جبال جلعاد بين غري وبيوق. وكانوا على صراع مستمر مع الأموريين إلى الشمال منهم، خاصة على الحدود الشرقية والشمالية. [قاموس الكتاب المقدس (٦٤٠)].

(٣) في: (أ): الأموايين، والصواب من: (ب)، ونص سفر أرميا: (مصر، ويهوذا، وأدوم، وبني عمون، وموآب): وموآب: اسم سامي: لأرض موآب أي ما وقع شرقي البحر الميت، وتسمى أيضاً بلاد موآب، ويقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن اليوم. وكانت منقسمة إلى قسمين: (١)-أرض موآب أي ما وقع شرقي البحر الميت وتسمى أيضاً بلاد موآب. (٢) عربات موآب وهي ما كان في وادي الأردن مقابل أريحا. أما أرض موآب فهي سهل مرتفع علوه فوق سطح البحر نحو ٢٦٠٠ إلى ٢٨٠٠ قدم، ويحده غرباً سلسلة من الجبال فجبل المصلوبية وجبل نبا وهي تصلح لرعي المواشي. أما عربات موآب فهي وادي الأردن بين مصب ييوق والبحر الميت. ولم يستح كُتَّابُ قاموس الكتاب المقدس أن يصفوه بأنه (بكر ابنة لوط من أبيها) فلجنة الله على المغضوب عليهم والضالين. [قاموس الكتاب المقدس (٩٢٩-٩٢٧)].

(٤) سفر أرميا: ٩: ٢٥-٢٦.

(٥) في (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٦) في (ب) (تخلفوا) والصواب من (أ).

وفي قوله: محلقي الشوارب، ذمٌ للجواقية^(١)، وغيرهم ممن يحلق لحيتَه وشاربَه ويُغيّر خلق الله.

ومنه في الإصحاح السابع: قال الربُّ في سياقِ ذمِّ عبدةِ الأصنام: (أَمَّا الرَّبُّ فخلق الأرضَ بقوَّته، وأتقن البلاد بحكمته، ومدَّ الأرضَ برأيه، وهو الذي يصيِّر صوتَ الرّعد في الماء في السماء، ويرفع من أقطار الأرض، ويظهرُ البرق، ويصيّره للمطر، وهو الذي يُخرجُ الرِّيحَ من خزائنها، قد جَهَدَ [٨٧/ب] [٨٢/أ] كلُّ الناس، ولم يُبصروا العلم)^(٢).

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين: ذكر هذا بعينه^(٣) وقال: (جَهَدَ^(٤) كلُّ إنسانٍ عند إدراك علمه)^(٥). قلت: هذا يدلُّ على بطلان ما وجَّه به الحكماء، والفلاسفة، تكوُّنَ الحوادث السَّمائية؛ كالرّعد، والبرق، والبرد، والصَّواعق، والمطر، والثلج^(٦)، والصَّقيع، والضَّباب، وغيرها مما أبدؤوا فيه في كُتُبهم، وأعادوا؛ لأنَّ الله سبحانه أخبر عن هذه الأشياء؛ أنَّه يفعلُها بحكمته، وأنَّ العالمَ اجتهدوا فلم يعلموا علمها، مع أنَّ لِمَا تقولُه الفلاسفة في ذلك وقعا في النفوس، واتجاها في المعقول، فالله أعلم.

(١) من فرق الشيعة أتباع هشام بن سالم الجواليقي، رافضي مفرط في التجسيم والتشبيه، وبعضهم ينسبهم إلى التصوف، قال الصنهاجي: (وقالت الجواقية: إن الإمام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر، وإن جعفر نص على إمامة موسى عند جمهور شيعته. ثم افترقت الجواقية بعد حياة موسى بن جعفر الثانية، فصاروا ثلاث فرق: فقالت فرقة منهم: إن موسى بن جعفر قد مات، وقطعوا على موته فسموا: القطعية. وقالت فرقة: إن موسى بن جعفر حي لم يموت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً، وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم، وهذه الفرقة تسمى: الواقعة وتسمى أيضًا: الممطورة). وقال اسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: (ومن الفرق المبتدعة الجواقية: وهم الذين يحلقون لحاهم ويلبسون الجوالق والكساء الغليظ) انظر: [الفرق بين الفرق (٨٧)]. روح البيان في التفسير تفسير سورة الأنعام: ١٥٨ (٣/١٢٢) اسماعيل حقي. الدار السلفية / الهند. الحور العين، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، دار آزال للطباعة والنشر. بيروت. البداية والنهاية لابن كثير [٣٠٧/١٣]

(٢) سفر أرميا: ١٠: ١٢-١٤.

(٣) في (أ): نفسه، والمثبت من: (ب).

(٤) في: (ب): جهل، والمثبت من: (أ).

(٥) سفر أرميا: ١٧: ٥١. ولفظه: (بَلَدَ كلُّ إنسانٍ بمعرفته، خزي كلُّ صانعٍ من التمثال؛ لأنَّ مسبوكة كذبٌ ولا روح فيه).

(٦) الثلج، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

ومنه في الإصحاح التاسع، يخاطبُ الربُّ عصاةَ بني إسرائيل قال: (كما لا يقدرُ الهنديُّ أن يغيّرَ سوادَ جلده!، والنَّمِرُ ببقية، كذلك أنتم؛ لا تقدرون على الإحسان والخير! ؛ لأنكم قد تعودتم الشرَّ)^(١).

قلت: هذا كلامٌ إذا تأمَّله العاقلُ كاشفٌ عن حقيقة القَدَرِ، وتلخيصُهُ: أن الباري سبحانه؛ ركَّزَ في طباعِ العالمِ وجبالَتهم، الميلَ إلى أفعالهم من خيرٍ وشرٍ، كما ركَّزَ الإحراقَ في طبيعةِ النَّارِ، والإغراقَ في طبيعةِ الماءِ، وكما وضعَ السَّوادَ في جسمِ الأسود^(٢)، والتبقيعَ في النَّمِرِ والفَهْدِ، والغرابِ الأبقع^(٣)، والسَّمَّ في الحيَّةِ، والظُّلُمَ والاستيلاءَ في طبعِ السَّبُعِ؛ لكنَّه أجرى فعلَ تلكِ الطبائعِ على كسبِ أهلها؛ فعلى الكسبِ يترتبُ الجزاءُ، وعلى ركزِ الفعلِ في الطبعِ، وتحريكِ الداعي له، وهو خَلْقُهُ المنسوبُ إلى الله سبحانه؛ يترتبُ التسليمُ، والله بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

ومنه في الإصحاح التاسع عشر، قال أرمياُ في أثناء كلام: (هكذا يقول الربُّ الذي صيّرَ الشمسَ نورَ النهار^(٤)، وتديّرَ القمرَ والنجومَ لنورِ اللَّيْلِ، الذي يزجرُ البحرَ فتسكنُ أمواجه)^(٥). قلت: لعلَّ هذا مما غرَّ النصارى؛ حيثُ زعموا أن المسيحَ إلهٌ؛ لكونهم نقلوا عنه أنه زَجَرَ البحرَ فسكتت أمواجه، والريحُ المهيجَةُ له، وذلك وهمٌ منهم قبيحٌ؛ لأنَّ سكونَ البحرِ بالزَّجرِ أعمُّ من الإلهية، فكلُّ إلهٍ يزجرُ البحرَ فيسكنُ موجُه، وليس كلُّ من زجرَ البحرَ فسكنَ موجُه إلهًا؛ إذ لا يلزمُ من وجودِ الأعمِّ وجودُ الأخصِّ، وإنَّما كان [٨٨/ب] ذلك - إن صحَّ عنه - بتأييدٍ من الله سبحانه كسائر معجزاته، ومعجزات الأنبياء - عليهم السلام^(٦) - كما سبق.

(١) سفر أرميا: ١٣: ٢٣. ولفظه (هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه فأنتم أيضا تقدرون أن تصنعوا خيرا أيها المتعلمون الشر) والكوشيين: شعب الحبشة. انظر: قاموس الكتاب المقدس: (٩٢١).

(٢) في (ب): الجسم. وليس فيها: الأسود، والمثبت من (أ).

(٣) في (أ): الأبقع، والمثبت من: (ب). والغراب الأبقع: الذي فيه سواد وبياض [مختار الصحاح (٧٣)].

(٤) في (ب): للنهار، والمثبت من: (أ).

(٥) سفر أرميا: ٣١: ٣٥.

(٦) عليهم السلام، ليست في (ب) ومثبتة من (أ).

التعليق من كتاب حزقيال

ومن التعليق^(١) من كتاب حزقيال^(٢)، [٨٣/أ] في الإصحاح التاسع منه: (قل لبني إسرائيل: لِمَا تَقُولُونَ الْآبَاءُ أَكَلُوا حَصْرَمًا؟ وَأَسْنَانُ الْأَبْنَاءِ تَضْرَسُ، وَإِنَّمَا النَّفْسُ الَّتِي تُجْرِمُ هِيَ تُعَاقَبُ)^(٣).

قلت: هذا معنى قوله تعالى، في القرآن المجيد^(٤): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام، آية: ١٦٤]، ومعنى قوله سبحانه^(٥): ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء، آية: ٧]، ومعنى قوله: ﴿أَفَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف، آية: ١٧٣]، وهي قضية عقلية بديهية: أَنَّ أَحَدًا لَا يُعَاقَبُ بِجَرِيْمَةِ أَحَدٍ، وقال النبي ﷺ لرجلٍ معه ابنه: (أَمَا^(٦)) إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ)^(٧).

(١) في الهامش الأيمن في (أ): مطلب في: التعليق من كتاب حزقيال. وفي هامش: (ب) الأيسر: حزقيال.
(٢) حَزَقِيَال: اسم عبري معناه: الله يقوي.. وهو أحد أبناء الأنبياء الكبار، ابن بوزي، ولد وكبر ونشأ في فلسطين، وربما في اورشليم في بيته الهيكل، أثناء خدمة النبي أرميا. ثم حُيِّلَ مسيياً من يهوذا مع يهوياكين (٥٧٩ ق. م.) ثماني سنوات بعد نفي دانيال، وكان شاباً في ذلك الوقت، ولم يكن طفلاً لكنه كان تحت السن عندما نهض اللاويون بواجباتهم وحسبوا في الإحصاء كرجال. وعاش مع المسيبين اليهود على نهر خابور أو ((كبار)) وهو قناة في أرض بابل، وربما كانت في تل أبيب، تزوج ربما مبكراً في السنة السادسة، أو على الأكثر في السنة التاسعة من السبي، وكان له بيت بدأت نبوته في السنة الخامسة لسبي يهوياكين، أي بزم من مدته ٧ سنين قبل خراب الهيكل في اورشليم، بينما كان ساكناً على ضفاف الخير وكان في السنة الثلاثين من عمره وهي السن التي فيها يدخل اللاويون الخدمة (أي النبوة) والنظرية أن السنة الثلاثين لا تشير إلى سن حزقيال، لكنها تاريخ محسوب أما من اعتلاء نبوخذ نصر، العرش، ومع أنه كان مسيياً في أرض غريبة. إلا أنه كانت له الحرية أن ينطق بنبواته. وكان يرجع إليه شيوخ الشعب لأجل النصيحة.. وقد امتد نشاط حزقيال النبوي فترة تزيد عن ٢٢ سنة على الأقل. ولا يعرف وقت موته ولا الطريقة التي مات بها. [قاموس الكتاب المقدس (٣٠١-٣٠٥). (قصص الأنبياء ٤١٧-٤١٨). (الله جل جلاله، والأنبياء عليهم السلام في التوراة والمهد القديم ٥٣٤-٥٣٥) د: محمد علي البار].
(٣) سفر حزقيال: ١٨: ١-٥.

(٤) في القرآن المجيد، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٥) سبحانه، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) أما، ليست في: (أ)، والمثبت من (ب).

(٧) (صحيح): عن أبي رمثة ؓ قال: انطلقت مع أبي، إلى رسول الله ﷺ فلما رأيته قال أبي: من هذا؟! قلت: لا أدري! قال: هذا رسول الله ﷺ، فاقشعرت حين قال ذلك، وكنت أظن أن رسول الله ﷺ لا يشبه الناس، فإذا له =

ثم قال الربُّ سبحانه: (والرَّجل إن كان بَرًّا يعمل بالبرِّ، والعدل، ولا يأكلُ على الجبال ذبائح الأصنام، ويرفع عينيه إلى أصنام بني إسرائيل، ولا يتنجَّس بامرأةٍ غيره، ولم يدنُ من المرأة وهي حائض، ولم يظلم، ولم يخسر أحدًا، وردَّ الرهن على صاحبه، وبذلَ طعامه للجانح، وكسا العريان، ولم يقرض بالربا، ولم يُعطِ بالعينة^(١)، وردَّ يده عن الإثم، وأنصف بين الرَّجل وصاحبه، ولزم وصاياه، وعمل بها، وحفظ أحكامي، وعمل بالحقِّ، من كان هذا فعله فهو بَرٌّ يَحْيَى وَيَقْيَى)^(٢).

ثم قال في تمام هذا كلامًا طويلًا، مُلخَّصه: (أَنْ مَنْ وَلَدَ لَهُ وَلَدٌ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَبِيهِ الْخَاطِئِ، كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَ أَبِيهِ لَخَطْئِهِ، وَإِنْ عَمِلَ بِالْبَرِّ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ مِنْ إِثْمِ أَبِيهِ)^(٣).

الدلالة
على
إنسانية
عيسى
ﷺ

قلت: فجميع هذه الخصال منهية عنها في دين الإسلام؛ على وفق ما في كتب الأولين، وغرضنا بهذا: الرَّدُّ على بعض النصارى؛ حيث قدح فيما جاء به محمد ﷺ من الشرع، وقال: إنه غير موافقٍ لشرع من قبله، ولا لمصالح العالم.

ومنه في الإصحاح الخامس عشر، في النبوة في ملكٍ صور^(٤)، قال له الربُّ:

= وفرة بهار دوع من حناء، وعليه بردان أخضران، فسلم عليه أبي، ثم أخذ يحدثنا ساعة، قال: (ابنك هذا؟ قال: أي ورب الكعبة أشهد به، قال: أما إن ابنك هذا لا يجني عليك، ولا تجني عليه). [صحيح ابن حبان (٥٩٩٥) ج ١٣ ص ٣٣٧. صححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٣٧٧٣)] وصححه في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السيل في شرح الدليل، لإبراهيم بن محمد بن ضويان برقم (٢٣٠٣). وفي صحيح الجامع (١٣١٧).

(١) بيع العينة هو: أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه للمشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقداً أقل من ذلك القدر، وجاء تحريمها في شريعتنا بأدلة، منها قول رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

[صحيح البخاري الجنائز (١٣١٨)، صحيح مسلم القدر (٢٦٥٨)]

(٢) سفر حزقيال: ١٨: ٥-١٧.

(٣) سفر حزقيال: ١٨: ١٧-٢٠.

(٤) ليست في (ب).

(٥) صور: مدينة قديمة ساحلية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تحاط بالبحر من ثلاث جهات، ولهذا كانت قديماً من أهم الحصون المنيعه على الأعداء، وتقع في العصر الحاضر ضمن لبنان وتبعد عن بيروت (٨٥) كم جنوباً.

[معجم البلدان (٣/ ٤٣٣). موسوعة المدن العربية (٤٤٨).

قُلْتُ إِنِّي إِلَهٌ، لَعَلَّكَ تَقْدُرُ أَنْ تَقُولَ بَيْنَ يَدَيَّ قَاتِلِكَ: إِنِّي إِلَهٌ، سَتَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ؛ إِذَا وَقَعْتَ فِي أَيْدِي قَاتِلِكَ، وَأَنْكَ لَسْتَ إِلَهًا^(١).

قُلْتُ: قَدْ صَرَّحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، بِأَنْ مَنْ لَا يَقْدُرُ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ^(٢)، مِنْ يَدِ قَاتِلِيهِ لَيْسَ بِإِلَهٍ، وَأَنْ مَنْ ثَبِتَ أَنَّهُ إِنْسَانٌ لَيْسَ بِإِلَهٍ^(٣).

وَالنَّصَارَى سَلَّمُوا بِمَوْجِبِ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ أَنْجِيلُهُمْ أَنَّ الْمَسِيحَ صَلَبَهُ^(٤) [٨٩/ب] الْيَهُودُ، وَأَنَّهُ جَهِدَ أَنْ يُخْلُصَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، وَثَبِتَ أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانًا؛ لِأَنَّ خَوَاصَّ الْإِنْسَانِيَّةِ كَانَتْ [٨٤/أ] ظَاهِرَةً عَلَيْهِ، مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ حَتَّى فِي الْآخِرَةِ؛ حَيْثُ قَالَ: (مَا عَدْتُ أَشْرَبَ الْخَمْرِ إِلَّا فِي مَجْدِ أَبِي)^(٥)، فَثَبِتَ أَنَّ الْمَسِيحَ إِنْسَانٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْهُ فِي آخِرِ^(٦) الْإِنْجِيلِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ، أَنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ، قَالَ لِحَزَقِيَال: (قُلْ لِّأَلِ إِسْرَائِيلَ، الْبَيْتِ الْمَسْخُطِ: أَمَا تَكْتَفُونَ بِكُلِّ نَجَاسَتِكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ حَتَّى تَأْتُوا بِالْغُرْبَاءِ؟! غُلِّفِ الْقُلُوبَ وَالْمَذَاكِرَ؛ لِيَنْجَسُوا بَيْتِي وَيُقَرِّبُوا^(٧) عَلَى مَذْبَحِي)^(٨). قَالَ بَعْدَهُ: (كُلُّ غَرِيبٍ أَغْلَفَ الْقَلْبَ وَالْمَذَاكِرَ لَا يَدْخُلُ مَقْدَسِي)^(٩).

قُلْتُ: فَهَذَا ذِمٌّ لَغُلْفِ الْمَذَاكِرِ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَخْتَنُونَ، وَالنَّصَارَى كَذَلِكَ! فَهَمْ مَذْمُومُونَ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ.

(١) سفر حزقيال: ٢٨: ٦-٩.

(٢) نفسه، ليست في (أ).

(٣) لعل الطوفي هنا يريد أن يلزمهم بما في كتبهم، وإلا فقولته: قد صرح الله سبحانه... الخ يعني في هذا السفر، وهذا عليه إشكال من حيث ثبوت هذه الكتب عن الأنبياء بنصها؛ لأن المعروف تحريقها وعدم الجزم بشيء منها، دون بينة أو دليل تطمئن إليه النفس.

(٤) في (ب): صلبته، والمثبت من (أ).

(٥) انظر النصوص في: إنجيل متى: ٢٦: ٢٩. مرقس: ١٤: ٢٥. لوقا: ٢٢: ١٨. وقد مرَّ معنا.

(٦) آخر، ليست في (أ).

(٧) في (ب): يقربون، والمثبت من: (أ).

(٨) سفر حزقيال: ٤٤: ٦-٧.

(٩) سفر حزقيال: ٤٤: ٩.

فإن قيل: إنما ذم من اتصف بكونه أغلف القلب، والمذاكر جميعاً، وربما انضم إليه وصف الغربة، فمن أين لكم أن الأوصاف الثلاثة كملت في النصارى؛ حتى يكونوا مذمومين؟!.

قلنا: أمّا كونهم غُلفَ القلوب؛ فلما بينا قبل من بلادهم؛ حتى سلكوا في دينهم أوعر الطُّرُق.

وأمّا الغربة؛ فيمكن إثباتها فيهم؛ باعتبار هذا أو غيره. ثم هب أن الوصفين فقدا فيهم، أليسوا غُلفَ المذاكير؟!؛ فيكون فيهم الذم بقدر ما حصل فيهم من أوصافه، فهم مذمومون على السِّنة الرُّسل في الجملة.



التعليق من: كتاب دانيال

ومن التعليق^(١) من كتاب، دانيال^(٢): أَنْ بَخْتَنْصَر^(٣)، الْمَلِكُ بَابِلَ^(٤)؛
رَأَى رُؤْيَا، وَقَالَ: لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهَا إِلَّا مَنْ عَلِمَ صَوْرَتَهَا، فَلَمْ يَعْلَمْهَا إِلَّا دَانِيَالُ،

(١) في الهامش الأيمن في (أ): مطلب في التعليق على كتاب دانيال. وفي هامش: (ب) الأيمن: دانيال.
(٢) دانيال: وهو اسم عبري معناه ((الله قضي)) وهو: أحد الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة شريفة ويظن أنه ولد في اورشليم، وأُتي بأمر نبوخذ نصر إلى بابل مع ثلاثة فتيان من الأشراف: هم حنتيا وميشائيل وعزريا سنة ٦٠٥ ق. م. فتعلم هناك لغة الكلدانيين ورشح مع رفقائه الثلاثة للخدمة في القصر الملكي. وفي السنة الثالثة لملك كورش ملك الفرس رأى دانيال في رؤيا النزاع الأخير بين قوات العالم وملوكوت الله. قال ابن كثير: (وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب أحكام القبور: حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله، عن أبي الأشعث الأحمري، قال: قال رسول الله ﷺ: إن دانيال دعاربه ٥ أن تدفنه أمة محمد، فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجهه في تابوت تضرب عروقه ووريده، وقد كان رسول الله ﷺ قال: من دل على دانيال فبشره بالجنة. فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر يخبره فكتب إليه عمر: أن ادفنه وابعث إليّ حرقوص فإن النبي ﷺ بشره بالجنة. قال ابن كثير: (وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظاً نظر والله أعلم). [قاموس الكتاب (٣٥٧-٣٦٠)]. قصص الأنبياء (٤٦٨-٤٦٩) (الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والمعهد القديم (٥٢٩-٥٣٤)).

(٣) بختنصر: نبوخذ ناصر، نبوخذ نصر: اسم بابلي معناه ((نحو حامى الحدود))، لمع اسم نبوخذ نصر حينما دشّن خبرته العسكرية بالتغلب على نخو وجيشه معه من السوريين وقتل الآلاف منهم، في واقعة قرقميش سنة ٦٠٥ ق. م. واستولى نبوخذ نصر على ما خلفه وراءه من ممتلكات، في سورية وفلسطين. وجاء إلى القدس وسبى بعض سكانها، ومن بينهم دانيال ورفاقه، ولكنه ما إن وصله نعي أبيه حتى أسرع بالعودة إلى بابل، وأعلن نفسه خليفة لأبيه سنة ٦٠٥ ق. م. ولم يكف نبوخذ نصر بامتلاك القدس واخذ بعض سكانها أسرى، بل أمر رجاله بأخذ جماعات أخرى من السكان ونقلهم إلى بابل، من القدس وفينيقية ومصر، واستمر يحكم ارض يهودا، ويتسلم الضرائب، مدة ثلاث سنين.. وتغلب على أعدائه بسرعة، وعاد إلى فلسطين جارا، واحتل القدس وقضى على الثورة.. فجاء نبوخذ نصر للمرة الثالثة واحتل المدينة وسبى السكان إلى بابل واستولى على بيت المقدس.. واحتل القدس للمرة الرابعة، بعد حصار شديد.. وأحرق نبوخذ نصر الهيكل، واخذ آلاف السكان أما ارميا، وكان قد تنبأ بما حدث، فقد أوصى به نبوخذ خيرا، ثم حاصر نبوخذ نصر صور، وباقي مدن الساحل الفينيقي، واحتلها وعامل سكانها بقسوة، وفي سنة ٥٨٢ ق. م. حمل من جديد على أواسط سورية، وبلاد العموريين والموابيين ثم غزا مصر سنة ٥٦٧ ق. م. [قاموس الكتاب المقدس (٩٤٥-٩٥٥)].

(٤) بابل: بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر قال الأخفش لا ينصرف لتأنيته وذلك أن اسم كل شيء مؤنث إذا كان علما وكان على أكثر من ثلاثة أحرف فإنه لا ينصرف في المعرفة. [معجم البلدان (٣٠٩/١)].

وكان من سبي بيت المقدس، من أولاد الأنبياء، فقال: (أيها الملك! رأيت حذاءك تمثالاً^(١) عظيمًا، حسن المنظر، ومنظره مُفزعٌ مخوفٌ، رأسه من ذهبٍ جيّدٍ، وصدره وذراعه من فضةٍ خالصةٍ، وبطنه وفخذه من نحاسٍ، وساقاه من حديدٍ، وقدماه بعضهما حديدٍ وبعضها خزفٌ، ورأيت أنه^(٢) قد قُطِعَ حجرٌ من الجبل بلا أيدي، وضرب التمثال على قدميه اللذين^(٣) من حديدٍ وخزفٍ، ودقّهما وطحطحهما جدًّا، وتطحطح الحديد والنحاس، والفخار، [٩٠/ب] والفضة والذهب جميعًا، وصارت كلها كالهشيم الذي يُذرى من يادر الصيف، وحملتها الرياح العاصف، ولم^(٤) يوجد لها أثرٌ، والحجر الذي وقع على التمثال صار جبلًا عظيمًا، وامتلات منه الأرض [٨٥/أ] كلها. هذه رؤياك^(٥).

ثم عبّرها^(٦): بملوكٍ يأتون بعد بختنصر، مختلفين في^(٧) القوة والضعف، على حسب اختلاف جواهر أجزاء^(٨) التمثال، ثم بعد ذلك يُقيم إله السماء ملكًا، لا يتغيّر إلى الأبد.

قلت: قد^(٩) زعم بعض مفسري أهل الكتاب أن هذا الحجر الذي، صار جبلًا عظيمًا؛ هم القوم الذين قوّاهم الله على مملكة اليونانيين.
قلت: وهو سوء تصرف في التأويل^(١٠)، بل حمّله على محمد عليه السلام أولى؛ لوجهين:

(١) في (أ): مثلاً، والصواب من: (ب).

(٢) أنه، ليست في (ب).

(٣) في: (أ): اللذين، والمثبت من: (ب).

(٤) ولم، تكررت في (أ).

(٥) سفر دانيال: ٢: ٤٥-٤٥.

(٦) انظر تعبيرها في سفر دانيال: ٢: ٣٦-٤٥.

(٧) في، ليست في (ب).

(٨) أجزاء، ليست في (أ) والمثبت من: (ب)، وهناك خطأ في (أ) يشير إلى وضعها في الهامش ولم أجدها.

(٩) في: (ب): فزعم، والمثبت من: (أ).

(١٠) قد يدل هذا على معرفة الطوفي بتأويل الرؤى..

وقوله: ليؤتى بالحق الذي لم يزل قبل العالمين، إن حُمل على ما جاء به المسيح، من الحكمة والنبوة؛ فلا شكَّ أنه قبل العالمين؛ لأنَّ علم تعالى^(١) الله تعلَّق به حينئذٍ، وإن حُمل على نفس المسيح؛ فالمرادُ به رُوحُ القُدس الذي أَيْدَ به، وهو الذي كان منه بنفخة جبريل [٨٦/أ]، في جيب مريم؛ فإنَّ شرعنا المعصومَ وَرَدَ بأنَّ: (الله سبحانه)^(٢) خلق الأرواح قبل الأجساد بالفي عام^(٣)، وكانت روح عيسى في تلك الأرواح.

وأيضاً قوله: إلى مجيء الملك المسيح، يدلُّ على أنه ليس إلهاً، ولا ربّاً بالمعنى الذي تريده النصارى؛ لأنَّ حقيقة المَلِك عُرْفًا غير حقيقة الإله والربِّ، وإن كان من صفات الربِّ المَلِك؛ إلا أنَّ المرادَ هنا ليس تلك الصفة.

بقي الكلام في قوله: يُقتل المسيح، هو ظاهرٌ في إزهاق النفس، وشرع الإسلام وردَّ بأنه لم يُقتل ولم يُصلب^(٤)، فتعيَّن حَمْلُهُ على ما حصل له من الضرب غير المزهق، أو يُقدح في صحة هذه اللفظة، وإلَّا فما أعلمُ عنه جواباً غير هذين، إلا أنَّ يُتأوَّل على معنَى يقصد قتله ويعزُّم عليه، أو يُقتل على زعمهم، وهو في الحقيقة إنسانٌ ألقي عليه شبهه، وقد سبق الكلام في قتل المسيح مستوفى، والله أعلم.

فائدة: ذكر في الإصحاح العاشر من كتاب أشعياء، في النبوة في أهل البرية القريبة من البحر قال: (تُسرع العقوبة من البرية مثل العاصف من الشمس^(٥))، ويقدم من أرض

(١) تعالى، ليست في (أ).

(٢) في (ب): الله تعالى، والمثبت من: (أ).

(٣) (لا يصح) قال ابن القيم: (أما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بالفي عام فلا يصح إسناده ففيه عتبه بن السكن قال الدار قطني متروك وأرطاة بن المنذر قال ابن عدي بعض أحاديثه غلط). وذكره الغزالي وكأنه يرى صحته، وعلق عليه بقوله: (أما قوله ﷺ خلق الله الأرواح قبل الأجساد أراد بالأرواح أرواح الملائكة وبالأجساد العالم من العرش والكرسي والسموات والكواكب والهواء والماء والأرض). [الروح (١٧٢) ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م دار الكتب العلمية، بيروت. معارج القدس في مدارج معرفة النفس. (١١١-١١٢) الطبعة الثانية، ١٩٧٥ م، دار الآفاق الجديدة - بيروت. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥٦/١٥) محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.]

(٤) في (ب): لم يصلب ولم يقتل، والصواب من (ب).

(٥) في (ب): التيمن، والمثبت من (أ) وهو الصواب.

بعيدة، قد رأينا منظرًا فظيعةً، ظالمٌ يظلمُ، ومتهَبٌ ينتهبُ، اصعد بأهل الأهواز^(١)، وجبال ماه؛ لأنِّي قد بطلتُ زفراتها كُلَّها^(٢)، ثم قال^(٣): (قال لي الربُّ: انطلق فأقم ديدبان ليُخبر بما يرى، فرأى الرئيَّةُ فارسين راكبين، أحدهما: راكبٌ حمارًا، والآخر راكبٌ جملاً)^(٤).

قلتُ: زعمَ بعضُ مفسري أهل الكتاب أن صاحب الحمار رئيسُ ماه، وصاحب الجمل رئيسُ الأهواز؛ لأنَّهُ قد تقدَّم ذكرهما؛ ولأنه يقول بعد ذلك: (وإذا تقدم رجلٌ من الفارسيين، وهتَفَ وقال: سقطت بابل، سقطت بابل)^(٥)، وهذا كان قديمًا من الزَّمان.

وبعض المسلمين [٩٢/ب] يقول صاحبُ الحمار هو: المسيحُ، كما ثبت في الإنجيل أنَّه ركبَ الحمار^(٦) تصديقًا لهذا الكلام، وصاحب الجمل محمَّد ﷺ؛ لأنه عربيٌّ، وكان يركب الإبل كثيرًا، واتهموا أهل الكتاب في تفسيرهم له برئيس الأهواز، وقالوا لهم: أنتم بين [٨٧/أ] جهلٍ بالمراد، وحسدٍ وعنادٍ؛ لأنكم إن لم تعلموا مراد هذا النبيِّ أشعياء؛ بصاحب الجمل فقد جهلتم، وإن علمتم وحرَفتُم فقد عاندتم.

قلتُ: والإنصافُ أنَّ الكلامَ مُجَمَّلٌ مُحْتَمِلٌ، ولا نصوصيةَ له^(٧) على أحدٍ من الرجلين، وذكر ماه، والأهواز، قرينةٌ تدلُّ على تفسير أهل الكتاب، وذكر الجمل الغالبُ في مراكب العرب، وكون ترجمة النبوة في أهل البرية القريبة من البحر يدلُّ

(١) الأهواز: اسم عربي سمي به في الإسلام وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا منها خوز بني أسد وغيرها فالأهواز اسم للكورة بأسرها وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز [معجم البلدان (١/٢٨٤)].

(٢) سفر أشعياء: ٢١: ٢-٢.

(٣) ثم قال، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب).

(٤) سفر أشعياء: ٢١: ٦-٧.

(٥) سفر أشعياء: ٢١: ٨-٩.

(٦) انظر: إنجيل متى: ٢١: ٥، ٧، وإنجيل يوحنا: ١٢: ١٤ و١٥. وإنجيل مرقس: ١١: ٧.

(٧) له، ليست في (أ)، المثبت من (ب): وهي عائدة على الكلام.

على ما قاله بعض المسلمين، فإنَّ الحجاز - خصوصًا مكة - على ساحل البحر، والله أعلم.



التعليق من: سفر الخليفة

التعليق^(١) من سفر الخليفة، وهو السفر الأول من التوراة:

فمن ذلك، وقال الله: (لنخلق^(٢) بشراً على شبهنا، قد رَسَمْنَا فضله؛ ليكون كصورتنا ومثالنا، وأسلطه على سمك البحار، وطير السماء)^(٣)، إلى أن قال: (وخلق الله آدم بصورته، صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهما الله، وبارك عليهما)^(٤). قلت: هذا مما لا تشيع فيه على أهل الكتاب؛ لأنه قد ثبت في دين الإسلام مثله؛ حيث قال النبي ﷺ: (لا تقبح الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) وفي لفظ: (على صورة الرحمن)^(٥).

وأما لفظ: شبهنا، ومثالنا، فلا أعلم دين الإسلام وَرَدَ بها؛ إلا أن أبا حامد الغزالي^(٦) رحمه الله قال في جواب فتيا، سُئل فيها عمَّن يرى الله سبحانه في المنام، ماذا

(١) في هامش: (ب): الخليفة.

(٢) في: (ب): نخلق، والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ١: ٢٦، وسفر التكوين: هو: يتحدث عن الخليفة والإنسان الأول آدم وامرأته حواء ونسلهما ثم عن الفيضان ثم دعوة الله لإبراهيم.

(٤) سفر التكوين: ١: ٢٧-٢٨.

(٥) صحيح البخاري (ج ٥/ ص ٢٢٩٩) (٥٨٧٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً). صحيح مسلم (ج ٤/ ص ٢٠١٧) (٢٦١٢) ويلفظ (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) الطبراني في المعجم الكبير (ج ١٢/ ص ٤٣٠) (١٣٥٨٠) قال شيخ الإسلام: حديث: (خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن) قد رواه هؤلاء الأئمة رواه الليث بن سعد عن ابن عجلان ورواه سفيان بن عيينة عن أبي الزناد ومن طريقه رواه مسلم في صحيحه ورواه الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن النبي ﷺ مرسلًا ولفظه خلق آدم على صورة الرحمن مع أن الأعمش رواه مستنداً (لِدَقَائِقِ التفسير ١٧١/ ٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أستاذنا أ. د. محمد السيد الجليلند. الطبعة الثانية. ١٤٠٤ هـ. مكتبة علوم القرآن. دمشق [أ].

(٦) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، بقرية «غزالة» القريبة من طوس من إقليم خراسان عام (٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م)، وإليها نسب الغزالي. اختاره نظام الملك للتدريس بالمدرسة النظامية في بغداد فقصدتها في سنة (٤٨٤ هـ) وكان قد بلغ الرابعة والثلاثين من عمره. توفي في (١٤ من جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ) عن عمر بلغ خمسا وخمسين عاماً، وترك تراثاً صوفياً وفقهياً وفلسفياً كبيراً، بلغ ٤٥٧ مصنفًا ما بين كتاب ورسالة، كثير منها لا =

يرى؟! قال: يرى مثال الله^(١).

قال: والله سبحانه له مثال لكن لا مثل له، وفرّق بين المثل والمثال، نعم، الفرق بين المسلمين واليهود^(٢) في هذا أن اليهود يعتقدون الله سبحانه جسمًا، يُصَرِّحُونَ بذلك، عملاً بظواهر ما عندهم، هذا وغيره، وكذلك النصارى، أمّا المسلمون فهم في النصوص الواردة في هذا الباب من الكتاب والسنة على: ثلاث فرق، طرفين وواسطة:

ففرقة: تسمّوا بالمنزّهة، تلك النصوص عندهم هباءً منثورًا، وما لا مندوحة لهم عن صحته يتأولونه، ولو بأبعد التأويلات، وعمدة هؤلاء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى، آية ١١] [٩٣/ب].

وفرقة: يُسمّون^(٣) بالمشبّهة^(٤)، اعتقدوا ظاهر النصوص على قياس الشاهد، = يزال مخطوطا، ومعظمها مفقود. [مقدمة: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/ ٣-١٧) الأعلام للزركلي (٢٢/٧)].

(١) لفظ الجلالة، الله، ليست في: (أ). انظر كلام الشيخ ابن عثيمين في: (لقاء الباب المفتوح (١٦/٦٦))

(٢) في (ب): اليهود والمسلمين، والصواب من (أ).

(٣) في (ب) (تسموا).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه: (وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة: قسمان يقولان: تجرى على ظواهرها. وقسمان يقولان: هي على خلاف ظواهرها. وقسمان يسكتون. أما الأولون فقسمان: أحدهما: من يجريها على ظواهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبيهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق. الثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجرى ظاهر اسم العليم والتقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث وإما عرض قائم به. فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام، فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الاثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية وإن لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليس أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين. وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقيين لا يخالفه وهو أمر واضح فإن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات. فمن قال: لا عقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم أن =

فقالوا في الباري سبحانه مقالة اليهود، ومن عمدتهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، آية ١١] [٨٨/أ].

وفرقة: تسمو بأهل التوسط، والسنة والجماعة^(١)، فنزهوا الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ومماثلتها، عملاً بقوله سبحانه^(٢): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وأثبتوا له بتلك النصوص صفات تليق بذاته، عملاً بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، آية ١١]، وغيرها من آيات الإثبات. والله أعلم.

ثم قال بعد ذلك: (ورأى الله جميع خلقه فرآه حسناً، وكان صباح اليوم السادس؛ يوم الجمعة)^(٣).

قلت: هذا منافٍ لما في صحيح مسلم، وغيره، من أن خلق آدم كان يوم الجمعة، في آخر ساعة منه، ما بين العصر إلى الليل، واعتمادنا على ما عندنا؛ لأن النبي ﷺ قال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)^(٤) كما سبق، وهذا من

= صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثل شئ الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه. [مجموع الفتاوى (الفتوى الحموية) (٥ / ١١٣)].

(١) قال شيخ الإسلام (فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرقة الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية. وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج). انظر: [مجموع الفتاوى (٣ / ١٤١)]. انظر: [شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ: محمد خليل هراس، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ. دار الهجرة للنشر والتوزيع، الثقة. القواعد المثلى، للشيخ محمد الصالح العثيمين، فتاوى أركان الإسلام (٧٦-٨٦) الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، جمع: فهد بن ناصر السليمان. الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ. الدار المصرية السعودية. القاهرة].

(٢) سبحانه، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ١: ٣١ ولفظه: (ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسنٌ جداً، وكان مساءً وكان صباح يوماً). ولم يرد في هذه الترجمات، كلمة: الجمعة.

(٤) (صحيح) رواه البخاري، سبق تخريجه ص ١٨٨.

حديث أهل الكتاب.

ثم قال: (وأكمل الله أعماله في اليوم السادس، واستراح في اليوم السابع من جميع أعماله التي عمل، وبارك عليه وقَدَّسه؛ لأنه فيه استراح من جميع أعماله، وفرغ من خلقه الذي خلق)^(١).

قلت: على هذا الكلام وقع الردُّ في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٢)، أي تعب؛ لأنَّ قولهم: استراح من أعماله؛ يُشعرُ بلحوق التعب له؛ بل يستلزمه؛ إذ لا راحة إلاَّ عن تعبٍ، ولحوقُ التعب من أمارات العلاج والعجز، والله تعالى^(٣) لا يفعل الأشياء على وجهٍ يلحقه عجزٌ ولا تعبٌ؛ بل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، وإنَّما خلق الكائنات في ستة أيام؛ لحكم ذكرها العلماء، ولا عجب من اليهود؛ في إطلاق الاستراحة على الله سبحانه؛ فإنَّهم يعتقدونه جسمًا، والتعب والراحة من لواحق الأجسام، والباري يتعالى عن ذلك^(٥).

ثم ذكر: (أنَّ الله غرس فردوسًا في عدن، وأبنت شجرة الحياة وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر، وكان النهرُ يخرج من عدن، يسقي الفردوس، ثم ينقسم من هناك أربعة أقسام:

أحدها: اسمه فيشون^(٦)، وهو المحيط بأرض الهند، وثُمَّ أجودُ الذهب، وهناك

(١) سفر التكوين: ٢: ١-٣.

(٢) سورة: ق: ٣٨.

(٣) تعالى، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) سورة: يس، آية: ٨٢.

(٥) والباري يتعالى عن ذلك، ليست في: (ب)، وإنَّما كتب مكانها: والله أعلم، والمثبت من: (أ).

(٦) قال في معجم البلدان: فيشون بالشين المعجمة بوزن جيرون اسم نهر [معجم البلدان (٤/ ٢٨٥)].

الفيروزج^(١)، وحجارة [٩٤/ب] البلور^(٢).

والثاني: جيحان^(٣)، وهو المحيط بأرض [٨٩/أ] كوش^(٤) الحبشة.

والثالث: الدجلة، وهو الذي يذهب قبلي الموصل.

والرابع: الكبير الفرات^(٥).

قلت: بعض هذا موافق لما جاء به شرعنا، وهو: أن من أنهار الجنة جيحان والفرات، وبعضه مخالف، وهو: أن منها دجلة، وفيشون، إن لم يُرد^(٦) به سيحون^(٧)، فإن شرعنا لم يذكر ذلك، والوارد في السنة النبوية، أنه ﷺ قال: (رأيت سدرة المنتهى،

(١) الْفَيْرُوزُجُ: صُرْبٌ مِنَ الْأَصْبَاغِ. وفي فقه اللغة: من الجواهر [لسان العرب (٢/٣٤٥) فقه اللغة للثعالبي (١١١٦)].

(٢) البلور: جَوْهَرٌ مَائِيٌّ مَعْرُوفٌ أَيْضًا شَقَافٌ وَاحِدَتُهُ بَلُورَةٌ. [تاج العروس (٢٥٤١). فقه اللغة (١١١٦)]

(٣) جيحان نهر بالمصيصة بالفرع الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفريا بإزاء المصيصة وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة رومية عجبية قديمة عريضة فيدخل منها إلى المصيصة وينفذ منها فيمتد أربعة أميال ثم يصب في بحر الشام. [معجم البلدان (٢/١٩٦)]

(٤) كوش، ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٥) سفر التكوين: ٢: ٨-١٤. مع تغير في الألفاظ التي أودها الطوفي رحمة الله عليه، والنص الوارد في هذا السفر في الترجمة الحديثة، هكذا: (و غرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم، الذي جبله، وأبنت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر، وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن؛ ليسقي الجنة ومن هناك، ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الواحد: فيشون؛ وهو المحيط بجميع أرض الحويلة؛ حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيداً، هناك المقل وحجر الجزع، و اسم النهر الثاني: جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث: حدائق، وهو الجاري شرقي آشور، والنهر الرابع: الفرات). ونهر دجلة والفرات مشهوران بالعراق، حررها الله تعالى، وأطلق الله قيدها.

(٦) في: (ب): ترد، والصواب من: (أ).

(٧) سيحون: نهر مشهور كبير بما وراء النهر قرب خجندة بعد سمرقند يجمد في الشتاء حتى تجوز على جمده القوافل وهو في حدود بلاد الترك. [معجم البلدان (٥/٣٣٤-٣٣٥)].

وإذا يخرج من أصلها أربعة أنهار، سيحان وجيحان، والنيل^(١) والفرات^(٢).
وأما توجيه هذه الأنهار في أصل سدرة المنتهى، وفي الأرض أو تأويله فموضعه
غير هاهنا. وقد تكلم عليه النووي^(٣) في شرح صحيح مسلم^(٤)، والله أعلم.

(١) النيل: نيل مصر: تعريبُ نيلوس من الرومية قال القضاعي: ومن عجائب مصر النيل جعله الله لها سقيا يزرع
عليه ويستغنى به عن مياه المطر في أيام القيظ إذا نضبت المياه من سائر الأنهار فيبعث الله في أيام المد الرياح
الشمال فيغلب عليه البحر الملح فيصير كالسكر له حتى يربو ويعم الرى والعوالي ويجري في الخليج والمساقى
فإذا بلغ الحد الذي هو تمام الري وحضر زمان الحرث والزراعة بعث الله الرياح الجنوب فكبسته وأخرجه إلى
البحر الملح وانتفع الناس بالزراعة مما يروى من الأرض وأجمع أهل العلم أنه ليس في الدنيا نهر أطول من
النيل لأن مسيرته شهر في الإسلام وشهران في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة فيها إلى أن
يخرج في بلاد القمر خلف خط الاستواء وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال إلا هو ويمتد في أشد
ما يكون من الحر حين تنقص أنهار الدنيا ويزيد بترتيب وينقص بترتيب بخلاف سائر الأنهار فإذا زادت الأنهار
في سائر الدنيا نقص وإذا نقصت زاد نهاية وزيادة وزيادته في أيام نقص غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع
على النيل ولا يجيء من خراج نهر ما يجيء من خراج ما يسقيه النيل. [معجم البلدان (٥/ ٣٣٤-٣٣٥)]
(٢) رواه مسلم. كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة. برقم (٢٨٣٩) وشرح النووي
على صحيح مسلم (١٧/ ١٧٦) شرح حديث (٢٨٣٩).

(٣) في (أ): النوادي. وهو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ - ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م) علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليه نسبته.
تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. من كتبه: و «منهاج الطالبين - ط» وغيره. [الإعلام (٨/ ١٤٩)].

(٤) قال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ) (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة). اعلم أن سيحان
وجيحان غير سيحون وجيحون، فأما سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة
في بلاد الأرمن فجيحان نهر المصبصة وسيحان نهر إذنه وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان فهذا هو
الصواب في موضعهما وأما قول الجوهرى في صحاحه: جيحان نهر بالشام ففلسط، أو أنه أراد المجاز من
حيث أنه ببلاد الأرمن وهى مجاورة للشام قال الحازمى سيحان نهر عند المصبصة قال وهو غير سيحون
وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصبصة وطرسوس واتفقا كلهم على
أن جيحون بالواو نهر وراء خراسان عند بلخ واتفقا على أنه غير جيحان وكذلك سيحون غير سيحان وأما
قول القاضي عياض هذه الأنهار الأربعة أكبر أنهار بلاد الإسلام فالنيل بمصر والفرات بالعراق وسيحان
وجيحان ويقال سيحون وجيحون ببلاد خراسان ففي كلامه إنكار من أوجه أحدها قوله الفرات بالعراق
وليس بالعراق بل هو فاصل بين الشام والجزيرة والشامي قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون
فجعل الأسماء مترادفة وليس كذلك بل سيحان غير سيحون وجيحان غير جيحون باتفاق الناس كما سبق
الثالث أنه ببلاد خراسان وأما سيحان وجيحان ببلاد الأرمن بقرب الشام والله أعلم وأما كون هذه الأنهار
من ماء الجنة ففيه تأويلان ذكرهما القاضي عياض أحدهما أن الإيمان عم بلادها أو الأجسام المتغذية مائها
صائرة إلى الجنة والثاني: وهو الأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة، والجنة مخلوقة موجودة =

ثم ذكر: (أن الله سبحانه جمع لآدم جميع حيوان البرّ وطير السماء، وجاء بهم إلى آدم؛ ليسميتهم، فسمّاهم بأسماء، صارت أسماءهم) ^(١). قلت: هذا موافق لقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ولم يتعرض في التوراة لعرضهم على الملائكة.

ثم ذكر: (أن الله سبحانه خلّق من ضلع آدم امرأة، وقربها إليه. فقال آدم: هذه المرأة لأنّها أخذت من المرء) ^(٢).

قلت: وهذا موافق لما ورد في السنة ^(٣).

ثم ذكر: (أن آدم وامرأته كانا كلاهما عريانين، لا يستحيان، وأن الله سبحانه أذن لهما أن يأكلا من جميع شجر الجنة؛ إلا شجرة معرفة الخير والشر، فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً) ^(٤).

قلت: التوراة والقرآن أطلقت ^(٥) فيهما الشجرة فلم تُسم ^(٦)، ولم يُعيّن جنسها ولا نوعها، غير أن التوراة وصفتها بأنها: شجرة معرفة الخير والشر. نعم، اختلف مفسّرو ^(٧) القرآن في عينها، فقليل هي: السنبلة، وقيل: شجرة التين،

قصة آدم
وحواء
عليهما
السلام في
التوراة

= اليوم، عند أهل السنة، وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أن (الفرات والنيل يخرجان من الجنة) وفي البخاري: (من أصل سدرة المتهى). [شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٦/١٧)]
شرح حديث (٢٨٣٩)

(١) سفر التكوين: ٢: ١٩-٢٠.

(٢) سفر التكوين: ٢: ٢١-٢٣.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) [رواه البخاري، برقم (٣٠٨٤) و (٤٧٨٧) ومسلم: برقم (٢٦٧٠) و (٢٦٧١)].

(٤) سفر التكوين: ٢: ١٦-١٧ و ٢٥.

(٥) في (أ): أطلقا، والصواب من: (ب).

(٦) في (أ): يُسم، والصواب من: (ب).

(٧) في (أ) و (ب): مفسروا، والصواب ما أثبتّه.

ولهذا قال معبرو^(١) الرؤيا: من رأى أنه يأكل التين أصابه حُزن^(٢)؛ لأنَّ آدم لما أكلها أصابه الحُزنُ بخروجه من الجنة.

وذكر بعد هذا في التوراة: (أَنَّ الْحَيَّةَ قَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: لِمَ لَا تَأْكُلَانِ مِنْ شَجَرَةِ الْفَرْدَوْسِ؟! فَقَالَتْ: لَثَلَا نَمُوتُ، فَقَالَتْ الْحَيَّةُ: إِنَّكُمَا لَا تَمُوتَانِ مِنْ أَكْلِكُمَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ أَنَّكُمَا يَوْمَ [٩٥/ب] تَأْكُلَانِ مِنْهَا تَنْفَتِحُ أَعْيُنَكُمَا، وَتَكُونَانِ كَالْهَيَّةِ!، تَعْرِفَانِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَأَكَلَتِ الْمَرْأَةُ وَأَطَعَمَتْ بَعْلَهَا، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا، وَعِلِمًا [٩٠/أ] أَنَّهُمَا عُريَانَانِ، فَأَخَذَا مِنْ وَرَقِ، التين وجعلًا يُوَصِّلَانِ مَآزِرَ)^(٣).

قلتُ: هذا كلامٌ مخالفٌ للقرآن، في البعض دون البعض.
أمَّا قوله: إنَّ الْحَيَّةَ هي أغوت المرأة حتى أكلت، فهو بالظاهر مخالفٌ؛ لأنَّ القرآن العظيم^(٤) نصَّ على أنَّ الْمُغْرِي^(٥) لها إبليسُ، لكن الجمع ممكنٌ؛

(١) في (أ) و(ب): معبروا، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) قال القرطبي رحمة الله عليه: (اختلف أهل التأويل في تعيين هذه الشجرة التي نهي عنها فأكل منها، فقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة: هي الكرم، ولذلك حرمت علينا الخمر. وقال ابن عباس أيضًا وأبو مالك وقتادة: هي السنبلة، والحبّة منها ككلى البقر، أحلى من العسل وألين من الزبد، قاله وهب بن منبه. ولما تاب الله على آدم جعلها غذاءً لبنيه. وقال ابن جريج عن بعض الصحابة: هي شجرة التين، وكذا روى سعيد عن قتادة، ولذلك تعبر في الرؤيا بالندامة لأكلها من أجل ندم آدم عليه السلام على أكلها، ذكره السهيلي. قال ابن عطية: وليس في شيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يعتقده أن الله تعالى نهي آدم عن شجرة فخالف هو إليها وعصى في الأكل منها. وقال القشيري أبو نصر: وكان الامام والدي تَحَنُّنًا يقول: يعلم على الجملة أنها كانت شجرة المحنة. [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٠٥)].

(٣) سفر التكوين: ٣: ١-٧.

(٤) العظيم، ليست في: (ب). والطوفي في معرض الرد على أهل الكتاب يذكر موافقة كلامهم أو مخالفته للقرآن الكريم، ولأفئدنا لا نحتاج إلى موافقة كتبهم لما عندنا، كما قرر الطوفي ذلك مرارًا في هذا الكتاب، وغيره من كتبه.

(٥) في: (ب): المغوي، والمثبت من: (أ) قال القرطبي: (ولا خلاف بين أهل التأويل وغيرهم أن إبليس كان متولي إغواء آدم، واختلف في الكيفية، فقال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء أغواهما مشافهة، ودليل ذلك قوله تعالى: «وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ» والمقاسمة ظاهرها المشافهة. [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣١٢)].

بأن إبليس دخل الجنة في فم الحية^(١)، فنسب الإغواء في التوراة: إليها؛ لأنها محلّ للشيطان المغوي، وفي القرآن: إلى الشيطان اعتبارًا بحقيقة المتكلم، وهو أولى بالصواب والحق في العقل. وأما قوله: إن الحية قالت: يوم تأكلان منها تكونان كآلهة، فهو موافق لما في القرآن؛ من قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف، آية ٢٠]، أي: لئلا تكونا كذلك، أو كراهة أن تكونا كذلك.

وذكر في التوراة بعد هذا: (أن الله سبحانه قال لبزيان^(١): آدم قد صار كأحدنا فعلم الخير والشر، لعلَّه الآن يمد يده فيأخذ أيضًا من شجرة الحياة، ويأكل منها فيحيا^(٢) الدهر^(٣))، فأخرجه الله^(٤) الربُّ من فردوس عدن؛ ليحرث الأرض^(٥).

(١) قال السيوطي رحمه الله عليه: (أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: لما قال الله لأدم اسكن أنت وزوجك الجنة أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فأبى الحية هي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كاحسن الدواب فكلمها إن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر فكلمه من فمها فلم يبال بكلامه فخرج إليه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وحلف لهما بالله إنني لكما لمن الناصحين فأبى آدم أن يأكل منها فقعدت حواء فأكلت ثم قالت: يا آدم كل فإني قد أكلت فلم يضر بي، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن ابن عباس قال: إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم، فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى كلم الحية فقال لها: أمنعك من ابن آدم فإنك في ذمتي إن أدخلتني الجنة فحملته بيننا وبين حتى دخلت به فكلمه من فيها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها، يقول ابن عباس: فاقتلوها حيث وجدتموها اخفروا ذمة عدو الله فيها). [الدر المثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١/ ١٣٠)]

عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣ م، دار الفكر - بيروت].

(٢) في: (ب): ليزيان، والمثبت من: (أ)، وهي كلمة غير واضحة المعنى، وبالرجوع إلى الكتاب المقدس سفر التكوين: ٣: ١-٢٤، لم أجد هذه الكلمة فيه. والنص الوارد في: ٢٢-٢٣: (قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر والأن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجته الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها).

(۳) فی (أ): (فیحیی): والصواب من (ب).

(٤) في: (ب): للدهر، والمثبت من: (أ).

(٥) لفظ الجلالة: الله، ليس في (ب)، والمشت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ٣: ٢٢-٢٣.

وذكر عبد الرزاق^(١) في تفسيره: حدثنا^(٢) عمر بن عبد الرحمن^(٣)، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: «لَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ، وَنَهِاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ، وَكَانَتْ شَجَرَةً غَصُونَهَا مَتَشَعَّبٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ لَهَا ثَمَرٌ تَأْكُلُهُ^(٤) الْمَلَائِكَةُ لَخُلْدِهِمْ»، وساق القصة، إلى أن قال: «قِيلَ لَوْهَبٍ: هَلْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَأْكُلُ؟ فَقَالَ: يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ!»^(٥).

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ = ٧٤٤ - ٨٢٧ م): من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث. له (الجامع الكبير) في الحديث، قال الذهبي: وهو خزنة علم، وكتاب في (تفسير القرآن) و (المصنف في الحديث) ويقال له الجامع الكبير، حققه حبيب الرحمن الأعظمي الباكستاني المعاصر، ونشره المجلس العلمي الباكستاني في ١١ جزءاً. [الأعلام (٣/ ٣٥٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢١٦)].

(٢) في: (ب): ثناء، والمثبت من (أ). وثنا: صيغة اختصار عند المحدثين، وصيغ الأداء عندهم كثيرة: (حَدَّثْنَا) و (سَمِعْتُ) لَمَّا سَمِعَ من لفظ الشيخ. واصطُلِحَ على أن (حَدَّثَنِي) لَمَّا سَمِعْتُ منه وحَدَّثَ، و (حَدَّثْنَا) لَمَّا سَمِعْتُهُ مَعَ غَيْرِكَ. وبعضهم سَوَّغَ (حَدَّثْنَا) فيما قرأه هو على الشيخ. وأما (أَخْبَرْنَا) فصَادِقَةٌ على ما سَمِعَ من لفظ الشيخ، أو قرأه هو، أو قرأه آخَرُ على الشيخ وهو يَسْمَعُ. فلفظُ (الإخبار) أَعْمُ من (التحديث). و (أَخْبَرَنِي) للمنفرد. وسَوَّى المحققون كمالك والبخاري بين (حَدَّثْنَا) و (أَخْبَرْنَا) و (سَمِعْتُ)، والأمر في ذلك واسع. فأَمَّا (أَنبَأْنَا) و (أَنَا) فكَذَلِكَ، لكنها غَلَبَتْ في عُرف المتأخرين على الإجازة. وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾. دَالٌّ على التَّساوِي. فالتحديث والخبر والتبأ مترادفات. وأما المغاربة فيُطْلَقُونَ: (أَخْبَرْنَا)، على ما هو إجازة، حتى إن بعضهم يُطْلَقُ في الإجازة: (حَدَّثْنَا). وهذا تدليس. ومن الناس من عَدَّ (قال لنا) إِجَازَةً ومُثَالَةً. [الموقظة في علم مصطلح الحديث (١٠) للذهبي].

(٣) عمر بن عبد الرحمن بن مهزب يقال له ابن درية عمه مولى الأحنس ابن شريق حليف لقريش. كان شيخاً صالحاً، حدث عن وهب بن منبه [مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (١/ ٣٠٥) رقم الترجمة (١٥٤٢)]. العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (٢/ ٣٩٦-٣٩٧) طبع المكتب الإسلامي].

(٤) في: (ب): تأكلها، والمثبت من: (أ).

(٥) والرواية بنصها في تفسير عبد الرزاق الصنعاني هكذا: (عن وهب بن منبه: «لَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ آدَمَ الْجَنَّةَ وَزَوْجَتَهُ نَهِاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ غَصُونَهَا يَتَشَعَّبُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَكَانَ لَهَا ثَمَرٌ تَأْكُلُهُ الْمَلَائِكَةُ لَخُلُودِهِمْ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَسْتَرِلَهُمَا دَخَلَ فِي جَوْفِ الْحَيَةِ، وَكَانَتِ الْحَيَةُ لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمٍ كَأَنَّهَا بَخْتِيَةٌ مِنْ أَحْسَنِ دَابَّةِ خَلْقِهَا اللَّهُ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْحَيَةُ الْجَنَّةَ خَرَجَ مِنْ جَوْفِهَا إِبْلِيسُ، فَأَخَذَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، فَجَاءَ بِهَا إِلَى حَوَاءَ، فَقَالَ: انْظُرِي هَذِهِ الشَّجَرَةُ مَا أَطْيَبَ رِيحُهَا، وَأَطْيَبَ طَعْمُهَا، وَأَحْسَنَ لَوْنُهَا فَأَكَلْتُ مِنْهَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهَا إِلَى آدَمَ، فَقَالَتْ: انْظُرْ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ مَا أَطْيَبَ رِيحُهَا، وَأَطْيَبَ طَعْمُهَا، وَأَحْسَنَ لَوْنُهَا فَأَكَلْتُ مِنْهَا آدَمَ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِمَهُمَا، فَدَخَلَ آدَمُ فِي جَوْفِ الشَّجَرَةِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا آدَمُ =

قلت: هذا أسهل مما ذكر في التوراة، فإن فيه محذورين شنيعين:
أحدهما: أنه مشعر؛ بل ظاهر بأن الله سبحانه إنما كان حيًا، خالدًا، عالمًا بالخير

= أين أنت؟ قال: هأنذا يارب، قال: ألا تخرج؟، قال: أستحي منك يارب، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة تتحول ثمارها شوكا، قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرتان أفضل من الطلح، والسدر، ثم قال: يا حواء أنت التي غررت عبدي فإني لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا، وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم، وهم أعداؤك حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحشما لقيك شدخ وأسك، قال عمر: فقيل لو هب: وهل كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء. [تفسير القرآن (٢/ ٢٢٦-٢٢٧) الإمام: عبد الرزاق بن همام الصنعائي تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد. الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ مكتبة الرشد - الرياض. ورواها ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٢٦) طبعة أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ. وابن كثير في تفسيره (١/ ٢٣٦) ونقلها جمع من المفسرين] ومعلوم أن وهبا ينقل من كتب أهل الكتاب، فما وافق ما عندنا قبلناه، وما خالفه رفضناه، ولا يكفي اعتذاره هنا عن الجواب على سؤال عمر له عن أكل الملائكة بقوله: الله يفعل ما يشاء؛ إذ من المعلوم أن الله تعالى يفعل ما يشاء، (والملائكة خلقتهم عظمة، منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، وثبت أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح. وهم جند من جنود الله، قادرون على التمثيل بأمثال الأشياء، والتشكيل بأشكال جسمانية؛ حسبما تقتضيها الحالات التي يأذن بها الله - سبحانه وتعالى - وهم مقربون من الله ومكرمون، لا يوصفون بالذكورة والأنوثة، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون. والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنما طعامهم التسبيح والتهليل ولا يملون، ولا يفترون، ولا يتعبون، ويتصفون بالحسن، والجمال، والحياء، والنظام). [الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) (٥٤) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية] وقد تعقب هذه الرواية الشيخ الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة في (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) فقال: (... وأغلب كتب التفسير بالرأي ذكرت هذا أيضًا، وكل هذا من قصص بني إسرائيل الذي تزيدها فيه، وخلطوها حقًا باطل، ثم حملها عنهم ابن عباس وغيره من الصحاب والتابعين، وفسروا به القرآن. ويرحم الله ابن جرير، فقد أشار إلى أن ما يرويه عن ابن عباس وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره، من مسلمة أهل الكتاب، وباليته لم ينقل شيئًا من هذا، وباليته من جاء من بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا. وفي رواية ابن جرير الأولى ما يدل على أن الذين رووا عن وهب وغيره كانوا يشكون فيما يروونه لهم، فقد جاء في آخرها: (قال عمر: قيل لو هب: وما كانت الملائكة تأكل؟! قال: الله يفعل ما يشاء!) فهم قد استشكلوا عليه: كيف أن الملائكة تأكل؟! وهو: لم يأت بجواب يعتد به. وسوسة إبليس لآدم عليه السلام لا تتوقف على دخوله في بطن الحية؛ إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا، ولم تكن لها قوائم كالبعثي، ولا شيء من هذا).

[الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٧٥) الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ مكتبة السنة بالقاهرة].

والشّر؛ لكونه أكل من الشجرة.

الثاني: أن بزيان مثل الله سبحانه في ذلك؛ لقوله: قد صار كأحدنا.

وفيه محذور آخر، وهو: أَنَّهُ يُشْعِرُ بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ آدَمَ سَيَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَلَا أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا حِينَ أَكَلَ، حَتَّى أَخْبَرَهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ^(١)، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ [٩٦/ب] قَبْلُ، عَلَى مَا سَيَأْتِي، وَكُلُّ هَذَا قَبِيحٌ رَدِيءٌ، يَجُلُّ سَوَقَةُ الْمَخْلُوقِينَ أَنْ يَحْكُوهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَضْلًا عَنِ الْخَالِقِ.

وقوله: وكانا عريانين، وعلمنا أنهما عريانان^(٢)، ينافي بظاهره قوله سبحانه ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾^(٣)؛ لِأَنَّ بُدُوَ الشَّيْءِ يَسْتَدْعِي اسْتِتَارَهُ، لَكِنْ قَدْ يُقَالُ: الْاسْتِتَارُ تَارَةٌ يَكُونُ لِمَعْنَى فِي الْمَرَأَى، وَتَارَةٌ لِمَعْنَى فِي الرَّائِي؛ لَكِنَّ حَمْلَ الْأَمْرِ [٩١/أ] عَلَى أَنَّهُمَا كَانَا مُسْتَتَرَيْنِ؛ أَنْسَبُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ، وَإِكْرَامِهِ آدَمَ ﷺ^(٤)، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: أَنَّ فِي التَّوْرَةِ: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ صَنَعَ لَهُمَا بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ سَرَائِيلَ مِنَ الْجُلُودِ^(٥)، وَأَلْبَسَهُمَا. فَإِذَا كَانَ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَجْعَلُهُمَا عَرْيَانَيْنِ؛ فَمَا الظَّنُّ فِيمَا قَبْلُهَا، حِينَ الْكِرَامَةِ؟!

أنهما عريانان، ينافي بظاهره قوله سبحانه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ وقوله: فأخذا من ورق التين، وجعلنا يوصّلا من مآزر، موافق لقوله تعالى: ﴿وَطِفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [سورة: طه، آية: ١٢١]؛ وفيه تنبيه على أن الشجرة كانت شجرة التين، كما حكينا عن بعض المفسرين^(٦).

وذكر: (أن آدم وامرأته سمعا صوت الربّ يمشي في الفردوس فاستترا من بين يدي الله

(١) به، ليست في (ب).

(٢) في: (ب): أنها، والمثبت من: (أ).

(٣) سورة: طه، آية: ١٢١.

(٤) عليه السلام، ليست في (ب).

(٥) النص الوارد في ذلك، في: ٣: ٢١: (وضعت الربّ الإله لآدم وامرأته أقمصّة من جلد، وألبسهما).

(٦) ولا يعنينا هذا الخلاف في شيء، وقد سبق ذكر أقوال أهل التفسير في كنه هذه الشجرة.

الرَّبِّ بين شجر الفردوس، ونادى الله آدم، فقال آدم؛ أين أنت، فقال: سمعت صوتك تمشي في الفردوس، ورأيت أبي عريان فاستترتُ، فقال الله الربُّ: ومن أدراك أنك عريان، لعلك أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟^(١) وساق القصة.

وهذا الكلام فيه تشايع، منها:

[الأول]^(٢): صفةُ الله بالمشي في الجنة، وهو تجسيم^(٣)، وقد يُعارضُ بما صحَّ عنه في دين الإسلام، من صفة النزول^(٤)، والجوابُ مشتركٌ، لكن مع التحقيق يلزم

الكلام
على
التجسيم

(١) سفر التكوين: ٣: ٨-١١.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة مني للتوضيح وترتيب الكلام.

(٣) هذه اللفظة مبتدعة، ولم تكن على عهد السلف، قال شيخ الإسلام رحمة الله عليه: (ذكر التجسيم، وذم المجسمة فهذا لا يُعرف في كلام أحد من السلف والأئمة كما لا يعرف في كلامهم أيضًا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم) [درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (١ / ٢٤٩)].

(٤) حديث النزول من الأحاديث المتواترة، نص على ذلك أبو زرعة الرازي كما في عمدة القاري (٧ / ١٩٩)، وابن القيم في تهذيب السنن (٧ / ١٠٨)، والذهبي في العلو ص (٧٣)، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص (٣٠٤)، والكتاني في النظم المتناثر ص (١٩١) وغيرهم. انظر: [اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث (١٢٩) د: محمد الخميس، ط ١٤١٩ هـ وزارة الشؤون الإسلامية - السعودية]. في صحيح البخاري (١٠٩٤): عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له) وأخطأ الدكتور: مصطفى ديب البغا حينما أراد تفسير النزول على غير معتقد أهل السنة والجماعة فقال: (ينزل ربنا) هذا النزول من المتشابه الذي يفوض علم حقيقته إلى الله تعالى أو المراد ينزل أمره ورحمته ولطفه ومغفرته أو المراد تنزل الملائكة بأمر منه. (السماء الدنيا) الأولى وسميت الدنيا لقربها من أهل الأرض). انظر [الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، و: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ دار العاصمة، الرياض] ولفظه: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له...» متفق عليه. وهذا ما قرره عن أهل الحديث الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة أهل الحديث، ص (٦٢)، حيث قال: (وأنه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ بلا اعتقاد كيف فيه). وشيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٢٦)، حيث قال: (ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف، بل يثبتون ما أثبت رسول الله ﷺ ويتهون فيه إليه، ويؤمنون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكولون علمه إلى الله)، قلت: قوله: (يكولون علمه إلى الله) يقصد به علم كيفية النزول، فقد استأثر الله بعلم الكيف، أما المعنى فهو معروف من لغة العرب وهو لا يتق بجلال الله وعظمته من غير تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل =

اليهود التشنيع، دون المسلمين؛ لأنَّ المسلمين إمَّا متأوِّل أو ساكُت، واليهود ليسوا كذلك.

الثاني: قوله: آدم أين أنت؟!

الثالث: قوله: ومن^(١) أدراك أنك عريان؟! لعلَّك أكلتَ من الشجرة؟!

فإنَّ هذا ظاهرٌ في أنَّه تعالى لم يعلم أين آدم، حتى أخبره. ولم يعلم أنَّه أكل، حتى استدلَّ عليه بالعُرْي، وهذا افتراءٌ عظيمٌ على الله، يدلُّ على أنَّ هذه التوراة ليست التي أنزلت على موسى، كما سبق تقريره في الإنجيل. ومن نظر ببصيرة وعقل، في القرآن والتوراة؛ علم بعد الإنصاف أنَّ القرآن أشبه بالحكمة والصواب [٩٧/ب] من التوراة^(٢)؛ فإنَّها تشبهُ خرافات الصبيان!، وما سببُ ذلك إلَّا تقادمُ العهد، واستيلاء التحريف.

بطلان
توراة اليهود
وافترائها
على
الله تعالى

وذكر فيها: (أنَّ الله وكَّل بطريق شجرة الحياة ملكًا كروبيًّا بحرية يحرسها)^(٣).

قلت: كأنه يريد من آدم وغيره^(٤)؛ لثلا يأكل منها فيصير مثل الله سبحانه!، وهذه عقولٌ سخيفةٌ.

وذكر: (أنَّ آدم سمَّى زوجته حواء؛ لأنها أمُّ كلِّ حيٍّ)^(٥).

قلت: هذا قريبٌ، وهو من باب الاشتقاق؛ كتسميته إياها امرأة؛ لأنَّها من المرء، فالمرأة اسم لجنسها أو نوعها. وحواء اسم لشخصها. ويقال: [٩٢/أ] سُمِّيت حواء؛ لأنَّها حَوَتْ عليه لمَّا نزل إلى الأرض، وقبل ذلك، أي: اجتمعت معه وألفته، وقد تُسمَّى المرأة

﴿٥٥٥٥٥٥٥٥﴾ [سورة الشورى. الآية: ١١]. الخلاصة: يؤمن أهل السنة بصفة

النزول الإلهي على الكيفية اللاتقة بالله تعالى وأنه نزول حقيقي إلى السماء الدنيا كل ليلة. انظر: [اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث (١٢٩)د: محمد الخميس، ط ١٤١٩هـ وزارة الشؤون الإسلامية والإرشاد. السعودية].

(١) في (أ): (من أدراك)، والمثبت من (ب).

(٢) هذا الكلام موجهٌ من الطوفي تَعَلُّقًا إلى المخاطبين من اليهود والنصارى، وهذا أولى توجيهٍ لكلامه، والحمد لله تعالى أن لدينا قاعدة ذهنية في التعامل مع نصوص أهل الكتاب، سبق تقريرها غير مرة.

(٣) سفر التكوين: ٣: ٢٤، ونصه: (فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكرويم، ولهب سيف متقلب؛ لحراسة طريق شجرة الحياة).

(٤) في (ب): (أو غيره)، والصواب من: (أ).

(٥) سفر التكوين: ٣: ٢٠.

حواء من: الحُوَّة، وهي: حمرة في الشفتين. والله أعلم.

وذكر: قصة قابيل وهايل مبسوطه^(١)، وهي غير منافية لما في القرآن الكريم^(٢)، وبينهما تفاوت في الزيادة والنقص، وليس ذلك موجباً للتنافي.

وذكر: (أن آدم عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة، ثمانمائة بعد أن ولد شيئاً، ومائة وثلاثين قبلها)^(٣).

وهذا مخالف لما صحّت به السُّنة النبوية، من أن آدم وهب ابنه داود من عمره -وهو ألف سنة- أربعين سنة، فيبقى تسع مائة وستون سنة^(٤).

(١) هذا نص سفر التكوين ٤: ١-٢٥، حول قصة هابيل وقابيل، وقد سُمّي قابيل (قائين): (و عرف آدم حواء امراته، فحبلت، وولدت قائين، وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قائين عاملاً في الأرض، وحدث من بعد أيام أن قائين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبقار غنمه، ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قائين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قائين جداً وسقط وجهه، فقال الرب لقائين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع، وإن لم تحسن؛ فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها. وكلم قائين هابيل أخاه، وحدث إذ كانا في الحقل إن قائين قام على هابيل أخيه و قتله، فقال الرب لقائين: أين هابيل أخوك؟ قال: لا أعلم أحارس أنا لأخي؟ قال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض، فالآن ملعون أنت من الأرض، التي فتحت فاهاً لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها، تائهاً و هارباً تكون في الأرض، فقال قائين للرب: ذنبي أعظم من أن يحتمل، إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفي، وأكون تائهاً و هارباً في الأرض؛ فيكون كل من وجدني يقتلني، فقال له الرب: لذلك كل من قتل قائين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقائين علامة؛ لكي لا يقتله كل من وجده، فخرج قائين من لدن الرب، وسكن في أرض نود شرقي عدن، وعرف قائين امرأته فحبلت، وولدت حنوك، وكان بيني مدينة فدعا اسم المدينة كاسم ابنه حنوك، و ولد لحنوك، عيراد، وعيراد ولد لمحيائيل، ومحيائيل ولد متوشائيل، ومتوشائيل ولد لامك، واتخذ لامك لنفسه امرأتين، اسم الواحدة: عادة، واسم الأخرى: صلة، فولدت عادة: يابال، الذي كان أباً لساكني الخيام، ورعاة المواشي، واسم أخيه: يوبال الذي كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار، وصلة أيضاً ولدت: توبال قائين، الضارب كل آلة من نحاس وحديد، وأخت توبال قائين نعمة، وقال لامك لامرأته: عادة، وصلة: اسمعا قولتي يا امرأتي لامك، وأصغيا لكلامي، فإني قتل رجلًا لجرحي، وفتي لشدخي، إنه ينتقم لقائين سبعة أضعاف، وأما للامك فسبعة وسبعين، وعرف آدم امرأته، أيضاً فولدت ابناً، ودعت اسمه شيئاً، قائلة: لأن الله قد وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل؛ لأن قائين كان قد قتله).

(٢) قصتهما في سورة: (المائدة: ٢٧-٣١).

(٣) سفر التكوين: ٥: ١-٥.

(٤) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا =

على أن محمد بن سعد^(١) ذكر: أن الله سبحانه^(٢) أكمل لآدم ألف سنة، ولدادود مائة سنة^(٣)، في القصة المشهورة في السنة.

وذكر: (أن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، رفع إلى الفردوس^(٤) بعد ثلاثمائة وخمس وستين سنة^(٥))، وهذا لا ينافي القرآن.

وذكر بعد ذكره مولد نوح: (أن الرب^(٦) سبحانه قال: لا تسكن روعي في البشر إلى الدهر؛ من أجل أنهم لحم، ولتكن أيام الإنسان مائة وعشرين سنة^(٧)) [٩٣/أ].

قلت: التوراة عند النصارى حجة لهم وعليهم، وهذه التوراة تنطق بأن روح الله = مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَيَصَا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَيَصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ، قَالَ: رَبِّ وَكَمْ جَعَلْتَ عُمرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا انْقَضَى عُمرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: أَوْلَمْ يَتَّقِ مِنْ عُمرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُنْطِهَا لِإِنِّكَ دَاوُدُ؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَعْطِهَا ابْنِكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسِيَ آدَمُ فَتَنَسَبَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِيئَةُ آدَمَ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

[مسند أحمد: (٧٣/١) (٢٥١/١) سنن الترمذي، (٣/٣٨٨) ح (٣١٧٨) واللفظ له]

(١) محمد بن سعد كاتب الواقدي، كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء، صاحب الواقدي المذكور قبله زماناً وكتب له فعرّف به، وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره، وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة، وله طبقات أخرى صغرى، وكان صدوقاً ثقة. ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس: أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتبة، كتب الحديث والفقه وغيرهما. وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب «تاريخ بغداد» في حقه: ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته، وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب. وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة (٢٣٠) ببغداد. ودفن في مقبرة باب الشام، وهو ابن (٦٢) سنة، تكلّفه تعالى. [وفيات الأعيان (٤/٣٤٨)، ميزان الاعتدال (٦/١٦٢)].

(٢) سبحانه، ليست في: (ب).

(٣) سنة، ليست في: (ب).

(٤) في (أ): (من بعد)، والصواب من (ب).

(٥) سفر التكوين: ٥: ٢١-٢٣.

(٦) في (أ): (الله)، والمثبت من: (ب).

(٧) سفر التكوين: ٦: ٣.

لا تحل في البشر؛ لكونه لحماً. وبالاتفاق أنَّ المسيح كان لحماً ودمًا، بشرًا سويًا، وروح الله هي: الله، بدليل قوله في أول^(١) هذا السفر من التوراة: (وكانت روح الله ترفُّ على الماء)^(٢).

فدُلَّ ذلك على أنَّ الله لم يحلَّ في المسيح كما قالت النصراني، وذكر في أناجيلهم [٩٨/ب].

وأما قوله: لتكن أيام الإنسان مائة وعشرين سنة، فهذا إن ثبت فهو تقدير إلهي لعمر الإنسان، غير معقول العلة، وقد اعتبره أهل العلم في مسألة^(٣) ميراث المفقود^(٤)، ونحوها من المسائل.

وتكلَّم أهل الطبِّ في توجيهه، وسألت بعض أفاضلهم عنه فقال: «لم يأتوا فيه بمقنع غير أنهم زعموا أن الإنسان لا يزال في نموٍّ إلى أربعين، ثم يقف أربعين، ثم يأخذ في الانحطاط والضعف أربعين»^(٥).

قلت: وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ

(١) أول، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب).

(٢) سفر التكوين: ١: ٢.

(٣) مسألة، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٤) قال في الكافي: (في باب ميراث المفقود: إذا غاب الإنسان وخفي خبره، وغالب سفره السلامة؛ كالتاجر والسائح، انتظر به تمام تسعين سنة من يوم ولد، في أشهر الروايتين، وفي الأخرى: ينتظر به أبدًا، أو يرجع إلى اجتهد الحاكم في تقدير المدة. وإن كان غالب سفره الهلاك كالذي يفقد من بين أهله أو يفقد في طريق الحج فإنه ينتظر به تمام أربع سنين؛ لأنها أكثر مدة الحمل، وتعتد زوجته عدة الوفاة وتحل للزواج. قال أحمد: إذا أمرت زوجته أن تزوج قسمت ميراثه. وقد روي عنه التوقف. وقال: قد هبت الجواب فيها وكأنني أحب السلامة. والأول: المذهب. فإن مات للمفقود من يرثه في مدة غيبته دفع إلى كل وارث اليقين، ووقف نصيب المفقود، فإن بان حيًّا دفع إليه، وإن بان ميتًا حين موت مورثه رُدَّ على من يستحقه، وكذلك إن كانت المدة قد مضت، وإن لم تكن مضت ولم يتيين أمره فحكم نصيبه من الميراث حكم سائر ماله، يُقسم على ورثته إذا مضت المدة؛ لأنه محكوم بحياته، ويجوز أن يصطلحوا على الفاضل عن نصيب المفقود من الموقوف؛ لأنه حقهم، ولا يجوز أن يصطلحوا على نصيب المفقود. والله تعالى أعلم). [الكافي في فقه ابن حنبل (٢/٥٦٦)،

وانظر: الروض المربع في شرح زاد المستقنع (٣/٤٣)]

(٥) لم أجد هذا القول بعد بحث طويل.

بَعْدَ ضَعْفِ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ [الروم: ٥٤].

لكنَّ التقديرَ بأربعين، أربعين، في كلِّ طورٍ لا برهان عليه، وإلاَّ فقد يقال على قوله: لتكن أيامُ الإنسان مائة وعشرين سنة: إنَّ أريدَ أنَّ كلَّ إنسانٍ يبلغها فهو باطلٌ بالمشاهدة. وإنَّ أريدَ أنَّ كلَّ إنسانٍ لا يتجاوزها فباطلٌ أيضًا بالمشاهدة؛ فإنَّ كثيرًا من الناس يتجاوزها، وإنَّ أريدَ أنَّ بعضهم يبلغها، وبعضهم لا يتجاوزها؛ فإنَّ أريدَ بالبعض أكثرُ الناس، أو شطرهم فباطلٌ أيضًا بالمشاهدة، وإنَّ أريدَ أقلَّهم فالوحيُّ الإلهي لا يصدر لمثل^(١) هذه الفائدة القليلة.

وذكر: (أنَّ الشرَّ لمَّا كثر في أيام^(٢) نوحٍ أسفَّ الربُّ وحزن قلبه على خلقه لآدم في الأرض، وعزم على إهلاك من في الأرض من كل ذي روح إلا نوحًا، فإنه وجد رحمةً بين يدي الربِّ)^(٣).

قلت: هذا من وضع اليهود وكذبهم على الله؛ حيثُ نسبوه إلى الجهل والابتداء؛ حتى احتاج إلى الاستدراك بالبداء^(٤)، ونسبوه إلى الأسف، وحُزن القلب؛ بناءً على رأيهم في التجسيم، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. والصَّوابُ في هذا وغيره ما عليه العقلاء، من أنَّ الله سبحانه يتصرَّف في مُلكه

(١) في (ب): (إلى) والصواب من: (ب).

(٢) في: (ب): في زمن، والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ٦: ٥-٨.

(٤) البداء ظهور الشيء بعد أن لم يكن به. وهو استنصواب شيء عُلِمَ بعد أن لم يُعْلَم وذلك على الله ٥ غير جائز. [التوقيف على مهمات التعاريف (١١٨) محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧١/١) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت]. قال الشهرستاني: (البداء له معان: البداء في العلم: وهو أنه يظهر له خلاف ما علم ولا أظن عاقلًا يعتقد هذا الاعتقاد والبداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم. والبداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بغيره بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة). [الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٦)].

بمقتضى ملكه، وأنَّ عِلْمَهُ تَعَلَّقَ فِي الْأَزَلِّ، بِأَنْ بَقَاءَ هَذَا الشَّيْءِ مُصْلِحَةٌ فِي وَقْتِ
كُذَّاءٍ، مَفْسَدَةٌ فِي وَقْتِ كُذَّاءٍ، فَيُبْقِيهِ فِي وَقْتِ الْمَصْلِحَةِ، وَيُهْلِكُهُ فِي وَقْتِ الْمَفْسَدَةِ،
ثُمَّ تِلْكَ الْمَصْلِحَةُ وَالْمَفْسَدَةُ قَدْ تَكُونُ ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ، وَقَدْ تَقْصُرُ عَقُولُهُمْ عَنْ
إِدْرَاكِهَا، وَالْحَكِيمُ الْمَجْرُبُ لَا يَنْتَهُمُ.

تنقص
اليهود
الله تعالى
ووصفه
بالعظائم،
لعنهم الله.

وبهذا قرّر المسلمون جواز النسخ [٩٩/ب] في الشرائع والأحكام^(١)، وجعلوا
نظيره الطيب حيث يصف للمريض اليوم شيئاً ثم ينهائه عنه غداً، بحسب مصلحة
مزاجه وتدبيره، واختلاف الأزمنة والأمكنة والأمزجة^(٢)، والله أعلم.
وذكر: (أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَمَرَ نُوحًا أَنْ يَصْنَعَ فُلْكَاً طَوَّلَهُ ثَلَاثُمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَعَرَضَهُ
خَمْسُونَ ذِرَاعاً، وَارْتِفَاعُهُ ثَلَاثُونَ)^(٣). وهذا لم يرد في شريعة الإسلام له تقديرٌ، ولا في
التصديق به محذور^(٤).

وذكر: (أَنَّ الْمَاءَ لَمَّا أَخَذَ فِي النُّضُوبِ أَرْسَلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥) الْغَرَابَ؛
لِيَكْشِفَ لَهُ خَبَرَ الْأَرْضِ هَلْ ظَهَرَتْ؟!، فَذَهَبَ فَلَمْ يَرْجِعْ، ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَجِدْ
لِرَجْلِهَا^(٦) مُسْتَقَرًّا، فَعَادَتْ ثُمَّ أَرْسَلَهَا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَعَادَتْ وَفِي فَمِهَا وَرَقَةٌ زَيْتُونٍ،
فَعَلِمَ أَنَّ الْمَاءَ قَدْ قَلَّ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَذَهَبَتْ وَلَمْ تَعُدْ)^(٧).

قلت: فلعلَّ هذا سبب استيحاش الغراب، واستئناس الحمامة، حيث رجعت
ولم يرجع، فكأنه^(٨) أَبْعَدَ فِي الْمَذْهَبِ، حَتَّى وَجَدَ مُسْتَقَرًّا نَادِرًا فَأَقَامَ بِهِ، أَوْ بَقِيَ
[٩٤/أ] طَائِراً، حَتَّى وَجَدَ مُسْتَقَرًّا.

(١) انظر في قضية النسخ: [تفسير ابن كثير (١/٣٧٧-٣٧٧)] و[٧٦/٢].

(٢) في: (أ): للأمزجة، والمثبت من: (ب).

(٣) سفر التكوين: ٦: ١٥.

(٤) به محذور، ليست واضحة في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٥) ليست في (ب).

(٦) في (ب): (رجليها) والمثبت من: (أ) وهو موافق لما في سفر التكوين.

(٧) سفر التكوين: ٨: ٦-١٢.

(٨) في (ب): (وكانه) والمثبت من: (أ).

وذكر: (أَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَهْلَكَ الْعَالَمَ بِالطُّوفَانِ، قَالَ فِي قَلْبِهِ: لَا أَعُودُ أَبِيدُ الْأَرْضَ؛ لِمَوْضِعِ أَنْ ضَمِيرَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ إِلَى الشَّرِّ مَذْهَبُهُ، وَلَا أَعُودُ أَهْلَكَ كُلَّ حَيٍّ؛ كَالَّذِي فَعَلْتُ) ^(١).

قلت: كَأَنَّهُ عَذَرَ الْإِنْسَانَ؛ لِكَوْنِهِ مَطْبُوعًا عَلَى الشَّرِّ، فَندَمَ عَلَى إِهْلَاكِ الْعَالَمِ، وَتَابَ عَنْ ذَلِكَ فَنَسَبُوهُ إِلَى الْجَهْلِ فِي خَلْقِ الْخَلْقِ، وَإِهْلَاكِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ^(٢)؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ تَحْرِيفِ الْيَهُودِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وذكر: (أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَطْلَقَ لِنُوحٍ وَبْنِهِ أَكَلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ حَيَوَانَ وَخَضِرٍ، قَالَ: غَيْرَ أَنِّي أَنَهَاكُمُ عَنْ أَكْلِ لَحْمٍ فِيهِ دَمٌ نَفْسُهُ جَامِدٌ، فَلَا تَأْكُلُوا الدَّمَ، فَإِنِّي أَنْتَقِمُ لِلدَّمِ ^(٣)، مِنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ ^(٤)، وَمَنْ يَهْرِيقُ ^(٥) دَمَ إِنْسَانٍ مَعِيَ فِي الْإِنْسَانِ يَهْرَاقُ دَمَهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَ آدَمَ) ^(٦). قلت: قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ عَلَى الصُّورَةِ. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقِصَاصَ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِهَذَا مُنْعَ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ قَبُولِ الدِّيَّةِ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لَنَا رَخِصَةٌ وَنَحْلَةٌ، وَلَيْسَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَا يَنَافِي هَذَا، وَقَدْ قَرَّرْتُهُ فِي: (الْفَوَائِد) ^(٧).

وَأَمَّا الدَّمُ فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا مَا يَشْتَقُّ اجْتِنَابَهُ، كَمَا فِي عُرُوقِ ^(٨) [١٠٠/ب] اللَّحْمِ وَنَحْوِهِ ^(٩). وَالْيَهُودُ يَتَّبِعُونَ مَا فِي عُرُوقِ اللَّحْمِ مِنْهُ، فَهُوَ مِنْ

(١) سفر التكوين: ٨: ٢١.

(٢) عُلُوًّا كَبِيرًا، لَيْسَتْ فِي (ب)، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (أ).

(٣) فِي: (ب): الدَّمُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ: (أ).

(٤) فِي (أ): (أَخِيهِ)، وَالْمَثْبُتُ مِنْ: (ب).

(٥) فِي (أ): (مَهْرِيقٍ)، وَالْمَثْبُتُ مِنْ: (أ).

(٦) سفر التكوين: ٩: ٦: ١.

(٧) مِنْ كُتُبِ الطُّوفَانِ. أَحَالَ عَلَيْهِ فِي الْأَنْتَصَارَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ (١/ ٣٨٤، ٣٧٧، ٢٧٨) (٢/ ٦٣٨)، وَكَتَابَهُ هَذَا: التَّعْلِيقُ عَلَى الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ، هُنَا. وَدَرَّ الْقَوْلُ الْقِيَحَ بِالتَّحْسِينِ وَالتَّصْحِيحِ (الْمَطْبُوع) (١٠٦).

(٨) عُرُوقُ، فِي: (ب): عَلَيْهَا سَوَادٌ فَلَمْ تَضَحْ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (أ).

(٩) الدَّمُ الَّذِي يَبْقَى فِي خِلَلِ اللَّحْمِ بَعْدَ الذَّبْحِ، وَمَا يَبْقَى فِي الْعُرُوقِ: فَعْبَاحٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ جَمَاعَةٌ إِلَّا دَمَ الْعُرُوقِ، قَالَ شَيْخُنَا: لَا أَعْلَمُ خِلَافًا فِي الْعَفْوِ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَا يَنْجَسُ الْمَرْقَةُ، بَلْ يُؤْكَلُ مَعَهَا. [الْفُرُوعُ فِي الْفَقْهِ الْحَنْبَلِيِّ (١/ ٢٤٩) مُحَمَّدُ بْنُ مَقْلُوحٍ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ].

الآصار التي عليهم، وخففت علينا^(١).

وذكر: (أن الله سبحانه، أعطى نوحًا وبنيه ومن بعدهم، ميثاقًا أن لا يهلك أحدًا بالطوفان العام بعد ذلك، وجعل علامة ذلك ظهور القوس في السحاب)^(٢).

ذكر
قوس
قزح

قلت: هو المسمى بقوس قزح^(٣)، ولهذا جاء عن بعض السلف أنه قال: « قوس قزح أمان من الغرق »^(٤).

وبلغنا عن بعض المنجمين والفلاسفة؛ أنه يزعم أنه لا بد للأرض من طوفان من كل عنصر من عناصر العالم، فقد مضى طوفان الماء، ولا بد من طوفان الأرض، وهو رمل تنسفه الرياح حتى يطم الأرض، ومن طوفان الهواء؛ يهدم كل ما على وجه الأرض، ومن طوفان النار؛ تحرق كل ما على وجه الأرض.

الطوفان

قلت: وهذا لا ينافي الأمان من طوفان الماء؛ لكن يظهر منه أنه من الخرافات الواردة، عن الأقيسة الفاسدة.

وذكر: (أن نوحًا غرس كرماً وشرب من خمره، فأنكشفت عورته في نشوته، فأبصرها حام، أبو^(٥) كنعان فأخبر أخويه^(٦)، فأخذ سام^(٧)، ويافث^(٨)؛ رداءً وألقياه

(١) في (ب): (عنا) والمثبت من: (أ).

(٢) سفر التكوين: ٩: ١٧-٩.

(٣) وقوس قزح طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع، وهو غير مصروف ولا يفصل قزح من قوس، لا يقال: تأمل قزح فما أئين قوسه، وفي الحديث عن ابن عباس: (لا تقولوا قوس قزح فإن قزح اسم شيطان وقولوا قوس الله ﷻ)، كأنه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهلية وأن يقال قوس الله. [لسان العرب (٥/ ٢٦٣)].

(٤) عن ابن عباس ﷻ قال: (المجرة باب من أبواب السماء وأما قوس قزح فأمان من الغرق بعد قوم نوح ﷺ). [رواه البخاري في الأدب المفرد، باب: قوس قزح (١/ ٢٢٩)] صححه الألباني في [صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري (٢٨٤)] قال النووي: يكره أن يقال: قوس قزح لهذه التي في السماء. [الأذكار (٣٦٨)] وانظر: [فيض القدير للمناوي (٢/ ١٨٢)] و [لسان العرب (٥/ ٢٦٣)].

(٥) في: (ب): أو، هو خطأ والمثبت من: (أ)، ومن سفر التكوين ٩: ٢٢.

(٦) في (أ): (إخوته) والمثبت من (ب).

(٧) سام: اسم عبراني معناه: اسم، وهو أكبر أبناء نوح ﷺ، ولد حين كان عمر نوح خمسمئة سنة، وكان متزوجاً وقت الطوفان، لكن لم يكن له أولاد وقتئذ [قاموس الكتاب المقدس (٤٤٨)].

(٨) يافث: اسم سامي ربما كان معناه: جمال، أو: يفتح. وهو: الابن الثالث لنوح [قاموس الكتاب المقدس (١٠٤٧)].

على عواتقهما، ومشيا على أعقابهما؛ لئلا ينظرا عورة أبيهما؛ حتى واريهاها، فلما
صحنا نوح وعلم ما كان من ذلك [٩٥/أ] ادعا لسام ويافث، وقال: ملعون كنعان،
وعبد العبيد يكون لإخوته^(١).

قلت: هكذا وجدته في نسخة من أصح النسخ بالتوراة^(٢)، أن الناظر إلى عورة
أبيه هو^(٣) حام؛ أبو كنعان، وأن دعاء نوح كان على كنعان، وهذا جور لا تليق
نسبته إلى نوح^(٤)، بل إلى عوام الناس؛ أن رجلاً يسئ أدبه عليه فيدعو على
ابنه، وقد قال الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُزِرُّ وَازِرَةً وَذُرَّ أُخْرَى﴾ [سورة
الأنعام: آية ١٦٤]، خصوصاً على مذهب اليهود في القدر، وأن لا يعاقب إلا من أذنب.
فإن قيل: فلو لم يصرح بلعن كنعان للحقه شؤم اللعنة؛ بطريق التلقي عن أبيه
حام، فلا فرق.

قلنا: بلى^(٥)، فرق بين أن يلحقه شؤمها عن غير قصد، وبين أن يقصد بالعقوبة
غير المذنب، ولو جاز هذا لجاز أن يعذب الله جميع بني آدم بذنب [١٠١/ب] أبيهم
آدم، وأنتم لا تقولون به.

وذكر: (أن الطوفان كان لستمائة سنة من عمر نوح، وأنه عاش بعده ثلاثمائة
 وخمسين سنة، ومات^(٦))^(٧).

قلت: هو موافق لما في القرآن من قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ
عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

(١) سفر التكوين: ٩: ٢٠-٢٦.

(٢) المقصود أنها مضبوطة أو أصحها لديهم، فقد علمنا تحريف التوراة ومراحله.

(٣) هو، ليست في (ب).

(٤) عليه السلام، ليست في (ب).

(٥) في (أ): (قلت) ويلي، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٦) ومات، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب).

(٧) سفر التكوين: ٧: ٦ و ٩: ٢٨-٢٩.

وذكر: (أن الأرض كانت كلها بعد نوح وكثرة ولده، لساناً واحداً سريانياً^(١)، فارتحلوا من المشرق إلى بقعة من الأرض، فجعل الرجل منهم يقول لصاحبه: هلموا فلنضرب لبناً ونحرقه بالنار فيصير حجارة؛ فبنى قرية، وصرحاً رأسه في السماء، فقال الرب: هذا شعب واحد، ولسان واحد، فهلم نهبط فنقسم ألسنتهم؛ لئلا يفهم أحدهم كلام صاحبه، ففعل الرب ذلك، فتفرقوا وتركوا بناء الصرح، ولذلك سُميت البقعة: بابل؛ لأنَّ ثمَّ بلبلت^(٢) الألسن، ومن هناك افترقوا [أولاد نوح]^(٣) في الأرض^(٤). قلت: كأنَّ الحكمة في اختلاف^(٥)... أن يتفرقوا فيعمروا الأرض^(٦)، ولا يلزموا مكاناً واحداً. هذا محتمل قريب.

أمَّا إن قيل: إنَّ الله حذر من أن يرتقوا إليه، أو نحو هذا، كما سبق من حكاية أنه:

(وكل بالشجرة كروبيًا بحرية^(٧) يحرسها، لئلا يأكل منها آدم أو غيره فيصير إلهاً)^(٨)، فهذا من الخرافات. !

وذكر: (أن إبراهيم ولوطاً بعد أن عادا من مصر سكنا أرض كنعان^(٩)، فكان رعائهما يقتتلون، فاتفقا على أن يفترقا، فأقام إبراهيم بكنعان، وشرق لوطاً إلى أرض سدوم^(١٠)، فلما فارق لوط، قال الله لإبراهيم: ارفع عينيك، وانظر المكان الذي أنت فيه،

(١) في: (أ): سريانياً، والمثبت من: (ب). وهي:

(٢) في: (ب): تبليلت، والمثبت من: (أ).

(٣) ليست في: (ب)، وهي ملحقة في الهامش الأيسر في (أ).

(٤) سفر التكوين: ٩: ١-٩.

(٥) كلمة غير واضحة كتبت في الهامش في (أ)، والمثبت من: (ب).

(٦) في: (أ): الدنيا، المثبت من (ب).

(٧) في: (أ): بحرية، والمثبت من: (ب).

(٨) سفر التكوين: ٣: ٢٤، وقد سبق.

(٩) هي فلسطين، سميت بفلسطين بن كسلوخيم بن صديق بن كنعان بن حام بن نوح. [معجم البلدان (٢٧٥/٤)].

(١٠) مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم [معجم البلدان (٣/ ٢٠٠)] لسان العرب (٢٨٣/١٢).

إلى الشمال والجنوب، والمشرق والمغرب [٩٦/أ]، وأن^(١) جميع الأرض التي ترى كلها لك^(٢)، أعطيتها لك، ولنسلك إلى الأبد، وأكثر ذريتك مثل تراب الأرض^(٣).

قلت: فنظرنا فإذا ملك بني إسرائيل ارتفع عن أرض كنعان وغربها^(٤) وشرقها، وجملة من شمالها، وغالب جنوبها بظهور محمد ﷺ^(٥)، وصار للعرب، بمقتضى وعد الله الصادق لخليله إبراهيم ﷺ^(٦). وذلك يدل على فضيلة العرب، وصحة النبوة فيهم؛ لأنهم من بني إبراهيم، وغالب بني إسرائيل صاروا تحت [١٠٢/ب] الذل والصغار، والخزي والعار؛ بكفرهم وفجورهم. والله أعلم.

وذكر: (أن إبراهيم سأل ربه ولدا يرث أرضه، فوعده بذلك. فسأله آية على ذلك فقال له: خذ عجلا وكبشا ثلاثيا، وعنزاً ثلاثيا، وشقتين، وفرخ حمام، ففصلهم على السواء^(٧)، واجعل كل عضو منهم، بإزاء صاحبه ولا تفصل الطير، وأجعله كأنه واقع على تلك الأجساد)^(٨).

قلت: هذا مخالف لما في القرآن في الصورة والسبب، أمّا الصورة: فإن في القرآن قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٠]، لم يذكر شيئا من ذوات الأربع، وأمّا في السبب: فلأنه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٠]، وها هنا ذكر أنه سأله علامة على حصول الولد، وما في القراء أن أشبه^(٩) بالحكمة

(١) في: (ب): فإن، والتصويب من: (ب).

(٢) في (ب): لك أعطيتها ولنسلك، وليس فيها بعدها: لك. والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ١٣: ١٦.

(٤) في (ب): وغرها، والصواب من (أ).

(٥) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٦) قلت: فيها دلالات قاطعة على حق المسلمين الثابت في أرض فلسطين وأن اليهود مغتصبون لها بدون حق، وقد ذكر جمع أن يهود اليوم ليس لهم علاقة بيعقوب ﷺ، بل هم نتاج السبي البابلي الذي فعله بختنصر، فجاء بقوم من العراق فأسكنهم فلسطين.

(٧) في: (ب): الستواء، والصواب من (أ).

(٨) سفر التكوين: ١٥: ٣-١١ وفيه: (و يمامة) بدلًا من (شقتين).

(٩) الطوفي رحمة الله عليه يكثر من استعمال هذا الكلمة كثيرا، والمتبع لها يعلم أن معناها عنده: أصوب وأحكم؛ لأنه لا يعقل أن يفاضل إمام مثله بين القراءان الكريم وكتب محرقة كهذه بمثل هذا اللفظ، والله تعالى أعلم.

والصواب، وحال إبراهيم، فإن إبراهيم كان^(١) مقامه مقام من لا يفكر إلا في أمر الآخرة، والنظر في عجائب حكمة الله، لا في ملك الأرض، وإرثها من بعده، وإذا كان النبي في حياته لا يلتفت إلى الدنيا، فما ظنك له بعد موته؟! لكن هذا المذكور في التوراة؛ يقدح في قول من قال: إن زكريا إنما أمسك عن الكلام حين بُشِّرَ ببيحي عاقبة له؛ حيث سأله العلامة ولم يبادر بالإيمان؛ لأن العقوبات تزيد بزيادة المقامات والأحوال، وإبراهيم عليه السلام^(٢) أعلى مقامًا وأقوى حالاً من زكريا، وقد سأل الآية من الله سبحانه لا من جبريل، ومع هذا لم يُعاقب بشيء، فهذا يقدح فيما في الإنجيل^(٣) من ذلك، وقد سبق فاعرفه.

وذكر: (أن الله سبحانه قال لإبراهيم: إن نسلك يكون ساكنًا في غير أرضه، ويعملون فيها^(٤))، ويُستبدون ويستكدون^(٥) أربعمئة سنة، والشعب الذي يستعبدهم انتقم منه أيضًا، وإنهم يخرجون من بعد ذلك بملك عظيم^(٦) [٩٧/أ].

قلت: هذا إشارة إلى بني إسرائيل الخالفين بمصر بعد يعقوب ويوسف، فإن فرعون استعبدهم؛ حتى أرسل موسى فخلصهم وأغرق الله فرعون.

وقوله: يخرجون من بعد ذلك بملك عظيم، دليل على أن موسى بعد إغراق فرعون عاد إلى مصر بنفسه، أو بنائيه يوشع، وكالب^(٧)، - على خلاف ذكره أهل القصص

(١) كان، ليست في (أ)، والمثبت من: (ب).

(٢) عليه السلام، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٣) يعني ما ورد في: (إنجيل لوقا: ١٨: ٢٢): (فقال زكريا للملاك كيف اعلم هذا لأنني أنا شيخ وامراتي متقدمة في أيامها فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا وها أنت تكون صامتًا ولا تقدر أن تكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومئذ إليهم وبقي صامتًا)

(٤) فيها، ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٥) في: (ب): يستكدوا، والمثبت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ١٥: ١٣-١٤.

(٧) كالب: بن يفتة، اسم عبري بمعنى: كلب، ورد ذكره في سفر العدد (١٤: ٦):

(ويوشع بن نون وكالب بن يفتة من الذين تجسسوا الأرض مزقائيهما) وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله =

[١٠٣/ب]- إلى مصر، فملك أرض فرعون ونعمه، وأنَّ الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَسَرَكْنَا فِيهَا﴾ [سورة الأعراف: آية: ١٣٧] هي أرض مصر. وقد نص على ذلك القرآن حيث يقول: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [سورة الشعراء: آية: ٥٩]. والله أعلم.

وذكر: (أنَّ سارة، امرأة إبراهيم لم يكن لها ولد، وكان لها أمة مصرية، اسمها: هاجر، فقالت سارة لإبراهيم: ادخل على هاجر، عسى الله أن يرزق منها ولداً تتعزاً^(٢) به، فدخل على هاجر فحملت فهانت^(٣) مولاتها في عينها، فشتمتها سارة، فهربت هاجر، فتلقاها ملك الرب فقال: ارجعي إلى مولاتك فكوني تحت يدها، يكثر الله نسلك إكثاراً لا يحصى عدده، وقال لها: إنك حبل، وستلدين غلاماً اسمه إسماعيل؛ لأنَّ الله قد سمع نعبك، وهو يكون بدوياً من جميع الآدميين، ويبارك فيه، يده على الكل، ويدُّ الكل به، وعلى حدِّ جميع إخوته ينزل، وكان إبراهيم حين ولادة إسماعيل ابن ستة وثمانين سنة)^(٤).

نبوة النبي ﷺ في التوراة = قلت: قد نطق الوحي الإلهي^(٥) بأن: إسماعيل يبارك فيه، وتكون يده على الكل، أي: وهما يوشع وكالب وهما القاتلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد **﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى اللَّهِ فِتْوَاكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [المائدة: ٢٣] [قاموس الكتاب المقدس (٧٥٨) قصص الأنبياء (٤٤١)].

(١) ما بين معقوفين أثبتته من السورة؛ تصحيحاً للخطأ في كلا النسختين (أوب)؛ حيث كتب بدلاً منها بعد: بني إسرائيل.. «قوماً آخرين»، وهو وهم واضح من النسخ.

(٢) في: (أ): تعزاً، والمثبت من: (ب).

(٣) في: (أ) (فهايت)، والصواب من (ب).

(٤) سفر التكوين: ١٦: ١٦.

(٥) إنَّ عنى الطوفي رحمة الله عليه بالوحي الإلهي هذا النص من التوراة، فهذا على فرض ما بقي منه مما لم يحرف، وإلا ففي القراءة غنية عن ذلك ودليل هذا ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم). فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، =

على كل ولد إبراهيم، وأنه ينزل على حدّ إخوته، أي: يرأس ويعلو عليهم، ولم تظهر بركه إسماعيل، وعزّه، ورفعته على^(١) بقية بني إبراهيم؛ إلاّ بظهور محمد ﷺ^(٢). فهذا دليل على نبوته في التوراة، وثبت بهذا أن بكر إبراهيم هو إسماعيل. وذكر: أن الله سبحانه استعلن لإبراهيم بعد ذلك؛ فوعده بأشياء، منها أن قال: (أعطيك وذريتك من بعدك أرض مسكنك، جميع أرض كنعان، ميراثاً إلى الأبد، وأكون لها إلهاً)^(٣).

وقد بيّنا فيما سبق، أن أرض كنعان خرجت من أيدي بني إسحاق، وصارت لبني إسماعيل، محمد وأمه، وهو يدلّ على صحة نبوة محمد؛ إذ من المحال أن يمتنّ الله على إسماعيل؛ بأن يورث أرضه الكفار، الكذابين على الله سبحانه.

وذكر: أن الله سبحانه عاهد إبراهيم عهداً، [٩٨/أ] أن يختن هو ونسله، ومن تبعهم من غيرهم، كالعبيد ونحوهم. قال: (فيكون^(٤) عهداً بيني وبينك، وميثاقاً بخلو فكم إلى الدهر) قال:

(وأي ذكر بقي أغرل، ولا يختن فتهلك تلك النفس من شعبها إذا^(٥) أضاعت ميثاقها)^(٦).

قلت: فهذا فيه وجوب الختان على الرجال دون النساء. وهو مذهب جماعة من المسلمين^(٧)، وقال قوم بالطرفين، الوجوب عليهما وعدمه.

= فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله فرأيت الرجل يجنا على المرأة يقيها الحجارة. [صحيح البخاري (٣ / ١٣٣٠) ح (٣٤٣٦) و (١٢٦٤) وأخرجه مسلم. رقم (١٦٩٩)].

(١) مكررة في: (أ).

(٢) في (ب): (عليه السلام).

(٣) سفر التكوين: ١٧: ٨.

(٤) في (ب): (يكون)، والصواب من (أ).

(٥) في: (أ): إذا، والمثبت من: (ب).

(٦) سفر التكوين: ١٧: ٩-١٤.

(٧) قال ابن قدامة: (فأما الختان فواجب على الرجال ومكرمة في حق النساء وليس بواجب عليهن. هذا قول =

وفيه تضليل^(١) للنصارى [١٠٤/ب]؛ لأنهم يتركون الختان، مع أن الله أوجبه على إبراهيم ونسله إلى الدهر، فيلزمهم إما الضلال، أو أنهم ليسوا من نسل إبراهيم، إلا أن يبينوا أن حكم التوراة في هذا نسخ عندهم.

وربما استروح النصارى في ترك الختان، إلى أن المحذور من الغرلة^(٢) إنما هو احتقان البول فيها، لكن ذلك ليس محذورا عندنا؛ لقول المسيح: (التجس ما خرج من القلب، لا ما خرج من الفرج)^(٣) أو إلى: (قوله لخلفائه، ما ربطتموه في الأرض فهو مربوط في السماء، وما حللتموه في الأرض فهو محلول في السماء)^(٤)، وقد حكم خلفاؤه بعدم وجوب الختان، لكن هذه خرافات إذا نوقشوا

حجة
النصارى
في ترك
الختان

= كثير من أهل العلم. قال أحمد: الرجل أشد؛ وذلك أن الرجل إذا لم يختن فتلك الجلدة مدلاة على الكمر ولا ينقي ما ثم، والمرأة أهون. قال أبو عبد الله: وكان ابن عباس يشدد في أمره. وروي عنه أنه: لا حج له ولا صلاة، يعني: إذا لم يختن. والحسن يرخص فيه، يقول: إذا أسلم لا يبالي أن لا يختن. ويقول: أسلم الناس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختنوا، والدليل على وجوبه أن ستر العورة واجب، فلو لا أن الختان واجب لم يجز هتك حرمة المختون، بالنظر إلى عورته من أجله؛ ولأنه من شعار المسلمين فكان واجبا كسائر شعارهم، وإن أسلم رجل كبير فخاف على نفسه من الختان سقط عنه؛ لأن الغسل والوضوء وغيرهما يسقط إذا خاف على نفسه منه فهذا أولى، وإن أمن على نفسه لزمه فعله. قال حنبل: سألت أبا عبد الله عن الذمي إذا أسلم ترى له أن يطهر بالختان؟ قال: لا بد له من ذلك قلت إن كان كبيرا قال أحب إلي أن يطهر لأن الحديث: (اختن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة) قال تعالى: ﴿يَلَلَةُ أَيْسَكُمْ يُتْرَاهِمَ﴾ ويشرع الختان في حق النساء أيضا قال أبو عبد الله وحديث النبي ﷺ: (إذا التقى الختانان وجب الغسل) فيه بيان أن النساء كن يختن وحديث عمر إن ختانة خنت فقال: أبق مني شيئا إذا خففت وروى الخلال بإسناده عن شداد بن أوس قال قال النبي ﷺ: (أنه قال للخافضة: أسمى ولا تنهكي فانه أحظى للزوج وأسرى للوجه) والخفص ختانة المرأة. [المعنى (١٠٠/١)].

(١) قال ابن القيم: (فدينهم شرب الخمر، وأكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث، من الفيل إلى البعوضة) [هداية الحيارى (٨)].

(٢) الغرلة: القلفة. [لسان العرب (٤/٤٣٤)] قال ابن القيم في رائعته:

وسل اليهود وكل أكلف مشرك عبد المسيح مقبل الصليبان

[متن القصيدة التونية (٩) مكتبة ابن تيمية، القاهرة. الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ].

(٣) إنجيل متى: ١٥: ١١ و ١٥: ١٨، وإنجيل مرقس: ٧: ١٥ و ٧: ١٨.

(٤) إنجيل متى: ١٦: ١٩ و ١٨: ١٨.

فيها^(١) تعذر عليهم القيام بنصرها.

وذكر: (أَنَّ الله سبحانه^(٢) بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْحَاقَ مِنْ سَارَةَ، وَإِبْرَاهِيمَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ

مدح
الصحابة
رضي الله
عنهم

تسع وتسعين سنة، وسارة لها تسعون سنة، فقال لإبراهيم حين استبعد ذلك: حَقًّا إِنْ زَوْجَتِكَ سَارَةُ تَلِدُ لَكَ غُلَامًا وَيَدْعِي اسْمَهُ^(٣) إِسْحَاقَ، وَأَقِيمَ مَعَهُ مِيثَاقًا إِلَى الْأَبَدِ، وَلِخَلِيفَةٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ، فَقَدْ سَمِعْتُكَ، وَقَدْ بَارَكْتَ عَلَيْهِ، وَكَثَّرْتَهُ كَثِيرًا جَدًّا، وَيُولَدُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ شَرِيفًا، وَأَجْعَلُهُ لَشُعْبٍ عَظِيمٍ^(٤).

قلتُ: ففي هذا دليلان، على صحة نبوة محمد ﷺ^(٥):

أحدهما: قوله: يولد لإسماعيل اثنا عشر شريفًا، وصفهم الله بالشرف، والكفار ليسوا عند الله أشرفًا، وَعُبَادُ الْأَصْنَامِ كُفَّارٌ؛ فَلَا يَكُونُونَ^(٦) شُرَفَاءَ. ولم يُعلم من بني إسماعيل من ظهر بما يناسب الناموس الإيماني، والذين التوحيد، الجاري على عادة الأنبياء المتقدمين؛ إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ^(٧)، والاثنا عشر شريفًا: هو وأصحابه الذين

(١) في: (أ): عليها، والمثبت من: (ب).

(٢) سبحانه، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٣) اسمه، ليست في: (أ)، وأثبتها من: (ب).

(٤) سفر التكوين: ١٧: ١٦-٢٠.

(٥) في: (ب): (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

(٦) في: (ب) يكونوا، والمثبت من: (أ).

(٧) في: (ب) (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

قطع لهم بالجنة^(١)، وسبطاه^(٢) أو عمّاه: حمزة^(٣)، والعبّاس^(٤)، فهؤلاء نظراء نقباء موسى، الاثني عشر شريفاً^(٥)، وحواريّ عيسى الاثني عشر.

ومن أنكر أن هؤلاء هم^(٦) المشار [٩٩/أ] إليهم في التوراة^(٧) بهذا الخطاب، فعليه أن يبيّن لنا في بني إسرائيل مَنْ هو أحقُّ منهم بذلك.

الدليل الثاني: قوله: وأجعله لشعب عظيم، وصف الله سبحانه هذا الشعب بكونه عظيماً، وهو شعبُ العرب. والله لا يعظم عنده إلا الخيرُ الفاضل؛ إذ الشريرُ أهونُ عليه من الذرة! ولا يردُّ علينا من مات في الفترة قبل النبوة؛ لأنَّ أولئك يُمتحنون في الآخرة، كما تُمتحن [١٠٥/ب] الأطفال، وقد جاء في ذلك حديثٌ ذكره وثيمة^(٨) في أواخر (القصص). ولا من كفر حين النبوة^(٩)؛ لأنَّهم قليلون بالنسبة إلى العرب، فالاعتبار بالأكثر.

وإذا ثبت أنَّ شعب العرب عظيمٌ عند الله؛ وجب أن لا يخلو من رسولٍ، كشعب

(١) عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال، قال: رسول الله ﷺ (عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة رضي الله عنه وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ورواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة بن سعيد. [الأحاديث المختارة ٣/ ١٠٢ (٩٠٣) محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، مكتبة النهضة، مكة المكرمة. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٤٠١٠) و (٧٤٥٧). وصححه في صحيح سنن الترمذي (٣٧٤٨). وسنن أبي داود (٤٦٤٩) وسنن ابن ماجه (١٣٣)] قلت: فيه رد على من رمى الطوفي بالرفض إذ لو كان رافضياً لقال: إنهم الأئمة الإثني عشر، عند الشيعة.

(٢) الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في (ب) (عباس) والصواب من (أ): والعباس: هو.

(٥) شريفاً، ليست في (أ) والمثبت من: (ب).

(٦) هو، ليست في: (أ).

(٧) في التوراة، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٨) وثيمة بن موسى. سبقت ترجمته انظر: [ميزان الاعتدال (٧/ ١٢٠) لسان الميزان ٦- ٢١٧. وفيات الأعيان

٦- ١٢. وضعفاء العقيلي (٤/ ٣٣٢) رقم الترجمة: (١٩٤٠)].

(٩) أي: ولا يرد علينا أيضاً: من كفر حين النبوة... الخ.

إسحاق؛ حيث كان الله به عناية لم تُخله من الرُّسل، ولم يظهر من العرب من ادعى الرسالة، وظهر ناموسه حتى طبّق الأرض شرقاً وغرباً إلاّ محمداً ﷺ^(١)، فوجب أن يكون هو النبيّ الحقّ، الذي عظم الله به شعب إسماعيل. والله أعلم.

وذكر: (أن إبراهيم لما تَخَلَّى^(٢) عنه خطابُ الربِّ بما ذكر، ذهب فاختن وهو ابنُ تسع وتسعين سنةً، وختن إسماعيل وهو يومئذ ابنُ ثلاثة عشرة سنة، وختن كلّ ذكرٍ كان في بيته من تلاميذ، أو مستفاد، وإسحاق لم يكن وُلِدَ بعدُ، بل قد بُشِّرَ به في العام القابل^(٣))

قلتُ: قوله، اختن إبراهيم وهو ابن تسع وتسعين، مخالفٌ لما جاءت به السنة النبوية، أنّه اختن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم^(٤)، والسنة عندنا أوثوق.

وذكر: (قصة ضيف إبراهيم، وضيافته لهم بالعجل، وبشرى سارة بالولد، ومجادلة إبراهيم في قوم لوط)^(٥) على وجه لا ينافي القرآن^(٦)، غير أنّه ذكر: (أن امرأة لوط خرجت معه في جملة أهله، فالتفت إلى ورائها، فصارت قائمة من ملح، وأن الله

(١) في (ب) (عليه السلام).

(٢) في: (ب): تجلى، والمثبت من: (أ)، وفي سفر التكوين: (فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم).

(٣) سفر التكوين: ١٧: ٢٣-٢٧.

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (اختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم) قال البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد وقال: (بالقدوم) مخففة، تابعه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد تابعه عجلان عن أبي هريرة ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة. [رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء. باب قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٣١٠٧). ورواه في كتاب: الاستئذان. باب: الختان بعد الكبر ونف الإبط (٥٨٢٤) ورواه مسلم في كتاب: الفضائل. باب: فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام (٤٣٦٨)].

(٥) سفر التكوين: ١٧: ١٥-١٧.

(٦) أي قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴾ (١١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (١٢) فَأَرَادَ إِلَاتُ أَهْلِهِ فَجَعَلَهُ بِعِجْلِ سَمِينٍ (١٣) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (١٤) فَأَوَّحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (١٥) فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَرٍ فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (١٦) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (١٧) ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (١٨) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (١٩) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جُمُوحًا مِنْ طِينٍ (٢٠) مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٢١) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَشَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٢٣) وَزَكَرْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [الذاريات ٢٤-٣٧].

سبحانه أمطر على قوم لوط كبريتاً وناراً^(١).

الكلام على امرأة لوط
قلت: فالمطرُ مذكورٌ في القرآن، لكن ذكرَ أنه حجارة من سجيل منضود^(٢)، وزاد مع ذلك أنه خسفَ بها، فجعل عاليها سافلها، ولا تنافي؛ لجواز أنه عذبها بجميع هذه الأنواع من العذاب.

وأما خروج امرأة لوط معه؛ فاختلف فيه أهل الإسلام؛ بناءً على ما دلَّت عليه [١٠٠/١] قراءتا: الرَّفْعِ، والنَّصْبِ، في ﴿أَمْرَأَتُكَ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ﴾ [سورة هود: آية: ٨١]. فمن رفع وجعله استثناءً متصلاً قال: هي بدلٌ من:

﴿أَحَدٌ﴾، فتقديره: لا يلتفت منكم إلا امرأتك، فيدلُّ على: أنها كانت من لوط وأهله السارين. ومن نصب؛ جعله مستثنى من ﴿فَأَسْرِ﴾ فتقديره: أسرِ بأهلك؛ إلا امرأتك فلا تسر بها^(٣).

فأما بقية القرآن فإنما دلَّ على استثناءها من الناجين كسورة الأعراف^(٤)، [١٠٦/ب] والحجر^(٥)، والشعراء^(٦)، والنمل^(٧) والعنكبوت^(٨).

(١) سفر التكوين: ١٨: ٧-٩ و ١٩: ١-١٩.

(٢) اقرأ الآيات في الحاشية السابقة.

(٣) قراءة: ﴿إِلَّا أَمْرَأَتُكَ﴾ قال الأكثرون: هو استثناء من الميث، وهو قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ تقديره ﴿إِلَّا أَمْرَأَتُكَ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك؛ لأنه من ميث، فوجب نصبه عندهم. وقال آخرون من القراء والنحاة: هو استثناء من قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ﴾ فجوزوا الرفع والنصب، وذكر هؤلاء وغيرهم من الإسرائيليات أنها خرجت معهم، وأنها لما سمعت الوجبة التفتت وقالت واقوماه. فجاءها حجر من السماء فقتلها. [تفسير ابن كثير (٤/٣٣٨-٣٣٩)]. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء من امراتك وقرأ الباقي بفتحها. [البدور الزاهرة في القراءات العشرة المتواترة / ١٥٥. تأليف الشيخ: عبد الفتاح القاضي. ط/ البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٥].

(٤) في قوله ﷻ: ﴿فَأَعْيَتْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [آية: ٨٣].

(٥) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [آية: ٦٠].

(٦) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [آية: ١٧١].

(٧) في قول الله جل وعلا: ﴿فَأَعْيَتْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [آية: ٥٧].

(٨) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَنُخَيِّطَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [آية: ٣٢]. وقوله جل ذكره: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [آية: ٣٣].

وجمع بعضهم بين^(١) القراءتين بأنها: سرّت هي معهم، وأنّ لوطاً لم يسر بها. قلت: والذي دلّت عليه القصص والتفاسير؛ أنّها سرّت معهم، فيُحمل الأمر إمّا على تأويل هذا المتأوّل المذكور، أو على جعل^(٢) الاستثناء في قراءة الرفع منقطعاً، فتقديره: لكنّ امرأتك مصيبتها ما أصابهم.

وأما من^(٣) جعل امرأته قائمة من ملح فهو على جهة المسخ، وقد نقل أنّهم أصابهم مسخ؛ فتكون قد أصابها ما أصابهم، من جنس المسخ إن صحّ هذا المذكور في التوراة، وإلاّ فالذي ذكره المسلمون أنّها التفتت فأصابها حجرٌ فقتلها به^(٤). والله أعلم.

وذكر: (أنّ لوطاً بعد هلاك قومه سكن مغارة، ومعه ابنتاه، فقالت الكبرى للصغرى: إنّ أبانا قد شاخ، وليس على وجه الأرض من يغشانا، كسبيل جميع أهل الدنيا، فهلّمّي فلنسق أبانا خمرًا، ونضاجعه، ونقيم من أبنائنا خلفًا ونسلًا، وإنّهما سقته الخمر، وضاجعته في ليلتين، فواقعهما ولم يعلم، فأحبلهما، فولدت الكبرى ابناً سمّته: موآب، فهو أبو الموابين، وولدت الصغرى غلامًا، سمّته: يوعام، فهو^(٥) أبو بني عمون، إلى يومنا هذا)^(٦).

(١) بين، تكررت في: (أ).

(٢) جعل، ليست في: (أ) وأثبتها من: (ب).

(٣) من، ليست في: (أ) وأثبتها من: (ب).

(٤) به، ليست في: (أ) وأثبتها من: (ب). انظر: [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨-٣٣٩)].

(٥) في: (ب): وهو، والمثبت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ١٩: ٣٠-٣٨. زعم اليهود-أنزاهم الله-أن نبي الله لوطاً لما نجاه الله من عذاب سدوم، سكن كهف جبل. ومعه ابنتاه اللتان سلمتا من أهله. فلما استقر بهم الحال قالت إحداهما للأخرى: هلّمّي نسقي أبانا الخمر حتى إذا سكر ضاجعناه وأقمنا من أبنائنا نسلًا. وأنهما فعلتا ذلك فوطئهما لوط فحملتا منه بولدين وهما: مؤاب وعمون. أبعد الله اليهود، كيف يحسن أن يتلى الله من اصطفاؤه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟ وكيف يحميه بالأمس ويهتك ستره اليوم؟ فأني فائدة في نشر هذه الفاحشة وتخليدها الكتب ليقرّع بها الأنبياء قرناً بعد قرن وحقاً بعد حقب؟. الله أكرم من ذلك. وقال القرطبي رحمه الله: (من ذلك ما حكى فيها من مدح لوط على لسان إبراهيم وشهادته له بالبر وذلك أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم بأنه يريد أن يهلك سدوم وعمورا وهما مسكن قوم لوط قال يا رب أنهلك الأبرار مع الفجار يعنى بالأبرار لوطاً وبنتيه فسماهم أبراراً، وشهد له بذلك بين يدي =

قلت: لعن الله اليهود^(١)! فإن هذا من أكاذيبهم على الله ورسله.

أما شرب الخمر فيقال: كان مباحاً لهم.

وأما وطء البنات فلم نعلمه جائزاً في شرع آدم فَمَنْ بعده بعقد النكاح، مع أنه قد كان يجوز^(٢) فيه نكاح الأخوات، فكيف يُجرّد الله سبحانه^(٣) رسله الكرام المحفوظين من قيد العصمة، حتى يوقعهم فيما لم يُجزّ قط بالنكاح سفاحاً وزناً، وقد كان يحوطهم، ويحرسهم مما هو أيسر من هذا بكثير، كما عصم يوسف من امرأة العزيز، بعد السجن والإكراه به، وغير ذلك^(٤).

وذكر: (قصة سارة؛ زوجة إبراهيم، حين أخذها الجبار [١٠١/أ] واسمه: ايتمالخ^(٥))، وقال إبراهيم: هي أختي، فلما عاتبه الجبار على ذلك قال: حقاً هي أختي؛ ابنة أبي، وليست من أمي، وجعلها الله لي امرأة^(٦).

قلت: يحتمل أنها كانت أخته من أبيه الأقرب؛ دون أمه؛ على ما عُرف من دين

= الله تعالى، وكيف يصح أن يكون ابتنا لوط من الأبرار ويوقعان أنفسهما في أن يزني بها أبوهما نبي الله ثم لم يعصمه الله تعالى من مثل هذه الرذيلة، ثم إن الله شهد عنه هذه الفضيحة التي يتحدث بها على مدى الدهر، مع أنه لم يسمع قط من المشرعين من أجاز نكاح البنات وهل هذا من ناقله وناسبه إلى الله إلا جراً وتواقع على الله). (تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٥ - ٩٠٢) صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي دراسة وتحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام (١/ ٢٠١): الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ١٣٩٨ هـ دار التراث العربي - القاهرة].

(١) آمين!.

(٢) يجوز، ليست في: (أ)، وأثبتها من (ب).

(٣) سبحانه، ليست في (أ) والمثبت من: (ب).

(٤) انظر (سورة يوسف: الآيات: ٢٣-٣٤).

(٥) ايتمالخ: في الترجمات الحديثة: أيمالك: اسم عبري ومعناه: أبو ملك، أو: الأب ملك، وقد ورد: اسماً لملك في فلسطين عاش في عصر إبراهيم. وقد جاء إبراهيم إلى بلاده ومعه سارة زوجته ولكنه قال عنها إنها أخته، وفيما بعد ذلك دخل إبراهيم مع أيمالك في عهد بشأن آبار المياه التي تخاصم عليها رجالهما مع بعضهم البعض، وبناء على هذا العهد سمي ذلك المكان بئر سبع. [قاموس الكتاب المقدس (٢٣)].

(٦) انظر القصة بتمامها في سفر التكوين: ٢٠: ١ - ١٨ واسم: ايتمالخ في هذا السفر: (أيمالك).

آدم، في نكاح الأخوات. وكان هذا قبل النسخ في شرع موسى، ويحتمل أنه أراد من أبيه الأبعد آدم أو نوح. وتبين بهذا أن إبراهيم لم يكذب في الإخبار، وأن ما جاء في السنة من قوله ﷺ: [١٠٧/ب] (لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاث)^(٧)، ليس المراد به الكذب الحقيقي المطلق، بل إما التعريض، وسماه كذباً مجازاً، أو الكذب من وجه دون وجه، أي: من جهة كونها زوجة لا أختاً، أو باعتبار دليل الخطاب، أي أنه: لَمَّا قال^(٨) هي أختي فهم منه أنها ليست زوجة، وهو مفهوم لقب.

وذكر: (أن سارة ولدت إسحاق بعد هذه القصة^(٩))، ولإبراهيم يومئذ مائة سنة، وأنه ختن إسحاق لثمانية أيام من مولده، كما عهد الله إليه^(١٠).

وذكر: (أن سارة لَمَّا ولدت إسحاق؛ رأت ابن هاجر المصري يهزأ، فقالت لإبراهيم: أخرج عني هذه الأمة؛ لتلايرث ابنها مع ابني إسحاق!)، فخرج إبراهيم بهاجر وابنها^(١١).

وذكر: نحو القصة المشهورة في السنة في ذلك، من إعوازه الماء، ومقاربتة

(٧) (متفق عليه) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ننتين منهن في ذات الله ٥ قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاتين امرأتين معك امرأة من أحسن الناس فأرسل إليهما فسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة قال يا سارة ليس علي وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حججه فقال إنكم لم تأتونني بإنسان إنما أتيتوني بشيطان فأخذهما هاجر فأنته وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهيا قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخذهما هاجر، قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء). [رواه البخاري (٣١٠٨) و(٢٠٦٥) و(٢٤٤١) و(٤٦٩٤) و(٦٤٣٦)]. ورواه مسلم (٤٣٧١)

(٨) قال، ليست في (أ) والمثبت من: (ب).

(٩) في: (ب): القضية، والمثبت من: (أ).

(١٠) سفر التكوين: ٢١: ١-٥.

(١١) سفر التكوين: ٢١: ٩-١١.

الموت من العطش، ومخاطبة الملك لها في^(١) إظهاره الماء^(٢).

لكن في القصة^(٣) في التوراة تحريفات لا تخفى على عاقل، منها:

أنه ذكر: (أنَّ الغلام سكن في بريّة فاران، وتعلّم الرمي فيها)^(٤)، لكنه فسّر بريّة فاران بأنّها: بريّة بئر سبع، وأنّها: من بلاد إيتمالخ، صاحب التيمن، الذي جرى له القصة المذكورة آنفاً مع سارة.

والصحيح: أن فاران إنّما هي: مكة^(٥).

ومنها أنه قال: (وأنكحته أمّه - يعني إسماعيل - من أهل مصر)^(٦).

والصواب: أنه إنّما تزوّج من جرّهم^(٧)، قوم وردوا عليه بمكة من العرب اليمانية.

ومنها: وهو أدلّها على الكذب!، أنه قال- يعني لمّا أراد إبراهيم أن يعتزل بالغلام كما قالت سارة -:

(فابتكر إبراهيم بالغداة، وأخذ خبزاً، وسقاءً مملؤاً ماءً، ودفعه إلى هاجر، ووضع الغلام على عاتقها، وأرسلها فمضت، فأبت بريّة بئر سبع، وفني الماء من

قصة
إسماعيل
عليه السلام
وهاجر

(١) في: (ب): و، والمثبت من: (أ).

(٢) انظر الحديث الطويل في قصة هاجر وإسماعيل عليهما السلام في: [رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء.

باب: قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (٣١١٣). (٢١٩٥). (٣١١٢). (٣١١٤)]

(٣) في: (ب): القضية، والمثبت من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٢١: ٢٠-٢١.

(٥) وردت هذه اللفظة (فاران) في عدة مواضع، على سبيل المثال في التوراة: سفر التكوين: ٢١: ٢١ وسفر التثنية

٢: ٣٣. وسفر العدد: ٢٠: ١٠. و١٦: ١٦. و١٣: ٣. و٢٦: ١٣. في كتب التاريخ: سفر الملوك الأول: ١١:

١٨. وسفر صموئيل الأول: ٢٥: ١. قال شيخ الإسلام: (وجبال فاران هي جبال مكة). [الجواب الصحيح

لمن يدل دين المسيح (١٩٩-٢١٧)]

(٦) سفر التكوين: ٢١: ٢١.

(٧) جرهم: قبيلة عربية كانوا يعدونها من العرب العاربة، وكانت جرّهم ممن سكن اليمن وتكلموا بالعربية، ثم

نزّلوا بمكة فكانوا بها، على حسب ما نوردّه من أخبارهم، وقطّورا بنو عم لهم، ثم أسكنها الله إسماعيل عليه

السلام، ونكح في جرهم؛ فهم أحوال ولده. [انظر: مروج الذهب للمسعودي (١١) البداية والنهاية (١/١٣٨-

السقاء ورمت الغلام تحت أصل شَيْح^(١)، ومضت فجلست [١٠٢ / أ] بإزائه برمية سهم؛ لئلا تراه حين يموت^(٢).

وبيان الكذب الصريح من هذا الكلام: أنه قد سبق أن إسماعيل وُلِدَ لإبراهيم، وعمر إبراهيم ست وثمانون سنة، وأن إسحاق وُلِدَ له وعمره مائة سنة، وأن هذه القصة كانت بعد ولادة إسحاق؛ لأن سارة خشيت أن يرث إسماعيل مع ابنها إسحاق، وهذا لا يكون إلا بعد ولادته؛ إذ قبلها هو معدوم، وكانت هي آيسة من الولد.

وإذا عُرِفَ هذا تبين أن إسماعيل كان له حين نفثه سارة وأمه؛ أربع عشرة سنة، وذلك من سنة ست وثمانين من عمر إبراهيم، إلى سنة مائة من عمره، ومن يكون في هذا السن يكون رجلاً بالغاً [١٠٨ / ب] مشتدّاً؛ لاسيما وهي يحكي في التوراة: (أن الله كان مع الغلام فشبَّ)^(٣).

ثم هو مع ذلك يحكي: أن إسماعيل كان على عاتق هاجر، مع سقاء مملوء ماء، ومع خبز الزوادة، وأنها لما فني الماء رمته تحت أصل شَيْح، وهذه صفات الأطفال المراضيع، لا صفات الرجال البالغ، أو الغلمان المراهقين.

فهذا يوجب: إمّا تناقض ما في التوراة، من هذه الحكاية على ما وصفنا، أو بطلان أحد النقيضين المذكورين فيها، أعني: كون إسماعيل له حينئذ أربع عشرة سنة، أو كون هاجر حملته على عاتقها، أو أن هاجر لم تكن آدمية بل ثنية جبل، نفخ فيها الروح حتى حملت زوادتها، خبزاً، وسقاء مملوء ماء^(٤)، وإنساناً عمره أربع عشرة سنة إلى برية فاران.

فإن تكلف متكلف، وادعى: أن إسماعيل لم يكن على عاتقها، بل على عاتق

(١) الشَّيْخُ نبت و المَشْيُوحاء بالمد وسكون الشين الأرض التي تنبت الشيع [مختار الصحاح (٣٥٤)]

(٢) سفر التكوين: (٢١: ١٤-١٦).

(٣) سفر التكوين: (٢١: ٢٠).

(٤) في: (أ): وسقاء مملوء ماء من ماء، وفي: (ب): مملوء من ماء، والميث هو الصواب.

إبراهيم، وعلى عاتقها هي الزاد والماء^(١)، وأن ما ذكرناه أولاً تحريف قلمي من بعض النُسخ.

قلنا له: لا يصح ذلك أيضاً؛ لأن العادة إنما جرت بحمل الأطفال، لا بحمل من له أربع عشرة سنة!؛ خصوصاً وإبراهيم يومئذ له مائة سنة، شيخ كبير، كيف يطبق على حمل رجلٍ مثله على عاتقه مسافة طويلة؟!.

وإذ قد ثبت بما ذكرناه التحريف والتناقض في التوراة؛ سقط احتجاج اليهود والنصارى بها؛ لجواز وقوع التحريف في كل ما تحتجئون به منها، لكن يصح لنا أن نحتج عليهم بما فيها؛ إلزاماً وجدلاً؛ لأنهم يعتقدون أنها حجة. وبهذا يسقط احتجاج بعض النصارى؛ على الطعن في صدق محمد ﷺ، بالقدح في صحة إخباره عن زواج موسى ببنت شعيب^(٢)، على رعاية غنم أبيها، ثماني حجج^(٣) [١٠٣/أ]، وأن القصة التبتت عليه؛ بتزوج يعقوب بإسرائيل ابنة خاله؛ فإن رعاية الغنم في زواجه كانت، لا في زواج موسى، وستأتي القصة إن شاء الله تعالى^(٤)، فاعلم ذلك.

(١) هكذا في: (أ)، وفي: (ب): الماء والزاد، والمثبت من: (أ).

(٢) عند تفسير قوله تعالى من سورة القصص (٢٣): ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟ فقيل هو شعيب عليه السلام وهذا هو المشهور عند كثيرين، وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده نظر. وصرح طائفة بأن شعيباً عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام هذا وتزوج بابنته. وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري: أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب، وكان سيد الماء، ولكن ليس بالنبي صاحب مدين وقيل: إنه ابن أخي شعيب وقيل: ابن عمه وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب وقيل: رجل اسمه «يثرون» هكذا هو في كتب أهل الكتاب: يثرون كاهن مدين أي كبيرها وعالمها. وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله: اسمه يثرون زاد أبو عبيدة: وهو ابن أخي شعيب وزاد ابن عباس: صاحب مدين. ويثرون: اسم مدياني معناه: فضل. كاهن مديان، وحمو موسى ويدعى أيضاً رعوئيل أي صديق أو خليل الله. ويظهر أن هذا الاسم كان اسمه الشخصي، ويثرون لقب شرف أطلق عليه. وبينما كانت بناته السبع يرعين أغنامه، أسدى إليهن موسى الهارب من مصر خدمة، أدت إلى تعرفه بأسرة يثرون وزواجه بصفورة إحدى بناته. ورعى موسى أغنام حميه مدة ٤٠ سنة. [قصص الأنبياء (٢٩٠)، سفر

الخروج ٣: ١ (٢: ١٨)، (٣: ١).]

(٣) والقصة، في سورة القصص: الآيات: ٢٢-٢٨.

(٤) تعالى، ليست في (أ) والمثبت من: (ب).

ثم قال: (ومن بعد هذه الخطوب ابتلى الله إبراهيم فقال له: خذ ابنك وحيدك، اسحاق، الذي تحبّه، وامض به إلى أرض كذا، فاجعله لي قرباناً على بعض الجبال)^(١).

وذكر: قصة الذبيح، وفدائه بالكبش، إلى أن قال:

(وناداه ملك الربّ فقال: يقول الله لك: إني أقسمت حيث إنك لم تبخل عليّ بابنك وحيدك، لأبركنّ عليك، وأكثر خَلْقَك كنجوم السماء، ومثل الرمل الذي على ساحل البحر، ويرث خَلْقُكَ أرض أعدائهم، ويتبركُ بِخَلْقِكَ سائر الشعوب الذي على الأرض).^(٢)

قلت: اعلم أن المسلمين اختلفوا في الذبيح من ولدي إبراهيم [١٠٩/ب] من هو؟! فقال قومٌ: هو إسحاق، كما في التوراة.

وقال آخرون هو: إسماعيل، والقولان روايتان عن (الإمام)^(٣) أحمد، ورجح كلا من القولين قومٌ، والمختار الذي دلّ عليه ظاهر القرآن، وأقوال أكثر العلماء، وهو مستفاد من فحوى التوراة، أنه: إسماعيل؛ ولكن نصّ التوراة محرفٌ مبدلٌ في ذلك^(٤).

(١) سفر التكوين: ٢٢: ١.

(٢) سفر التكوين: ٢٢: ١٥: ١٨.

(٣) الإمام، ليست في (ب) والمثبت من: (أ). قال الشرييني في تفسيره: (وقال الإمام أحمد بن حنبل: الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف) [تفسير السراج المنير، شمس الدين: محمد بن أحمد الشرييني، سورة الصافات، آية (٧٧) (٣/٤٦٤) ٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية].

(٤) قال شيخ الإسلام (وفي الجملة فالنزاع فيها مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة، وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب). وقال ابن حجر رحمة الله عليه بعد أن ساق الآثار الدالة على الراجح: (وهذه الآثار من أقوى الحجج لمن قال إن الذبيح إسماعيل). وقال النووي: (واختلف العلماء في الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ والأكثر على أنه إسماعيل، وكان إسماعيل أكبر من إسحاق). [مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٣٣١)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٤/٤٠٤) ١٩٩٣م دار الفكر. تهذيب الأسماء واللغات (١/١٢٦) ١٩٩٦م. دار الفكر. وقصص الأنبياء (١٥٥). والحاوي للفتاوى للسيوطي، القول القصيح في تعيين الذبيح، ١٩٩٠م المكتبة العصرية. تفسير القرطبي (٢/١٣٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (١٧٥) الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ مكتبة السنة بالقاهرة. وغيرها كثير.].

قصة
الذبيح
ومن
هو؟

قصة
موسى
عليه السلام
مع شيخ
مدين

أَمَّا ظَاهِرُ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ حَكَى فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ قِصَّةَ الذَّبِيحِ مُسْتَوْفَاةً، ثُمَّ عَقَبَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات: آية: ١١٢]، وَالظَّاهِرُ مِنْهُ: أَنَّهُ حَكَى قِصَّتَهُ عَلَى التَّرْتِيبِ فِي الْوَاقِعِ، كَمَا حُكِيَ فِي التَّوْرَةِ، وَبَدَّلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِذِكْرِ جِهَادِهِ قَوْمَهُ، وَتَكْسِيرِ أَصْنَامِهِمْ، وَمَا كَادُوهُ بِهِ مِنْ وَضْعِهِمْ لَهُ فِي النَّارِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَرَادُوا أَنَّهُ كَيْدًا جَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨] ثُمَّ (٢) قَالَ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (١) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿[سورة الصافات: الآيات: ٩٩-١٠١]. وَسَاقَ الْقِصَّةَ مُرْتَبَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ﴾ [سورة الصافات: آية: ١١٢]. وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي قِصَّةِ التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْوَاقِعُ لِلتَّرْتِيبِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَصَفَ الذَّبِيحَ بِأَنَّهُ حَلِيمٌ، بِقَوْلِهِ، ﴿فَبَشِّرْنَاهُ (١) بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات: آية: ١٠١]، وَنَحْنُ إِذَا نَظَرْنَا بَعَيْنَ التَّحْقِيقِ، وَجَدْنَا الْحِلْمَ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ؛ أَغْلَبَ مِنْهُ فِي بَنِي إِسْحَاقَ.

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ: أَنَّ أَكْمَلَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ: مُحَمَّدٌ، وَأَكْمَلَ بَنِي إِسْحَاقَ: مُوسَى؛ كَلِمَةُ اللَّهِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٤). وَإِذَا نَظَرْنَا فِي سِيرَتِهِمَا وَقَوِيلِ بَيْنَ حَلَمِيهِمَا؛ وَجَدْنَا بَيْنَهُمَا بَوْنَ عَظِيمًا.

فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ مُوسَى لَمَّا اسْتَعَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى الْقَبْطِيِّ، بَادَرَ بِهِ فَوْكُزَهُ فَمَاتَ، حَتَّى عَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ (٥): ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ [١٠٤/١]﴾

(١) فِي كِلَا النُّسخَتَيْنِ: (أ)، (ب) خَطَأً حَيْثُ كَتَبَتْ: (وَأَرَادُوا)، وَالْمَثْبُوتُ هُوَ الصَّوَابُ.

(٢) ثُمَّ لَيْسَتْ فِي: (أ)، وَأَثْبَتَهَا مِنْ: (ب).

(٣) فِي كِلَا النُّسخَتَيْنِ: (أ)، (ب) خَطَأً، حَيْثُ كَتَبَتْ: (وَيُشْرَاهُ) وَالْمَثْبُوتُ هُوَ الصَّوَابُ.

(٤) عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لَيْسَتْ فِي: (ب) وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: (أ).

(٥) فِي: (ب): فَقَالَ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: (أ).

مُضِلُّ مُبِينٌ ﴿١﴾، ومحمد ﷺ ﴿٢﴾ مرَّ بعمارٍ ﴿٣﴾ وأمه ﴿٤﴾، وهما ﴿٥﴾ يعذبان في الله فقال:
(صبراً) ﴿٦﴾ آل ياسر ﴿٧﴾، فإنَّ موعدكم الجنة ﴿٨﴾، وكان قادراً على أن يبطشَ بمن
حولهما من الكفار، ثم يستجدُّ ربَّه فيُنْجِدهُ بما أنجده به، حين أراد أبو جهل أن يرمي
الحجرَ على رأسه وهو يصلي، أو يستجدُّ عشيرته بني هاشم، أو يهربُ كما فعلَ
موسى ﴿٩﴾. هذا أقلُّ ما يقال، لكنه كان أوقرَ، وأحلَمَ وأثبتَ.

ومن ذلك: أن موسى ﷺ ﴿١٠﴾ لمَّا عادَ من ميقات ربِّه، وجد قومَه عاكفين على

(١) سورة القصص: آية ١٥.

(٢) في: (أ): صلى الله عليه، وفي: (ب): عليه السلام، والمثبت أولى.

(٣) عمار بن ياسر، حليف بني مخزوم، وأمه سمية، مولاة لهم، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن
يُعَذَّب في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول (صبرا آل ياسر موعدكم الجنة)، هاجر إلى المدينة، وشهد
المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة، فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر علي الكوفة، وكتب إليهم: إنه من النجباء من
أصحاب محمد. وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي
بصفتين سنة سبع وثمانين في ربيع، وله ثلاث وتسعون سنة، واتفقوا على أنه نزل فيه: ﴿لَا مَنَ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [التحل: من الآية ١٠٦] وروى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وروى عنه من الصحابة أبو
موسى، وابن عباس وعبد الله بن جعفر، وأبو لاس الخزاعي، وأبو الطفيل وجماعة من التابعين. [الإصابة في
تمميز الصحابة، رقم الترجمة (٥٧٠٨)].

(٤) سمية بنت خباط. مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، والدة عمار بن ياسر، كانت
سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبو جهل، وطعنها في قبلها، فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان ياسر
حليفاً لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت عماراً فأعتقه، وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبق إلى الإسلام
[الإصابة في تمميز الصحابة، رقم الترجمة (١١٣٣٦)].

(٥) وهما، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٦) صبراً، كتبت تصحيحاً في هامش: (أ) الأيمن بخط الناسخ.

(٧) آل ياسر، وبدلاً عنها: آل سمية، ليست في: (ب)، وفي: (أ): آل سمية، وفي هامشها الأيمن تصحيح: آل ياسر.

(٨) (صحيح). الحديث ورد بالفاظ عدة، انظر: [المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٤٣٢ (٥٦٤٦) و (٥٦٦٦)].
المعجم الكبير للطبراني ج ٢٤ ص ٣٠٣ (٧٦٩) والمعجم الأوسط ج ٢ ص ١٤١ (١٥٠٨) وصححه الألباني
صحيح السيرة (١٥٤). الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٤٩. السيرة النبوية لابن اسحاق (١/٦٦) [فقه
السيرة للشيخ محمد الغزالي (١/ ١٠٣) حديث رقم (١٠٣) تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني.
الطبعة الثامنة ١٩٩٨ م. دار القلم. دمشق].

(٩) يريد قوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ سورة القصص، آية: ٢١.

(١٠) عليه السلام، ليست في: (ب).

العجل، ألقى الألواح فكسرها، وبادر له هارون، فأخذ بلحيته، حتى عطفه بقوله: ﴿يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ يَلِيْحِي وَلَا يَرَأِيْ﴾ [طه، ٩٤]، وأبان له عذره، ولما قتل الخضر الغلام [١١٠ / ب] بادر موسى ﷺ^(١) وأخذ^(٢) برجله وأراد أن يلقيه في البحر! ولما فرّ الحجر^(٣) بثوبه تبعه^(٤) يعدو، وطفق يضربه بالعصا حتى أثر فيه آثاراً، ولما قذفه قارون، وأمر الله الأرض بطاعة موسى؛ أمرها فأخذته، فجعل قارون يستغيث به ولا يُعْرَجُ عليه حتى عاتبه الله^(٥) فيه، وقال: (يستغيث بك فلا تجبره، لو استغاث بي لأجرته)^(٦). ومحمد ﷺ^(٧) يقول: (لو سمعت شعراً قبل هذا - يعني قتيلاً^(٨)) - لما

(١) عليه السلام، ليست في (ب).

(٢) في (ب): (فأخذ) والصواب من (أ). انظر: [قصص الأنبياء (٣٧٢)].

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله ﴿فَرَجَّ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [صحيح البخاري (ج ٣ ص ١٢٤٩) برقم (٣٢٢٣) ومسلم، (ج ١ ص ٢٦٧) برقم (٣٣٩)]

(٤) تبعه، ليست في (ب).

(٥) لفظ الجلالة: الله، ليس في (أ) والمثبت من: (ب).

(٦) قال ابن كثير بعد ذكر قصة قارون مع موسى ﷺ: (وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا إسرائيليات كثيرة أضربنا عنها صفحاً وتركناها قصداً) [التفسير (٦/ ٢٥٧)]. قصص الأنبياء (٣٩٥).

(٧) في (ب): (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

(٨) قتيلاً بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلداء بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري. كانت تحت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس، فولدت له علياً، والوليد، ومحمد، وأم الحكم.

قال الراقي: هي التي قالت الأبيات القافية في رسول الله ﷺ لما قتل أباهما النضر بن الحارث يوم بدر، وهي:

يا راكباً إن الأثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موقن
أبلغ بها ميتاً بل إن تحية	ما إن تزال بها النجائب تُغنق
منني إليه وعبرة مسفوحة	جاءت لمانحها وأخرى تخنق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	له أرحام هناك تشفق
فسراً يُقَادُ إلى المنية مُتعباً	رُسف المُقيّد، وهو عان موقن

قتلته) يعني أخاها^(١) النضر ابن الحرث.

ولمّا قيل له: إنّ هذه قسمة لم يُرد بها وجهُ الله قال: (قد أُوذي موسى بأكثر من هذا فصبر)^(٢). ولمّا قال له الأنصاري: (أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَتِكَ)^(٣) في قصّة شراج الحرّة^(٤)، غَضِبَ، ولم يفعل غير أن استوفى للزبير حقّه في صريح الحكم. وكان يبالغ الكفار في أذاه وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون)^(٥). وضرب يوم أحد؛ فَشَجَّ وجهه فجعل يمسح الدّم ويقول: (كيف يفلح قوم أدموا وجهه نبئهم؛ وهو يدعوهم إلى الله)^(٦).

هذا مع أن موسى صلوات الله عليه إنّما كانت غضبائه في الله، والله، ولكنها^(٧)

امْحَد، أولست ضنء نجبية
ما كان ضرك لو مننت وربما
فالنضر أقرب من تركت قرابة
من قومها، والفحل فحل مُفَرَّق
منّض الفتى وهو المَغِيظُ الْمُحَنَّقُ
واحقّهم إن كان عِشْقُ بَعْتُقُ

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى أخضلت الدموع لحيته، وذكر الزبير قال: فرق رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وقال لأبي بكر: «يا أبا بكر، لو سمعتُ شعرها لم أقتل أباه». [أسد الغابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٠٤-٤٠٥) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٧٢٦) ت: هشان عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. مكتبة نزار الباز. مكة.]

(١) (٩) قلت: لعل الصواب: أباه.

(٢) صحيح. [صحيح البخاري: كتاب: الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المولفة قلوبهم... (٣٢٢٤)، (٤٠٨٠)، (٤٠٨١)، (٥٧١٢)، (٥٧٤٩)، (٥٩٣٣)، (٥٩٧٧) ورواه مسلم باب: إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ (٢٤٩٤) (٢٤٩٥)].

(٣) صحيح. [صحيح البخاري: كتاب: التفسير، باب: تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (٤٣٠٩) ورواه مسلم كتاب: الفضائل. باب: وجوب اتباع النبي ﷺ (٦٢٥٨)].

(٤) الشَّرج بالسكين مَسِيلُ الماء من الجرار إلى السَّهولة والجمع أشراج وشُرَاج وشُرُوج قال أبو ذؤيب يصف سحابة له هَيْدَبٌ يَغْلُو الشَّرَاجَ وَهَيْدَبٌ مُسِفٌّ بِأَذْنَابِ التَّلَاحِ خَلُوجٌ وقال لبيد ليالي تَحْتَ الْخِذْرِ ثِنْيٌ مُصِيفَةٌ مِنَ الْأَدَمِ تَرْتَادُ الشُّرُوجَ الْقَوَابِلَا وفي حديث الزبير أنه خاصم رجلاً من الأنصار في سُيُولِ شِرَاجِ الْحَرَّةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقال يا زُبَيْرُ اخْبِسِ الماء حتى يَبْلُغَ الجُدْرُ [لسان العرب (٢/ ٣٠٥)].

(٥) صحيح. [صحيح البخاري: (٦٥٣٠). ورواه مسلم (٦٢٥٨)].

(٦) صحيح [رواه مسلم كتاب: الجهاد والسير الفضائل. باب: غزوة أحد (٤٧٤٦)].

(٧) في: (ب): لكنها، والمثبت من: (أ).

كانت تُخرجهُ في بعض الأوقات عن حال مثله، ومحمد ﷺ^(١) لم يخرج عن ذلك، مع أن غضبه لله كان^(٢) هو ما هو.

وأيضاً: فَمَنْ قَابَلَ حِلْمَ حُلَمَاءِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ؛ كَقَيْسِ ابْنِ عَاصِمٍ^(٣)، والأحنف بن قيس^(٤)، وخلفاء النبي الأربعة، في ولايتهم وقبلها، وأهل البيت، وما حُكي عنهم من الحِلْمِ، ومعاوية بن أبي سفيان^(٥)، في بني عبد شمس الذين يقول فيهم

(١) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٢) ليست في (أ).

(٣) قيس بن عاصم بن سنان بن.. التميمي المنقري. وأمه أم أسفر بنت خليفة. وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم، وأسلم سنة تسع. ولما رآه النبي ﷺ قال: «هذا سيد أهل الوبر». وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم؛ رأيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه، يحدث قومه، إذ أتى برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل: هذا ابن أخيك قتل ابنك قال: فوالله ما حل حيوته، ولا قطع كلامه. فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي، بنسما فعلت، أئمت بربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسهمك، وقللت عددك. ثم قال: لابن له آخر: قم يا بني إلى ابن عمك، فحل كتافه، ووار أخاك، وسق إلى أمك مائة من الإبل دية ابنتها فإنها عربية. وكان قيس بن عاصم قد حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. [أسد الغابة (٢/ ٤٢١)].

(٤) الأحنف بن قيس، والأحنف لقب به، لأحنف كان برجله، أدرك النبي ولم يره، ودعا له النبي ﷺ فلهاذا ذكره، وأمه امرأة من باهلة. عن الأحنف بن قيس قال: «بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان، إذ أخذ رجل من بني ليث بيدي فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى، قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك، فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه، فقلت أنت: إنك لتدعو إلى خير، وتأمر به، وإنه ليدعو إلى الخير، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: اللهم اغفر للأحنف فكان الأحنف يقول: فما شيء من عملي أرجى عندي من ذلك. يعني: دعوة النبي ﷺ». وكان الأحنف أحد الحكماء الدهاة العقلاء. وقدم على عمر في وفد البصرة، فرأى منه عقلاً وديناً وحسن سم، فتركه عنده سنة، ثم أحضره، وقال: يا أحنف، أتدري لم احتبستك عندي؟ قال: لا يا أمير المؤمنين قال: إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عليم، فخشيت أن تكون منهم، ثم كتب معه كتاباً إلى الأمير على البصرة يقول له: الأحنف سيد أهل البصرة فما زال يعلو من يومئذ. وكان ممن اعتزل الحرب بين علي وعائشة رضي الله عنهما بالجمال، وشهد صفين مع علي، وبقي إلى إمارة مصعب بن الزبير على العراق، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين، ومشى مصعب بن الزبير - وهو أمير العراق لأخيه عبد الله - في جنازته. [أسد الغابة (١/ ٣٤)].

(٥) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واسم أبي سفيان صخر بن حرب، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح. وقد روى عن معاوية أنه قال: أسلمت يوم القضية ولقيت النبي ﷺ مسلماً. قال أبو عمر: معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره في ذلك بعضهم وهو أحد الذين كتبوا الرسول الله ﷺ وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد.. وقال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية: هذا كسرى العرب وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما دنا منه قال له: أنت صاحب الموكب العظيم قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات =

الشاعر^(١):

حين بانت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر، فرسان على الخيل، قاله غيرُ خرس [١٠٥/أ]
بحلوم إذا الحلوم استخفت، ووجوه مثل الدنانير ملس
بحلوم آحاد^(٢) بني إسرائيل؛ لم يجد بين الحلمين نسبةً، وكذلك رعا عراب
مع رعا بني إسرائيل.

حلم
العرب

فقد بان أن آثار الحلم أظهر في بني إسماعيل؛ منها في بني إسحاق، والموصوف
بالحلم في القرآن هو: الذبيح. فدل على أن الذبيح هو: إسماعيل.
وأما أقوال العلماء: فروي عن ابن عباس أنه قال: (الذبيح إسماعيل)، واحتج
بقوله تعالى^(٣): ﴿وَقَدَّيْنَهُ يَذْبَحُ عَظِيمٌ﴾ [الصافات: ١٠٧]، ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾
[الصافات: ١١٢]، ووجه دلالة [١١١/ب] ما قرَّناه أنفاً.
وعن الحسن البصري أنه: كان لا يشك أنه إسماعيل^(٤).

= يبابك قال: مع ما يبلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة. فيجب أن
نظهر من عز السلطان ما نرههم به فإن أمرتي فعلت وإن نيتني انتهيت. فقال عمر لمعاوية: ما أسألك عن
شيء إلا تركني في مثل رواجب الضرس إن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب
قال: فمرني يا أمير المؤمنين. قال: لا أمرك ولا أنأك. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما
أوردته فيه قال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه. وذم معاوية عند عمرو ما فقال: دعونا من ذم فتى
قريش من يضحك في الغضب ولا ينال ما عنده إلا على الرضا ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه توفي
معاوية في رجب لأربع ليال بيقين منه سنة ستين وقال: إنه أول من جعل ابنه ولي العهد خليفة بعده في صحته.
[الاستيعاب في أسماء الأصحاب (١/٤٤٤)].

(١) الأبيات لعبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي: شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيماً
في المدينة. وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد
مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة. وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل
عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس
الرقيات لأنه كان يتنزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. [الأعلام (٤/١٩٦)].

(٢) في: (ب): آجاد، والصواب من: (أ).

(٣) تعالى، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) القول في: [تفسير ابن كثير (٧/٣٣)].

وقال أبو معشر^(١) عن محمد بن قيس^(٢) قال: «دخل رأس الجالوت^(٣) على عمر بن عبد العزيز^(٤) فقال له عمر: أي ابني إبراهيم أمر أن يذبح؟ فقال: إسحاق! قال: ويحك أما تجدون في كتابكم: أن اذبح لي ابنك الوحيداني؟ قال: بلى! ولكن اليهود تحسد العرب!»^(٥)

ذكر هذه الآثار وثيمة بإسناده في (القصص)، ولم يذكر وثيمة أن أحدا من السلف

(١) نجيع بن عبد الرحمن السندي، أبو معشر: فقيه، له معرفة بالتاريخ. أصله من السند. كان الكن، يقلب الكاف قافا. أقام في المدينة إلى أن اصطحبه المهدي العباسي معه إلى العراق (سنة ١٦٠ هـ) وأمر له بألف دينار، وقال له: تكون بحضرتنا فتفتحه من حولنا. وحدث عن: محمد بن كعب، وسعيد المقبري، ونافع العمري، وموسى بن يسار، وابن المنكدر، وأبي وهب مولى أبي هريرة، ومحمد بن قيس القاص، ومحمد بن عمرو، وهشام بن عروة، وعدة. واختلط في آخر عمره، ومات ببغداد فصلى عليه هارون الرشيد. له كتاب «المغازي» نقل عنه الواقدي وابن سعد [سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٥). الأعلام للزركلي (٨/ ١٤)].

(٢) محمد بن قيس المدني القاص، قاص، ثقة من السادسة وحديثه عن الصحابة مرسل [تقريب التهذيب (٢/ ١٢٦)].

(٣) قال ابن حجر في ألقاب الملوك: (...) والفتنون لملك اليهود وهذا في القديم ثم صار يقال له رأس الجالوت، ونمرد لملك الصابئة، ودهمي لملك الهند، وقور لملك السند، ويعبور لملك الصين، وذويزن وغيره من الأذواء لملك حمير، وهياج لملك الزنج، وزنبيل لملك الخزر، وشاه أرمن لملك أخلاط، وكابل لملك التوبة، والأفشين لملك فرغانة وأسروسنة، وفرعون لملك مصر، والعزير لمن ضم إليها الإسكندرية، وجالوت لملك العمالقة ثم البربر، والنعمان لملك الغرب من قبل الفرس [فتح الباري. كتاب الأدب (١٢/ ٢٣٥)].

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعده من سليمان سنة ٩٩ هـ فبوع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه، فمنع سب علي بن أبي طالب (وكان من تقدمه من الأمويين يسبون على المنابر) ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو يدير سمعان من أرض المعرفة، فتوفي به سنة ١٠١ هـ. ومدة خلافته ستان ونصف. وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة. وكان يدعى «أشج بني أمية» رمحته دابة وهو غلام فشجته. وقيل في صفته: «كان نحيف الجسم، غائر العينين، بجته أثر الشجة، وخطه الشيب، أبيض، رقيق الوجه مليحا». وفي كتاب الاسلام والحضارة العربية: «كانت طريقته في إدارة ولايته إطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلا في أهم المهمات مما يشكل عليه أمره». [الأعلام للزركلي (٥/ ٥٠)].

(٥) لم أجده بهذا السند واللفظ. وهناك قصص للجالوت مع بعض الخلفاء فيها حديث عن الفداء، ومقتل الحسين (عليه السلام)، في تفسير الطبري (١/ ٣١٤) تفسير سورة البقرة، آية (٨٥).

قال هو إسحاق؛ إلا كعبُ الأخبار^(١)، وهو: إمّا حاكٍ، أو معتقِدٌ لما في التوراة.

قلت: ووجه احتجاج عمر من قوله: اذبح لي ابنك الوجداني، هو أن هذه الصفة لا تُتصوّر إلا في إسماعيل؛ لأنّه الذي وُلد له أولاً، وبقي وحدانياً أربع عشرة سنة، حتّى وُلد إسحاق؛ فبعد ولادته لم تبق هذه الصفة تُصدّق على واحدٍ منهما؛ لأنّ صفة الوحدة زالت عنه بصاحبه.

فإن قال قائل: إنّه أراد الوجدانيّ في محبتك له، وإيثاره على صاحبه، وهو إسحاق.

قلنا: هذه دعوى تحتاج إلى حُجّة، وسيأتي الكلام عليها.
وهذا البحث كلّهُ مع المخالفين من المسلمين؛ إذ اليهودُ لا تقوم عليهم الحُجّة بما ذكرناه.

ومن المسلمين من احتجّ على أن الذبيحَ إسحاق بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْتَهُمْ بِخَالَصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿ص: ٤٥-٤٦﴾.

ومعناه: أنه أخلصهم بالامتحان بالبلاء؛ فإبراهيم بالنار، وإسحاق بالذبيح، ويعقوب بفراق يوسف، وغيره^(٢).

والجواب: أن هذا ليس نصّاً في المطلوب، بل هو^(٣) إمّا ظاهرٌ، أو محتملٌ، وعندنا ما يعارضه أبينُّ منه، وهو قوله سبحانه، في سورة الأنبياء: ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سور الأنبياء، آية: ٨٥]، فجعل إسماعيلَ من الصابرين، والصبرُ لا يكون إلا على بلاءٍ، وهذا أولى أن يُستدلَّ به على أنّه الذبيح؛ لأنّه الوصفُ الذي وصفه به في قصة الذبيح [١٠٦/أ] حيث قال:

(١) في: (أ) الحبر، والمثبت من: (أ)، وكعبٌ سبقت ترجمته.

(٢) انظر: [تفسير ابن كثير (٧/٧٦)].

(٣) هو، ليست في (ب) والمثبت من: (أ).

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢].

وأما المستفاد من فحوى التوراة، فقوله: خذ ابنك وحيدك. وإسحاق لم يتصف بصفة الوحدة ذلك الوقت قط، إنما ذلك [١١٢/ب] إسماعيل، كما سبق في توجيه استدلال عمر بن عبد العزيز بقوله: ابنك الوحيداني.

وقوله: الذي تُحِبُّهُ، يُدلُّ على أَنَّهُ إسماعيل؛ لأنَّه كان بكره، وأوَّل ما فرح به من الولد، والعادة في طباع الناس [أَنَّ الإنسان] ^(١)، يحبُّ من كان كذلك من ولده أكثر، وقد يُعارض هذا بقضية عبد المطلب ^(٢)؛ حيث كان عبدُ الله ^(٣)؛ ابْنُهُ أَحَبَّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ، وكان أصغرهم؛ لكنَّا نُجيبُ عنه بأنَّه: إنما كان كذلك لِمَا كان في وجهه، من نور نبوة نبيِّنا محمد ﷺ ^(٤). وبهذا بعينه يُرجَّح أَنَّ إسماعيل كان أَحَبَّ وَلَدِي إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ. ويقال: إِنَّ لفظ التوراة كان قبل التحريف: (اذبح ابنك بكرك) ^(٥)، وقد ثبت أَنه: إسماعيل.

وقوله: وَأَكْثَرُ خَلْفِكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَالرَّمْلِ، والعربُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ. وَكُلُّمَا جَاءُوا مِنْ قِلَّةٍ، والعربُ في كثرة.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٢) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث: (نحو ١٢٧ ق هـ - ٤٥ ق هـ = نحو ٥٠٠ - ٥٧٩ م) زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلاً، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة. قال «سيدو» في خلاصة تاريخ العرب: «مارس الحكومة العظمى بمكة من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥٧٩ م، خلص وطنه من غارة الحبشة». وهو جد رسول الله ﷺ قيل: اسمه شيبه و«عبد المطلب» لقب غلب عليه. وهو ممن وفد على الملك «سيف ابن ذي يزن» في وجهه قريش يهتؤنه بالنصر على الحبشة، كما في كتاب «ملوك حمير» وقيل: هو أول من خضب بالسواد من العرب. وكان أبيض مديد القامة. مات بمكة عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر. [الأعلام للزركلي (٤/ ١٥٤)].

(٣) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو قثم الهاشمي القرشي، الملقب بالذبيح (٨١ ق هـ - ٥٣ ق هـ = ٥٤٤ - ٥٧١ م): والد رسول الله ﷺ. ولد بمكة، وهو أصغر أبناء عبد المطلب.

[الأعلام (٤/ ١٠٠)]

(٤) في (ب): (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

(٥) في (أ) (بكفك) والصواب من (ب).

وكذلك قوله: يرثُ خلفك أرض أعدائهم. وهذا في سياق ذكر الذبيح، فيكون خَلَفُ إبراهيم من جهة الذبيح أولى بذلك، والعربُ بنو إسماعيل، هم الذين ورثوا أرض اليهود، وكثيراً من أرض النصارى.

وقوله: يتبركُ بخلفك سائر الشعوب، وهذه صفة العرب، عَمَّتْ بركتهم شعبهم؛ بإقامة التوحيد، وشعبُ بني^(١) إسرائيل بإقامة العدل فيهم وإقرارهم بالجزية، وإلا فهم يستحقون القتل على كفرهم بإنكارهم نبوة محمد ﷺ.

وذكر: [أنَّ إسحاقاً توجه إلى ايتمالخ، ملك أهل فلسطين فترأى الله له، وقال كما قال لإبراهيم، حين عزم على ذبح ولده، ووعدته كذلك^(٢)].^(٣)

فإنَّ صحَّ هذا لم ينافِ حملنا لما وُعد به إبراهيم من ذلك، على ولد إسماعيل؛ لجواز أن تكون البركة، وتكثير العدد في^(٤) ولدهما جميعاً^(٥)، وقد أنجز الله في بني إسحاق؛ حيث أورثهم أرض فرعون، والعمالقة، وغيرهم، وفي بني إسماعيل؛ حيث جعلهم بعدهم في أرضهم، وغيرها إلى الآن^(٦).

وذكر: (أنَّ إبراهيم لما ماتت سارة، طلب مغارة عفرون بن صاغر^(٧)؛ ليدفنها فيها، فلما أجابه عفرون إلى ذلك، - مع ملاطفة في الكلام - سجد إبراهيم قدام شعب الأرض كُلِّه^(٨)).

وذكر: قبل ذلك: (أنه سجد لشعب الأرض)^(٩).

(١) بني، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٢) كذلك، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ٢٦: ١: ٧.

(٤) العدد في، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٥) جميعاً، ساقطة من: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٦) ما بين معقوفتين: سقط من الأصل في: (أ)، والحق بخط الناسخ في الهامش الأيمن، وكتب بعد: صح.

(٧) عفرون: اسم عبري معناه ((غزال صغير)) وهو: ابن صورح، حتَّى كان يقيم في الخليل، وقد باع إبراهيم حقل

المكفيلة ومغارتها [قاموس الكتاب المقدس (٦٣٢)].

(٨) سفر التكوين: ٢٣: ١: ٧.

(٩) هذا النص ورد بعد النص السابق، في: ٢٣: ١٢.

وهذا لا محذور فيه؛ بناءً على أن ذلك كان تحيته، ففعله إبراهيم [١١٣/ب] تحيةً، وشكراً للإحسان، لا على سبيل العبادة، وهذا يردُّ على من قدح في صدق قوله تعالى، في سورة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [سورة يوسف، آية: ١٠٠]؛ لأنَّ السُّجُودَ إذا ثبت أنَّه من ملة إبراهيم شكراً للمنع؛ فيوسف كان أمنَّ على إخوته وأبويه، أو أبيه وخالته، على خلافٍ في ذلك^(١)، من عرفون على إبراهيم، فهم أولى بالسُّجُود شكراً.

وذكر: (أنَّ إسماعيلَ ولدَ اثني عشرَ شريعاً: نبيوث، وقيدر، وأريل، ومبسم، ومشمع [١٠٧/أ]، ودوما^(٢) وماسا، وجادر، وبينما، وناطور، وناقش، وقادم)^(٣). قلت: وقد سبق أنَّه وعد أنَّ يولد لإسماعيل اثنا عشرَ شريعاً، لكنَّ هؤلاء لم يشتهروا، شهرةً محمد في الاثني عشر المذكورين من أصحابه، فحملَ الخطاب المذكور عليهم أولى.

وذكر: (أنَّ إسحاقَ لما دخلَ أرضَ ايتمالخ وكانت زوجته رفقا^(٤) بنت عمه جميلة، فقال: إنها أختي، وأنَّ ايتمالخ أشرف يوماً من طاقة، فوجد إسحاق يُلاعبُ

(١) قوله: ﴿هَؤُلَاءِ إِلَهُ﴾ قال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما كان أباه وخالته، وكانت أمه قد ماتت قديماً. وقال محمد بن إسحاق وابن جرير: كان أبوه وأمه يعيشان. قال ابن جرير: ولم يبق دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها. وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق. [تفسير ابن كثير ٤/٤١١-٤١٢].

(٢) في: (ب): وذوما والميث من: (أ).

(٣) النص الوارد بالأسماء، هكذا: ٢٥: ١٣-١٥: (وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم، حسب موالدهم: نياوت، بكر إسماعيل، وقيدر، وادبيل، ومبسم، ومشماخ، ودومة، ومسا، وحادار، وتيما، ويطور، وناقش، وقدمة). وفيه اختلاف في الأسماء - كما ترى - عن الأصل الذي نقل منه الطوفي رحمه الله.

(٤) رفقة: اسم عبري ربما كان معناه: رباط، أو حبل قيد، وهي ابنة بتويل وأخت لابان، لما كبر اسحق كلف أبوه أحد خدامه ليبحث له عن زوجة من بين فتيات عشيرته فذهب الخادم وإذ طلب إرشاد الله وفقه لاختيار رفقة فتزوجت اسحق، وبعد زواجها بنحو عشرين سنة ولدت يعقوب... وقد ماتت رفقة قبل اسحق في الوقت الذي كان ابنها يعقوب عند خاله لابان ودفت في مغارة المكفيلة عند قبر إبراهيم. [قاموس الكتاب المقدس ٨/٤٠٨].

أمرته، فقال له: ما صنعت؟! لقد كاد^(١) رجلٌ من شعبنا يُضاجعُ هذه المرأة وهي امرأتك! فلم نخبرنا، ولقد كادت تلحقنا الخطيئة^(٢).

قلت: ففي هذا ردٌّ على من قدح في طهارة محمد ﷺ^(٣) من النصارى بكونه كان يُحبُّ النساء، ويلاعِبُهُنَّ ويستمتع بهن، فهذا إسحاق بنُ خليل الله، قد لا عب امرأته، وسائرُ الأنبياء كانوا يستمتعون بنسائهم، وإنما ذلك شهوةٌ مباحةٌ، كأكلِ الطَّيب، ولُبسِ الناعم، فلا يقدح في الطهارة.

ولعل المسيح لو تزوج وأولد؛ لكان^(٤) خيرًا له وأكمل، كسائر الأنبياء، على أن في علم المسلمين أنه ينزلُ في آخر الزمان؛ فيقتل الدَّجَال، ويكسر الصليب، ويحرِّم الخنزير^(٥)، ويتزوج، ويولد له، ويُدفن إذا مات بالمدينة في حجرة النبي ﷺ^(٦).

[وقد تضمنت التوراة: أن^(٧) إبراهيم، وإسحاق، تواطأت قصتهما في إخبار كل منهما بأن زوجته أخته؛ لمَّا خاف من غائلة الإخبار بالزَّوجية، فلا يبعد أن قصة يعقوب و^(٨) موسى توافقتا، في أن كلا منهما آجر نفسه بصدِّاق امرأته؛ حتى

(١) في: (أ): كان، وهو خطأ فاحش، والمثبت من: (ب).

(٢) سفر التكوين: ٢٦: ٧: ١٠.

(٣) في (ب) (عليه السلام).

(٤) في (ب) (كان) والصواب من (أ).

(٥) ما بين معقوفتين ساقطة من: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) الصحيح في هذا ما ذكر أن عيسى ﷺ يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه، أما ما ذكر الطوفي رحمه الله من دفنه في حجرة النبي ﷺ فقد قال ابن كثير رحمه الله عليه: (ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله ﷺ وصاحبيه، وقد ورد ذلك حديث ذكره ابن عساکر في آخر ترجمة المسيح ﷺ في كتابه عن عائشة مرفوعاً أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح إسناده. وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا زيد بن أحمز الطائي حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة حدثني أبو مودود المدني حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله ابن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة: (صفة محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام يدفن معه) قال أبو مودود وقد بقي من البيت موضع قبر. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن كذا قال: والصواب الضحاك بن عثمان المدني. وقال البخاري هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه. (قصص الأنبياء ٥٧٥).

(٧) ليست في (ب).

(٨) في: (ب): في، بدل الواو، والمثبت من: (أ)، هو الصواب.

الدفاع
عن
النبي ﷺ

نزول
عيسى
ﷺ
آخر
الزمان

تزوج.

وهذا يُرَدُّ على مَنْ قَدَحَ فِي صَحَةِ إِبْرَاهِيمَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٍ﴾ [القصص: ٢٧]، وزعم أَنَّ ذَلِكَ خَاصًّا بِعُقُوبٍ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْرَةَ لَمْ تَتَضَمَّنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، فَإِنَّا نَدْعِي تَحْرِيفَ التَّوْرَةِ [١١٤/ب].

وَبِتَقْدِيرِ التَّسْلِيمِ نَقُولُ: التَّوْرَةُ لَمْ تَتَضَمَّنْ جَمِيعَ تَفَاصِيلِ مَا وَقَعَ لِمُوسَى وَغَيْرِهِ، فَلَعَلَّ^(١) هَذَا مِمَّا أَخْلَتْ بِهِ.

وَذَكَرَ: (أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا قَضَى الْأَجَلَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِهِ لَابَانَ، فِي رِعَايَةِ الْغَنَمِ عَنْ مَهْرِ ابْنَتِهِ، اسْتَأْجَرَهُ لِيرْعَى لَهُ مَدَّةً أُخْرَى، وَجَعَلَ يَعْقُوبُ أَجْرَهُ كُلَّ أَجْلَحٍ، يُولَدُ مِنَ الْمِعْزِ، وَكُلَّ حَمَلٍ أَبْقَعَ، وَمَلْمَعٍ أبيضٍ بِسَوَادٍ، وَكُلَّ أَمْلَحٍ بِياضٍ، فَرَضِيَ لَابَانَ، وَأَخْرَجَ عَنْ غَنَمِهِ كُلَّ فَحْلٍ خَالَطَهُ لُونَانٌ، وَأَبْعَدَ يَعْقُوبُ وَمَا مَعَهُ مِنَ الْغَنَمِ، عَنْ بَقِيَّةِ رُعَاتِهَا، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى [١٠٨/أ] يَعْقُوبَ: أَنْ خُذِ الْقَضْبَانَ الرُّطْبَةَ، مِنَ اللَّوْزِ وَالدُّلْبِ^(٢)، فَقَشِّرْهَا حَتَّى يَظْهَرَ بَيَاضُهَا، وَأَنْصِبْهَا فِي مَوَارِدِ الْغَنَمِ، حَيْثُ تَأْتِي لِتَشْرَبَ، فَفَعَلَ يَعْقُوبُ ذَلِكَ، فَكَانَتْ الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ، تَفْرَعُ^(٣) وَتَرْجِعُ إِلَى وَرَائِهَا، فَتَضْطَرُّبُ الْأَجْنَةَ فِي بَطُونِهَا، يَعْنِي: فَتَكْتَفِفُ بِكَيْفِيَةِ الْبِياضِ مَعَ سَوَادِهَا فِي أَنْفُسِهَا فَتَنْتِجُ بَقْعًا، وَمُلْحًا، وَجُلْحًا، وَمَنْمَرَةً، حَتَّى صَارَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ أَوَّلُ نَتَاجِهَا لِيَعْقُوبَ، وَآخِرُهُ لَخَالِهِ لَابَانَ^(٤)).

قُلْتُ: هَذَا سَبَبٌ مَشْهُورٌ، مُؤَثِّرٌ فِي أَنَّ الْجَنِينَ يَتَكَيَّفُ بِكَيْفِيَةِ مَا تَرَاهُ الْأُمُّ، وَهُوَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَأْتِي لَهَا ابْنٌ الْأَسْوَدِينَ أبيضٌ، وَابْنُ الْأَبْيَضِينَ أَسْوَدٌ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى

(١) فِي (أ) (وَلَعَلَّ) وَالصَّوَابُ مِنْ (ب).

(٢) الدُّلْبُ شَجَرُ الْعِثَامِ وَقِيلَ شَجَرُ الصَّنَارِ وَهُوَ بِالصَّنَارِ أَشْبَهَ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدُّلْبُ شَجَرٌ يَعْظَمُ وَيَتَّبِعُ وَلَا تَوَرُّهُ وَلَا ثَمَرٌ وَهُوَ مُفَرَّضُ الْوَرَقِ وَإِسْمُهُ شَبِيهُ بَوْرَقِ الْكَزْمِ وَاحِدَتُهُ دُلْبَةٌ وَقِيلَ هُوَ شَجَرٌ وَلَمْ يُوصَفْ. [لسان العرب (٣٧٧/١)].

(٣) فِي: (أ): تَفْرَعُ، وَالصَّوَابُ مِنْ: (ب).

(٤) سفر التكوين: ٣٠: ٢٥-٤٣.

ذلك الحكماء.

وذكر بعد هذا: (أَنَّ يَعْقُوبَ أَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ الْفُحُولَ الَّتِي تُسْفِدُ الْغَنَمَ، جُلِّحَ وَبُقِعَ وَمَنْمَرَةٌ^(١)).

قلت: فهذا يحتمل، وَأَنَّ هَٰذَا بَشَرِي لِيَعْقُوبَ، أَنَّ النَّتَاجَ يَأْتِي عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَرَطْتَ لِنَفْسِكَ، فَيَكُونُ^(٢) هَٰذَا مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِالسَّبَبِ عَلَى الْمَسْبَبِ؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْفَحْلِ أَمْلَحَ؛ سَبَبٌ لِمَجِيءِ نَتَاجِهِ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ الَّذِي جَاءَ النَّاتِجُ لَهُ، عَلَى مَا وَصَفَ لِيَعْقُوبَ، هُوَ مَا ذَكَرَ أَوَّلًا مِنَ الْقَضْبَانِ الْمَقْشُورَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ خَلَقَ فُحُولًا مَلَحًا، وَبُقِعًا، أَوْ قَلَبَ أَلْوَانَ فُحُولِ الْغَنَمِ عِنْدَ سَفَادِهَا^(٣)

فساد عقائد
اليهود
في الله وتخليق
والملائكة
الكرام

كذلك، أَوْ أَرْسَلَ مَلَكًا سَاقَ فُحُولَ بَقِيَّةِ غَنَمٍ لَا بَانَ^(٤)، الَّتِي عَزَلَهَا عَنْ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَسَفَدَتْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ جُزْءَ سَبَبٍ مَضْمُومًا إِلَى الْقَضْبَانِ الْمَقْشُورَةِ؛ لَطْفًا لِيَعْقُوبَ، وَمِبَالِغَةً فِي إِعَانَتِهِ، فَكُلُّ^(٥) ذَلِكَ مُمْكِنٌ، فَإِذَا نُسِبَ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ فَهُوَ قَرِيبٌ. وَذَكَرَ: (أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ حُورَانَ^(٦)، أَرْضِ خَالِهِ لَا بَانَ [١١٥/ب]، إِلَى كَنْعَانَ، أَرْضِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ، وَجَازَ بِأَهْلِهِ بَرِّيَّةً بِالنِّقِ، عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ؛ فَقَاتَلَهُ وَصَارِعَهُ، إِلَى أَنْ أَسْفَرَ الصَّبِيحَ، وَرَأَى أَنَّهُ لَا يُطِيقُهُ، فَدَنَا مِنْهُ وَمَسَّ خَاصِرَتَهُ؛ فَوَهَنْتَ خَاصِرُهُ يَعْقُوبَ، ثُمَّ قَالَ لِيَعْقُوبَ: أَطْلُقْنِي، قَالَ: لَا؛ حَتَّى تُبَارِكَ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟!. قَالَ: يَعْقُوبَ. قَالَ: بَلْ أَنْتَ إِسْرَائِيلُ!؛ لِأَنَّكَ قَاوَمْتَ الْمَلَكَ وَالرَّجُلَ فَاسْتَطَعْتَهُ. وَقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا اسْمُكَ؟!. فَقَالَ: مَالِكٌ وَلَا سَمِيَّ؟! ثُمَّ بَارَكَ عَلَى يَعْقُوبَ، وَدَعَا يَعْقُوبَ

(١) سفر التكوين: ٣١: ١٠-١٢.

(٢) في: (ب): ويكون، والمثبت من: (أ).

(٣) السَّفَادُ نَزْوُ الذِّكْرِ عَلَى الْأَنْثَى [لسان العرب (٣/٢١٨)].

(٤) في: (ب): لابن والصواب من: (أ).

(٥) في: (ب): وكل، والصواب ما في: (أ).

(٦) حوران كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وما زالت منازل العرب وذكرها في أشعارهم كثير وقصبتها بصرى. [معجم البلدان (٢/٣١٧)].

اسم ذلك البلد: منظر الله؛ لأنه رأى الملك [١٠٩/أ] وجهًا لوجه^(١).

قلت: ظنَّ بعض النصارى أنَّ المصارع ليعقوب في هذه القصة هو: الله سبحانه!
!، واحتجَّ بذلك، وبقضايا أخرى؛ على أنَّ الله سبحانه له مظاهرٌ يظهرُ فيها تارةً رجلًا،
وتارةً نازًا، وتارةً كبشًا^(٢). وجوزَ لذلك أنَّ يكونَ ظهرَ في ناسوت المسيح، وليس في
هذه القصة في التوراة ما يدلُّ على أنَّ المصارع له كان^(٣) هو الله سبحانه، كيف وقد
غلبه يعقوب، حتى جعلَ يقول له: أطلقني فقد أسفر الفجر^(٤)، وهو يقول: لا حتى
تبارك عليَّ؟!، وإنما^(٥) هو ملكٌ من الملائكة^(٦).

(١) سفر التكوين: ٣٢: ٢٢-٣٠.

(٢) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فالمؤمن يشمئز من قراءة هذه المصائب، لولا الرد على مثل هؤلاء الضلال.

(٣) كان، ليست في (أ)، وأثبتها من: (ب).

(٤) في (أ) (الصبح الفجر)، والصحيح ليست في (ب).

(٥) وإنما، تكررت في: (أ).

(٦) قال الجعفري: زعم اليهود أن يعقوب عند منصرفه من حران طالباً بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب وتالم
ورك يعقوب حين دنا منه الملك. وأن الملك بقي في يد يعقوب مقهوراً حتى قال له: دعني وأباركك، فلهذا
لا يأكل اليهود عرق الفخذ، وربما قال بعض جهال اليهود: «إن الذي صارعه يعقوب هو الله - تعالى الله عن
جهلهم علواً كبيراً - وأستغفروه من حكاية أقوالهم. وقال ابن حزم رحمة الله عليه: (...) أن يعقوب صارع الله
تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة وأما أهل العقول
فلا يفعلونه لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا: إن الله ﷻ عجز عن أن يصرع بنص كلام توراتهم
وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال كنت قويا على الله تعالى فكيف على الناس ولقد أخبرني بعض أهل
البصر بالعبرانية أنه لذلك سماه إسرائيل إيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف فمعناه أسر الله
تذكيراً بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة إذ قال له دعني فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك علي ولقد
ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع
الوهم وقال أن لفظ الوهم يعبر بها عن الملك وإنما صارع ملكاً من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يطل ما
تقولون ضرورة. أن فيه (كنت قويا على الله فكيف على الناس) وفيه أن يعقوب قال (رأيت الله مواجهة وسلمت
نفسي) ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأي الملك ولا يبلغ من مس الملك لما نص يعقوب أن
يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك. وفيه أنه سمي الموضع بذلك فثبيل؛ لأنه
قابل إيل وهو الله ﷻ بلا احتمال عندكم، ثم لو كان ملكاً كما تدعون عند المناظرة لكان أيضاً من الخطأ
تصارع نبي وملك لغير معنى، فهذه صفة المتحدين في العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء، فإن قيل قد رويتم
أن نبيكم صارع ركانة بن عبد يزيد، قلنا: نعم؛ لأن ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحداً يقاومه في جزيرة
العرب، ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفاً بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام، فقال له: إن صرعتني آمنت بك، =

وذكر: (أن يعقوب عبّر من منظر الله، وهو يعرج من وركه!، من غمزة الملك له؛ ولذلك صار في بني إسرائيل عِرْقُ النسا^(١))^(٢).

قلت: ولعلّه السببُ في لحوق عرق النسا لإسرائيل؛ حتى نذرَ إن شفاه الله منه حرّم أحبّ الأشياء المأكولة إليه، فكان ذلك لحم الجزور، فامتنع منه كما ذكره المفسرون^(٣) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٩٣].

وذكر: (أن يعقوب سجد لأخيه العيص لما التقاه سبع مرات؛ بالأرض، وسجد له كل من معه، من أزواجه وإمائته وأولاده، حتى يوسف وهو صبي^(٤))، فيوسف إذ صار ملكًا وسُرّي به حزن يعقوب أولى أن يسجد له، وهذا ردُّ على من أنكر سجود

= ورأى أن هذا من المعجزات، فأمره ﷺ بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت، وأسلم ركاة بعد مدة، فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق، ولكل مقام مقال، ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشاي واللبن والسمن والفظائر فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس في الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة! وفي الفصل المذكور: أن الله تعالى قال ليعقوب: لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل ثم في السفر الثاني من توراتهم قال الله تعالى: قل لآل يعقوب وعرف بني إسرائيل فقد سماه بعد ذلك يعقوب وهذه نسبة الكذب إلى الله تعالى! [تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٨٢/٣). الفصل في الملل والنحل (١١٠-١١١)].

(١) عِرْقُ النِّسَاءِ مَقْصُورٌ وَجَعٌ يَنْتَدُّ مِنْ كَذْنِ الْوَرِكِ إِلَى الْفَخِذِ كُلِّهَا فِي مَكَانٍ مِنْهَا بِالطَّوْلِ وَرُبَّمَا بَلَغَ السَّاقَ وَالْقَدَمَ مُنْتَدًا. [فقه اللغة للعالي (٤٩١)].

(٢) سفر التكوين: ٣٢: ٣٢-٣١.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: (قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. قال: «سألوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب على بيته لئن أنا حدثتكم شيئا فعرقتموه لتتابعني على الإسلام». قالوا: فذلك لك. قال: «فسألوني عما شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال: أخبرنا أي الطعام حرّم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ كيف هذا النبي الأمي في النوم؟ ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه وقال: «أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً وطال سقمه، فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرّم أحبّ الشراب إليه وأحبّ الطعام إليه، وكان أحبّ الطعام إليه لحمان الإبل، وأحبّ الشراب إليه ألبانها» فقالوا: اللهم نعم. قال: «اللهم اشهد عليهم» [تفسير ابن كثير (٧٤/٢)].

(٤) سفر التكوين: ٣٣: ٣ و٣٣: ٧.

يعقوب ليوسف في القرآن وقد سبق.

وذكر: (أَنَّ يَعْقُوبَ نَزَلَ سَالِيم^(١)، قَرْيَةَ سَجِيم^(٢) فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَنَّ أَبَا سَجِيمَ بَنَ حَمُورًا، سَيِّدَ الْأَرْضِ زَنَّا بِجَارِيَةِ يَعْقُوبَ وَابْنَتِهِ، وَخَطَبَهَا مِنْ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ، فَغَضِبُوا لِذَلِكَ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ اخْتَنْتَ أَنْتَ وَجَمِيعُ مَنْ فِي قَرْيَتِكَ زَوْجَنَّا، وَكُنَّا وَإِيَّاكَ شُعْبًا وَاحِدًا، فَقَبِلَ ذَلِكَ [١١٦/ب]، وَاخْتَنَ هُوَ وَأَهْلُ قَرْيَتِهِ، وَدَخَلَ بَنُو يَعْقُوبَ الْقَرْيَةَ، وَأَهْلُهَا جَرَحُوا^(٣) فِي أَلَمِ الْخَتَانِ، فَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ فِيهَا وَأَخَذُوا مَا لَهُمْ^(٤)).

قلت: نسبة هذا إلى يعقوب، وهو من أكرم الأنبياء على الله - حتى إنهم سمّوا الله ظهر إسرائيل، أي: عونه وناصره - قبيح جدًا؛ إذ كيف يُسلط على أم ولد نبيّه وابتنته من يفجر بها؟!، وهو قادرٌ على عصمتها منه، بما عصم به سارة من ايتماخ؛ مَلِكِ فلسطين.

وَأَمَّا مَا حُكِيَ عَنْ بَنِي يَعْقُوبَ، مِنْ مَكْرِهِمْ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ فَقَبِيحٌ أَيْضًا؛ إِذْ [١١٠/أ] فِيهِ غَدْرٌ، وَلَعَلَّ فَتْكَهُمْ بِهِمْ قَدْ كَانَ لغير هذا السبب؛ كَالْجِهَادِ فِي اللَّهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ هَذَا مِنْ أَكَاذِيبِ الْيَهُودِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَحْرِيفِهِمْ.

وذكر: (أَنَّ اللَّهَ اسْتَعْلَنَ عَلَى يَعْقُوبَ، وَهُوَ إِذْ أَقْبَلَ مِنْ فُذْنِ آرَامَ، وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: لَا يُدْعَى أَيْضًا اسْمُكَ يَعْقُوبَ، وَلَكِنْ يَكُنْ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ اللَّهُ: أَنَا اللَّهُ، إِيْلَ، أَشَدُّ اعْظَمُكَ، وَأَكْثَرُكَ وَسَائِرَ الشُّعُوبِ مِنْكَ)^(٥).

(١) سَالِيم: اسم عبراني معناه (سلام) والمكان غير معروف الآن بالضبط، والأغلب أن عين نون وساليم تقعان في وادي الأردن على بعد ثمانية أميال رومانية من سكيثوبوليس، أما في الخريطة الحديثة، فهناك مدينة اسمها سالييم تقع على مسافة أربعة أميال شرق شكيم على سهل ممتد جنوب وادي فارعة. وعين نون هي خرائب معتدة على منحدر وادي طوباس على بعد نحو عشرة أميال شمال شرق شكيم، وأربعة أميال شمال وادي فارعة. [قاموس الكتاب المقدس (٤٤٧)].

(٢) شكيم أو (نابلس) وهو اسمها الحالي، تبعد ٣١،٥ ميلًا شماليًا أورشليم، ٥،٥ ميلًا جنوب شرقي السامرة. [قاموس الكتاب المقدس (٥١٥)].

(٣) جرحى، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٣٣: ١٨ - ٢٠ و ٣٤: ١ - ٣١، وفيه: شكيم ابن حمور، بدل: سجين بن حمورا.

(٥) سفر التكوين: ٣٥: ٩ - ١١.

قلت: هاهنا ذكرَ أَنَّ المستعلن على يعقوب هو: الله. وفي قصة الرَّجُل الذي صارعه، ذكرَ أَنَّهُ كان مَلَكًا، وقال له: اسمُكَ إسرائيل؛ لَأَنَّكَ قاومتَ المَلَكَ والرَّجُلَ، فدلَّ على أَنَّ ذاك^(١) لم يكن هو الله، كما توهم بعضهم. فإن ادعى مُدْع أَن هذه القصة حكاية عن تلك؛ فعليه الدليل.

وذكر: (أَنَّ راحيلَ ماتت في نفاسها بينامين^(٢)، وسمته: ابن أوجاعي، وأنها دُفِنَتْ على طريق أفرث وهي بيت لحم، ونصب يعقوب على قبرها نصباً^(٣)، هي إلى يومنا هذا^(٤)).

قصة
يوسف
عليه السلام

قلت: قد بينا أَنَّ هذا لا يقدح في صحة قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] في قصة يوسف، بناء على أَنه دعا خالته، - وهي أختُ أمِّه: ليا، وزوجة أبيه - أمًّا مجازًا، كما كان يُدعى يوسفُ النَّجَّارُ^(٥) - زوجَ مريم - أبا للمسيح: إذا قيل جاء أبواه يطلبانه، وكان مع أبويه، وقد نطقَ به الإنجيل، وقد سبق بيانه في الكلام عليه^(٦).

(١) في: (ب): ذلك، والصواب ما في: (أ).

(٢) بَنِيامين: سم عبري معناه ((ابن اليد اليمنى، أو ابن اليمين)) وهو ابن يعقوب من امرأته راحيل، وكان أصغر أخوته. ولدت أمه في طريق بيت لحم وهم راجعون من فدان ارام إلى أرض كنعان. [قاموس الكتاب المقدس (١٩٢) قصص الأنبياء (٢١٤)].

(٣) في: (ب): نصبته، والصواب من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٣٥: ١٦ - ٢٠.

(٥) النجار، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) في إنجيل متى: ١٣: ٥٥: (أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى: مريم، وإخوته: يعقوب، ويوسي، وسمعان، ويهوذا). وفي إنجيل لوقا: ٢: ٢٧: (فأتى الروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه؛ ليصنعا له حسب عادة الناموس). و ٢: ٤١ (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى اورشليم في عيد الفصح) و ٢: ٤٨ (فلما أبصره اندهشا وقالت له أمه: يا بني لماذا فعلت بنا هكذا؟! هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين).

وذكر: (أنَّ روبيل^(١) بن يعقوب جامع سُريَّة أبيه بلها فبلغ ذلك إسرائيل)^(٢)، ولم يذكر عنه إنكارها، فإن كان أنكر فالشناعة على هذا الكلام من جهة:

أن الله لم يحصِّن فراش نبيِّه من الزَّنا، ولم يعصم ابن نبيِّه منه، وإن لم يكن أنكر شاعات اليهود
ففيه تشييعان: أحدهما: هذا المذكور [١١٧/ب].

والثاني: نسبة يعقوب إلى الديانة، وعدم الغيرة على فراشه. ونحن نرى أنَّ سوقيًا لو عبث ابنه بفراشه لغضبَ لذلك بالطبع؛ دَعِ الشَّرع^(٣).

وذكر: (أنَّ يوسف رأى أنَّه وإخوته جمعوا حزمًا من المزرعة، وقد قامت حزمته، وجاءت حزم إخوته، فسجدت لها، فأبغضه إخوته لذلك)^(٤).

قلت: هذه الرؤيا لم يقصَّها علينا القرآن، وإنَّما قصَّ رؤيا النُّجوم، والشمس، والقمر، وهي في التوراة كما في القرآن، وأنَّ يعقوب زجره لَمَّا قصَّها، وقال له: (ما هذه الرؤيا التي رأيت أجيء أنا وأمك [١١١/أ] وإخوتك، فنسجد لك على الأرض، وكان يعقوب قد وعى معنى الرؤيا)^(٥).

قلت: وإنَّما أراد بذلك أنَّ يصدَّ عنه كيد إخوته له، باستبعاده ذلك وإنكاره.

قلت: ففي هذا فائدتان:

(١) رأوين: اسم عبري معناه: هوذا ابن، هو بكر يعقوب ولدته له لثة، وكان نسله قليلاً وضعيفاً. عندما تأمر أخوته لقتل يوسف تقدم هو باقتراح أن يلقى أخوه في البئر أملاً أن يردّه إلى أبيه حيّاً. ولم يكن معهم عندما باعوا يوسف إلى الإسماعيليين فاغتاظ جدّاً عندما رجع إلى البئر وإذا بيوسف ليس فيه، وعندما وجد رأوين أخوته أنفسهم في ضيقة شديدة في مصر بعد عشرين عاماً أسرع فذكرهم أنه لم يشترك معهم في المؤامرة التي قصدوا بها قتل يوسف. [قاموس الكتاب المقدس (٣٩٣)].

(٢) سفر التكوين: ٣٥: ٢٢.

(٣) قلت: وما ذكره الطوفي ليس بحاجة إلى كبير عناء في الاستدلال بالفطرة عليه، ويكفي أن نذكر ما رواه البخاري عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها يعني القردة فرجمتها معهم. [صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: القسامة في الجاهلية (٣٦٣٦)].

(٤) سفر التكوين: ٣٧: ٥-٨.

(٥) في سفر التكوين: ٣٧: ٩-١١. (ثم حلم أيضاً حلماً آخر وقصه على إخوته فقال إني قد حلمت حلماً أيضاً وإذا الشمس والقمر واحد عشر كوكبا ساجدة لي وقصه على أبيه وعلى إخوته فاتتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت هل ناتي إنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض فحسده إخوته وأما أبوه فحفظ الأمر).

إحدهما^(١): قول يعقوب ليوسف: أجيء أنا وأمك، فنقول^(٢): إن كانت أمُّ

يوسف التي ولدته حية الآن، فهذا يناقض ما سبق في التوراة، من أنها ماتت قبل هذا، ودفنت بيت لحم^(٣)، فيكون هذا طعنًا على التوراة التي يحتج بها اليهود والنصارى، وإن كانت قد ماتت فقد سَمَّى يعقوب ليوسف بعد أمِّه أمًّا، فتلك التي سجدت له مع يعقوب، عند تأويل الرؤيا. ويحصل به جوابُ القادح في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف ١٠٠].

تحقيق
القول
في أمِّ
يوسف
المذكورة
في قصة
السجود

الفائدة الثانية: أن بعض النصارى أنكر أن يعقوب وبنيه سجدوا ليوسف؛ بناءً على أن التوراة لم يذكر فيها السجود، عند^(٤) التقاء بعضهم ببعض، وإنما اعتنقا وبكيا.

وهذا لا يضرُّنا، فإنَّ ما نطق به القرآن من سجودهم له مستفادٌ من هاهنا، وذلك لأنَّ يعقوبَ فهمَ أنَّ^(٥) تأويلَ رؤيا يوسف: أنَّ الشَّمسَ والقمرَ، وإحدى^(٦) عشرَ كوكبًا، سجدوا له سجودَ إخوة يوسف وأبويه له، وقد ثبت أنَّ الرؤيا صحَّت، فكذا تأويلُها خصوصًا والرؤيا رؤيا نبيِّ، والتأويل تأويل نبيِّ، أيما نبيِّ^(٧).

وأيضًا: فإنَّ الرؤيا الأخرى، وهي سجودُ حُزْمِهِم لحزْمته تدلُّ على ذلك؛ لأنَّ الرئيتين دلَّتا على حكمٍ واحدٍ.

قلت: وفي ورود القرآن برؤيا النجوم، دون رؤيا الحُزْم أقوى دليل على صدق محمد ﷺ، وأنَّ القرآن وحيٌّ من الله، وأنَّه إنَّما أخبر بما أوحى إليه، ولا فُلُو [١١٨/ب] كان ينقل ذلك من كتب الأولين، لتبَّعها، ولظفر برؤيا الحُزْم، ولذكرها خشية أن

(١) في (أ) (أحدهما) والصواب من (ب).

(٢) فنقول، عليها بقعة سوداء في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٣) انظر: سفر التكوين: ٣٥: ١٩، و٤٨: ٧.

(٤) عند، تكررت في: (أ).

(٥) أن، ليست في (أ)، والمثبت من: (ب).

(٦) هكذا في النسخين (أ) و(ب).

(٧) أيما نبيِّ، ليست في: (أ)، وأثبتها من (ب).

يُطَعَنَ عَلَيْهِ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

وذكر: (أَنْ يَعْقُوبُ قَالَ لِيُوسُفَ: إِنَّ إِخْوَتَكَ يَرْعُونَ فِي أَرْضِ كَذَا، فَاهْذَبْ فَاتْنِي بِخَبَرِهِمْ وَخَبِرِ الْغَنَمَ)^(١).

قلت: وهذا مخالفٌ لِمَا فِي الْقُرْآنِ، مِنْ أَنَّ إِخْوَتَهُ سَأَلُوا أَبَاهُمْ أَنْ يُرْسِلَهُ مَعَهُمْ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصَّوَابِ^(٢)؛ لِأَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ قَدْ عَلِمَ بُغْضَ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ^(٣)، وَحَسَدَهُمْ لَهُ عَلَى رُؤْيَاةِ الْتِي رَأَى، فَكَانَ أَحْزَمَ مِنْ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ اعْتِبَاطًا^(٤)، إِلَّا بِسُؤَالِ مُلَحٍّ. وذكر: (أَنَّ يَهُوذَا^(٥) وَجَدَ كُتَّتَهُ [١١٢ / أ] امْرَأَةً ابْنَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فِي صِفَةِ زَانِيَةٍ، فَصَالَحَهَا عَلَى أَنْ يَزْنِيَ بِهَا بِجَدِي مِنَ الْغَنَمِ، وَرَهْنَهَا عَلَى الْجَدِي خَاتَمَهُ وَعِمَامَتَهُ، وَقَضِيًّا كَانَ فِي يَدِهِ^(٦)، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كُتَّتَهُ، وَكَانَتْ أَيْمًا مِنْ ابْنِهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ حَمْلُهَا أَمَرَ بِهَا لَتَرْجَمَ، فَأَرَتْهُ الْعَلَامَةُ فَتَرَكَهَا)^(٧).

قلت: هذا فيه مِنَ الشَّنَاعَةِ مَا لَا يَسْتَجِيزُ عَاقِلٌ أَنْ يَنْسِبَهُ إِلَى حُثَالَةِ السَّوْقَةِ، فَضْلًا عَنْ نَبِيِّ مِنَ^(٨) الْأَنْبِيَاءِ، وَالشَّنَاعَةِ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: نَسْبَةُ يَهُوذَا إِلَى الزَّنا، وَإِلَى نَقْصِ الْعَقْلِ، حَتَّى بَدَّلَ خَاتَمَهُ، وَعِمَامَتَهُ،

(١) سفر التكوين: ٣٧: ١٣-١٤.

(٢) مرَّ معنا معنى قول الطوفي رَحِمَهُ اللهُ: وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصَّوَابِ، وَمُرَادُهُ بِهِ.

(٣) لَهُ، لَيْسَتْ فِي (ب) وَالْمُثْبِتُ مِنْ: (أ).

(٤) فِي: (ب): اغْتِبَاطًا، وَالصَّوَابُ مَا فِي: (أ).

(٥) يَهُوذَا: اسْمٌ عِبْرِيٌّ مَعْنَاهُ ((حَمْدٌ)) وَهُوَ رَابِعُ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ مِنْ لَيْثَةٍ، وَوُلِدَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، وَأَعْطِيَ هَذَا الْاسْمَ لِسَبَبِ شُكْرِ أُمِّهِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ. وَلَا يَذْكُرُ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ كَثِيرًا عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ يَذْكُرُ بَعْضَ حَقَائِقِ هَامَةِ تَتَعَلَّقُ بِهِ. فَقَدْ نَالَ رِضَى وَالِدِهِ وَحِبَّهُ. [قَامُوسُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (١٨٥)].

(٦) فِي (أ) (بِيَدِهِ) وَالصَّوَابُ مِنْ (ب).

(٧) سفر التكوين: ٣٨: ١٤-٢٦، وَسَمَاعَا: ثَامَارُ. زَعَمَ الْيَهُودُ - لَعَنَهُمُ اللهُ - أَنَّ يَهُوذَا بْنَ يَعْقُوبَ زَنَى بِكُتَّتِهِ ثَامَارَ وَرَهْنَهَا عَلَى ذَلِكَ خَاتَمَهُ وَعَصَاهُ. وَأَنَّا حَمَلَتْ مِنْهُ وَاسْتَهْرَتْ قِصَّتَهُ وَقَصَّتْهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَصَارَ بِذَلِكَ شَهْرَةً. هَذَا مَعَ حُظْوَتِهِ عِنْدَ أَبِيهِ. وَهَذِهِ هِيَ الْأَخْلَاقُ الْيَهُودِيَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا عَجَبَ فَقَدْ سَبَّوْا اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمَ السَّبِّ وَأَشْنَعَهُ. [انْظُرْ: تَخْجِيلُ مِنْ حَرْفِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (٥٦٧/٢) وَانْظُرْ: إِفْحَامُ الْيَهُودِ وَقِصَّةُ إِسْلَامِ السَّمُوعَالِ وَرُؤْيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ (١٥٤) السَّمُوعَالُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبَّاسٍ الْمَغْرِبِيِّ. تَحْقِيقُ د: مُحَمَّدُ عَبْدُ اللَّهِ الشَّرْقَاوِيُّ. دَارُ الْجِيلِ. بَيْرُوتُ الطَّبْعَةِ الثَّلَاثَةِ ١٩٩٠ م.]

(٨) مِنْ، لَيْسَتْ فِي: (ب). وَالْمُثْبِتُ مِنْ: (أ).

وعصاه في قضاء شهوة، عوضها جديًّا!

وقد صحَّ وثبت أنَّ حاجب بن زرارة^(١) سيد بني تميم^(٢)، وهو من أجلاف الجاهلية إنما هو رهن قوسه من خشناد بن خشناد، نائب^(٣) كسرى على سواد العراق^(٤)، على أمير عظيم، حملته غزوة نفسه أن وفى بما رهنها بها؛ حتى ضرب المثل بقوس حاجب، وافتخرت بها تميم خصوصًا، والعرب عمومًا، [حتى قال الشاعر:

تزهى علينا بقوس حاجبها زهو تميم بقوس حاجبها]^(٥).

الثاني: أنه حابى في حد من حدود الله، وأبطله^(٦) لهوى نفسه، ولعلَّ اليهود اعتمدوا على هذا الفُشار والهديان!، حتى كانوا إذا زنا فيهم الشريف حمّموه، أي: سودوا وجهه بالحمم، وهو الفحم^(٧)، وتركوه، وإذا زنا فيهم الوضيع رجموه^(٨).

(١) حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الدارمي التميمي سيد تميم في الجاهلية، والد عطار الصحابي، الذي وفد على النبي ﷺ فبعثه على صدقات بني تميم. قال المرزباني: كان رئيس بني تميم في عدة مواطن (يعني: حاجبًا)، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به، وأنشد له يفتخر:

ومنا بن ماء المزن وابن محرق إلى أن بدت منهم بجير وحاجب
ثلاثة أملاك ربوا في حجورنا جميعا ومنا الفخر ما هو كاذب

[الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٦١)].

(٢) سيد بني تميم، ليست في (ب) والمثبت من: (أ).
(٣) خشناد بن خشناد نائب، ليست في (ب) والمثبت من: (أ).
(٤) سواد العراق ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).
(٥) ما بين معقوفين ليست في (ب) والمثبت من: (أ) والبيت في: [تاج العروس (٣٩٤)] قال: وحاجب هذا: هو أبو الوفاء صاحب القوس المؤدعة عند كسرى في قصة مشهورة ساقها الحلبي وغيره وإليه يُشير القائل:

سأهت علمينا بقوس حاجبها نسية تميم بقوس حاجبها

وقد تغنى كثير من الشعراء بقوس حاجب هذا. وانظر قصته كاملة في: [قطوف الريحان من زهر الأفتان شرح حديقة ابن الونان (١٧٣-١٧٥) أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني. الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ نشر دار روضة الصغير. الرياض].

(٦) في: (ب): فأبطله، والمثبت من: (أ).

(٧) وهو الفحم، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٨) عن البراء بن عازب قال مرَّ على النبي ﷺ يهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا فدعاهم ﷺ فقال: «مَكْدًا تَجْدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِبَابِكُمْ». قالوا نعم. فدعوا رجلاً من علمائهم فقال: «أَشْذُكُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ =

تنزيه
أنبياء الله
تعالى عن
النقائص

وذكر: (أن امرأة الذي اشترى يوسف راودته عن نفسه، فلم يجبها فدخل ذات يوم البيت لشغله، فدخلت عليه وأخذت بثوبه، وقالت له ضاجعني! فلم يفعل، وخرج هارباً إلى السوق، وترك ثوبه في يدها، فلما جاء سيده قالت له: إن هذا العبراني دخل علي ليفضحني، فلما رفعت صوتي ترك ثيابه في يدي، وهرب إلى السوق، فلما سمع سيده؛ اشتد غضبه، وسجن يوسف، في السجن الذي فيه أسرى الملك^(١))^(٢).

قلت: فهذا فيه نقص عما حكى في القرآن من شهادة [١١٩/ب] الشاهد، وأمرها بالاستغفار، ويوسف بالإعراض، واجتماع النسوة، وتقطع أيديهن^(٣)، وهو أشبه بالصواب؛ لأن يوسف كان عند سيده بمنزلة عظيمة، ووجد على وجهه بركة ويمنًا، وعرف منه الصدق والأمانة، كما حكى في التوراة^(٤)، فمن المحال عادة أنه كان يحبس له قول امرأة تتهمه من غير دليل، ولا بحث عن سر القضية [١١٣/أ]، وكذلك كان يوسف كريماً على الله، والله معه، فبعيد أنه^(٥) كان يُسلمه لما يَمصُحُ عرضه من غير برهان يُبرئُه^(٦).

= عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ لَا وَلَوْلَا أَنَّكَ تَشَدِّتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرَكَ تَجِدُهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ إِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقْمَنَّا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْتَجْمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ فَجَعَلْنَا التَّخْيِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَخْبَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوه». فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِي يُسْكِرُ عَوْنَ فِي الْكُفْرِ» إِلَى قَوْلِهِ «إِنْ أُوْتِيتَ هَذَا فَخُذُوهُ» يَقُولُ اتُّوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّخْيِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» فِي الْكُفْرِ كُلِّهَا. [صحيح مسلم: كتاب الحدود.

باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (٤٥٣٦)]

(١) في: (أ)، ذلك، والمثبت من: (ب)، وهو موافق لما في سفر التكوين.

(٢) سفر التكوين: ٣٩: ٧-٢٠.

(٣) القصة الواردة في سورة يوسف، الآيات: ٢٣-٣١.

(٤) نص التوراة: في سفر التكوين: ٣٩: ٥ (وكان من حين وكله على بيته، وعلى كل ما كان له، أن الرب بارك بيت

المصري بسبب يوسف، وكانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحق).

(٥) في: (أ)، أن، والمثبت من: (ب).

(٦) في: (أ)، تبرئة، والمثبت من: (ب).

وذكر: رؤيا السَّاقِي والخباز والسبع بقرات^(١) وسبع^(٢) السنابل، كما في القرآن^(٣)، غير أنه ذكر: أن السنابل اليابسات، ابتلعن السنابل الخضر، وهذا لم يُصَرَّح به في القرآن، غير أن لفظه يحتمله، وصرَّح به (وثيمة)، في القصص: أن السنابل اليابسة أكلت السنابل الخضر.

وذكر: (أن إخوة يوسف، لمَّا جاءوا ليمتاروا من مصر، عرفهم يوسف وهم له منكرون، وقال لهم: أنتم جواسيس قالوا: لا، ولكننا نمتار لأهلينا، ونحن اثنا عشر رجلاً بنو أبٍ واحدٍ، لكن أحدنا مفقودٌ، والآخر أصغرنا عند أبيه. فقال يوسف: بهذا امتحن صدقكم، احبسوا عندي أحدكم، وخذوا ميرتكم، وابتوني إذا رجعتم بأخيكم الذي عند أبيكم؛ لأعلم أنكم صدقتموني، ولستم بجواسيس، فاحتبس عنده شمعون، وأرسلهم بالميرة، وجعل بضاعتهم في رحالهم، فلمَّا رجعوا وقالوا لأبيهم: أرسل معنا بنيامين، قال لهم: إن أخاه قد مات، ولم يبق لأُمِّه غيره، ولعله تصيبه مصيبةٌ في الطريق، فأنزل إلى غول الجحيم^(٤).

قلت: قوله: ولم يبق لأُمِّه غيره، دليلٌ على أن أُمِّه حيَّةٌ بعدُ؛ إذ هذا ظاهرٌ في أنه منعهم من أخذه مراعاةً لقلبيها وخاطرها، وهو ينافي كونها ماتت في النَّفَاس به، ويحتمل أنه أراد أنه لم يبق من وَلَدِ أُمِّه غيره. فلا يكون مناقضاً لموتها المقدم ذكره.

(١) في: (ب): البقرات، والمثبت من: (أ).

(٢) في (ب): والسبع، والمثبت من: (أ).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ إِنَّمَا أُفَوِّنِي بِرُؤْيَايَ إِنَّ كَثِيرَ النَّاسِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٢) ﴿قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُكَ وَمَا تُبْنِي بِذَلِكَ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْخَلْمُ يَمِينٌ﴾ (١٣) ﴿قَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمْرِ أَنَا أَنْتُمْ كُمْ يَأْتِيلُونَ﴾ (١٤) ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَتَيْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّكَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٥) ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِتُونَ﴾ (١٧) ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

(٤) سفر التكوين: ٤٢: ١-٣٨.

وقوله: فأنزل إلى غول الجحيم، يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه أراد: يُسَعَّرُ في قلبي نارُ الحزن عليه كنار الجحيم^(١).

والثاني: أن يكون أراد: لعظم مصيبي أغلبُ فأتسخطُ بالقضاء، فاستحقَّ نارَ الجحيم، على أنه حكى بعد هذا: (أن يوسف لما حبس بنيامين [١٢٠/ب] على

الصَّاع، قال له يهوذا: إني كفلت لأبي بردٌ ولده هذا، وإن أبانا قال لنا: إني أخشى أن
تصيب بنيامين مصيبةً في الطريق فتَهْطُطُون بسبي إلى الجحيم، وإني أخشى إن رجعنا
ولم ير^(٢) الغلام معنا؛ يموت، فتَهْطُط بسبب عبدك أبينا بالوجع إلى الهاوية، فاجعلني
أمكث عندك بدل الغلام^(٣).)

قلت: وهذا ظاهره^(٤) يخالف ظاهر قول يعقوب: فأنزل [١١٤/أ] إلى غول الجحيم، إلا أن يُتَأَوَّل على معنى: أن نزولكم بذلك إلى الجحيم كنزولي؛ لأنكم مني.

وذكر: (أنهم قالوا ليوسف: إن لنا أبا شيخاً^(٥)، وله ابنٌ صغيرٌ، وهو ابنُ كبره، ومات أخوه، وهو واحدٌ لا غيره لأُمِّه وأبيه، وأبوه يُحِبُّه^(٦)).

قلت: فهذا يدلُّ على أن أُم بنيامين حيَّةٌ يومئذٍ^(٧)، وهي: راحيل^(٨)، أم يوسف؛ لأن التأويل الذي ذكرنا أنه محتملٌ في قول يعقوب: أن أخاه قد مات ولم يبق لأمه غيره، لا يصحُّ هاهنا؛ إذ لا يصحُّ أن يقال: إنه واحدٌ لا غير ليعقوب؛ إذ بنو يعقوب

(١) وهذا ما صرح به في هذا السفر: ٣٨: ٤٢ (فقال لا ينزل ابني معكم؛ لأن أخاه قد مات، وهو وحده باق، فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها، تنزلون شيبي بحزن إلى الهاوية).

(٢) في: (ب): نرى، والصواب ما في: (أ).

(٣) سفر التكوين: ٤٤: ٢٢-٣٤.

(٤) ظاهره، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٥) في: (ب): إن أبانا شيخاً، والصواب من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ٤٤: ٢٠.

(٧) في: (ب): إلى الآن، والمثبت من: (أ).

(٨) في: (ب): وهي أم يوسف راحيل.

كثيرٌ ولا يصحُّ أن يكون الضمير في: لأمّه وأبيه، عائداً إلى يوسف؛ بتقدير^(١): وهو واحدٌ لا غير لأمّ يوسف وأبيه؛ لأنّه خلافُ الظاهر؛ إذ مرادهم ترقُّق يوسف عليه، ولا يحصل ذلك بما ذكر، فتعيّن أنّ معناه: هو واحدٌ لا غير لأبويه، وذلك يقتضي أنّ أبويه حيّان.

وذكر: (أنّ يعقوب لما حضرت أبام موته خلّف يوسف ألاّ يقبره بمصر، بل عند أبويه إبراهيم وإسحاق، فحلف له، وسجد إسرائيل على رأس عصاة^(٢) يوسف^(٣)). وسبق: أنّ إخوة يوسف سجدوا له، في اجتماعهم به في المرة الأولى، والثانية مراراً. وهذا يردُّ على الطاعن، في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّوْا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ لأنّ وقت مُلتقى يعقوب بيوسف أولى بالسجود له، هو وبنوه، حتى يظهر لأبيهم زوال الحسد لأخيهم.

وذكر: (أن يعقوب لمّا مرض جاءه يوسف وابناه: منشي، وأفرام، فقال له يعقوب كلاماً منه: أنّ الله استعلن عليه بأرض كنعان، ووعدّه أن يُعطي خلفه من بعده هذه الأرض؛ ميراثاً للدهر^(٤)).

قلت: وهذا كذبٌ من اليهود على الله وعلى إسرائيل!؛ لأنّ ملك بني إسرائيل زال عن أرض كنعان وغيرها، منذ [١٢١/ب] بُعث إليهم المسيح وكذبوه، وهمّوا بقتله، فخرج عنهم إلى الأبد؛ فأين صدقُ هذا الوعد، إن كان من الله على لسان إسرائيل؟، وإنّما كان هذا الوعدُ لإبراهيم في خلفه، فكان ذلك في بني إسماعيل وهم^(٥) العرب. فهو إلى الآن، وحتى الأبد، إن شاء الله تعالى^(٦).

(١) في: (ب): بنقد، والصواب ما في: (أ).

(٢) هكذا في: (أ)، وفي: (ب): وسجد على رأس عصاه ليوسف، والمثبت الأول.

(٣) سفر التكوين: ٤٧: ٢٩-٣١.

(٤) سفر التكوين: ٤٨: ١-٤.

(٥) وهم، ليست في (ب).

(٦) ولا يرد على هذا ما وقع من احتلال صهيوني اليوم لفلسطين؛ إذ الوعد الذي وعده الله تعالى لهذه الأمة هو قتال اليهود في فلسطين في آخر الزمان، وعودة المسلمين إلى بيت المقدس، فقد روى البخاري =

وذكر: أنه من جملة كلامه ليوسف، أن قال له: (وأنا حين أقبلت من مدن أرام، يعني قدومه من عند خاله لابان^(١))، من حوران، ماتت راحيل أمك في أرض كنعان، في الطريق على مجرى فرسخ من الدخول [١١٥ / أ] إلى أفرث، فقبرتها ثم في بيت لحم^(٢).

قلت: هذا كالتصّ الأول على موت راحيل قديماً، وقد بينّا في مواضع في التوراة ما يدلُّ على أنها حية إلى ما بعد ذلك. وهو تهافت في التوراة، فإن تأولوا المواضع الدالة على بقائها تأويلاً صحيحاً لم يضرنا؛ لأنّ مقصودنا إجابة الطاعن من النصارى على قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وهو حاصل بما قرّره، عند قول يعقوب ليوسف، حين رأى الرؤيا: أسجد لك أنا وأمك وإخوتك؟.

وذكر: (أنّ يعقوب قال ليوسف قدّم ابنك أبارك عليهما، فأدناهما منه فسجدا له على الأرض، وجعل يوسف ابنه إفرام^(٣) على^(٤) عينيه عن يسار إسرائيل، ومنشي على يساره عن يمين إسرائيل، فجعل إسرائيل يمينه على رأس إفرام، وهو الأصغر، وشماله على رأس منشي، وخالف بين يديه؛ من أجل أنّ منشي كان البكر^(٥)).

قلت: هذا تعليل غير مناسب؛ لأنّ كون منشي هو البكر الأكبر؛ يقتضي أنّ يخصّه بيده اليمنى التي هي أيمن وأبرك؛ لأنّ العادة جرت بتفضيل بكورة الأولاد وكبارهم.

= عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال (تقاتلون اليهود حتى يخنّبوا أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله). البخاري: كتاب الجهاد والسير. باب: قتال اليهود (٢٧٦٧) ومسلم (٧٥١٩). وروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْنُبَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغُرَقْدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراف الساعة. باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.. [٧٥٢٣٣].

(١) في: (ب): لابن، والمثبت من: (أ).

(٢) سفر التكوين: ٤٨: ٧.

(٣) في (ب): (إفرام)، والمثبت من: (أ).

(٤) في: (ب): عن، والمثبت من: (أ).

(٥) سفر التكوين: ٤٨: ٨ - ١٤.

فلان قيل: إنما خصّ إفرام يمينه لصغره جبراً له ورحمةً.

قلنا: فكان ينبغي أن يذكر إفرام، ويعلل بذلك، وإلاً فمنشي لا مدخل له إذا هاهنا يقتضي ذكره، فهذا كلامٌ فيه اعتلالٌ ينزّه عنه آحادُ العقلاء، فضلاً عن الله ورسله. ولهذا قال بعد ذلك: (إن يوسف غمّه^(١)) وضع يده اليمنى على إفرام الأصغر، والشمال على منشي الأكبر، وقال: يا أبتاه هذا هو الأكبر، فقال: قد علمت يا بني، وهو يكون لشعبٍ كبيرٍ، غير أن أخاه الأصغر يعلو عليه، وذريته أوفر الشعوب^(٢). قلت: فاستدراكُ يوسف على يعقوب، يدلُّ على فساد التعليل المتقدم، بأن منشي هو الأكبر؛ إذ هو غيرُ مناسب.

وطعننا هاهنا إنما هو على [١٢٢/ب] هذا التعليل لا على فعل يعقوب؛ لأنه بينَ حكمة فعله، وتبين ما قاله، بأن يوشع بن نون كان من ولد إفرام، ولم يُعلم من ولد منشي مثله، ومثل سبطه، والله أعلم.

وذكر: (أن إسرائيل لما جمعَ بنيه وأخبرهم ما^(٣) يكون لكل منهم في مستقبله، تغيط على روبيل وقال له: نجست فراشي^(٤)) [١١٦/أ]، يعني كونه وطئ سُريرة^(٥) أبيه، وقد بينا فيما سبق أن هذا صعبٌ من القول، وأنه باطلٌ. وقال: (لا يُفقد الملكُ والنبوة والكهنوت من سبط يهوذا، ومن بين فخذيه، حتى يأتي من هي له، وإياه تنتظر الشعوب، الرابط في الشجرة جحشه، وفي القضيب ابن أتاناه، تحمرُّ من الخمر عيناه، وأشدُّ بياضاً من اللبن أسنانه)^(٦).

قلت: هذا فيه بيانٌ ضلالِ اليهود والنصارى جميعاً، وكفرهم وافترائهم على الله

ورسله.

ضلال
اليهود
والنصارى
وكفرهم
بالله
ورسله

(١) في: (ب): غمّه، والصواب ما في: (أ).

(٢) سفر التكوين: ٤٨: ١٧-١٩.

(٣) في: (ب): إنما، والمثبت من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٤٩: ١-٤.

(٥) السُريرة الجارية المتخذة للملك والجماع [لسان العرب (٤/٣٥٦)].

(٦) سفر التكوين: ٤٩: ١٠-١٢.

أَمَّا الْيَهُودُ: فَلَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِالْمَسِيحِ، وَأَذَوْهُ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَهُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ فِي كَلَامِ إِسْرَائِيلَ هَذَا، وَهَذِهِ صِفَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ سَبْطِ يَهُوذَا، وَلَهُ كَانَتْ تَنْتَظَرُ الشُّعُوبُ، وَبِهِ كَانَتْ تَبْشِرُ الرِّسَالُ، وَهُوَ رَكَبَ الْحِمَارَ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ.

وَأَمَّا النَّصَارَى: فَلَأَنَّ إِسْرَائِيلَ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَسِيحَ الَّذِي هَذِهِ صِفَاتُهُ: مَلِكُ نَبِيِّ كَاهِنٍ، وَلَوْ كَانَ إِلَهًا أَوْ ابْنِ إِلَهٍ لَمَا سَكَتَ عَنْ بَيَانِهِ، فِي مَعْرَضِ هَذَا التَّعْظِيمِ، فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ!، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ.

وَقَالَ: (إِسَاخْرُ^(١)) رَجُلٌ جَبَّارٌ، جَالِسٌ بَيْنَ السُّبُلِ، وَأَرَى مَحَلَّتَهُ حَسَنَةً، وَأَرْضَهُ خَيْرَةً، يَطَاطِي كُتْفَهُ لِلطَّاعَةِ، وَأَدَاءَ الْجَزِيَةِ^(٢)).

قُلْتُ: هَذَا إِسْرَائِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَدْ أَنْصَفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِنَحْوِ أَلْفِي سَنَةٍ، فَشَهِدَ عَلَيْهِمُ بِالْجَبْرُوتِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشَّرِّ، وَهُوَ الَّذِي مَنَعَهُمُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ^(٣)، وَأَوْعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ، وَأَدَاءَ الْجَزِيَةِ، وَشَهِدَ لَأَرْضِهِمُ الَّتِي^(٤) يُوَدُّونَ فِيهَا الْجَزِيَةَ بِالْحُسْنِ وَالْخَيْرِ، وَتِلْكَ أَرْضُ الْإِسْلَامِ؛ إِذْ لَا جَزِيَةَ عَلَى الْيَهُودِ إِلَّا فِيهَا.

وَذَكَرَ: (أَنَّ يَعْقُوبَ أَوْصَى أَنْ يَدْفَنَ عِنْدَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا مَاتَ أَمَرَ يُوسُفَ بِتَحْنِيطِهِ، وَبَكَى عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ سَبْعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ تَوَجَّهَ بِهِ يُوسُفُ؛ لِيَدْفِنَهُ حَيْثُ أَوْصَى).^(٥)

حديث:
لم يقبر
نبي إلا
حيث
يموت

قُلْتُ: هَذَا مِنْ جُمْلَةٍ مَا أَوْرَدَهُ بَعْضُ النَّصَارَى، عَلَى صَدَقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فِيمَا

(١) اسْمُ عِبْرِيٍّ مَعْنَاهُ ((يَعْمَلُ بِاجْرَةٍ)). وَهُوَ: تَامِسُ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ، وَخَامِسُهُمْ مِنْ لَيْثَةٍ، وَقَدْ تَمَّتْ نُبُوَّةُ يَعْقُوبَ بِخُصُوصِهِ فَإِنَّ شَعْبَ يَسَاكِرَ مَكْدُودٌ بِأَشْغَالِ الْفَلَاحَةِ. وَكَانَتْ تَغْزُوهُ الْقِبَاثِلُ الرَّحْلُ. وَكَانَ عَدَدُ الرِّجَالِ فِي سَبْطِ يَسَاكِرَ فِي الْإِحْصَاءِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِيَةِ سَبْعَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَفِي الْإِحْصَاءِ الثَّانِي أَرْبَعَةَ أَلْفًا وَثَلَاثًا. وَفِي الْإِحْصَاءِ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ سَبْعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. [قَامُوسُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (١٠٦٤)]

(٢) سَفَرُ التَّكْوِينِ: ٤٩: ١٤ - ١٥، وَلَفْظُهُ: (يَسَاكِرَ، حِمَارٌ جَسِيمٌ، رَابِضٌ بَيْنَ الْحِظَانِ).

(٣) فِي (ب): عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُثَبِّتُ مِنْ: (أ).

(٤) فِي (أ): الَّذِي، وَالصَّوَابُ مِنْ: (ب).

(٥) سَفَرُ التَّكْوِينِ: ٥٠: ١ - ١٥.

روي^(١) عنه، أنه قال:

(لم يقبر^(٢) نبي إلا حيث مات)^(٣).

قلت^(٤): والجواب عن هذا من وجوه [١٢٣/ب]:

أحدها: أننا قد بينّا تهافت التوراة، وتحريف اليهود والنصارى كتب الأولين فلا وثوق بها [١١٧/أ].

الثاني: أنه قد ذكر: (أن يعقوب بقي بمصر يُبكي سبعين يوماً)^(٥)، ولو بقي ذلك القدر غير مدفونٍ لأتسن وأريح^(٦)؛ إذ هو بشرٌ على كُلِّ حالٍ، وذلك إهانةٌ للميت، ولهذا جاء في شرعنا: أن من إكرام الميت، أن يُبادر بدفنه^(٧)، فدلّ على أنهم دفنوه حتى انقضت مناحثهم عليه، ثم استخرجوه فنقلوه إلى آبائه.

ويقال: إنهم نقلوه في تابوت ساج^(٨)، وحينئذٍ لا يكون نقله منافياً لدفنه حيث مات.

(١) في (أ) (بروي)، والصواب من (ب).

(٢) في (أ) (لم يقبر يدفن)، والصواب من (ب).

(٣) سياي تخريجه.

(٤) قلت، ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٥) سفر التكوين: ٥٠: ٣.

(٦) قلت: رحم الله الطوفي، فما كان له أن يتكلم بمثل هذا الوصف عن نبي من أنبياء الله، ولعله غاب عنه حديث النبي ﷺ عن تحريم الله على الأرض أكل أجساد الأنبياء: (عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (من أفضّل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثر وعلي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ يعني وقد بليت. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). [رواه أبو داود (١٠٤٧) والنسائي (٣٩١) وابن ماجه (١٠٨٥) من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث بن خزيمة (١٧٣٣) وابن حبان (٩١٠) والدارقطني والنووي في الأذكار (٣٤٧). انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٥) تفسير سورة السجدة. طبعة دار الفكر. ١٤٠٤هـ]

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، والسنة تعجل الصلاة على الجنازة ودفنها؛ لقول النبي ﷺ: «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة برقم (١٢٣١)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الإسراع بالجنازة برقم (١٥٦٩)]. انظر: [مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله (٢٥/ ٢٠١) جمع: محمد بن سعد الشويمير. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء].

(٨) السَّاجُ ضرب من الشجر وهو أيضا الطيلسان الأخضر وجمعه سيجان بوزن تيجان [مختار الصحاح (٣٢٦)].

فإن قيل: لعلمهم صبروه^(١) حتى مكث تلك المدة، ولم يُحتج إلى دفن. قلنا: هذا لم يُنقل في التوراة ولا غيرها، ومجرد احتمال لا يكفي في التصديق بوقوعه. وما ذكر من تحنيطه لا يدلُّ على تصبيره؛ إذ كلُّ الموتى يُحَنِّطُونَ عند الإمكان. الثالث: وهو المختار عندنا في الجواب عن هذا الإشكال: منعُ صحة الحديث، فإننا لا نعلم أحداً رواه إلاَّ أحمدُ، قال: حدثنا^(٢) عبد الرزاق، قال: أخبرنا^(٣) ابن جريج^(٤)، قال: أخبرني أبي^(٥)، أن أصحاب النبي ﷺ، لم يدروا أين يقبرونه؟^(٦)، حتى قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لم يقبر نبيٌّ إلا حيث يموت، فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه)^(٧).

قلت: وفي هذا الحديث جهالة وإرسال؛ لأن أبا ابن جريج لا يعلم حاله في الرواية، وقد أرسله عن الصحابة فلا يعلم هل سمعه منهم أو من غيرهم عنهم، وهاتان علتان لا يبنى على ما كانتا فيه من الحديث فرع، فضلاً عن أن نلتزم تسليمه.

(١) قال في اللسان: تَحَنَّنُوا بِالصَّبْرِ لثَلَاثِ يَجِيفُوا وَيُنْتِنُوا [لسان العرب (٧/٢٧٨)].

(٢) في: (ب)؛ ثنا، وهو اختصار المحدثين لألفظ التحمل والأداء للحديث، والمثبت من: (أ)

(٣) في: (ب)؛ أنا، وهو كما سبق، والمثبت من: (أ).

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولا هم أبو الوليد وأبو خالد المكي أصله رومي مات ابن جريج في أول

عشر ذي الحجة سنة (١٥٠) وهو ابن (٧٠) سنة وكان ثقة كثير الحديث. [تهذيب التهذيب (٦/٣٥٧-٣٥٩)]

(٥) عبد العزيز بن جريج المكي مولى قريش. روى عن عائشة وعن أم جميل عنها وعن ابن عباس وابن أبي مليكة وسعيد ابن جبير وعبد الله بن أبي خالد. وعنه ابنه عبد الملك وخصيف. قال البخاري لا يتابع في حديثه. وذكره ابن حبان في الثقات وقال لم يسمع من عائشة. قلت (ابن حجر): وكذا قال العجلي لكن في مسند أحمد وغيره التصريح بسماعه منها من رواية خصيف عنه وقال البرقاني عن الدارقطني مجهول قيل له هو والد عبد الملك قال إن كان هو فلم يسمع من عائشة يترك هذا الحديث وقال العجلي لا يتابع علي حديثه. [تهذيب التهذيب (٦/٢٩٧)].

(٦) في (ب) (يقبروه) الصواب من (أ).

(٧) مسند أحمد بن (١/٧) حديث (٢٧) قال شعيب الأرناؤوط: قوي بطرقه وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه.

مصنف عبد الرزاق (٣/٥١٦) حديث (٦٥٣٤). كنز العمال (٧/٣٨٧) حديث (١٨٧٣٥) قال: (قال

ابن كثير وابن حجر: هذا منقطع) وفي (٧/٣٩٥) حديث (١٨٧٥٩) هذا منقطع من هذا الوجه فإن والد ابن

جريرج فيه ضعف ولم يدرك أيام الصديق). الجامع الصغير وزيادته (١/٩٣٤) (٩٣٣٢) قال الشيخ الألباني:

(صحيح).

والجواب عنه فيما يقدر في أصل الشريعة ورواه ابن هشام في السيرة (.....) ^(١)، فمَنعُ صحته أسهل علينا، لكن ^(٢) قد ذكر السهيلي ^(٣) في شرح السيرة، (.....) ^(٤). وروى الترمذي ^(٥) بإسناده من حديث عائشة قالت: (لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما [١١٨ / أ] نسيتُهُ، قال:

(ما قبض الله نبيّاً؛ إلّا في الموضع الذي يحبُّ أن يُدفنَ فيه، ادفنوه في موضع فراشه) ^(٦).

(١) للأسف الشديد هنا يبايض قدر سطرين وأكثر في: (أ) من هنا، وفي: (ب) كذلك، وهناك شبه ختم تملّك مكان السقط. وانظر [سيرة ابن هشام (٤/٤٥٢-٤٥٤)].

(٢) لكن، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. (٥٠٨ - ٥٨١ هـ = ١١١٤ - ١١٨٥ م) ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة. ونبح، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وهو صاحب الأبيات التي مطلعها: (يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع) من كتبه (الروض الأنف - ط) في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و (تفسير سورة يوسف - خ) في خزانة الرباط (١٤٢٧) و (التعريف والإعلام في ما أبهى في القرآن من الأسماء والأعلام - خ) و (الإيضاح والتبيين لما أبهى من تفسير الكتاب المبين). [الأعلام للزركلي (٣/٣١٣)]

(٤) وأيضاً هنا يبايض قدر سطرين في: (أ) من هنا، وفي: (ب) كذلك، وهناك شبه ختم تملّك مكان السقط.

(٥) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى: (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ. مات بترمذ. من تصانيفه (الجامع الكبير - ط) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، و (الشمال النبوية - ط) و (التاريخ) و (العلل) في الحديث. [الأعلام للزركلي (٦/٣٢٢)]

(٦) (صحيح). صححه جمع من أهل الحديث. وقد ساق ابن كثير الروايات في صفة دفنه ﷺ وأين دفن قال: قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أخبرني أبي وهو عبد العزيز بن جريج أن أصحاب النبي ﷺ لم يدروا أين يقبروا النبي ﷺ حتى قال أبو بكر سمعت النبي ﷺ يقول: (لم يقبر نبي إلا حيث يموت) فأخروا فراشه وحفروا تحت فراشه. وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصديق فإنه لم يدركه لكن رواه الحافظ أبو يعلى من حديث ابن عباس وعائشة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فقال حدثنا أبو موسى الهروي ثنا أبو معاوية ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: اختلفوا في دفن النبي ﷺ حين قبض فقال أبو بكر سمعت النبي ﷺ يقول لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه، فقال: =

وهو حديثٌ غريبٌ، وفي إسناده عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي^(١)، وهو

= ادفنوه حيث قبض. وهكذا رواه الترمذي عن أبي كريب عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلّفوا في دفنه، فقال أبو بكر سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه)، ادفنوه في موضع فراشه ثم إن الترمذي ضعف المليكي، ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه. رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ وقال الأموي عن أبيه عن ابن إسحاق عن رجل حدثه عن عروة عن عائشة إن أبا بكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه لم يدفن نبي قط إلا حيث قبض) قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني محمد بن سهل التيمي ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: (كان بالمدينة حفاران فلما مات النبي ﷺ قالوا أين ندفنه؟ فقال أبو بكر ﷺ: في المكان الذي مات فيه. وكان أحدهما يلحد والآخر يشق فجاء الذي يلحد فلحد للنبي ﷺ. وقد رواه مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه منقطعاً. وقال أبو يعلى حدثنا جعفر بن مهران ثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال: (لما أرادوا أن يحضروا للنبي ﷺ وكان أبو عبيدة الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما اذهب إلى أبي عبيدة وقال للآخر اذهب إلى أبي طلحة اللهم خره لرسولك قال فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته وقد كان المسلمون اختلّفوا في دفنه فقال قائل ندفنه في مسجده وقال قائل ندفنه مع أصحابه فقال أبو بكر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض. فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي فيه فحفروا له تحته، ثم ادخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه إرسالاً الرجال حتى إذا فرغ منهم أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد فدفن رسول الله ﷺ من أوسط الليل ليلة الأربعاء). [البداية والنهاية لابن كثير (ج ٥ ص ٢٦٦) قال الألباني رحمة الله عليه: أخرجه الترمذي (٢ / ١٢٩) وقال: حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه. قلت (الألباني): لكنه حديث ثابت بما له من الطرق والشواهد: أ - أخرجه ابن ماجه (١ / ٤٩٨، ٤٩٩) وابن سعد (٢ / ٧١) وابن عدي في الكامل (ق ٩٤ / ٢) من طريق ابن عباس عن أبي بكر. ب - وابن سعد وأحمد (رقم ٢٧) من طريقين منقطعين عن أبي بكر. ج - ورواه مالك (١ / ٢٣٠) وعنه ابن سعد بلاغا. د - ورواه ابن سعد بسند صحيح عن أبي بكر مختصراً موقوفاً، وهو في حكم المرفوع، وكذلك رواه الترمذي في «الشمائل» (٢ / ٢٧٢) في قصة وفاته ﷺ، قال الحافظ ابن حجر (١ / ٤٢٠): «وإسناده صحيح، لكنه موقوف، والذي قبله أصرح في المقصود، وإذا حمل دفنه في بيته على الاختصاص لم يعد نهي غيره عن ذلك، بل هو متجه، لأن استمرار الدفن في البيوت ربما صيرها مقابر، فتصير الصلاة فيها مكروهة» وقد استنبط البخاري الكراهة من قوله ﷺ: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً». وصححه ترمذ في صحيح الجامع حديث رقم: (٥٦٠٥). [أحكام الجنائز للألباني (١٣٧-١٣٨) الطبعة الرابعة. ١٤٠٦ هـ المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان].

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المدني (ضعيف). من السابعة [تقريب التهذيب (١ / ٥٦٢)]. وضعفه الترمذي في السنن، قال: (وهو ضعيف في الحديث ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه) [ضعيف سنن الترمذي للألباني (٨ / ٤٨) ح (٣٥٤٨)]. وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٤ / ٣٩١) قال: (ضعيف جداً). رواه ابن عساكر (٢ / ٢٢٩) عن عبد =

يُضَعَّفُ^(١) [١٢٤/ب] وكل هذه الروايات لا يثبت بها ما يلزم به هذا المحذور، مع أن هذا الحديث لا يُبنى لنا عليه حكم شرعي أصلي ولا فرعي، فإهداره لا يضرنا. ولو كان مما يُبنى عليه حكم فرعي لم يضرنا أيضًا؛ لأن الفروع تثبت بما لا تثبت به الأصول، ويقدر في أدلة الأصول ما لا يقدر في أدلة الفروع، فإن التوحيد لا يثبت إلا بالبرهان الساطع، والنبوة لا تستيقن إلا بالدليل القاطع، وما عداهما من أحكام الملة يكفي فيه خبر مستفيض، أو مشهور^(٢)، أو قياس على، أو دلالة^(٣)، أو

= الرحمن بن أبي بكر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً. قلت: وهذا سند ضعيف جداً، عبد الرحمن هذا هو المليكي ضعيف جداً، قال البخاري: «ذهب الحديث». وقال النسائي: «متروك».

(١) هنا تنتهي مخطوطة (ب)، وبعد هذه الكلمة كتب: (والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد)، ففيها سقط قدر صفحة كاملة في آخرها.

(٢) المشهور وهو المستفيض على رأي: ما رواه فوق الاثنين. قال في البيهقي: مشهور مروي فوق ما ثلاثة. [نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (١ / ١٣)].

(٣) قال الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عليه: (...) واعلم أن القياس المذكور ينقسم بالنظر إلى الجامع بين الفرع والأصل إلى ثلاثة أقسام: الأول: قياس العلة. والثاني: قياس الدلالة. والثالث: قياس الشبه. أما قياس العلة فضابطه: أن يكون الجمع بين الفرع والأصل بنفس علة الحكم، فالجمع بين التبيذ والخمر بنفس العلة التي هي الإسكار. والقصد مطلق التمثيل، لأننا قد قدمنا أن قياس التبيذ على الخمر لا يصح، لوجود النص على أن «كل مسكر خمر»، وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام». والقياس لا يصح مع التنصيص على أن حكم الفرع المذكور كحكم الأصل، إلا أن المثال يصح بالتقدير والفرض ومطلق الاحتمال كما تقدم. وكالجمع بين البر والذرة بنفس العلة التي هي الكيل مثلاً عند من يقول بذلك، وإلى هذا أشار في المراقي يقول:

وما بذات علة قد جمعا فيه فقيس علة قد سمعا

وأما قياس الدلالة فضابطه: أن يكون الجمع فيه بدليل العلة لا بنفس العلة، كأن يجمع بين الفرع والأصل بملزوم العلة أو أثرها أو حكمها. فمثال الجمع بملزوم العلة أن يقال: التبيذ حرام كالخمر بجامع الشدة المطربة، وهي ملزوم للإسكار، بمعنى أنها يلزم من وجود الإسكار. ووضح ابن القيم معنى: قياس العلة بدليل من القرآن الكريم، فقال: (فأما قياس العلة فقد جاء في كتاب الله ﷻ في مواضع منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فأخبر تعالى أن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طَوْعًا لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أبٍ مَنْ يُقَرُّ بوجود آدم من غير أبٍ ولا أم؟ ووجود حواء من غير أم؟ فآدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذي يصح تعلق الإيجاد والخلق به. [أضواء البيان (٤ / ١١٤)].
أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١ / ١٠٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩ / ٢٠). وانظر: المستصفى في أصول الفقه، للغزالي (٩٦). والإحكام في أصول الأحكام للأمدى (٣ / ١٦٩).

سنة، ونظير ذلك من المحسوسات؛ أنَّ البنيانَ يُحكمُ أشهُ بالآلات، التي يؤمنُ معها التهورُ، فإذا ارتفع الأساسُ وقع التسامحُ، وارتفع التشديدُ في ذلك.

وإنما اخترنا الجوابَ عن هذا منعَ صحة الحديث؛ لأنَّ:

الجوابَ الأول: تكذيبُ الخصم، ولا يحصلُ به غرضٌ من حيث الجدَل، وإن كان الخصمُ كاذبًا في نفس الأمر.

والجواب الثاني: إجابةٌ عن سؤالٍ كليٍّ بصورةٍ جزئيةٍ منه، فتبقى بقيةُ الجزئيات واردة؛ إذ مقتضى الإنصافِ في البحث والجواب عن هذا السؤال؛ أن يُبينَ المسلمون أن كلَّ واحدٍ^(١) من الأنبياء قَبِرَ حيثُ مات، والأنبياءُ كثيرون، والزمان متقادِم، والنقولُ قد تعذر تصحيحُها إلى الزمن القريب، فما ظنُّك بالبعيد الذي قد وقع الناسُ منه في حيص بيص^(٢)، إمَّا إذا منعنا صحة الحديث؛ كان السؤالُ من أصله غيرَ واردٍ، واسترحنا من التعب، والله أعلم.

هذا آخر ما وقع الاختيار عليه من التعليق على التوراة وغيرها.

وافق الفراغ من نسخه، بكرة يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر صفر، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. والحمد لله، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً [١١٩/أ]. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، طيباً مباركاً^(٣) [١٢٥/ب].

(١) واحد، تكررت في (أ).

(٢) حيص: الحَيْصُ: الحَيْدُ من الشيء، و حاصَّ عنه يَحْيِصُ حَيْصًا: رَجَعَ. ووقع القومُ في حَيْصٍ بَيْصٍ، وحَيْصٍ بَيْصٍ، وحاصٍ باصٍ، أي: في ضيقٍ وشدةٍ، والأصل فيه: بَطْنُ الضَّبِّ يُعْجَجُ فَيُخْرَجُ مَكْنُهُ وما كَانَ فيه ثم يُحاصُّ، وقيل: أي في اختلاط من أمر لا مخرج لهم منه. [لسان العرب: (٧/ ١٩-٢٠)].

(٣) هذا واضح أنه من كلام الناسخ، وقد أرخ له بتاريخ ٧٢٨/٢/٢٢ هـ وهي السنة التي توفي فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمة الله عليه

فهارس المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الكتاب المقدس. بعهديه القديم والجديد. دار الكتاب المقدس، الإصدار الرابع، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، القاهرة. مصر.
٣. أباطيل التوراة والعهد القديم (الله جل جلاله، والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم) (دراسة مقارنة)، د/ محمد علي البار، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت.
٤. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٨م.
٥. ابن القيم، حياته، آثاره، موارده. تأليف العلامة، د: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ. طبع دار العاصمة بالرياض.
٦. ابن حنبل حياته وعصره، آراؤه الفقهية، للإمام: محمد أبو زهرة، ١٤١٨هـ، دار الفكر العربي. القاهرة.
٧. أبو بكر الصديق، للشيخ علي الطنطاوي، الطبعة الرابعة. ١٤١٥هـ، دار المنارة، جدة.
٨. الإنشقاق في علوم القرآن، للإمام/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ دار الكتاب العربي.
٩. الآثار المروية في صفة المعية، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، مكتبة أضواء السلف، الرياض.
١٠. الاجتهاد فيما لانص فيه، الدكتور / الطيب خضري السيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ مكتبة الحرمين. الرياض.
١١. الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، الإمام: شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٢. الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة النهضة، مكة المكرمة.
١٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي

- ٧٣٩ هـ ت: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.
١٤. أحكام الجنائز للألباني، الطبعة الرابعة. ١٤٠٦ هـ المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان.
١٥. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
١٦. إحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة - بيروت.
١٧. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الإمام: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
١٨. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل في شرح الدليل، لإبراهيم بن محمد بن ضويان، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني.
١٩. الاستصلاح والمصالح المرسل في الشريعة الإسلامية وأصول فقهاها، الشيخ: مصطفى الزرقا، طبعة دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٠٨ هـ.
٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣ هـ، تحقيق الشيخ: علي معوض، الشيخ: عادل عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢١. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د: محمد محمد أبو شهبة، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ مكتبة السنة بالقاهرة.
٢٢. الإسلام والأديان، أ. د: مصطفى حلمي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢ هـ دار الدعوة، الإسكندرية.
٢٣. الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، العلامة: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣ هـ مايو ١٩٧٣ م.
٢٤. الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي - تحقيق: حسن قطب - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - الفاروق الحديث - القاهرة.
٢٥. الإشارات والنبهات لابن سينا. مع شرح نصير الدين الطوسي (٤٥٣-٤٥٧/١) بتحقيق ذ: سليمان دنيا، الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة.

٢٦. أشرط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين، د: خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ دار الأندلس الخضراء، ودار ابن حزم.
٢٧. الإصابة في تمييز الصحابة. الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٨. أصول الفقه وابن تيمية د/ صالح بن عبد العزيز آل منصور، (رسالة دكتوراه)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٩. أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية (٧٩٩) د: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥ هـ رسالة دكتوراه.
٣٠. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، تحقيق، مكتب البحوث والدراسات ١٤١٥ هـ. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. لبنان.
٣١. إظهار الحق للشيخ: رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ هـ طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.
٣٢. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، د: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ نشر: وزارة الشئون الإسلامية - المملكة العربية السعودية.
٣٣. أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م.
٣٤. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، الإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله. تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. ١٣٩٨ هـ دار التراث العربي - القاهرة.
٣٥. الأعلام خير الدين الزركلي - الطبعة الخامسة - ١٩٨٠ م - دار العلم للملايين - بيروت.
٣٦. أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - دار الفكر - بيروت.
٣٧. إغاثة اللفهان في مصادب الشيطان، محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ. المكتب الإسلامي.
٣٨. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت.

٣٩. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. تحقيق د: محمد عبدالله الشرقاوي. الطبعة الثالثة ١٩٩٠ م. دار الجيل. بيروت.

٤٠. الإكسير في علم التفسير للطوفي - لعبد القادر حسين - مكتبة الآداب - القاهرة.

٤١. الإمام سليمان الطوفي الحنبلي، أصوليًا وفتيًا، تأليف أ. د: محمد حمد الغرايبة، دار الحامد للنشر والتوزيع - عمان - ١٤٢٥ هـ.

٤٢. أمريكا من الداخل، بمنظار سيد قطب، للدكتور: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطبعة السابعة، ١٤١٥ هـ دار القلم، دمشق.

٤٣. الانتصار في ذكر أحوال قاصع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية. الإمام: محمد بن عبد الهادي المقدسي، ت: أ. د/ محمد السيد الجليند. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط ١، ١٤٢٣ هـ.

٤٤. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي. تحقيق أ، د: سالم بن محمد القرني الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

٤٥. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية للطوفي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، إصدار دار البيان، عام ١٩٨٣ م. القاهرة.

٤٦. إنجيل الديداكي، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٥ م، دار البروج، القاهرة.

٤٧. إنجيل برنابا، ترجمه من الإنجليزية إلى العربية، الدكتور: خليل سعادة، تحقيق: الشيخ الدكتور: أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥ م، مكتة دار الأمل، إربد، الأردن.

٤٨. إيضاح البيان عن معنى أم القرآن للطوفي - تحقيق: علي بن حسين البواب - ١٤١٩ هـ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.

٤٩. بدائع الفوائد لابن القيم، ت: هشان عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. مكتبة نزار الباز. مكة.

٥٠. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي، محمد غازي بيضون، الطبعة السادسة، ١٤٢٢ هـ دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٥١. البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف - بيروت.
٥٢. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١ هـ.
٥٣. البشارات العجائب، في صحف أهل الكتاب، ٩٩ دليلاً على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان.
٥٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ١٣٨٤ هـ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
٥٥. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى: ١٣٩٢ هـ مطبعة الحكومة، مكة المكرمة.
٥٦. تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي.
٥٧. تاريخ الأمم والملوك، الإمام: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٨. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، الإمام العالم الحافظ: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ، دراسة وتحقيق: علي شيري، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٩. التأسيس في أصول الفقه على ضوء الكتاب والسنة، أبو إسلام مصطفى محمد سلامة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هـ مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، القاهرة.
٦٠. التبيان في تاريخ أنساب زهران، علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ مطابع الشاطئ الحديثة بالدمام.
٦١. التار والمغول ت د/ محمود السيد.. مؤسسة شباب الجامعة. ٢٠٠٤ م.
٦٢. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، بسمه أحمد جستني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ. دار القلم، دمشق.
٦٣. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة د/ سارة بنت حامد محمد العبادي، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.

٦٤. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي، دراسة وتحقيق: محمود عبد الرحمن قده، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٦٥. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
٦٦. تسهيل السابلة لمريد معرفة علماء الحنابلة - رقم الترجمة لصالح بن عثيمين البردي - تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
٦٧. التصوف عرض ونقد لأستاذنا، أ. د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة.
٦٨. التعاريف، محمد بن عبد الرؤوف المناوي ت (١٠٣١) هـ الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار الفكر الحديث، بيروت. لبنان.
٦٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دون تراث الطبع.
٧٠. التعيين في شرح الأربعين للطوفي - تحقيق: أحمد حاج عثمان - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - المكتبة المكية - مكة المكرمة.
٧١. التعيين في شرح الأربعين للطوفي، حققه: أحمد حاج محمد عثمان، طبع مؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٧٢. تفسير القراءان العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٧٣. تفسير ابن جرير الطبري، طبعة أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.
٧٤. تفسير السراج المنير، شمس الدين: محمد بن أحمد الشربيني، ٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية.
٧٥. تفسير القراءان، الإمام: عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد. الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ مكتبة الرشد - الرياض.
٧٦. تفسير اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). ١٩٩٨م. دار الكتب العلمية.

٧٧. تفسير سورق - القيامة - النبأ - الانشقاق - الطارق، للطوفي - تحقيق: علي بن حسين البواب - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - مكتبة التوبة - الرياض.
٧٨. التفكير المنطقي لأستاذنا الفاضل: أ. د: عبد اللطيف بن محمد العبد، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ دار الهاني للطباعة والنشر.
٧٩. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، محمد أحمد لوح، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ دار الهجرة.
٨٠. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ دار الرشيد. حلب. سوريا.
٨١. التمثيل والمحاضرة، أبو منصور، عبد الملك بن محمد (٢٢٩) هـ: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م الدار العربية.
٨٢. تنبيه الهاجد إلى ما وقع في كتب الأماجد. الشيخ العلامة: أبو إسحاق الحويني الأثري، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ دار المحجة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
٨٣. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: أبو الحسن بن علي بن أحمد السبتى الأموي المعروف بابن حمير، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ دار الفكر - لبنان.
٨٤. تهافت التهافت: للقاضي أبي الوليد محمد بن رشد (٥٩٥) هـ. ت: د: سليمان دنيا. الطبعة الرابعة، دار المعارف.
٨٥. تهافت الفلاسفة: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت (٥٠٥) هـ تحقيق: د: سليمان دنيا. الطبعة الثامنة، دار المعارف.
٨٦. تهذيب التهذيب، لابن حجر، ١٤٠٤هـ دار الفكر، بيروت.
٨٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال الكتاب، المؤلف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ مؤسسة الرسالة - بيروت.
٨٨. تهذيب سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٨٩. التوراة والإنجيل بين التناقض والأساطير، السيد سلامة غنمي، طبعة ٢٠٠٢م، دار الأحمدى للنشر، القاهرة.

٩٠. التوراة والقراءان والإنجيل، محمد الصوياني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ مكتبة العيكان.
٩١. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
٩٢. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد ابن إبراهيم بن عيسى، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
٩٣. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق.
٩٤. تيسير مصطلح الحديث، د: محمود الطحان، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ مكتبة المعارف بالرياض.
٩٥. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د: مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت.
٩٦. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٩٧. جامع المسانيد والمراسيل للسيوطي. ١٩٩٤م، دار الفكر.
٩٨. الجامع لأحكام القرآن الكريم، للإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي. تحقيق: د: محمد ابراهيم الحفناوي، دار الحديث. القاهرة.
٩٩. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه: محمد عزيز شمس، وعلي بن محمد العمران، إشراف د: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
١٠٠. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للألوسي - دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠١. الجمع بين الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
١٠٢. جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود، سميرة عبد الله بكر، الطبعة ١٤١٨هـ (ماجستير) جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

١٠٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع دار العاصمة بالرياض - ١٤١٤هـ - بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان (رسالة دكتوراه للثلاثة).
١٠٤. حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، أ. د: جميل عبد الله المصري، دار أم القرى، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
١٠٥. الحضارة الإسلامية، د: طه عبد المقصود، طيبة للإنتاج والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٠٦. حق اليقين في معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين، إبراهيم بن عايش الحمد، وقف البركة الخيري، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ المدينة المنورة.
١٠٧. الحور العين، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، دار آزال للطباعة والنشر. بيروت.
١٠٨. حياة الحيوان الكبرى، الشيخ كمال الدين الدميري، دار الفكر، بيروت.
١٠٩. خلاصة المنطق، د: عبد الهادي الفضلي. الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ دار الصفوة. بيروت.
١١٠. خلق أفعال العباد، الإمام: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار المعارف السعودية - الرياض.
١١١. الدر المشور في التفسير بالمأثور للسيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣م، دار الفكر. بيروت.
١١٢. الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - للعلمي - تحقيق د: عبد الرحمن العثيمين - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ - مكتبة التوبة - الرياض
١١٣. درء القول القبيح بالتحسين والتقيح للطوفي، تحقيق د: أيمن محمود شحادة. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
١١٤. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ.
١١٥. دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، د: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مكتبة أضواء السلف، الرياض.
١١٦. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: محمد ضياء الرحمن الأعظمي،

الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ مكتبة الرشد، الرياض.

١١٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني - دار الجيل - بيروت.

١١٨. دقائق التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أستاذنا أ. د: محمد السيد الجليند. الطبعة الثانية. ١٤٠٤هـ. مكتبة علوم القرآن. دمشق.

١١٩. دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية. د: آسيا سليمان نقلي، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢٣هـ.

١٢٠. الدين والدولة، في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، علي بن ربن الطبري، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ، دار الآفاق الجديدة، بيروت. لبنان.

١٢١. ديوان حسان ﷺ، شرح الدكتور: يوسف عيد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الجيل.

١٢٢. ذيل العبر، للحافظ الذهبي - تحقيق: محمد السعيد زغلول - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٣. ذيل تاريخ الإسلام، للحافظ الذهبي - بعناية: مازن باوزير - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - دار المغني - الرياض.

١٢٤. ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، الحافظ أبو المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٢٥. ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي - تحقيق: د: عبدالرحمن العثيمين - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ.

١٢٦. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي - دار المعرفة - بيروت.

١٢٧. الرحيق المختوم، للشيخ: صفى الرحمن المباركفوري، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار الوفاء، المنصورة. مصر.

١٢٨. الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة - بيروت.

١٢٩. الرد على النصاري، الإمام: القاسم بن إبراهيم الرسي، دون ذكر دار النشر، وتاريخه.

١٣٠. رد للشيخ: محمد بن صالح العثيمين رحمة الله عليه، في مجلة الدعوة السعودية في عدد (٩١١) الصادر يوم الاثنين الموافق ١٤٠٤ / ١ / ٤هـ.

١٣١. رسائل في الأديان والفرق والمذاهب. الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ دار ابن خزيمة، الرياض.
١٣٢. الرسالة. الإمام: محمد ابن إدريس الشافعي، ت: أحمد شاكر.
١٣٣. رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، ت/ علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ الخانجي بالقاهرة.
١٣٤. رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، لابن ضويان النجدي - تحقيق: عمر العمروي - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - دار الفكر - بيروت.
١٣٥. الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، د/ أحمد علي عجينة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة.
١٣٦. روح البيان في التفسير، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي. الدار السلفية، الهند.
١٣٧. الروح لابن قيم الجوزية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٨. الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتي، حاشية الشيخ العالم: محمد بن صالح العثيمين، تخريج: عبد القدوس محمد نذير، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ دار المؤيد الرياض، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٣٩. زاد المسير في علم التفسير، للإمام: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ المكتبة الإسلامية - بيروت.
١٤٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت.
١٤١. زوائد الهيثمي، الحارث بن أبي أسامة، الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق د: حسين أحمد الباكري. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.
١٤٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الإمام: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة سنة ١٤١٥هـ.
١٤٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ مكتبة المعارف، الرياض.

١٤٤. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر.
١٤٥. سيدنا عيسى بشر رسول وليس إلها في التوراة والإنجيل والقرآن أحمد السيد موسى الجندي، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
١٤٦. سير أعلام النبلاء للذهبي. مؤسسة الرسالة. الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ. ت: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان.
١٤٧. السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق د: سليمان بن حمد العودة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ دار طيبة.
١٤٨. السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ دار الكتاب العربي.
١٤٩. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، عز الدين بن عبد السلام ٦٦٠هـ ت: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ دار ماجد عسيري. جدة، المملكة العربية السعودية.
١٥٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي - الطبعة الأولى -- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ.
١٥١. شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ: محمد خليل هراس، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ دار الهجرة، المملكة العربية السعودية.
١٥٢. شرح مختصر الروضة في أصول الفقه، للطوفي. تحقيق د/ إبراهيم بن عبد الله آل إبراهيم مطابع الشرق الأوسط بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٥٣. شرح مختصر الروضة للطوفي تحقيق: عبد الله التركي - الطبعة الثانية - ١٤١٩هـ - توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض.
١٥٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي: عياض، أبي الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٤٧٦-٥٤٤هـ ت: عامر الجزار، ١٤٢٥هـ دار الحديث بالقاهرة.
١٥٥. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق.

١٥٦. صحيح السيرة النبوية، الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن.
١٥٧. الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراف الساعة، الشيخ العلامة: مصطفى العدوي، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ. دار الهجرة، الخبر.
١٥٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٥٩. الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للطوفي - تحقيق: محمد بن خالد الفاضل - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ - مكتبة العبيكان - الرياض.
١٦٠. ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، أ. د: محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ بيروت.
١٦١. طبقات الحفاظ، الإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦٢. عقائد الشيعة الاثني عشرية سؤال وجواب، عبد الرحمن بن سعد الشثري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ مكتبة الرضوان، البحيرة.
١٦٣. عقائد الشيعة في ضوء الكتاب والسنة وصحيح التاريخ. لاستاذنا الفاضل أ. د/ مصطفى حلمي، دار الإبداع، ط ٢، ١٤٢٧ هـ
١٦٤. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد عبد الهادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد، الرياض.
١٦٥. العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، لمكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض.
١٦٦. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاّف، دار الحديث، ١٤٢٣ هـ القاهرة.
١٦٧. علم الجدل في علم الجدل للطوفي، بتحقيق المستشرق / فولفهارت هاينريشس، من إصدار لجنة المستشرقين الألمانية.
١٦٨. علماء الحنابلة، من الإمام أحمد المتوفى سنة (٢٤١ هـ) إلى وفات عام (١٤٢٠ هـ) - لبكر بن عبد الله أبو زيد - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - دار ابن الجوزي - الدمام.
١٦٩. عون المعبود في شرح سنن أبي داود، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٠. غاية الوصول في شرح لب الأصول، لشيخ الإسلام، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري.
١٧١. فتاوى أركان الإسلام، الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، جمع: فهد بن ناصر السليمان. الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ دار المصيرية السعودية. القاهرة.
١٧٢. فتاوى العقيدة، للشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. مكتبة السنة. القاهرة.
١٧٣. فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
١٧٤. الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث، القاهرة.
١٧٥. الفروع في الفقه الحنبلي، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي.
١٧٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإمام أبو محمد علي بن أحمد (ابن حزم) الأندلسي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧٧. فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات، مصطفى فوزي عبد اللطيف، ١٩٩١ م.
١٧٨. فقه الخلاف بين المسلمين، ذ: ياسر برهامي، دار العقيدة، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ الإسكندرية.
١٧٩. فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الثامنة ١٩٩٨ م. دار القلم. دمشق.
١٨٠. فقه اللغة، الإمام الثعالبي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي.
١٨١. الفلسفة الخلقية لدى مفكري الإسلام أ. د: محمد السيد الجليند، الطبعة السابعة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م.
١٨٢. في تاريخ الأيوبيين والمماليك، أ. د/ محمد أحمد محمد مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ الرياض.
١٨٣. قاموس البدع، مستخرج من كتب الإمام العلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه (ت: ١٤٢٠ هـ)، مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ دار الإمام البخاري. الدوحة. قطر.

١٨٤. قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الرابعة عشرة، مكتبة دار العائلة بالقاهرة، تأليف نخبة من كبار العلماء، واللاهوتيين، طبع بمطبعة الحرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
١٨٥. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الأولى ١٩٩٥، دار الجيل للطبع والنشر.
١٨٦. قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأناجيل د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.
١٨٧. قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقلته إياه، على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافاً إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، للعلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله عليه، طبع المكتبة الإسلامية بالأردن.
١٨٨. قصص الأنبياء، الحافظ: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ ت: علي أبو الخير، محمد وهبي، معروف زريق، الطبعة السابعة ١٤١٧هـ دار الخير، دمشق.
١٨٩. قطوف الرياح من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ نشر دار روضة الصغير. الرياض.
١٩٠. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، دار القبة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة.
١٩١. الكافي في فقه ابن حنبل، عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: محمد فارس، مسعد السعدني، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
١٩٢. الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
١٩٣. الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٨، دار الفكر - بيروت.
١٩٤. كتب: دلائل النبوة، وهي كثيرة.
١٩٥. الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ دار السلام، القاهرة.
١٩٦. كرامات أولياء الله عليه السلام، للإمام: هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد الحمدان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ دار طيبة - الرياض.

١٩٧. الكليات تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م مؤسسة الرسالة - بيروت.
١٩٨. لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٩٩. لسان الميزان للإمام الحافظ: شهاب الدين، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد الكنان، المعروف بابن حجر العسقلاني، ٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ: غنيم بن عباس غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ مطبعة دار الفاروق الحديثة.
٢٠٠. لقاء الباب المفتوح، للشيخ: محمد بن صالح ابن عثيمين، رحمة الله عليه.
٢٠١. اللمع في أصول الفقه الكتاب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٠٢. مباحث في علوم القرآن، الشيخ أ. ذ: مناع القطان، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢٠٣. المبين عن المستهزين برسول رب العالمين، د/ عبدالعزيز بن محمد السعيد، طبع وقف السلام الخيري، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، الرياض.
٢٠٤. متن القصيدة النونية، لابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٢٠٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصللي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٩٥م، المكتبة العصرية - بيروت.
٢٠٦. مجلة البحوث الإسلامية (عدد ١٤) عام: ١٤٠٥هـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، بالرياض.
٢٠٧. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
٢٠٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (رحمهما الله).
٢٠٩. محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ دار الفكر العربي، القاهرة.

٢١٠. محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
دار المنار، القاهرة.
٢١١. محبة الرسول ﷺ، بين الإتياع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ. (رسالة ماجستير) طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإرشاد. الرياض.
٢١٢. محمد بن عبد الوهاب وموقفه من أهل البيت عليهم السلام (٣١)، خالد بن أحمد الزهراني، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، المملكة العربية السعودية.
٢١٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.
٢١٤. المختار المصون من أعلام القرون، لمحمد بن عقيل موسى - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ - دار الأندلس الخضراء - جدة.
٢١٥. مختصر الخرقى، محمد بن عبد الرحمن بن حسين آل إسماعيل. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
٢١٦. مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ت: العلامة: محمد ناصر الدين الألباني.
٢١٧. مختصر طبقات الحنابلة لابن شطي - دراسة: فواز زمرلي - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.
٢١٨. مخطوطة: التعليق على الأناجيل الأربعة، نسخة مكتبة (كوبرلي) بتركيا، برقم (٧٩٥).
٢١٩. مخطوطة: التعليق على الأناجيل الأربعة للطوفي، نسخة مكتبة: شهيد باشا بأستانبول، في تركيا، في مجموع رقم (٢٣١٥).
٢٢٠. المدخل الفقهي العام، الشيخ: مصطفى الزرقا، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، دار القلم، دمشق.
٢٢١. المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخریجات الأصحاب للدكتور: بكر أبو زيد - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ - دار العاصمة - الرياض.
٢٢٢. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران - تحقيق د: عبد الله التركي - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٢٣. مذكرة في أصول الفقه: العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الرابعة - ١٤٢٥ هـ المدينة المنورة.
٢٢٤. المذهب الحنبلي (دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته) للدكتور: عبد الله التركي - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٢٥. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، دار العاصمة، الرياض.
٢٢٦. مروج الذهب للمسعودي
٢٢٧. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (ماجستير) الشيخ ناصر القفاري.
٢٢٨. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الشيخ: أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهرى ١٩٨٩ م.، دار الفضيلة، القاهرة.
٢٢٩. المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٣٠. المستصفى في علم الأصول لأبي حامد، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٣١. مسند الإمام: أحمد بن حنبل، تعليق الأرنبوط، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
٢٣٢. المسيح والتثليث د: محمد وصفي، دار الفضيلة القاهرة، دون تاريخ الطبعة.
٢٣٣. المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، الأستاذ/ ساجد مير، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٣٤. المسيحية دين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها. د/ عبد المنعم فؤاد، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ مكتبة العبيكان، الرياض.
٢٣٥. مشاهير علماء الأمصار، الإمام: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهر، دار الكتب العلمية - بيروت، - ١٩٥٩ م.
٢٣٦. مشكاة المصابيح، للإمام: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٣٧. مشكلة الصراع بين الدين والفلسفة، د: رضا سعادة. الدار العالمية.
٢٣٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الإمام: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.

٢٣٩. المصلحة عند الحنابلة، د/ سعد بن ناصر الشثري، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ
دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٤٠. المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي - د: مصطفى زيد - الطبعة الأولى - ١٣٧٤ هـ - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة.
٢٤١. مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
٢٤٢. معارج القدس في مدارج معرفة النفس، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية، ١٩٧٥ م، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
٢٤٣. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، د: محمد حسين الجيزاني (رسالة دكتوراه) - الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ دار ابن الجوزي. الدمام.
٢٤٤. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٢٤٥. معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت.
٢٤٦. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٤٧. معجم المناهي اللفظية، د: بكر بن عبد الله أبو زيد (ت ١٤٢٩ هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ دار العصمة. الرياض.
٢٤٨. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.
٢٤٩. معجم بلدان العالم الإسلامي. د/ محمد الراجحي. الطبعة الأولى، مطبعة سفير.
٢٥٠. معجم مصنفات الحنابلة من عام ٢٤١ هـ إلى عام ١٤٢٠ هـ عبد الله الطريقي - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٢٥١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م دار الفكر.
٢٥٢. المغني لابن قدامة، طبعة دار الفكر، الأولى، ١٤٠٥ هـ لبنان.

٢٥٣. مفردات من الحضارة الإسلامية، محمد راجي حسن كناس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٥٤. مقارنة الأديان: المسيحية د/ أحمد شلبي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٣م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٥٥. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم بن محمد بن مفلح - تحقيق: عبد الرحمن العثيمين - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - مكتبة الرشد - الرياض.

٢٥٦. الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤هـ دار المعرفة - بيروت.

٢٥٧. من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة. تحقيق: أستاذنا أ. د/ محمد السيد الجليند.

٢٥٨. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

٢٥٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، دار الفكر - بيروت.

٢٦٠. منحة القريب المجيب في الرد على عبّاد الصليب، الشيخ عبد العزيز بن حميد بن ناصر بن معمر، تحقيق د/ محمد بن عبد الله السكاكر، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٦١. المنطق وفن التفكير، د: حسين علي، طبعة ٢٠٠٥، الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع. القاهرة.

٢٦٢. المنظومة الثائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها للطوفي، (رسالة ماجستير)، (لم تطبع) إعداد الأخ/ محمد نور الإحسان بن علي يعقوب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٣هـ.

٢٦٣. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ مؤسسة قرطبة.

٢٦٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المسمى: شرح النووي على مسلم، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٦٥. منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى بحث: مجدي بن عبد الله أبو عويمر، ضمن مجلة (الحكمة) العدد (٢٠)، طبع بريطانيا، ليدز، Leeds. U. K.، ١٤٢٠هـ.
٢٦٦. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعلمي - تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرين - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - دار صادر - بيروت.
٢٦٧. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، ت/ محي الدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي المقدسي الحنبلي ٩٢٨هـ. دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ١٤٢٠هـ.
٢٦٨. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د: عثمان علي حسن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار إشبيلية، الرياض.
٢٦٩. منهج الطوفي في تقرير العقيدة، (رسالة ماجستير)، الشيخ: إبراهيم بن عبد الله بن صالح المعشم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، بالقصيم ١٤٢٦هـ (مخطوط).
٢٧٠. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، د: إبراهيم البريكان، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٧١. منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنة، د/ عزيزة علي طه، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دون ذكر الناشر ومكانه.
٢٧٢. الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق / مشهور سلمان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ دار ابن عفان، مصر.
٢٧٣. موسوعة (١٠٠٠) مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ أوراق شرقية، بيروت.
٢٧٤. الموسوعة الفقهية الميسرة أ. د/ محمد رواس قلعه جي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ دار النفائس.
٢٧٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف الشيخ د/ مانع بن حماد الجهني (رحمته الله)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
٢٧٦. موسوعة نظرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي،

وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، نشر: دار الوسيلة، للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

٢٧٧. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصمعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.

٢٧٨. الموقظة في علم مصطلح الحديث، الإمام الحافظ شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ دار البشائر الإسلامية - مكتب المطبوعات الإسلامية.

٢٧٩. موقف ابن تيمية من الأشاعرة د: عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٨٠. موقف اليهود والنصارى من المسيح ﷺ وإبطال شبهاتهم حوله، رسالة دكتوراه، د/ سارة بنت محمد العبادي، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ. مكتبة الرشد، الرياض.

٢٨١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي معوض، عادل عبدالموجود، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٨٢. الميزان في مقارنة الأديان، حقائق ووثائق، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ دار القلم، دمشق. الدار الشامية، بيروت.

٢٨٣. النبوة والأنبياء، الشيخ/ محمد بن علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ عالم الكتب، بيروت.

٢٨٤. نجم الدين الطوفي ومنهجه الكلامي، مع تحقيق كتابه حلال العقد في أحكام المعتقد (رسالة ماجستير)، (مخطوط)، د: جمعان ظاهر ماضي الحريش، كلية دار العلوم ١٤١٨ هـ.

٢٨٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٨٦. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، دار إحياء التراث العرب - بيروت.

٢٨٧. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ) تحقيق: د: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة الأولى عام (١٤٢٢ هـ) مطبعة سفير بالرياض.

٢٨٨. النصرانية، نشأتها التاريخية، وأصول عقائدها، د: عرفان عبد الحميد فتاح، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن.
٢٨٩. النصرانية في الميزان، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
٢٩٠. نقد الأناجيل المرفوضة والمعترف بها، د/ محمد ممتاز عبد القادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٩١. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٩٢. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، تحقيق: أحمد عبد القادر الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. دار قتيبة.
٢٩٣. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
٢٩٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر. بيروت.
٢٩٥. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ﴿فَأَسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ عبد العزيز بن ناصر الجليل، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ دار طيبة، الرياض.
٢٩٦. اليهودية، د: أحمد شلبي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

فهارس موضوعات كتاب (التعليق على الأناجيل الأربعة)

الموضوع

٨	دراسة حول الكاتب، والكتاب:
٣٩	تمهيد: بين يدي الكتاب
٤١	أولاً: إثبات نسبة الكتاب إلى الطوفي وصحة اسمه
٤٢	ثانياً: وصف نسخ المخطوط
٤٦	ثالثاً: مصادر الطوفي في كتابه
٤٨	رابعاً: صور لبعض نسخ المخطوط (أ) و (ب)
٥٤	مقدمة المؤلف
٥٤	سبب تأليف كتاب التعليق على الأناجيل
٥٨	مقدمات ثلاث
٥٨	المقدمة الأولى
٥٨	هذه الأناجيل الأربعة ليس شيء منها هو إنجيل عيسى عليه السلام
٥٩	مصير الأنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام
٦٠	الأدلة على ضياعه
٦٠	الوجه الأول
٦٠	الوجه الثاني
٦١	الأناجيل التي بأيدي النصارى تواريخ فحسب
٦٢	المقدمة الثانية
٦٢	براءة المسيح من ابتداع النصارى
٦٣	فلسفة التثليث عند النصارى
٦٣	فساد قولهم من وجوه
٦٣	الوجه الأول
٦٤	الوجه الثاني
٦٤	الوجه الثالث
٦٦	المقدمة الثالثة

- ٦٦ شبهة النصارى في اعتقادهم الباطل في المسيح
- ٦٧ ظهرت خوارق كثيرة على أيدي الأنبياء وبعضها أعظم من معجزات المسيح
- ٦٨ دور اليهود في تحريف النصرانية
- ٧٠ تحريف النصارى كلام الله أكثر ما أوقعهم في الضلال
- ٧١ لم يرد لفظ النبوة في الأنجيل إلا مع قرينة تدل على أن المراد به المجاز
- ٧٣ استقراء الأنجيل الأربعة
- ٧٣ أولاً: إنجيل متى
- ٧٥ عقيدة التجسد عند النصارى وأصل ابتداعها
- ٧٥ طعن مصنفى النصارى في الإسلام ونبوة محمد ﷺ يوجب الرد عليهم
- ٧٦ تناقض الأنجيل
- ٧٧ اشتبه على النصارى المجاز بالحقائق
- ٧٧ اعتقاد السلف في المعية
- ٨٠ هدم اعتقاد النصارى من واقع كتبهم
- ٨١ المراد بالنبوة في أنجيلهم العبودية
- ٨٢ كذب النصارى على المسيح في دعواهم إنكاره نبوة من قبله من الأنبياء
- ٨٤ المراد بالنبوة في حق المسيح العبودية؛ وإلا لزم أن يكون من معه كلهم أبناء الله ...
- ٨٦ الاشتراك في لفظ النبوة هو من باب المجاز
- ٨٨ طعن النصارى في لفظ الإسلام قديم
- ٩٣ نقد دعواهم نبوة المسيح
- ٩٤ معجزات نبينا ﷺ
- ٩٦ جهل النصارى وسوء فهمهم
- ٩٨ الفرق بين النجاسة العقلية المجازية والنجاسة الحسية
- ١٠٠ خلوف فم الصائم وكلام الفقهاء حول إزالته
- ١٠١ مذهب الطوفي في السواك للصائم
- ١٠٣ كذب إنجيل متى!
- ١٠٣ الدلالة على بشرية المسيح وعبوديته
- ١٠٥ تعليل النصارى الفاسد لعدم جواز الطلاق
- ١٠٧ حقوق المرأة في إنجيل النصارى المحرّف
- ١٠٨ رواج الشبه على النصارى

- الفلاسفة واضطرابهم في قضية إدراك اللذة الروحية ١١٤
- هل كان إبليس من الملائكة؟! ١١٥
- قصة هاروت وماروت ١١٦
- من الأدلة على عدم صحة الأناجيل ١١٩
- توجيه قول المسيح: «فإن أباكم واحد، هو الذي في السموات» ١١٩
- طعن النصارى في نبوة النبي ﷺ والرد عليهم ١٢٠
- نزول المسيح آخر الزمان ١٢٢
- ضلال النصارى عن فهم أمثلة المسيح المضروبة ١٢٣
- من خرافات النصارى وأضحوا كاتهم ١٢٤
- من آيات النبي ﷺ الكثيرة ١٢٦
- معجزة القرآن الكريم وتحديه البشر ١٢٧
- الكلام على التواتر ١٢٧
- الرد على النصارى في شرط اليهود في التواتر ١٢٨
- رد شبه النصارى حول نبوة النبي ﷺ ١٢٩
- مقارنة بين الصحابة وتلاميذ المسيح ١٣٠
- مدح الطوفي لصحابة الرسول ﷺ ١٣١
- بطلان ادعائهم صلب المسيح ١٣٢
- خفاء قصة الصلب على علماء الكتاب أهل العلم الأول ١٣٣
- حكمة النبي ﷺ ١٣٥
- أدلة بطلان دعوى صلب المسيح ١٣٦
- الخلاف بين المسلمين في وفاة عيسى عليه السلام ١٣٦
- اختيار الطوفي وفاة المسيح عليه السلام ١٣٨
- اختلاف الأمم الثلاث في عين المصلوب، وصواب قول المسلمين ١٣٨
- الخلاف في مصير جسد المسيح عليه السلام بعد الصلب المزعوم ١٤٠
- آخر التعليق على إنجيل متى ١٤٠
- ثانيًا: إنجيل مرقس ١٤١
- جهل انصارى والكتبه بظنهم أن كلام المسيح هذا يقتضي إلهيته ١٤٢
- ردُّ اعتقاد النصارى ألوهية المسيح بنص إنجيل مرقس ١٤٢
- قصة إحياء المسيح بنت رئيس الجماعة ودلائلها على نبوته ١٤٤

- ١٤٥..... تناقض إنجيل متى مع إنجيل مرقس
- ١٤٥..... حكم رواية الحديث بالمعنى عند المسلمين
- ١٤٦..... دعوة المسيح عليه السلام إلى الدار الآخرة
- ١٤٧..... تناقض الأنجيل وكذبها مرة أخرى
- ١٤٧..... دعوة المسيح إلى التوحيد الخالص
- ١٤٧..... النصراني ليسوا على دين المسيح عليه السلام
- ١٤٨..... فقدان الإنجيل
- ١٤٨..... تاريخ تدوين الأنجيل
- ١٤٩..... أسباب تبديل وتحريف الأنجيل
- ١٤٩..... تحريف الأنجيل واختلافها
- ١٥٢..... اختلاف الأنجيل وعدم إمكانية الجمع بين ألفاظها
- ١٥٢..... معجزة القرآن وحفظ الله له
- ١٥٣..... قصة هولاء في امتحان أهل الديانات
- ١٥٤..... براءة المسيح من غلو النصراني
- ١٥٥..... آخر التعليق على إنجيل مرقس
- ١٥٦..... ثالثاً: التعليق إنجيل لوقا
- ١٥٦..... شفاعته ونقض
- ١٥٨..... إلزامهم بالتاريخ
- ١٥٨..... خلو بيت المقدس من النصراني زمن الطوفي
- ١٥٩..... اشتراك لفظ الرب بين الإله والسيد
- ١٦٠..... من تناقضات النصراني
- ١٦٠..... إلزامهم من كتبهم بصدق محمد ﷺ
- ١٦١..... الدفاع عن زكريا عليه السلام
- ١٦١..... يلزم في قصة مريم ما وقع في قصة زكريا
- ١٦٣..... الشياطين توهم النصراني بأن المسيح ابن الله
- ١٦٤..... نبوة المسيح ونفي ألوهيته بنص إنجيل لوقا
- ١٦٥..... تناقض إنجيل لوقا
- ١٦٦..... رد اليهود نبوة المسيح
- ١٦٧..... تضارب ألفاظ إنجيل لوقا مع إنجيل مرقس

- ١٦٧..... تضارب آخر
- ١٦٨..... بشارة المسيح بنينا ﷺ
- ١٦٨..... الفرق بين نصارى الأمس ونصارى اليوم!
- ١٦٩..... تناقض عظيم في قصة مريم المجدلية
- ١٦٩..... كفر الشاك والمتردد في صدق الله ورسله
- ١٧٠..... نبوة المسيح في إنجيل لوقا
- ١٧٠..... آخر التعليق على إنجيل لوقا
- ١٧١..... رابعاً: التعليق على إنجيل يوحنا
- ١٧١..... وصف عقول النصارى
- ١٧٣..... ما صحة حديث: نبياً وآدم بين الماء والطين؟!
- ١٧٥..... أطوار خلق الإنسان
- ١٤٦..... بطلان دعوى صلب المسيح
- ١٧٩..... جنون النصارى في اعتقادهم الصلب
- ١٨٠..... محاجة المسيح لليهود
- ١٨١..... إنجيل يوحنا ينفي ألوهية المسيح
- ١٨٧..... بطلان عقيدة الحلول
- ١٨٨..... خرافات سفهاء النصارى
- ١٩٢..... معنى البرقليط
- ١٩٣..... البشارات بالنبي ﷺ في كتب أهل الكتاب
- ١٩٥..... إلزام النصارى بتصديق نبينا ﷺ لإخبار المسيح ﷺ عنه
- ١٩٨..... آخر التعليق على إنجيل يوحنا بن زبدي
- ١٩٨..... تمام التعليق على الأناجيل الأربعة
- ١٩٩..... البرهان على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ
- ٢٠٣..... التعليق من مصحف أشعيا النبي ﷺ
- ٢٠٤..... تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من الصفات
- ٢٠٥..... حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه والكلام عليه
- ٢١٠..... قاعدة في التعامل مع حديث أهل الكتاب
- ٢١٥..... الرد على منكري الجنة من النصارى
- ٢١٦..... التعليق من مصحف هوشع بن بادى

- ٢١٨..... التعليق على نبوة يونان وهو يونس عليه السلام
- ٢١٨..... قصة يونس عليه السلام
- ٢١٩..... ما ذكر من خواص اليقطين
- ٢٢٠..... التعليق من نبوة حبقوق النبي عليه السلام
- ٢٢٢..... بشارة حبقوق عليه السلام بالنبي ﷺ
- ٢٢٢..... ما صحة حديث: «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً لأعرف»؟
- ٢٢٦..... جبال فاران الواردة في كتب الأولين هي: جبال مكة والحجاز
- ٢٢٩..... الفتوحات الإسلامية
- ٢٣٣..... التعليق من كتاب: ملاخي النبي عليه السلام
- ٢٣٤..... التعليق من نبوة: أرميا بن حلقيا النبي عليه السلام
- ٢٣٥..... نقد كتاب: السر المكتوم للرازي
- ٢٣٩..... التعليق من كتاب: حزقيال
- ٢٤٠..... الدلالة على إنسانية عيسى عليه السلام
- ٢٤٢..... الكلام على الختان
- ٢٤٣..... التعليق من كتاب: دانيال
- ٢٤٩..... التعليق من: سفر الخليقة، السفر من التوراة
- ٢٥٠..... مواقف الفرق من الصفات
- ٢٥٥..... قصة آدم وحواء عليهما السلام في التوراة
- ٢٦١..... الكلام في التجسيم
- ٢٦٢..... بطلان توراة اليهود وافتراؤها على الله تعالى
- ٢٦٣..... قصة قابل وهاييل
- ٢٦٧..... تنقص اليهود لله تعالى ووصفه بالعظائم لعنهم الله
- ٢٦٧..... نسخ الشرائع
- ٢٦٩..... ذكر قوس قزح
- ٢٦٩..... الطوفان
- ٢٦٨..... الافتراء على نبي الله نوح عليه السلام
- ٢٧٤..... نبوة النبي ﷺ في التوراة
- ٢٧٤..... حجة النصارى في ترك الختان
- ٢٧٧..... مرح الصحابة رضي الله عنهم

- الكلام على امرأة لوط ٢٨٠
- هذه هي الأخلاق اليهودية في وصف أنبياء الله تعالى بعظائم الأمور ٢٨١
- قصة إبراهيم عليه السلام وسارة ٢٨٢
- قصة إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر ٢٨٤
- قصة موسى عليه السلام مع شيخ مدين ٢٨٧
- قصة الذبيح، ومن هو؟ ٢٨٧
- ترجيح كون الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ٢٨٨
- حلم العرب ٢٩٣
- سجود إبراهيم، وسجود يوسف وتأويل ذلك ٢٩٧
- الدفاع عن النبي ﷺ ٢٩٩
- نزول عيسى عليه السلام، آخر الزمان ٢٩٩
- فساد عقائد اليهود في الله ﷻ والملائكة الكرام ٣٠١
- قصة يوسف عليه السلام ٣٠٥
- شناعات اليهود ٣٠٦
- تحقيق القول في أم يوسف المذكورة في قصة السجود ٣٠٩
- تنزيه أنبياء الله تعالى عن النقائص ٣١٢
- ترجيح القول في راحيل وحياتها ٣١٥
- ضلال اليهود والنصارى وكفرهم بالله ورسله ٣١٦
- حديث: لم يقبر نبي إلا حيث يموت ٣٢٢
- آخر التعليق على التوراة وغيرها ٣٢٢
- المصادر والمراجع ٣٢٣
- فهارس الموضوعات ٣٤٧